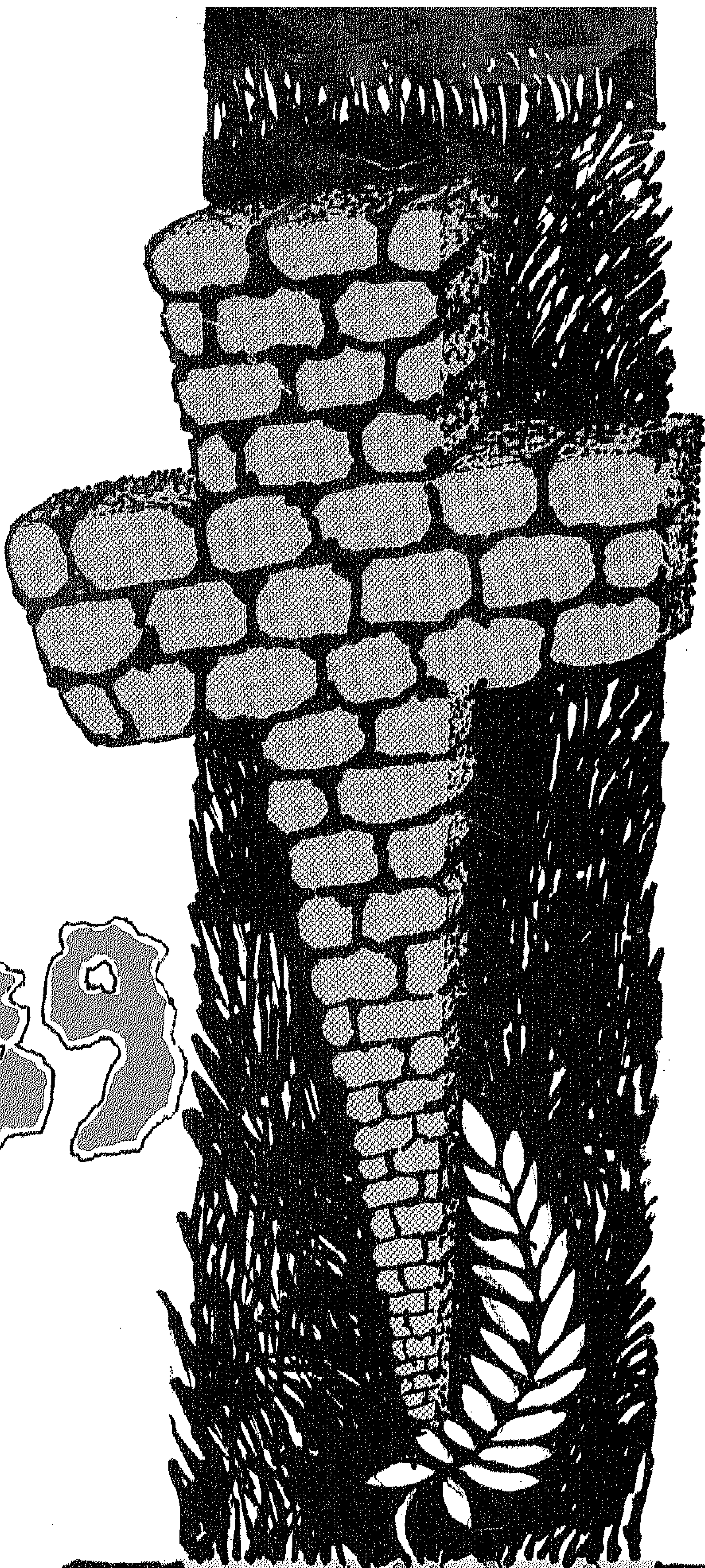
وطنية الكنيسة القبطية وتاريخها



الجزء الاول



إعداد الراهب
القمص
أنطونيوس الأنطوني

وطنية الكنيسة القبطية وتاريخها

من بعد الآباء الرسل حتى عصر
ثورة ٢٣ يوليو
(منذ عام ١٥٠ م الى عام ١٩٥٢ م)

إعداد
الراهب القمص
أنطونيوس الأنطونى

طبعة ثانية منقحة ومزودة

الجـــزء الاول

أسم الكتاب : وطنيـــة الكنيســـة القبطيــة وتاريخهــــا

المـــــؤلف : الراهب القمص أنطونيـوس الأنطــونــــي

المطبـــــعة : دار الطبـــاعة القوميـــــــة بالفجــالــة

ت : ٥٩٠٥٤٨٦

رقم الإيداع : ٢٠٠١/١٤٥٥٥



قداسة البابا المعظم الأنبا شنودة الثالث

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية وسائر بلاد المهجر



نيافة الحبر الجليل الأنبا يسطس

أسقف ورئيس دير الأنبا أنطونيوس العامر بالبحر الأحمر

المقدمــــــة

- عاشت المسيحية فى مصر فى جو ساده الإضطراب والقلق . ولا غرابة حينئذ إذا رأينا الكتّاب والمؤرخين قد عكفوا مبكرين على سرد تاريخها .

هذا ومما يؤسف له أن شعب مصر لم يعرف تـــاريخ العلاقــات بيــن المسلمين والأقباط فى العصور السابقة إلا عن طريق الأقاصيص والحوادث التى شوهتها الاحقاد القديمة ، ونقلها أو بالغ فيها إناس لم يعتمدوا على المنطق السليم فى تفكيرهم .

ومن ثم شرعت فى كتابى هذا (وطنية الكنيسة القبطية وتاريخها) مــن بعد عصر الرسل حتى عصر الرئيس الراحل الســـادات . لإيضــاح الحقــائق وإجلائها والتى تدل على أن تاريخ الخلفاء والولاة والسلاطين والأمراء وأتباعهم فى مصر هو تاريخ قهر للأمة القبطية ، وقد وضعت نصب عينى هدفين : -

أولهما : تدعيم الوحدة الوطنية وهو هدف كل مصرى لا فـــى الوقــت الحاضر فحسب بل طوال تاريخنا كله .

وثانيهما : التصدى لعملاء الاستعمار وسيئى النية والحاقدين والدساسـين الذين لا يفتأون يسيئون إلى هذا الوطن ، بترديد دعوى أن المسيحيين تواكلـــوا دائما عن أداء دورهم الوطنى ، بل كانوا فى أوقات كثــيرة دعــائم الاسـتعمار الأجنبى ، والادهى من ذلك أرادوا طمس أعلامهم الخفاقة فى الوحل ، بتشـــويه الحقائق وقلب الأوضاع ، للنيل بمن برز نجمهم أمثال الجنرال يعقوب ، وبطرس باشا غالى ، والقمص سرجيوس وآخرون ...

والكتاب هو دراسة علمية لتباين الحقيقة المجردة من كل زيف ، وفـــى نفس الوقت تحليل وإبراز للحوادث الهامة التى تدعم روابط الوحــدة الوطنيــة ، معتمدين على وقائع مشهود بها فى أمـــهات الكتــب الاســلامية كـابن الحكـم والمقريزى والجبرتى وكتاب مسلمون معاصرون مثل د.سيدة اسماعيل كاشـــف ود.قاسم عبده قاسم وأحمد صادق سعد ومحمد عمارة والأستاذ أبو سيف يوسـف وآخرون...بالإضافة إلى المراجع القبطية والأجنبية .

والكتاب أيضا مرآة يعكس أحداث التاريخ ، وبذلك يهم القارىء المصرى عامة والقبطى خاصة لأنه يوضح للأقباط سلالة المصريين القدماء كيف أصبحوا أقلية فى بلدهم ، ولماذا تدهورت قوميتهم وإنقرضت لغتهم .

هذا وإن كنت قد ألمحت إلى الجور الواقع بالأقباط فى بعض فترات التاريخ ، فانى أرجو بذلك هدفين :

الأول : أن ذلك الظلم لم يكن الصفة الغالبة والسياسة العامة ، بل هي دوافع شخصية ، ومواقف فردية ، لبعض الحكام من الولاة والسلاطين أو ربما استجابة للدول الأجنبية .

الثانى : هو أن يشكر الأقباط الله على ما هم فيه الآن من أمن وطمأنينة وسلام وحرية يحسدهم عليها كثيرون ... وأن يحرص المسلمون على أن لا تتكرر هذه المظالم فى المستقبل لأخوتهم الأقباط .

وخلاصة القول إن هذه الدراسة لا تهدف كما يتصور البعض الى إذكاء نار عداءات قديمة لما حوته من أحداث أليمة ، ذلك لأن الأهواء الدينية فى الشرق لم تفقد من حدتها بين المسلمين والأقباط وإن كانت فاترة فى الظاهر فإن القلق المكبوت مازال جاثماً ، رغم التصريحات الرسمية وحسن استعداد الرؤساء والقادة فى التعاون لازالة ما فى النفوس من ضغائن ليتحد العنصران ، إذ أن الإتحاد أول الأسس المتينة لأنتشار الآمن والأمان والسلام والاطمئنان بين أفراد الشعب الواحد . وفى هذا الوقت الذى يحبذ فيه نخبة من المسلمين بعث الامبراطورية العربية القديمة من مرقدها فإننا لا نشك إطلاقا فى ترحيب عدد كبير من أقطاب السياسة بكل ما يساعدهم على فهم الاوضاع الصحيحة وتوجيه تفكيرهم فى سبيل المحافظة على الوئام بين الأقباط والمسلمين ولنأخذ منها دروسا متعددة تفيدنا نحن والأجيال القادمة بشفاعة كلية الطهر والقداسة العذراء مريم والدة الإله المكرمة وكاروزنا المحبوب القديس العظيم ناظر الإله الإنجيلى الشهيد مارمرقس والقديس العظيم الأنبا أنطونيوس أبو جميع الرهبان وبصلوات أبينا الطاهر والقديس صاحب القداسة والغبطة البابا المعظم ذهبى فم القرن العشرين الأنبا شنودة الثالث وشريكه فى الخدمة الرسولية أبينا الأسقف المكرم الأنبا يسطس أسقف ورئيس دير القديس العظيم الأنبا أنطونيوس أطال الله حياتهما لنا سنينا عديدة وأزمنة هادئة مديدة .

اعداد
الراهب القمص
أنطونيوس الأنطونى

١ توت ١٧١٨ ش / ١١ سبتمبر ٢٠٠١ م
عيد النيروز

إهـــــــــــداء

بسم الأب والابن والروح القدس
الاله الواحد آمين

الى حضرة

صاحب الغبطة والقداسة البابا المعظم الانبا شنودة الثالث

بابا الاسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية وبلاد المهجر

الى أبن الأنبا أنطونيوس .... الى من تسمى بأسم صاحب السيرة منذ رهبنته .... الى من أحب الأنبا أنطونيوس وعاش حياته متأملاً وعاملاً ومعلماً .... الى من كرز بالأنبا أنطونيوس بطرق وأنواع شتى وأطلق اسمه على رهبان وكهنة وأساقفة وكنائس وأديرة .... الى من أحب دير الأنبا أنطونيوس ورعاه .الى من شرفني ودعاني بالأسم المطوّب الى معلم الجيل وكل الاجيال ... ورائد التعليم الاكليريكى فى مصر وأمريكا وأوروبا واستراليا ... الى فخر الاقباط فى كل مكان ... بعلمه وأعماله ... الى واضع لبنة إعادة وحدة كنيسة المسيح فى وثيقة دير الانبا بيشوى ووحدة الكنائس الارثوذكسية ... الى أب رهبان جيلنا والاجيال القادمة ... الى بطل الارثوزكسية وحامى الايمان الرسولى وذهبى الفم لجليننا الحاضر والاجيال القادمة ... الى النجم الساطع الذى استنارت الكنيسة والاكليركية والعالم أجمع من علمه الغزير ومن حكمته السامية ومن إدارته المثالية

أهدى ...

قبسا من علمه الغزير ونبتا من غرسه النامى العتيد طالبا صلواتكم عنى وعن كل أبناءك الرهبان فى كل المسكونة وأن يتمجد الله بسيرة قديسنا العظيم بفضل مؤازرتكم وتعاليمكم . أدام الله لنا وعلينا حياتكم وقيامكم ثابتاً على كرسيكم سنين عديدة وأزمنة هادئة مديدة . الرب عن يمينك .

أبنكم الراهب
القمص أنطونيوس الأنطونى

تمهيد

هذا الكتاب يؤرخ لجزء من تارخ بلدنا مصر ولشعب هو شعب مصر في حقبة من تاريخه .والأقباط أولا وقبل كا شيئ مصريون . وبالتالى فهم قطعة أصيلة فى نسيج الكيان المصرى الذى يجمع بينهم وبين إخوانهم المصريين المسلمين ، إما أن الأقباط مسيحيون فالمسيحية عقيدتهم وديانتهم ، أما من حيث عرقيتهم وجنسيتهم فهم المصريين الوارثون مع مواطنيهم المسلمين لأعرق حضارة انسانية تمتد الى "مصرايم" بن حام بن نوح (تك ٦:١٠، ١٣)،(تك ٥٠:١١)، (أخبار أيام أول ٨:١، ٩) والى مصرايم يرجع اسم مصر .

وحقا ماقاله الرئيس الراحل السادات فى إحدى خطاباته " إن الأقباط من نسيج هذا البلد مصر " وما قاله الدكتور طه حسين "الكنيسة القبطية مجد مصرى قديم"

ومن هنا فإن هذا الكتاب " وطنية الكنيسة القبطية وتاريخها يهتم بتاريخ أقباط مصر والمصريين جميعا أقباطا ومسلمين .

أصل الاقباط او المصريين

الاقباط هم بقايا تلك الامة المصرية العريقة فى الحضارة التى اجمع الكل على انها أقدم الامم فى المدنية واسبقها الى التمدن . وقد شهدت التواريخ على انها هى السبب الوحيد والعامل الاكيد على ايجاد التمدن فى العالم وانتشارة على وجه البسيطة.

+ومصر اسم لتلك البلاد التى كانت استوطنتها هذه الامة ، وهى كلمة عبرانية الاصل مشتقة من مصرايم (١) بن حام بن نوح الذى اتى بعشيرته الى وادى النيل واتخذه مقرا له ولاولاده من بعده وذلك عقب تبلبل الالسنة ببابل وتفرق اولاد نوح على وجه الارض كما جاء فى التوراه, ومن هنا كانت تسمية سكان وادى النيل (المصريين) نسبة اليه.

+اما اسم مصر فى اللغة القبطية فهو كيمى (xhui) أو "خيمى " أو " حيمى " وهى تسمية مشتقة من كلمة "كيم " ، ويذهب البعض الى ان " حيمى " نسبة الى حام والد مصرايم كما سمى الوادى فى لغة التوارة " أرض حام " وقد تكون محرفة عن كلمة "كام " ومعناها أسود اشارة الى سواد تربته.

+ويسمى الافرنج هذه البلاد مصر" EGYPTE" (ايجيبت) وقد نقلوا هذه التسمية عن اليونان الذين اطلقوا عليها اسم " Aiguptos" تحريفا للكلمة المصرية

---

(١) قيل أن مصر عند العبرانيين مشتق من (حر) أى الشدة ويعنون بذلك مالا قوة من الشدة والعنف فى الإستعباد . والبعض من المؤرخين يدعون أن مصرايم هو مينا أول ملوك مصر ولكن لادليل على ذلك .

" هاكابتاح " المركبة من "ها" بمعنى بيت او معبد و "كان" بمعنى روح و "بتــاح" وهو الالة " فتاح" معبود " منف".

وهذه الكلمة بتاح احد أسماء منف عاصمـــة مصـــر ثـــم أطلـــق اســـم (ها كابتاح) على القطر كله.

وان لفظ ايجبتوس مركبة مـــن كلمتيـــن (اى) بمعنـــى أرض او دار و(جيبتوس) اى (قفط) او (جفط) كما ينطقها أهل الصعيد للآن فيكون معنى الكلمتين معا أرض القبط أو دار القبط . وقد دعا العرب مصـــر بـــهذا الاســـم (دار القبط).

و يقال ان قبط (جفط) من قفطايم احد اولاد مصرايم , وهو الذى ابتنى مدينــه قفط بالصعيد الاعلى (وهى اقرب مدن وادى النيل الى البحر الاحمــر) وعليــه تكون كلمتا قبطى ومصرى بمعنى واحد.

أى أن القبطى هو المصرى و جمعها أقباط أى مصريون

الباب الأول

" الفصل الأول "

الاقباط تحت حكم الدولة الرومانيـــة

دخلت مصر فى حكم الرومان فى سنة ٣٠ **قبل الميلاد** وظلــت مصـر تابعة لهم من سنة ٣٠ قبل الميلاد الى سنة ٦٤٠ م ولم يحدث فى كل هذه المــده الطويلة مايستحق الذكر سوى ظهور الديانة المســيحية ودخولــها مصــر فــى منتصف القرن الاول للميلاد على يد البار مرقس الانجيلى او دخـــول النـــاس افواجا فيها كما ظهرت بعد ذلك مدرسة الاسكندرية اللاهوتية واشتهرت اساتذتها وعلماؤها.على مستوى العالم أجمع.

ولايمكن ان ننسى الاضطهاد الذى اثارة دقلديانوس قيصر رومية ضـــد المسيحيين عموما والمصريين خصوصا أقباطا كانوا او رومانيين حينما جاء الى مصر وماظهرت فيها من نماذج رائعة من الشهداء رجالا كـــانوا او نســاء أو أطفال كما لم تسلم المسيحية أيضا من تشويه على يد الاميين الداخلين الايمـــان فقامت محاولات من جانب بعض المفكرين والفلاسفة الداخلين حديثا فى الايمـان المسيحى لتفسير المسيحية على ضوء الاراء والفلسفات الوثنية لتقريبها للعقـــول فنتج عن ذلك انحرافات فكرية وعقيدية كثيرة . اضف الى ذلك ضعيفى الايمـــان أو ذوى المطامع الذين حاولوا تكييف المعتقـــدات المســيحية علـــى مقتضـــى تصورهم أو هواهم محتجين تارة بطبائع الاشياء او متشبثين تارة أخرى بـــالنص الحرفى لآية من آيات الانجيل مما شوه الصورة امام البسطاء.

كان أمرا طبيعيا أمام هذا أو ذاك _ ان تواجه الكنيسة المســـيحية هــذه المشكلات الايمانية العقيدية مجتمعة وكان لابد أن تجد لها حلا , ولا تعطى لـــها حلا.

لذلك اخذت الكنيسة منذ اول عهدها بمبدأ حل المشاكل بواسطة " مجـامع دينية " وعلى هذا فيمكن القول أن الفكرة المجمعية قد انبثقت فى الكنيسة الاولـــى لحل المشكلات الايمانية.

وهذا ماسوف نذكره باختصار فى هذا الكتاب عن مدرسة الاســـكندرية وأشهر أساتذتها بالاضافة الى فكره مبسطة عن المجامع المســـكونية. وســوف يكون حديثنا مختصرا لان كثيرا من الكتاب و الكتب تكلمت عن هذه المواضيـــع باستفاضة ولكننا ذكرناها كمدخل لتاريخ الكنيسةعلى مرالعصور وليس ابلغ مـــن التاريخ حجة ومن الوقائع ، سندا ، ومن الاحداث دليلا

" الفصل الثانى "

مدرسة الاسكندرية اللاهوتية

نشأة هذه المدرسة وشهرتها :

عندما حضر مارمرقس الرسول الى مصر كانت الاسكندرية مركزا هاما للثقافة الوثنية وفى مدرستها الوثنية ومكتبتها الشهيرة تخرج كثير من الفلاسفة والعلماء – فكان لابد أن يقيم مدرسة لاهوتية لتثبيت الناس فى الدين وترد على أفكار الوثنيين وكان مارمرقس نفسه مثقفا باللغات العبرية واللاتينية واليونانية وحسب ثقافته ادرك مقدار خطر الفكر الوثني وهكذا انشأ مدرسة لاهوتية مسيحية فى الاسكندرية عين لرئاستها العلامة يسطس .

المدرسة الوثنية والمدرسة المسيحية ومدى العلاقة بينهما : –

المدرسة الوثنية هى التى آنشأها بطليموس الاول ملك مصر وقد بلغت ذروتها فى العلوم والفلسفة فى القرن الاول للمسيحية ولم توجد مدرسة تعادلها فى دراستها الطبيعية والعلمية فى الطب والتشريح والرياضة والفلك من أجل هذا كانت هذه المدرسة منافسا للمدرسة المسيحية .
ومع ذلك عاشت المدرستان جنبا الى جنب لكل منهما طابعه الجامعى الخاص

ولكن هدف التعليم فى المدرستين يختلف : –

اولا : هدف الدراسة فى المدرسة الوثنية هو الوصول الى مركز مرموق فى الدولة بينما فى المدرسة المسيحية لم يكن هدفا على الرغم من أن خريجى هذه المدرسة يصلحون لذلك .

ثانيا : كان مستوى طلبة المدرسة الوثنية الاخلاقى وكذلك الاساتذة منحطا بعكس المدرسة المسيحية فالاخلاق كانت من أبرز خواص المدرسة اساتذة وطلبة .

ثالثا : أن الفلسفة والعلوم كانت تدرس فى المدرسة الوثنية بقصد الثقافة بينما كانت تدرس فى المدرسة المسيحية لغرض دينى .

رابعا : كان طلبة المدرسة الوثنية من مستوى ثقافى واجتماعى معين والطلبة كانوا ذكورا فقط عكس المدرسة اللاهوتية كان التعليم عاما للجميع لا تميز بين السيد والعبد والذكر والانثى الجميع واحد فى المسيح يسوع بالاضافة الى أن سنوات الدراسة فى المدرسة الوثنية كانت محدودة عكس المدرسة اللاهوتية فكانت غير محدودة .

المدرسة اللاهوتية (سماتها ومنهجها وخطة الدراسة فيها) : -

كان فلاسفة الوثنيون يدرسون الكتاب المقدس لكى ينـاقضوه ويشـككوا الناس فيه ولذلك وقفت المدرسة اللاهوتية تناهض الوثنية بكل طاقاتها واصبـح لها دور هام فى المنافسة الفكرية حتى انها ادخلت فى برامجها الفلسفة الوثنيـة بشتى فروعها على يد القديس اكليمنضس الاسكندرى (حتى تسـتطيع أن تـرد على هجمات الوثنيين) كما نادى القديس اكليمنضس بأن الفلسفة خادمـة لعلـم اللاهوت وارتقت المدرسة اللاهوتية فى دراسة الفلسفة حتى كان يسـتمع الـى محاضراتها امونيوس السقاص زعيم فلاسفة الوثنيين .

أما عن خطة الدراسة ونظامها فى الدراسة اللاهوتية : -

* لم تكن الدراسة بالمدرسة اللاهوتية دراسة عقلانية كما توهم البعـض لكـن كانت هناك رياضيات روحية فكانوا يصلون ويقرأون ويصومون .
* وقد كانت الاكليريكية فى عهدها الاول مدرسة دينية مسيحية تعتنـى بشـرح التعليم المسيحى وتبسيطه بطريقة السؤال والجواب وكان طلابـها مـن ثلاثة أنواع : -

١ - فريق كان وثنيا يريد ان يعرف الحقيقة (حقيقة المسيحية) فيفتش عليـها بالدراسة فى هذه المدرسة .

٢ - الفريق الثانى من كان وثنيا وأمن بالمسيحية ولكنه لم يكن قد حصل علـى سر المعمودية (أى كان فى صفوف الموعوظين) ومـا زال يـدرس ويؤدى امتحانات حتى اذا جاز الامتحان النهائى يسمح له بالعماد .

٣ - الفريق الثالث والاخير وهم المسيحيين ولكن للدخول للعمق اكـبثر ولكـى يزداد رسوخا وايمانا يدرس فى هذه المدرسة ولكى يتمكن من الخدمـة فى الكنيسة والعمل على نشر المسيحية .

ولقد تناظر اساتذة وعلماء المدرستين الوثنية واللاهوتية وكان نتيجـة لذلـك ان اهتمت المدرسة اللاهوتية بدراسة العلوم والثقافات المختلفة فقد ادخلت فيها علوم الطب والكيمياء والطبيعة والحساب والهندسـة والفلـك والجغرافيـا والتـاريخ والموسيقى واللغات .

* ولم يكن للمدرسة الاكليريكية اللاهوتية فىعهودها الاولى مبنى خـاص انمـا كانت مركزة فى علمائها . وحيثما يوجد استاذها كانت توجد المدرسة - وكـان الاستاذ يأخذ تلاميذه فى بيته الخاص . وقد ذكر عن العلامة اوريجانوس اشـهر اساتذتها يستأجر لها قاعات ليعظ فيها فى ايام الاضطهاد والاستشهاد فلما كـانت تلك القاعات تحطم بسببه كان يستأجر

غيرها او يعلم فى أى مكان . وقد كان الاستاذ له الحرية ان يعلم طلبته كما يتهيأ له الظروف أو كما توصى اليه طبيعته الخاصة أو حاجة الطلاب وظروفهم.
ولكن بعد ذلك بدأت الاكليريكية تعد منهج خاص للدارسين ينقسم الى ثلاث مراحل: -

المرحلة الاولى : -

مرحلة العلوم فيها يدرسون الهندسة والفسيولوجيا والفلك (هذه الدراسة لتنمية ملكات الاستدلال والملاحظة والنظام) .

المرحلة الثانية : -

دراسة الفلسفة واقوال الفلاسفة وتفسيرها .

المرحلة الثالثة : -

مرحلة دراسة العلوم اللاهوتية وكان المنهج الجدلى هو المنهج المتبع فى دراسة اللاهوت . هكذا كان لمدرسة الاسكندرية اللاهوتية اهمية خاصة حتى أن الامبراطور ثيؤدوسيوس قال مرة " أن الذى يهرب من هذه المدرسة يعد كافرا " .

مدرسة الاسكندرية والتفسير الرمزى : -

كان عمل المدرسة الرئيسى هو شرح كلمة الله بطريقة روحية واعلان ما تحمله من اعماق داخلية وراء الرموز .
وكانت مدرسة الاسكندرية التعليمية بلا شك اشهر معهد عقلى فى العالم المسيحى الاول وكان اهتماما منصبا على دراسة الكتاب المقدس وقد ارتبط اسمها بالتفسير الكتابى .

دور المدرسة فى حياة الكنيسة واثار طلبتها وخريجها واساتذتها : -

كانت المدرسة جزءا لا يتجزأ من الحياة الكنسية وقدمت ضوءا جديدا على أهمية العلم والتعليم بوجه عام كما خلقت قادة فى الفكر وفى العمل الكنسى الرعوى على المستوى المحلى والمسكونى .
١ - اهتمام المدرسة بالفلسفة اليونانية تنزع عنها أى نظرة ضيقة نحو المسيحية كتراث اقليمى يرتبط بجماعة محلية أو ثقافة خاصة وبهذا ربحت الكنيسة نفوس كثيرة للسيد المسيح من عينات مختلفة على كافة المستويات الفلسفية والفكرية .
ووصف " شان " قدرة المدرسة على الكرازة بين الفئات المتباينة خلال اتساع نظريتها قائلا كانت من جهة حصنا للكنيسة ضد الاشرار .. ومن جهة اخرى كانت جسرا للعبور من العالم الى الكنيسة .

٢ – هذا الاتجاه جعل من اساتذة المدرسة رجالا مسكونيين (امثال اكليمنضس واريجانوس) وفى القرون التالية حمل رجالها امثال القديس اثناسيوس الرسولى وكيرلس الكبير مسئوليات كنسية على مستوى مسكونى
وجاء من تلامذتها قادة فكر مسيحى امثال القديس غريغوريوس اسقف نيصص الذى يفتخر دوما بمعلمه القبطى العلامة اوريجانوس .
٣ – استطاعت المدرسة ان تروى ظمأ المسيحيين بالاسكندرية نحو المعرفة الدينية وتحثهم على الدراسة والبحث وبهذا ساهمت فى انشاء اول نظام للدراسات اللاهوتية فى العالم او كانت بحق " مهد اللاهوت المسيحى " منها خرج رجال قادرون على الرد على امثال كليمنضس واوريجانوس والدفاع ضد الاريوسية مثل القديس اثناسيوس وضد نسطور مثل القديس كيرلس الكبير .
٤ – قيام هذه المدرسة اعطى امكانية الحصول على التعليم الذى تقدمه المدرسة الوثنية العظمى لكن بواسطة معلمين مسيحيين .

المدرسة الاكليريكية والكرسى المرقسى : –

عندما انشأ القديس مارمرقس المدرسة الاكليريكية كان قد أمن برسالتها وانه لا يمكن ان تعيش الكنيسة بدونها " لان الكنيسة لاتعيش بدون اللاهوت " لذلك انشأ هذه المدرسة وعين القديس انيانوس أول اسقف لادارتها وبعد ذلك تولى ادارتها فى أواخر حياة مارمرقس اساتذة ومديرون اشتهروا بالعلم والتقوى والغيرة الكبيرة على خدمة كلمة الرب كما شهد لهم يوسابيوس .

واختير منهم الكثيرون للكرسى المرقسى وبخاصة ان الرهبنة لم تكن قد ازدهرت ولا حتى قد ظهرت فى ذلك الزمان .

واول مدير لهذه المدرسة اللاهوتية القديس العلامة يسطس الذى جلس على كرسى مامرقس وصار السادس فى عداد البطاركة .

وعين القديس امونيوس مديرا للمدرسة – ولما جلس امونيوس " السابع على الكرسى المرقسى عين مركيانوس لادارة المدرسة وصار مركيانوس الثامن فى عداد البطاركة .

وكان البابا يوليانوس (١١) من تلاميذ هذه المدرسة اللاهوتية وفى عهد البابا ديمتريوس (١٢) تعين ياروكلاس مديرا للمدرسة بعد اوريجانوس وصار البابا الثالث عشر وفى عهده عين القديس ديونسيوس للتدريس فى المدرسة اللاهوتية وصار هو ايضا البابا الرابع عشر وكان ياروكلاس وديونسيوس من تلاميذ اوريجانوس.وتخرج من هذه المدرسة ايضا البابا بطرس (١٧) خاتم الشهداء والبابا ارشيلاوس (١٨) والبابا اثناسيوس (٢٠) والبابا تيموثاوس (٢٢)

فقد كان التقليد الجميل المتبع ان مدير الاكليريكية هو الذى يعين بطريركا لعمق روحانياته ولسعة دراساته اللاهوتية...اى أن مدير الاكليريكية يعتبر الرجل الثانى بعد البطريرك .

وعن طريق هذه المدرسة حفظت التعاليم اللاهوتية المسلمة بالتسليم الرسولى والتقليد دون حزف او زيادة ولذلك كان باباوات هذه الكنيسة هم الذين يرأسون المجامع المسكونية لان هذه الكنيسة بفضل مدرستها اللاهوتية كانت معلمة المسكونة كلها فى اللاهوت الارثوذكسى . لذلك فقد نجحت مدرسة الاسكندرية اللاهوتية فى قيادة الكنيسة الجامعة اذ أن ابطالها فى المجامع المقدسة من خريجى هذه المدرسة الذين درسوا اللاهوت الارثوذكسى دراسة خالية من الهرطقات لذلك كان الاتجاه الفكرى فى الاسكندرية مطبوعا بنظرة تصوفية كما كان الاتجاة فى تفسير الكتاب المقدس بالاضافة الى المعنى الحرفى كان هناك معنيين آخرين وهما المعنى الرمزى والمعنى الروحى .

المدرسة الاكليريكية والكنائس (الكراسى) الاخرى : -

لم يقف عمل المدرسة اللاهوتية بالاسكندرية على حد تخريج البطاركة أو ابطال المجامع المسكونية ولكن عملها امتد خارج الكرازة المرقسية فقد تخرج من هذه المدرسة كثير من الاساقفة المشهورين لايبارشيات خارج الكرازة المرقسية ومن امثلتهم القديس اغريغوريوس العجائبى الذى كان آمن على يد اوريجانوس وصار تلميذا له وكتب رسالة كبيرة يمتدح فيها ما قاله من دراسة عميقة فى المدرسة وما اخذه من قدوة صالحة من الاساتذة .

وكثيرون لم يتتلمذوا شخصيا فى مدرسة الاسكندرية اللاهوتية ولكنهم تتلمذوا على كتب علمائها ومن هؤلاء القديسون باسيليوس الكبير واغريغوريوس الناطق بالالهيات ويوحنا ذهبى الفم الذين تتلمذوا على كتب اوريجانوس ودافعوا عنه وقد احتمل ذهبى الفم المحاكمة فى سبيله ومن هنا جاء تسمية بطاركة الاسكندرية " بقضاة المسكونة " .

علماء المدرسة وفلاسفتها الافزاز : -

*من علماء هذه المدرسة المشهود لهم الفيلسوف اثينا غوراس وهو من المدافعين المشهورين عن المسيحية وعقائدها .

ومن فلاسفتها ايضا القديس بنتينوس الذى بشر فى الهند وبلاد العرب . والذى له الفضل الكبير على اللغة القبطية . ثم القديس اكليمنضس الاسكندرى الذى آمن بالمسيحية على يد بنتينوس وصار من اشهر علماء المسيحية ووضع كتبا عديدة اشهر ها المتفرقات (Stromats)

*وخلف هذين العالمين القديسين العلامة اوريجانوس اشهر فلاسفة المسيحية وكتابها فى شتى العصور ، وهو يعد من علماء المدرسة الرمزية فى التفسير وسار على منهجه فيما بعد القديس اوغسطينوس .

*ومن علماء المدرسة ايضا البابا ديونيسيوس (١٤) وقد اعتبر حجة فى اللاهوت ومن العلماء الافزاز الذين تخرجوا منها البابا القديس اثناسيوس الرسولى(٢٠) الذى يعتبر أبا لجميع علماء اللاهوت والذى وضع قانون الايمان المسيحى وتزعم الدفاع عن لاهوت الابن فى مجمع نيقية وباقى ايام حياته ، ووضع كتبا كثيرة اشهرها " الرد على الاريوسيون " وتجسد الكلمة " والرسالة ضد الوثنيين " ورسائل عن الروح القدس وحياة القديس انطونيوس وقد نقل هذه الكتب الاربعة الاخيرة الى اللغة العربية الآب الموقر القمص مرقس داود .

*وفى عهد القديس اثناسيوس الرسولى تولى قيادة هذه المدرسة اللاهوتية العالم الكبير القديس ديديموس – وقد اشتهر بعلمه الكبير حتى اتى القديس جيروم ليدرس على يديه بالاسكندرية وترجم له كتابه عن " الروح القدس " الى اللاتينية كما امتدحه القديس انطونيوس الكبير وقال له لا تحزن يا ديديموس لفقدك بصرا جسديا يوجد لدى الحيوانات والحشرات لكن ينبغى ان تفرح ان لك عينان روحانيتان تستطيع ان تنظر بهما نور اللاهوت . وقد امتاز ديديموس بقوة اقناعه وبأدبه الجم فى مناقشاته اللاهوتية حتى درس عليه كثير من فلاسفة الوثنيين وخلف لنا كتبا كثيرة فى اللاهوت والعقيدة والتفسير .

* ومن الاساتذة الاخرين لهذه المدرسة ثاؤغنست وبيروس والقديس ديونسيوس ولقد لقب بيروس لعمق علمه بأنه (اوريجانوس الجديد) وتولى قيادة المدرسة ايضا سرابيون ومقار قبل القديس ديديموس ورودون فى عهد البابا كيرلس الكبير.

ومن أكثر الذين قاموا بترجمة تاريخ علماء المدرسة اللاهوتية يوسابيوس القيصرى ونيافة الحبر الجليل الانبا اغريغوريوس اسقف الدراسات العليا والبحث العلمى وجناب الاب الورع القمص تادرس يعقوب ملطى .

اضمحلال المدرسة اللاهوتية : –

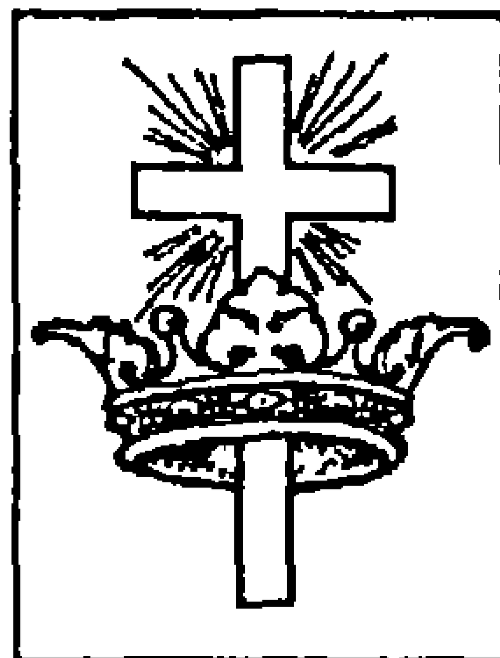
وبالحقيقة كانت الكنيسة مزدهرة ونامية طوال العصور التى ازدهرت فيها مدرسة الاسكندرية اذ كانت مصدرا للنور والمعرفة اللاهوتية والدينية لايمكن الاستغناء عنه وكانت ايضا سر القوة الخفية وراء كنيسة الاسكندرية فى القرون الخمسة الاولى – اذ هو سر شهرة باباواتها وبطاركتها اذ كانوا يحسبون كحراس للايمان الارثوذكسى وبسبب اتساع افئدتهم كانوا شغوفين بالمعرفة فحسبوا " معلمى المسكونة " وكانت لهم الكلمة الاخيرة الفاصلة .

وفى أواخر القرن الخامس الميلادى ضعف الاقبال على المدرسة اللاهوتية واصابها الذبول والانحلال وقد رأينا العلامة رودون وهو أخر مدير للمدرسة نقلها من الاسكندرية الى صيدا .

واخيرا بعد أن كانت المدرسة منارة للمسيحية فى العالم كله بدأت تضعف نتيجة انقسام الكنيسة فى مجمع خلقدونية المشئوم سنة ٤٥١ م وهكذا تخلفت المدرسة وانتقل التراث العلمى واللاهوتى الى الاديرة فى وادى النطرون.

اكليريكية القاهرة بألانبا رويس امتدادا لمدرسة الاسكندرية : -

هكذا بعد ان خمدت ضياء هذه المدرسة وانطفأ نورها فأصاب الكنيسة المصرية الذهول والضعف فلم يعد لباباواتها ما كان لهم فى العصور المسيحية الاولى من الثقافة اللاهوتية التى تمكنهم من قيادة الكنيسة القيادة الحكيمة - وأخيرا لم يصحح القبط لاهمية هذه المدرسة الا بعد أن جاء البابا كيرلس الرابع المعروف بأبو الاصلاح اذ مهد لانشاء مدرسة اكليريكية لتعليم رجال الدين فى الفجالة سنة ١٨٦٢ ثم بعد ذلك فتح مدرسة اكليريكية سنة ١٨٧٤ وما ان جاء البابا كيرلس الخامس ففتح الاكليريكية الجديدة التى لم يستطع سلفه ان يكمل العمل فيها وقد عهد بأدراتها الى القمص فيلوثيئوس ابراهيم علم الدين الذى كان عالما لاهوتيا شهيرا ولكن هذه النبتة لم تستمر كثيرا الا بضعة شهور ولكن شاء الرب الاله ان تفتح الاكليريكية من جديد سنة ١٨٩٢ ويديرها المرحوم يوسف بيك منقريوس الذى بعد نياحته عين الاستاذ الارشدياكون حبيب جرجس استاذا ثم مديرا لها ثم بعد نياحته صار القمص ابراهيم عطية مديرا لها حتى ٣٠ سبتمبر سنة ١٩٦٢ حيث رسم قداسة البابا كيرلس السادس القمص انطونيوس السريانى اسقفا للمعاهد الدينية والتربية الكنسية بأسم " نيافة الانبا شنودة " وصار للاكليريكية اسقفا ودخلت بذلك المجمع المقدس واخيرا رجعت الكنيسة الى عصورها الاولى حيث مدير الاكليريكية يصير بطريركا كتقليدها القديم فى ١٤ نوفمبر سنة ١٩٧١ جلس نيافة الانبا شنودة اسقف الاكليريكية على السدة المرقسية بأسم قداسة البابا شنودة الثالث واصبح ابو الاباء وراعى الرعاة وراعى الاكليريكية الاكبر اطال الله حياته .



الباب الثانى

المجامع الكنسية

من الثابت تاريخيا ان النظام المجمعى كان معمولا به منذ اقدم العصور التى وجدت فيها روح الشورى او تبادل الرأى فقد عمل به فى الوثنية كما ان الفكرة المجمعية لها جذور فى اليهودية فقد عقد رؤساء كهنة اليهود مجامع للسيد المسيح (مت ٢٦ : ٣) (مر ١٥ : ١) ومجامعا لمحاكمة التلاميذ لكرازتهم بالايمان المسيحى (أع ٥ :١٢)

+ **وفى عصر الرسل** : عقدت الكنيسة أول مجمع فى اورشليم عام ٥٠ ميلادية برئاسة القديس يعقوب الرسول اسقف اورشليم (أع ١٥) للنظر فى بحث شروط قبول الداخلين من الامم الى المسيحية او بعد ماحصلت مباحثة كثيرة صدر القرار بالقول " لانه قد رأى الروح القدس ونحن الان نضع عليهم ثقلاً أكثر غير هذه الاشياء الواجبه ان يمتنعوا عما ذبح للاصنام وعن الدم والمخنوق والزنا " وضاعت على الشيطان فرصة شق الكنيسة الاولى.

+ولقد اخذت الكنيسة عن الرسل الاطهار هذا المبدأ الجليل فكانت تعقد المجامع كلما حدث خلاف فى البيعة, أو وجد من الامور ما يستدعى ذلك .

اقسام المجامع

١- المجامع المكانية (Diocesan Councils)

وهى التى يجتمع فيها الاسقف والقسوس والشمامسة فى مركز كل ابروشية لتدبير امورهم الخاصة.

٢- المجامع الاقليمية او المحلية أو العامة (Provincial Councils)

وهو مايقابل حاليا اجتماعات المجمع المقدس برئاسة البابا ويجتمع بصفة دورية فى السبت السابق لعيد حلول الروح القدس لتدبير امور البيعة او كل ما يواجه الكنيسة من اخطار.

والجدير بالذكر ان اخر مجمع مقدس اجتمع على غير العاده فى مصر فى الصوم الاربعينى المقدس فى سنة ١٩٧٨ ميلادية عندما فكرت الدولة فى اصدار قانون الردة.

٣- المجامع المسكونية

ينبغى ان يتوفر فيها بضع شروط نوجزها فيما يلى

١- ان تنعقد بسبب بدعة او انشقاق

٢– ان تنعقد بدعوه من الامبراطور المسيحى (فى المجامع السابقة الثلاثة)
٣ – ان يحضرها غالبية اساقفة الكنيسة – شرقا وغربا – لتتمثل فيها المسكونية
٤– تقرر شيئاً جديداً لم يكن مقرر من قبل

ولسنا نجد فى تاريخ الكنيسة من المجامع تنطبق عليها الشروط الســابقة سوى ثلاثة فقط تطلق عليها اسم المجامع المسكونيه وهى :

١– مجمع نيقيــة الذى انعقد عام ٣٢٥ م
٢ – مجمع القسطنطينية الذى انعقد عام ٣٨١ م
٣ – مجمع افسس الاول الذى انعقد عام ٤٣١ م

ولقد اعترفت كافة الكنائس المسيحية – شرقاً وغرباً – بــهذه المجــامع الثلاثة وتمسكت بقانون ايمانها كما نفذت قراراتها وقوانينها .

اختصاص المجامع

أبانت لنا القوانين ما للمجامع من اختصاصات فقالت :

١– فحص المسائل المتعلقة بالايمان
٢– وضع النظم والقوانيين اللازمة لسياسة الكنيسة
٣– حل المشاكل العامة التى تعترض الكنيسة
٤– فض المنازعات والخصومات التى تنشأ بين الأكليروس أو بين الشــعب أو بين كليهما
٥– محاكمة رجال الاكليروس اذا صدر منهم ما ينافى الايمان القويم أو يخــالف ما تقرره البيعة من قوانين .

الاحكام الباطلة لبعض المجامع

جدير بالذكر ان الكنيسة رفضت كثير من الاحكام الجائرة التى أقرّتــــها بعض المجامع ظلما على بعض اباء الكنيسة المشهورين بسلامه الرأى وحســن العقيدة وشده التمسك بالايمان مثل:

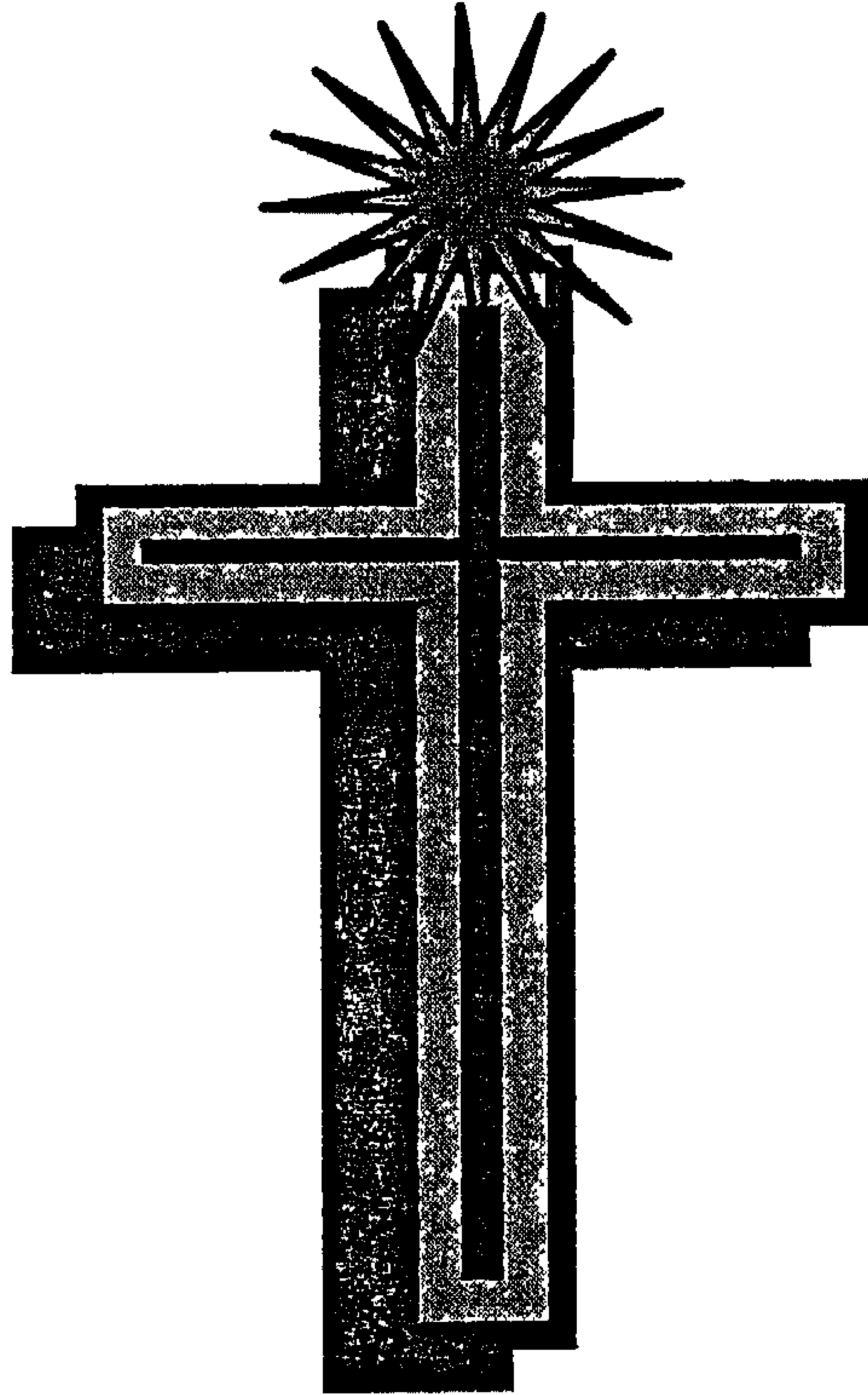
١ـ مجمع صور المنعقد سنة ٣٣٤م الذى حكم على البابا اثناســيوس الرســول حامى الايمان بعزلة من وظيفته الكهنوتية وبالنفى ايضا .
٢ – مثل المجمع الذى عقده يوحنا بطريرك انطاكية مع اساقفته النساطرة بعـزل البابا القديس كيرلس الكبير عمود الدين ونفيه أيضا
٣– مجمع خلقدونية الذى حكم على القديس ديسقورس البابا السكندرى بالنفى فى اكتوبر سنة ٤٥١ م الى جزيرة غاغرا
٤– كما رفضت الكنيسة ايضا الاعتراف بالحكم الذى اصدره مجمع القسطنطينية المكانى على القديس يوحنا ذهبى الفم ، ورغم ان البابا ثاوفيلس الاسكندرى كان

رئيسا لهذا المجمع الذى اصدر ذلك الحكم الا ان الكنيسة عادت سريعا فى عــهد خليفته القديس كيرلس البطريرك الرابع والعشرين واعترفت ببراءة القديس يوحنا ذهبى الفم كما قام القديس كيرلس بتسجيل اسمه فى" قائمة الاباء القديسين " الذين تقرأ اسمائهم فى القداس الالهى.

الكنيسة الغربية والمجامع المسكونية

بالتوثيق فى قرارات المجامع نلاحظ مقاومة اســـاقفة رومـــا لســـلطان المجامع فرغم ما تثبته القوانيين من أن سلطان الاساقفة مجتمعين (اى فى هيئــة مجمع عام) فوق سلطان أى اسقف مهما عظمت قيمته او كرامته , نراهم تــاره يدعون وجوب عقد المجامع بأمر منهم او أخرى ينادون بضرورة تثبيت الاحكام لديهم .

ومن المؤسف ايضا فى موقفهم بازاء المجامع هو قيامهم بادخال زيـــاده على قانون الايمان الذى قرره مجمعا نيقية والقسطنطينية المسكونيين .



الباب الثالث

" الفصل الأول "

الشرق بعد مجمع خلقيدونية
فى الفترة ما بين سنه(٤٥١م - ٦٤١م)

كانت نتيجة المشاحنات والانقاسمات الدينية بعد قرارات مجمع خلقيذونيه سنة ٤٥١م ان انقسمت المملكة الرومانية الى مملكتين شرقيه وعاصمتها القسطنطينية وغربية وقاعدتها روما.

واطلقت الكنائس الغربية على الكنائس الشرقية بأنها مونوفيزيه (Monophysite) (اى تؤمن بطبيعه واحده فى المسيح) ووصفت الكنائس الشرقيه الكنائس الغربية بأنها (DIOPHYSITE) أى تؤمن بطبيعتين فى المسيح كما اتهم الغربيون كنيسة الاسكندرية بالأوطاخيه كنتيجة للتآمر الذى حدث فى خلقيدونيه ضدها فى الوقت الذى اعتبرت كنيسة الاسكندرية الأوطاخيه بدعه حرمتها مرارا وتكرارا لانها علمت بأن طبيعه المسيح الناسوتيه تلاشت فى طبيعته الالهية هذا بينما يؤمن الاقباط (كنيسة الاسكندرية) بأن المسيح طبيعه واحده من طبيعتين او ان طبيعتى المسيح اللاهوتيه والناسوتية صارا طبيعه واحده باتحادهما الفائق السرى - بغير اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير.

ومن الواضح ان الكنائس الغربية اتخذت هذا الموقف المشين من الكنائس الشرقيه وخاصه كنيسة الاسكندرية للدور القيادى لابائها فى المجامع المسكونيه الثلاثه الاولى ويكفى ان تقرأ للمؤرخ ستانلى فى كتابه " محاضرات عن الكنائس الشرقيه " قوله " واصبح بطريرك الاسكندريه بعد مجمع نيقية قاضى المسكونه كلها.

كما يكفى ايضا ان تقرأ فى تاريخ المجمع المسكونى الاول لنيقية عن الملك قسطنطين الكبير انه وقف وسط المجمع الكبير الذى ضم ٣١٨ اسقفا من انحاء العالم المسيحى ليصافح الشماس اثناسيوس ويقول له " انت بطل كنيسة الله. "

ومن الجدير بالذكر بعد نياحة البابا ديسقورس سنة ٤٥٤م وسيامه البابا تيموثاوس الثانى (البطريرك الـ ٢٦) ، تبع ذلك ان انشقت اسقفيه الاسكندريه بين سلسلتين من البطاركه الملكانيين وكانوا من الروم (الاغريق) وتتم رسامتهم فى القسطنطينيه غالبا ومن اتباع الملك الذى كان يسام فى القسطنطينيه ويرسل الينا ويؤمنون بقرارات مجمع خلقيدونيه والسلسلة الاخرى الارثوذكسيين (مونوفيزيين) وكانوا اقباط وطنيين تمسكوا بقوميتهم ورفضوا زعامة وسيطره الروم الخلقيدونيين.

+لابد هنا ان نشير الى ان شعبنا القبطى المصرى لم يقبل ان يتدخل الوالى المصرى فى رسامة البابا الارثوذكسى لان العمل الكنسى منفصل عن العمل السياسى كما انه لم يقبل على الاطلاق ان ينصب بطريركا دخيلا يسمى بالبطريرك الملكانى ولذلك استقبل شعب الاسكندريه فرصه انشغال الحاكم بالحروب الداخليه والخارجيه وهجموا على (بروتيريوس) بطريرك الملكيين وقتلوه وقطعوه اربا اربا واحرقوا جثته وزروا رمادها فى الهواء امعانا فى الانتقام الامر الذى ادى بصدور قرار الملك لاون ـ الذى تنصّب بعد موت مركيان ـ بنفى البابا تيموثاوس الثانى الى جزيرة غاغرا (غنغره).

بعد موت بروتيريوس البطريرك الملكانى اقام الخلقدونيين بطريركا دخيلا خلفا له دعوه " تيموثاوس سالوفاكيوس) ولكن المصريين لم يعترفوا به وقطعوه لمده ٧ سنين المده التى كان فيها باباهم منفيا.

بعد ماتمكن القائد باسيليكوس من عزل زينون اراد ان يستعين بقوه الارثوذكسيين فأصدر امره سنه ٤٧٦ باعاده البابا تيموثاوس من النفى.

ومما يذكر انه حين تقابل البابا مع باسيليكوس طلب منه ان يصدر مرسوما بحرم طومس لاون والزياده التى اضافها مجمع خلقيدونيه على الايمان النيقاوى .... استجاب الملك باسيليكوس لهذا الطلب وعقد مجمعا فى القسطنطينيه حضره اكثر من خمسمائه اسقف يتقدمهم البابا الاسكندرى واعلنوا وجوب التمسك بالايمان النيقاوى كما امروا باحراق طومس لاون وتعاليم مجمع خلقيدونيه حيثما وجدت .

عوده الملك زينون وعلاقته بكنيسة الاسكندريه

لم يسترح اكاكيوس بطريرك القسطنطينيه للنصر الذى احرزه الارثوذكسيين بقياده البابا تيموثاوس الثانى مما دعاه الى تحريض الاكليروس والرهبان فى القسطنطينيه باغلاق الكنائس وتنظيم مظاهره صاخبه ضد باسيليكوس مدعيا انه هرطوقى فأضطر باسيليكوس الى الغاء مرسومه السابق وفى نفس الوقت كان الملك زينون قد اعد جيشا كبيرا لمقابلته واسترداد عرشه وتحقق ذلك فى سنة ٤٧٦م وبعودته اصدر مرسوما بالغاء منشور باسيليكوس الدينى و أرسل يتهدد البابا تيموثاوس الاسكندرى لكن هذا الاخير تنيح سنة ٤٧٧م واقام الارثوذكسيين البابا بطرس الثالث (البطريرك الـ ٢٧) خلفا له (٤٧٧م - ٤٩٠م)

وفى هذه الفترة توفى البطريرك الخلقيدونى (تيموثاوس - سالوفاكيوس) فى سنة ٤٨٢م واقيم البطريرك يوحنا طلايا خلفا له ولانه لم يكن على علاقه ود

مع دوائر القصر والكنيسة بالقسطنطينيه مما ادى فى نهايه الامر الى هروبه الى روما ..... وفى هذا الوقت بدأ التقارب بين اكاكيوس بطريرك القسطنطينيه والبطريرك السكندرى فى الوقت الذى اخذ زينون يفقد الامل فى كسب الكنيسة القبطية عن طريق العنف وبات واضحا انه لابد من التفكير فى ايجاد حل لاعاده السلام للكنيسة الذى يؤثر بدوره على سلام الامبراطوريه ووحدتها وامنها.

الهنوتيكون (او وثيقة الاتحاد)

كان للتقارب بين بطريرك القسطنطينيه والبطريرك السكندرى ان تم عقد مجمعا بالقسطنطينيه بين وفديهما سنة ٤٨٢م وصدر منشور اعلن فيه لعقيده الارثوذكس والصلح العقيدى واللاهوتى بين الكنيسة القبطيه وكنيسة القسطنطينيه ويعرف ذلك (بالهنوتيكون) او وثيقه الاتحاد اعترفوا فيه بقرارات المجامع المسكونيه الثلاثه الاولى وحرم كل من نسطور وأوطاخى وأتباعهما ولم يتعرض للنقطة الحساسة وسبب الانقسام وهى الخاصه بطبيعه المسيح وحرم كل من يؤمن بايمان آخر وقد تمكنا من اقناع الامبراطور زينون بهذه الوثيقه ، كذلك كانت بمثابه رسالة موجهه من الامبراطور زينون الى الاساقفه والاكليروس والرهبان والمؤمنين فى الاسكندريه ومصر وليبيا والخمس مدن الغربيه.

انقسام اكاكيوس :

بعد صدور الهنوتيكون حدثت ثغره بين القسطنطينيه وروما عرفت فى الكنيسة الكاثوليكية بأسم انقسام أكاكيوس وقد دامت هذه الفرقه نحو ٣٥ عاما.

وذلك لان فيلكس اسقف روما عقد مجمعا سنه ٤٨٤م حرم فيه اكلكيوس على الرغم من القبض على مندوبيه وحبسهم فى القسطنطينيه بأمر زينون مما أدى الى رد فعل شديد فى القسطنطينيه دعى الى حذف اسم اسقف روما من القداسات.

بدايه الانشقاق بين الكنيسة القسطنطينيه والاسكندريه فى عصر الامبراطور جستنيان

نستطيع ان نقول ان التوفيق الذى تم بين كنيسة الاسكندريه وكنيسة القسطنطينيه لم يستمر طويلا انما سرعان ماتغيرت الامور وجاء الامبراطور جستنيان الذى كان خلقيدونيا والذى تبوأ العرش سنة (٥٢٧م - ٥٦٥م) فالغى منشور الاتحاد الذى استمر من سنه (٤٨٤م - ٥١٩م) وفى ايامه عقدت المجامع الكثيرة ضد الارثوذكس .... وكانت زوجته ثيؤدوره ارثوذكسيه دافعت عن الارثوذكسيين , وبفضل دفاعها امكن للاساقفه المنفيين الرجوع الى كراسيهم.

وعندما تبوأ البابا ثيؤدوسيوس (البطريرك الـ ٣٣) طلب منه الامبراطور جستنيان التوقيع على قرارات مجمع خلقيدونيه ووعده اذا فعل ذلك سوف يجعله واليا على الاسكندريه وبطريركا للقاره الافريقية وتوعده بالنفى والتشريد اذا رفض ذلك.

ومما هو جدير بالذكر ان بابانا العظيم ثيؤدوسيوس لم يخف من تهديدات الامبراطور بل قال لمندوبى الامبراطور بشجاعه انه (اى الامبراطور) له سلطان على الجسد اما روحى فهى ملك للمسيح أفعلوا ما شئتم احبسونى انفونى او اى امر تريدون ,انا على استعداد ان اتحمل كل هذا او اكثر ولكننى لست مستعدا ان اجعل نفسى غريبا عن سيدى والهى بتوقيعى على قرارات مجمع خلقيدونيه فأستدعى الامبراطور جستنيان البابا ثيؤدوسيوس للقسطنطينيه وأخذ يلاطفه ورجاه التوقيع على قرارات مجمع خلقيدونيه بعد ان وعده بكرامات كثيره ولكن البابا رفض فنفاه واقام عوضا عنه بطريرك دخيل يدعى (بولس التنيسى) ولكن الشعب القبطى لم يقبل هذا الدخيل وظل وفيا لباباه الشرعى الذى ظل منفيا عن كرسيه مده ٢٨عاما حتى لقب الارثوذكسيين بالثيؤديسيين نسبه الى البابا ثيؤدوسيوس وفى خلال هذه الفتره اغلق الامبراطور الكنائس الارثوذكسيه واضطهد الارثوذكس وفى خلالها ايضا مات البطريرك الدخيل فأرسل الامبراطور دخيلا آخر يدعى أبوليناريوس الذى دخل الكنيسة بزى حربى حتى يمكنه ان يخيف ويرعب , ثم أصدر امرا بأن يجتمع الناس فى الكنيسة فلما تجمعوا خلع ملابس الجندية وظهر بملابس الكهنوت ثم قرأ امامهم المرسوم الامبراطورى.

وحين وصل الى اقرار المرسوم الخلقيدونى بدأ سخط الشعب على وجوههم وبدأت معركه داخليه بين الجنود الرومانيين وبين الاقباط المتأصلين فأستشهد عدد كبير منهم حتى أطلق الناس على ذلك اليوم المذبحه وكان ذلك فاتحه سلسلة من المذابح او من الاستشهاد الدموى ورغم استخدام القوه والعنف ظل المصريين مقاطعين ابوليناريوس الدخيل.

وعلى الرغم من ان الامبراطور جستنيان فى سنه ٥٤٤م كخطوه نحو الارثوذكسيين اصدر مرسوما ادان فيه ثلاثه من عمد النسطوريه عرفوا باسم " الثلاثه فصول" وقد رحبت كنائس الشرق بهذا المرسوم ، بينما رفضته الكنائس الغربية .

ولم تهدأ المسأله التى اثارها مرســـوم جســتنيان الا بموتــه وارتقــاء الامبراطور جوستن الثانى سنه (٥٦٥م – ٥٧٨م) خلفــا لــه الــذى اصــدر هنوتيكون آخر سنة ٥٧١ م وظلت الامور هكذا حتى دخول الفرس ارض مصر سنة ٦١٧م ولكننا نستطيع ان نقول ان الامبراطور جستنيان وخليفته هما اللــذان وضعا قاعده الكراهيه وبذور الشقاق بين كنيسة الاسكندريه وكنيسه القسطنطينيه .

ومما يذكر بالخير لجستنيان اهتمامه بالقضاء على الوثنيه التـــى كــانت ماتزال حيه فى اطراف الامبراطوريه . فشجع الارساليات الىبلاد النوبه لكـــن زوجته ثيؤدوره سارعت واحبطت خطته بارسال بعثات ارثوذكسيه الـــى تلــك البلاد مقابل الارساليات الملكانيه ... كما اغلق جستنيان معابد ايزيس الوثنيه فــى جزيره صقليه ومعابد امون فى واحه سيوه وحل محلها كنائس مسيحيه كما بنى الدير الذى يحمل الان اسم (سانت كاترين فى جبل سيناء وكان يعرف سابقا باسم دير الاستحاله (استحاله الخبز والخمر الى جسد المسيح ودمه) ومن اعماله ايضا الحصن بدير الانبا انطونيوس ودير الانبا بولا بالبحر الاحمر.

وقد تميزت احوال مصر السياسية خلال تلك الفتره بسوء التنظيم الادارى:-

فقد قسم جستنيان مصر الى قســمين اداريــن : الاســكندريه والوجــه البحرى وجعل له حاكما وصعيد مصر وجعل له حاكما آخــر ، كــانت خطــه جستنيان التخفيف عن كاهل الحاكم الواحد لكل البلاد لكن عمليه التقسيم بــذرت بذور التنافس وسوء التنظيم بين الحاكمين لاقليم واحــد واحدثــت اضطــراب وتشويش فى شئون الحكومه .. كانت نتيجته ان تعرضت مصر الـــى عنــاصر الشر من الداخل او اطماع الغزاه من الخارج .

من اشهر الحوادث فى هذه الفتره:

عندما ذهب البطريرك الدخيل (اولوجيوس) والوالى وجنوده للاســتيلاء على احدى الكنائس التى كانت باسم القديسين قزمان ودميان ثار الشعب القبطــى على البطريرك الدخيل والوالى وجنوده واستشهد الكثيرون وكان الشعب يحمــى البابا انسطاسيوس (البطريرك الــ ٣٦) من يــد الخلقيدونييــن ولكــن البابــا الاسكندرى انسطاسيوس خوفا من اراقه الدماء بسببه ذهب الى بريه شهيت وظل صائما مصليا من اجل شعبه فأستجاب الله لصلاته ومات الامبراطور (فوقـــا او فوكاس) مقتولا واستولى على عرشه بعد ذلك هرقل الذى دخلــت فــى ايامــه الفرس الى مصر وهكذا انتقم الله لشعبه اذ يقول الكتاب المقدس (لى النقمه انـــا اجازى يقول الرب)

" الفصل الثانى "

الاحتلال الفارسى لمصـــــــــر
فى الفتره بين سنة (٦١٧ م – ٦٢٧م)

انتهز الفرس فرصه ضعف الدوله البيزنطيـــه ويــدأو يغــيرون علـــى ممتلكاتها فبعد ان انتهى الفرس من فتح بلاد الشام اتجهوا الى مصر فحـــاصروا الاسكندريه التى وصلوا اليها اولا , والتى كانت تموج بـــأخلاط مـــن جنســيات مختلفه من الروم والسوريون واليهود الى جانب الاقباط الوطنيي ، يضاف الـــى هؤلاء جميعا اعداد من طلاب العلم وبعض اللاجئيين وفدوا اليها من بلاد عديده ولم تكن هناك رابطة تربط هؤلاء جميعا.

وذكرت المراجع ان الخائن الذى ســهل الـــى الفــرس اقتحــام مدينـــه الاسكندريه كان طالب علم وفد من اقليم البحرين ويدعى بطرس ولاتعرف ديانته , كما لايعرف الدافع الذى دفعه الى خيانته سوى ان بلاده (البحريـــن) كـــانت تحت الحكم الفارسى وكان اهلها خليطا اكثرهم من الفرس واليهود.

ولقد خرب الفرس وهدموا الكثير من الكنائس والاديره وهم فى طريقهم الى الاسكندريه كما انهم اثناء حصارهم لها , صبوا جام غضبهم على الامـــاكن المجاوره خاصه الاديره ونهبوها ومثلوا برهبانها ... وكانت المنطقه المحيطــــه بالاسكندريه فى ذلك الوقت غاصه بالاديره فقد قيل ان عددها بلغ ستمائه دير.

ويذكر التاريخ انه بعد ان دخل الفرس الاسكنديه قتلوا الكثير من اهلـــها كما اخذوا البعض اسرى ارسلوهم الى بلاد فارس ... ومن الذين نجو مـــن يـــد الفرس البابا اندرونيكوس (البطريرك الاسكندرى الـــ ٣٧) الذى جلـــس علـــى الكرسى المرقسى فى الفترة بين سنة (٦١٦م – ٦٢٣م) وقد قيل انـــهم احســنوا معاملته .

وجدير بالذكر انه بينما كانت الاسكندريه على وشك السقوط فى ايـــدى الفرس هرب نيتكيتاس حاكم مصر البيزنطى ومعه يوحنا (الرحوم) البطريـــرك الملكانى فى سفينه متجهين الى القسطنطينيه.

وبعد فتح الاسكندريه صار الجيش الفارس نحو الجنوب بحـــذاء النيـــل قاصدا صعيد مصر وكانت معامله القائد الفارسى للمواطنيين الاقباط واحده فـــى كل مكان " يحل الموت والخراب حيث حل " فكانوا يشيعون الموت والدمار فـــى كل مكان يحلون فيه وقد ذكر الانبا ساويرس بن المقفع انه لما بلغ الجيش مدينه نقيوس (بشاتى) أوش اليه عدو للاقباط ضد الرهبان الذين كانوا يعيشـــون فـــى مغاير الجبال مدعيا ان لديهم مالا كثيرا ...وفى مناسبة دينيه كان الرهبان

مجتمعين كلهم فى مكان واحد فما كان من القائد الا ان حاصر ذلك المكان اثناء الليل بجنوده وفى الصباح اقتحموه وقتلوا كل من فيه من الرهبان.

وقيل ايضا انهم جمعوا شباب الاسكندريه فى ميدان فسيح بعد ان وعدوهم بأنهم سيوزعون على كل واحد ٢٠ دينارا وبعد ان اجتمع عدد كبير احاط بهم الجيش وقتلهم ويقال ان عدد الذين قتلهم كسرى ملك الفرس حوالى ٨٠ الف قبطى.

ملاحظات هامه عن هذه الفترة

١ - عندما سقطت اورشليم فى يد الفرس سنة ٦١٤م حملوا الصليب المقدس والات تعذيب المسيح ونهبوها غير ان الامبراطور هرقل وضع خطه لاسترجاع الصليب المقدس وهى ان يضغط على الفرس فى اماكن قريبه نسبيا من القسطنطينيه حتى يضطرهم للانسحاب من مصر وبالفعل تم ذلك سنه ٦٢٧م وتمكن هرقل من استعاده الصليب المقدس ووضع فى القبر المقدس باورشليم واستولى على مصر بعد انسحاب الفرس منها.
٢ - عادت مصر ثانيه الى الحكم البيزنطى لكن هرقل لم يستفد شيئا من الدرس القاسى ولم يكتف بأنه أحيا سياسه جستنيان فى مصر بل بالغ فيها بزياده , فقد عين بطريركا ملكانيا صار هو حاكم مصر كلها فى نفس الوقت مع منحه سلطات دينيه وحربيه وماليه وتنظيميه وقضائيه واسعه
٣ - وفى محاوله جديده لكسب فريق الارثوذكسيين من اصحاب الطبيعه الواحده دون ان يخسر الخلقيدونيين الغربيين لجأ الى صياغة ايمانيه جديده تحل محل الهنوتيكون الذى لم يحقق النجاح الكامل ... اتحد هرقل مع سرجيوس بطريرك القسطنطينيه واعلن فى سنه ٦٢٢ م العقيده الجديده التى عرفت باسم **المونوثيليتيه (MONOTHELETISM)** (وهى القول بمشيئة واحده فى المسيح) على امل ان تحل محل الاعتقاد بطبيعه واحده فى المسيح فى الاقاليم الهائجة فى سوريا ومصر. وفى سنة ٦٣٨م طبع هرقل **مرسوم الذى عرف باسم (اكتيسيس) (Ecthesis)** وعزم على ارغام الجميع على قبول المونوثيليتيه

ولكن المقاومه الكبرى لتلك العقيده الجديده كانت فىالاسكندريه حيث رفض الاقباط اى حل بيزنطى ابتداء من خلقيدونيه الى الهنوتيكون والمونوثيليتيه
٤ - نظرا لاهميه مصر الخاصه للامبراطوريه البيزنطيه اذ كانت تعتبر مخزن غلالها لذلك فقد رفض هرقل الاستسلام للنزعه الانفعاليه الدينيه والمدنيه بها بل صمم على رفض معتقده بأى وسيله. وكانت الخطوه الاولى فى تنفيذ هذا

المخطط هى تعيين سيروس (Cyrus) المعروف فى المراجـــع العربيــه باســم المقوقس بطريركا ملكانيا على الاسكندريه والحاكم الامبراطورى لاقليم مصرفى عام ٦٣١م وكان ذا ميول نسطوريه وكان هرقل يهدف من تعيين المقوقس هذا (ان يقهر الاقباط لكى يقبلوا الايمان الخلقيدونى والمونوثيلتيه بأى وسيله)

وقد بدأ المقوقس فى تنفيذ خطته بلا ادنى شفقه وفى خلال عشر سنوات غدا مـن اكثر.الطغاه المكروهين فى تاريخ مصر ... فقد استخدم الصليـــب وصولجــان الحكم لسحق المقاومه الوطنيه.

٥ – ومن فرط الضيق الـــذى احدثــه المقوقــس هــرب البطريــرك القبطــى الارثوذكسى البابا بنيامين (البطريرك الــ ٣٨) (٦٣٣م – ٦٦٢م) الــى ديــر بالصعيد وظل مختفيا حتى الفتح العربى لمصر – ومن الذين نالهم الشدائد فــى تلك الفتره الانبا صمئويل المعترف الذى بدير القلمون بصحراء الفيوم ومن الذين استشهدوا فى تلك الفتره ايضا الطوباوى مينا شقيق الانبا بنيامين ومن الكواكــب التى ظهرت فى تلك الفتره وانارت الكثيرين بضيائها للسلوك فى عــالم الــروح والفضيله الانبا بسنتاؤوس اسقف قفط والانبا يوأنس اسقف البرلس والانبا دانيــل قمص بريه شهيت .

مما سبق يمكن القول ان لسوء معامله الحكام البيزنطيين وبطاركتهم الملكــانيين واضطهادهم العنيف للاقباط بأبشع الصور وأشدها قسوه جعل الاقباط يحملــون لمضطهديهم من البيزنطيين ولكل ماهو بيزنطى كراهيه عميقــه ســاعدت فــى اتساع الهوه بين الكنيستين القبطيه والبيزنطيه.

كما كانت هذه الفتره بمثابه اعداد للاقباط لاستقبال الفتح العربى لمصر الذى كان ايذانا ببدء صفحه جديده من تاريخ كنيسه الاسكندريه العريقه صاحبــه الســجل الحافل بألآم الاقباط وثباتهم وبطولتهم وشجاعتهم وحبهم لالهم.

وخلاصة القول ومايستحق التنويه عنه فى هــذه الفـتره ان الشـعب القبطــى المصرى الوطنى لم يساعد الفرس ضد البيزنطيين كما انه لم يبد آيــه مقاومــه عندما عاد هؤلاء الى الحكم مره اخرى كما , اريد ان اوضح ان الشعب القبطــى المصرى ايضا لم يطمع من الناحيه الوطنيه الابشبه استقلال اساسه حريه العقيده الدينيه وخفض الضرائب وهى السياسة التى سار عليها عمرو بن العــاص فــى بادئ الامر عندما دخل مصر فاتحا.

الباب الرابع

الكنيسة القبطيه فى ظل الحكم الاسلامـــــى

قبل الدخول فى هذا الموضوع ينبغى ان نعرف المعلومات الاتية÷

١ - ذكر ان محمدا صاحب الشريعه الاسلاميه ارسل فى السنه السادسه للـــهجره كتابا الى المقوقس الذى كان واليا على مصر من قبل الملك هرقل يدعوه فيه الى الاسلام فأكرم المقوقس رسله وأرسل معهم هديه من ضمنها جاريه قبطيه تسمى ماريه اتخذها سريه فرزق بولد سماه ابراهيم ولكنه لم يعش ولم ترزق منه بغيره وقد استنتج بعضهم ان من ذلك الحين كان بين المقوقس وزعماء العرب صـلات وعلاقات سريه (١)

٢ – عند فتح مكة أمر محمد بازالة جميع الصور من الكعبة ما عدا صور السيد المسيح والعذراء مريم (راجع اخبار مكة ج ١ ص ١٠٤ وتاريخ العرب – جواد على ج ٥ ص١٧٢)

٣ – أوصى محمد رسول الله عدم اكراه القبائل العربيـة علـى الاسـلام مثـل الغساسنة (وهم من أكثر القبائل أصالة فى العروبة وهـم الـروم الأرثوذوكـس العرب اللبنانيون) وبنى ربيعة (وهم موارنة بلبنان) ومثل قبائل بنى ثعلبة وبنـو جرم وسليم وطى .

٤ – وفى فجر الاسلام دفن فى قبر واحد الوالى المسلم الوليد بن عقبه والشـاعر المسيحى أبازيد.

٥ – ففى عهد الرسول سرق مسلم درعا من مسلم وأخفاه عنـد ذمـى دون أن يخبره أنه مسروق وضبط الدرع عند الذمى . وشهد له عدد مـن أقاربـه بـأن المسلم قد أحضر الدرع وأودعه عنده كأمانة لكن أقارب السارق من المسـلمين تدافعوا يريدون دفع الوصمة والعار عنهم وعن قريبهم وانتجـهوا جميعـا الـى الرسول ملحين أن ينصر المسلم والا هلك وتلبسهم العار لحساب ذمى.وأوشـك الرسول أن ينصر المسلم لولا أن نزلت الآية الكريمة "إنا نزلنا إليك الكتاب الحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن من الخائنين خصيمـا" وحكـم الرسـول للذمى ضد المسلم. (ابو سيف – الخراج ص ١٢٦ – الاهالى عـدد ٤٩٩ – ١ مايو ١٩٩١)

إذا كان هذا أيام الرسول فماذا جرى لمصر الآن.

---

(١) +٤ كتاب تاريخ الامه القبطيه (يعقوب نخله رفيله ص ٣٨)

٦ - مما هو جدير بالملاحظة فانه يبدو ان فتح العرب لمصر كان مقررا قبل وفاه نبى المسلمين فعلى الرغم من ان النبى لم يزر مصر قط فانه كان يكن للاقباط عطفا ملحوظا يتضح ذلك فى الحديث " استوصوا بالقبط خيرا فانكم ستجدونهم
نعم الاعوان على قتال عدوكم "(١) كما ان جميع المؤرخين والكتاب المسلمين يتنافسون فى ذكر هذه الاحاديث المطبوعه بطابع العطف البليغ ومنها وصيته عند وفاته " الله ، الله فى قبط مصر ، فأنكم ستظهرون عليهم ويكونون لكم عده واعوانا فى سبيل الله " ومن حديث له ايضا" قبط مصر فانهم اخوال واصهار وهم اعوانكم على عدوكم واعوانكم على دينكم " ولما سئل " كيف يكونون اعوانا على ديننا يارسول الله " قال " يكفونكم اعمال الدنيا و تتفرغون للعباده " وقال ايضا " لو بقى ابراهيم حيا ماتركت قبطيا الا وقد رفعت عنه الجزيه(٢)
٧ - ذكر عن الرسول انه امر باعطاء قوم مجذومين من النصارى الصدقات ويجرى عليهم القوت (فتوح البلدان - للبلاذرى ص ١٠٢٩)
كما اوصى خليفته بالمسيحيين واوصى بذمه الله وذمة رسوله ان يوفى لهم بعهدهم والا يكلفوا الا طاقاتهم (الطبقات الكبيرة لابن السعد ج ٣ق ١ص ٢٤٦)
٨ - لما رأى هرقل ماكان من استيلاء العرب على سوريا خاف على مصر التى لم يبق له فى الشرق سواها لئلا يلحقها مالحق غيرها واراد ان يستبقيها له واذ لم يكن فى استطاعته ذلك بالقوه بادر بعقد معاهده مع الخليفه عمر بن الخطاب مؤداها ان هرقل يدفع الى خزينه المسلمين جزيه سنويه معلومه نظير تغاضيهم عن فتح مصر ولكنه لم يقم بدفع الكميه المتفق عليها , فاعتبرت المعاهده لاغيه لذلك اتخذ عمرو بن العاص الغاء عمر بن الخطاب المعاهده سببا للالحاح
عليه بفتح مصر وسهل له ذلك بقوله ان اهلها اعجز الناس عن القتال وان فى فتحها عونا عظيما للمسلمين فهى اكثر الارض اموالا واجزلها خيرا (٣)
كما قال عبدالله بن عمرو (قبط مصر اكرم المساكين خارج الجزيرة العربية كلهم واسمحهم يدا وافضلهم عنصرا ومن اراد ان يذكر الفردوس او ينظر الى مثيلاتها فى الدنيا فلينظر الى مصر حين يخضر زرعها وتتدر ثمرها) خطط المقريزى ص ٤٥)

---

(١) ابن عبدالحكم "كتاب فتح مصر " ص ٣

(٢) ابراهيم هو ابن النبى من ماريه القبطيه

(٣) كتاب تاريخ الامه القبطيه "يعقوب نخله روفيله " ص ٣٨

الفتح العربى لمصـــــــر

استطاع عمرو بن العاص ان يأخذ موافقه الخليفه عمر بن الخطاب بغزو مصر فجهز جيشا يتكون من ٤٠٠٠ مقاتل ووصل الى العريش ومنها الى الفرما (شرق بورسعيد) وسقطت الفرما فى يد العرب بعد حصـــار دام شـــهرا كــاملا وهدم اسوارها وحصونها وكان ذلك فى اوائل سنة ٦٤٠م وبعد شهر اخر سقطت مدينه بلبيس ... وكانت معركه حاميه بين البيزنطيين والمسـلمين خســر فيــها البيزنطيين حوالى الف قتيل وثلاثه آلاف اسير كما قتل من العرب ايضا عـــددا ليس بقليل.

بعد ذلك وصل العرب الى حصن بابليون (بنى هذا الحصن الامبراطور تراجان وكان يعرف باسم قصر الشمع ولاتزال بقايا هذا الحصن موجوده بمصر القديمه بجوار الكنيسة المعلقه) ... ودام حصار العرب للحصن وقتــا طويــلا وبعدها تمكن العرب من الاستيلاء على قريه ام دينين (منطقه الازبكيه) وذلــك بعد ان وصلهم مددا عربيا بقياده الزبير بن العوام ... كما غزا العرب منطقــــه الفيوم وكان ذلك فى نفس العام سنة٦٤٠م.

فتح حصن بابليـــــون :

عرض المقوقس فى بادئ الامر التفاوض مع العرب وكــان ذلــك فــى ابريل سنه ٦٤١. وكان فى ذلك الوقت محاصرا داخل حصن بابليون فكـــان رد عمرو بن العاص عليه ليس بيننا وبينكم الا احدى خصال ثلاث

١ – اما ان دخلتم فى الاسلام فكنتم اخواتنا وكان لكم مالنا وعليكم ما علينا
٢ – وان أبيتم فالجزيه عن يد وانتم صاغرون
٣ – واما القتال حتى يحكم الله بيننا وبينكم .

رفض الروم الخضوع للعرب وصمموا على مواصله القتال , واتصـــل المقوقس بالامبراطور يخبره بشروط العرب ولكن هرقل ارسل الـــى المقوقـس يعنفه على تخازله فى مقاتله العرب فى اثناء ذلك استطاع الزبير بن العـــوام ان يصعد الى اعلى الحصن بواسطه سلم وكان قد اتفق مع الجنود العرب ان يكبروا جميعا بصوت واحد متى سمعوا تكبيره ...حدث ذلك وسط سكون الليل فظن الروم ان العرب اقتحموا الحصن فحدث هرج ومرج وهربوا وتقدم الزبير الـــى باب الحصن وفتحه (بعد ان استمر حصار العرب للحصن سبعه شهور) بعـــد ذلك طلب قائد حاميه الحصن وكان من الروم الصلح مع العرب.

على ان اهم ما يخص الاقباط فى شروط الهدنه

١ - ان يدفع كل قبطى متمسك بدينه دينارن عن كل سنه بصفه جزيه ويعفـــى الشيوخ والنساء والصبيان وغير القادرين .
٢ - الا يتعرض المسلمون للكنائس بسوء والا يتدخلوا فى شئون المسيحيين (١)

فتح الاسكندريـــه

بعد ان تم فتح حصن بابليون سار عمرو الى الاسكندريه وكان الروم قـد استعدوا فيها لمعركه فاصلة مع العرب بل لقد استعد هرقل لمباشـــره الحــرب بنفسه لولا ان المنيه وافته فكان لموتـــه اكـبر الاثـر فـى اضعـاف شـوكه الروم...وبعد ان حاصر العرب الاسكندريه مده ١٤ شـــهرا بعدهـا استسـلمت المدينه ...ولظروف الانقاسامات الداخليه داخل الامبراطوريه الرومانيـــه بعـد موت هرقل اضطر الروم انهاء حربهم مع العرب وعقـــد الصلـــح , اذ ذهـب المقوقس الى بابليون حيث ابرم الصلح مع عمرو بن العاص .

وعقدت معاهده ثانيه تعرف باسم معاهدة الاسكندريه او معاهده بـــابليون الثانيه وذلك لانعقادها فى بابليون وتمييزا لها عن بابليون الاولى وبذلك اعتـــبر الاقباط اهل ذمه.وعقب معاهده الاسكندريه امتد نفوذ العرب تدريجيا الى بـــاقى اقاليم مصر وبعد ان انتهى عمرو بن العاص من فتح مصر اتجه الى بنتـابوليس (الخمس مدن الغربيه) فسار عمرو اليها وفتحها وفرض عليها الجزيـــه .. كمـــا ارسل عمرو عبدالله بن سعد بن ابى سرح على رأس حمله الـــى بـلاد النوبـــه حوالى ٦٤٢ . وكانت النوبه فى ذلك الحين مملكة قويـــه مسـتقله فاسـتعصى غزوها على العرب فكتب عمرو الى عبدالله بن سعد يأمره بالرجوع .

ومما هو جدير بالذكر ان عمرو بن العاص بعـد معـاهده الاســكندريه وفتحها عين المقوقس حاكما على الاسكندريه والوجه البحرى بعد ان عين عبدالله بن سعد بن ابى سرح حاكما على الوجه القبلى.

فتح دميـــاط :

كان للمقوقس نسيب يسمى الهاموك كان حاكما على دميـــاط وتوابعـــها ولكنه لم يسلم المدينه لعمرو وابى واستعد للمقاومه فأرســل اليـــه عمـــرو بـــن العاصى فرقه من العرب فحاربوه وقتلوا احد اولاده.فجمع كبراء البلد ووجـــهاء القوم ليشاورهم فى الامر فقام من بينهم رجل وطنى وقال " اعلم ايها الامير ان

---

(١) كتاب فتح العرب لمصر (الفريد بتلر)

العقل لا قيمه له وما استغنى به احد الا وهداه الى سبل الفوز والنجاه من المعاطب وقد رأينا ان هؤلاء العرب لم تنخفض لهم راية ولم ينكس لهم علم ولسنا نحن بأشد قوه من جيوش الشام فالرأى عندى ان نعقد الصلح معهم لننال الامن ونفوذ بصون حرمنا ونأمن من سفك الدماء كما فعل المقوقس وما انت بأكثر منه رجالا ولا امضى منه عزيمه .

" فاستقبح الهاموك رأيه ولم يتم الرجل كلامه حتى انقضى عليه كالاسد الضارى وقتله بيده شر قتله جزاء نصيحته وكان له ولد قد شق عليه هذا الامر فقصد الانتقام لابيه وكان له دار ملاصقه لسور المدينه وفى سواد الليل تسلق السور وخرج الى العرب ودلهم على عورات اسوار ومداخل المدينه وكيف يتمكنوا منها فدخلوها واستولوا عليها , ولما لم يستطع الهاموك المدافعه اسرع بالهروب الى المدن المجاوره وتتبعه الجيش العربى وانتهى الامر بانتصار المسلمين عليه وفتح دمياط وتوابعها.

سماحه عمر بن الخطاب :

١ - وممن ذكر عن عمرو بن العاص عندما كان فى مصر فى خلافه عمر بن الخطاب قيل ان قبطيا فقيرا اتى الى الخليفه عمر وشكا اليه ان الوالى عمرو بن العاص لطمه فاستدعى عمرو وقال له " ولد الناس احرارا فلماذا تستعبدوهم " وامر القبطى ان يلطم الامير عمرو بن العاص .

٢ - ذكر عن عمر بن الخطاب انه فى احدى المرات حينما كان الوليد بن عقبه واليا على بنى تغلب ومن فيهم من النصارى ، وكان يهدد النصارى ويتوعدهم عزلة من الولاية حتى لا يلقى بهم شرا (كتاب الطبقات الكبيرة لابن السعد ج ٣ ق ١ ص ٢٤٦)

٣ - يروى ان عمر بن الخطاب وجد عجوزا يسأل الناس فى الطرقات وعلم انه ذمى فسأله ما الجأك الى هذا ؟ فأجاب الجزية والحاجة والسن فأخذ عمر بيده الى بيته حيث اطعمه ومنحه مالا واسقط عنه الجزية هو وامثاله وارسل الى خازن بيت المال قائلا اعطه وامثاله ما يكفيهم واهلهم بالمعروف . (اذا كان هذا ايام الفتح الاسلامى .. فماذا جرى لمصر الآن ؟

(ابو يوسف - الخراج - ص ١٢٦ - الاهالى - العدد ٤٩٩ بتاريخ ١ مايو ١٩٩١ د . رفعت السعيد)

٤ - ذكر ان تسابق قبطى مصرى مع ابن عمرو بن العاص (والى مصر آن ذاك) فى زمن خلافة عمر بن الخطاب وضرب ابن عمرو القبطى المصرى

بيده وشكى الاخير اياه للخليفة عمر الذى امر باستدعائه وابيه الى المدينه المنورة عاصمة الخلافة - وحكم لصالح المصرى بأن يضرب ابن الوالى بذات الاداة (باليد) بل وعرض عليه ان يضرب عمرو بن العاصى معه وعلى صلعته لانه بسلطة الاب تعدى الابن على المصرى . ولكن القبطى المصرى رفض ضرب عمرو اكتفاء بأخذ حقه ممن تعدى عليه فحسب هكذا كان عمر بن الخطاب لا يفرق فى حقوق المواطنه بين الناس بسبب الدين (كتاب الطائفية الى اين د . فرج فوده)

حقيقة ينبغى ان تقال :

على الرغم من سماحة الخليفة عمر بن الخطاب الا انه فى ايامه حدثت بعض الامور المؤسفة نذكر منها ما يأتى :

أ - نجد عندما دخل اليمن جنوبى الجزيرة العربية حيث انتشرت المسيحية فى نجران طرد عمر بن الخطاب مسيحى نجران فذهبوا لبلاد ما بين النهرين وأسسوا نجرانا جديدة .

ب - امر عمر بن الخطاب زياد بن جرير الاسدى متولى الخراج الشدة مع بنى تغلب لاجبارهم على الاسلام .

ج - امر عمر بن الخطاب باخراج المسيحيين من بلاد الحجاز وكانت المسيحية منتشرة بين قبائل بنو تغلب وبنو جرم وسليم وطى وبينهم اساقفه منهم مثل سيمون اسقف العرب

د - كما اتهم الخليفه عمر بن الخطاب عمرو بن العاص انه اختلس مبالغ كبيره من المال وليس بمستغرب ان يغترف عمرو المال وهو العربى البدوى الذى وجد نفسه بين عشيه وضحاها امام ثروه كبيره ثم ان المؤرخين العرب لم يفندوا هذه التهمه التى وجهت اليه بل نقل الينا بعضهم ان الخليفه استجوب احد اقباط مصر عن خراجها قبل الاسلام فقال القبطى" يا امير المؤمنيين كان ينبغى ان لايؤخذ شىء الا بعد عمارتها اما عمرو فلا ينظر الى العماره انما يأخذ ماظهر له كأنه لايريدها الا لعام واحد (١)

---

(١) ذكر ابن الحكم هذه المراسلات (فى صفحه ١٥٨ - ١٦٠) (من كتاب تاريخ مصر) كما ذكر فى صفحه١٤٦ ان المؤرخ الانجيلزى (لين بول) دون ان يذكر المصدر الذى استقى منه هذا الخبر ان عمرو لما توفى ترك كيسا من الدانانير (مايوازى عشره اطنان من الذهب تقريبا) ورفض اولاده ان يورثوا هذا المبلغ لعفتهم اما اليعقوبى فيذكر فقط ان عمرو ترك بعد وفاته ثروه ضخمه (طبع سنه ١٣٥٨ الجزء الثانى ص ١٩٨)

عمر بن العاص والاقباط والبابا بنيامين :

ولما استتبت الامور امر عمرو بن العاص بعوده البابا بنيامين من مكانه الذى اختفى فيه بعد ان امنه على شعبه وعلى كنائسه ورد اليه الكنائس التى كان استولى عليها الروم كما سمح له بترميم الكنائس التى هدمت وساعده فى بناء كنيسه جديده بالاسكندريه واكثر من ذلك قام عمرو بن العاصى بتنظيم البلاد فى جميع النواحى الاداريه والمدنيه وبالجمله فان القبط نالو فى ايام عمرو بن العاص راحه لم يروها منذ زمان (١).

ويذكر عن عمرو بن العاص عند فتح مصر خطب فى جيشه قائلا :

" وحدثنى عمر امير المؤمنين انه سمع رسول الله يقول ان الله سيفتح عليكم بعدى مصر فأستوصوا بالقبط خيرا فان لكم فيها صهرا وذمه فكفوا ايديكم وعفوا زوجكم وغضوا ابصاركم

كما تعهد عمرو للقبط بأن يدع لهم حريه العباده كما سمح لهم بحريه التصرف فى شئونهم القضائية والاداريه ولم يكتف عمرو بذلك بل اقام بعضا منهم مديرين لمختلف الجهات ولم يطالبهم بغير الجزيه اذ الغى الضرائب الفادحه التى كان اباطره القسطنطينيه قد فرضوها على المصريين بغير رحمه على ان عمرو مع تسامحه هذا قد اعفى القبط من الجنديه فحرمهم بذلك شرف الدفاع عن وطنهم عند الحاجه(٢) وبالاجمال لم يتول على مصر امير احسن التدبير مثله كما سنرى (٣)

سماحة الخليفة على ابن ابى طالب

فقد قيل اثناء خلافه عمر بن الخطاب انه تنازع على بن ابى طالب مع رجل يهودى وحضر كلاهما امام عمر فقال عمر لعلى يا ابا الحسن اجلس الى جوار خصمك لنبحث الامر فجلس على متأثرا وبعد قضاء عمر سأل عليا هل استأت لانى اجلستك الى جوار خصمك قال كلا انما استأت لانك ناديتنى بكنيتى يا ابا الحسن وفى هذا نوع من التعظيم خفت ان يشعر معه اليهودى بأنه لايوجد عدل بين المسلمين هكذا كان المسلمون يتعاملون بسماحه وعدل مع رعاياهم (كلمة قداسه البابا شنودة الثالث فى مؤتمر الوحدة الوطنيه سنه ١٩٧٧)

---

(١) تاريخ الامه القبطيه (يعقوب نخله روفيله ص ٥٣)

(٢) مختصر تاريخ مصر (بالفرنسيه) ج ٢ البحث الثانى لجاستون فييت ص ١٢٩

(٣) تاريخ الأمة القبطية يعقوب نخلة روفيلة ص ٥٣

ولاية عبدالله بن سعد بن ابى سرح على مصر

بعد موت الخليفه عمر بن الخطاب (التى استمرت عشر سنين وسته اشهر وتسعه عشر يوما) مقتولا على يد غلام من اصل مجوسى (١) تولى الخلافه بعده عثمان بن عفان الذى عزل عمرو بن العاص عن مصر وولى مكانه عبدالله بن سعد بن ابى سرح اخاه فى الرضاعه ومما يذكر عنه انه لما تولى الاداره جبا فى اول سنه ١٤ مليونا من الدنانير اى بزياده مليونين عما كان.يجبيه عمرو بن العاص فسر الخليفه بهذه الزياده وقال لعمرو يوما مفتخرا بذلك " يا ابا عبدالله درت اللقحه بأكثر من درها الاول " اى قد زاد الايراد عما . كان فى ايام امارتك فقال له عمرو على الفور " قد اضررتم بولدها " اى ان هذه الزياده لابد ان تضر بأهل البلاد لانهم لم يزيدوا فى العدد عما كان قبلا وماهى الا نتيجه ضرائب جديده قد اوجدها عبدالله بن ابى سرح ليظهر الفرق بينه وبين سلفه حتى يكون مقبولا عند امير المؤمنيين .

ثم عاود الروم محاوله استعاده الاسكندريه من يد العرب فأرسلوا اسطولا كبيرا لإجلاء العرب عن مصر إجلاءا تاما سنة ٦٤٥م وبالفعل فقد تم استيلاء الجيش البيزنطى على الاسكندريه وزحفوا على بعض بلدان الوجه البحرى وكان ذلك فى **ولايه عبدالله بن سعد بن ابى سرح** وخلافه عثمان بن عفان ولما تحرج الموقف ارسل عثمان عمرو بن العاص الذى تمكن من استعاده الاسكندريه عنوه وقتل قائد جيش الروم وكان هذا اخر عهد للروم بمصر وبعدها استتبت امور مصر للعرب .

ثم عاود عبد الله بن سعد غزو النوبه فى سنة ٦٥١م مده ولايته على مصر فى خلافه عثمان بن عفان واشتدت وطأه القتال بين الجانبين وانتهت بعقد معاهده سياسيه وتجاريه بين مصر ومملكه النوبه المسيحية .ومما ينبغى ذكره انه لما انتهى عمرو من قتال الروم اراد الخليفه عثمان ان يكافئه على اتعابه فى هذه الحرب الاخيره بأن يوليه رئيسا على جند مصر , وعبدالله بن سعد على خراجها فلم يوافق عمرو بن العاص بذلك وانصرف عنها ولم يعد اليها الا فى سنه ٣٨ للهجره .

---

(١) مروج الذهب للمسعودى الجزء الرابع (ص ٣٨٧) والحقيقة الغائبة للدكتور فرج فودة ص ٢٣

كيف تولى عمرو بن العاص ولاية مصر مرة ثانيه

بعد عزل عبدالله بن سعد من ولايه مصر ولى مكانه محمد بن ابى بكر الصديق لكنه لم يصل اليها الا فى خلافه الامام على بن ابى طالب لانه فى اثناء ذلك قتل عثمان بن عفان على يد المسلمين الثائرين وتولى الخلافه بعده الامام على بن ابى طالب فعزل جميع الولاه وولى غيرهم من المتقربين اليه. لكن معاويه بن ابى سيفان الذى كان واليا على الشام رفض الخضوع لخلافه على بن ابى طالب وثار ضده وصار يخطب فى الناس ويبث فى اذهانهم ان على بن ابى طالب هو القاتل لعثمان وحرضهم على الاخذ بثأره وساعده على ذلك عمرو بن العاص وبايع اهل الشام معاويه على ان يكون خليفه لهم وهكذا اصبح للمسلمين خليفتان على بن ابى طالب فى المدينه ومعاويه فى الشام ولذلك انقسموا الى شطرين .

لم تدم هذه الانقسامات كثيرا اذ قتل على بن أبى طالب (على يد احد الرجال المسلمين) وخلا الجو لمعاويه واعترف له الكل بالخلافه ومما يذكر عنه انه قتل جميع اقرباء على حتى لايكون له منازع ولا مخاصم وجعل مقر الخلافه فى دمشق الشام وبموت الامام على بن ابى طالب انتهت مده الخلفاء الراشدين الذين تولوا الخلافه بعد الرسول وعددهم اربعه وهم ابوبكر الصديق وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان و على بن ابى طالب ثم انتقلت الخلافه الى الدوله الامويه التى اول خلفائها معاويه بن ابى سيفان .

وكانت الخلافه فى عهد الخلفاء الراشدين انتخابيه فجعلها وراثيه وانحصرت فى ذريته تنفيذا لمآربه وبقيت فى يدهم نحو تسعين سنة .

اما ماكان من امر مصر فان معاويه لما بايعه اهل الشام بالخلافه طلب من عمرو بن العاص ان يفتحها باسمه (باسم معاويه) ويكون واليا عليها مادام حيا فقبل عمرو بهذا الشرط وسار اليها ومعه ٦ آلاف فارس فدخل مصر بعد ان قبض على محمد بن ابى بكر وقتله بأن وضعه فى جلد حمار واحرقه بالنار وبقى واليا عليها الى ان توفى فيها سنة ٤٣ للهجرة .

و مما يذكر عن عمرو بن العاص انه استعان بالاقباط فى كشف موقع مجرى اميرى المؤمنين من القاهرة الى القلزم واعادة حفره ودفع الجزيه عمن شاركوا فى هذا العمل

كما استعان عمرو بن العاص بالمهندس القبطى بقطر فى بناء مسجده بالفسطاط

واقام عمرو فى مدينه الفسطاط (مصر القديمه) وصارت عاصمه الديار المصريه ومركز الاداره العربية الى زمن الفاطميين اللذين إتجهوا الى القاهره وجعلوها مقر خلافتهم كما سيأتى :

والان ماهى الاسباب الرئيسية التى جعلت العرب يقومون بهذه الفتوحات الواسعه ويوفقون فيها ومنها فتحهم لمصر ؟

ان انتصار العرب على قله عددهم – على الروم الذين كانوا لهم الجيوش والحصون امر يدعو للبحث والدهشه...كيف استطاع عمرو بن العاص بجيش قوامه اربعه آلاف جندى ان يغزو مصر...كيف استسلمت له البلاد ؟.

يمكن ان نلخص الاسباب فيما يأتى

١ – كان لتحطيم جستنيان وحده البلاد الاداريه وتقسيمه مصر الى خمس دوقيات (اقسام كبرى) يحكمها خمس محافظين ولضعف سلطه الحاكم البيزنطى المقيم بالاسكندريه واهتمامه بالمسأله الدينيه المذهبيه فقط ومحاوله اباطره الدوله البيزنطيه ان يخضعوا اقباط مصر لمعتقدهم واستخدموا فى سبيل الوصول الى ذلك كل الوسائل من قمع واضطهاد , كل ذلك ادى الى ضعف السلطه الحاكمه فى مصر وهكذا لم تعد حاله مصر قبل الفتح العربى اقليما بيزنطيا بالمعنى الصحيح بل كانت العلاقه بين بيزنطه ومصر علاقه ماديه خالصه بمعنى ان مصر تؤدى الجزيه السنويه قمحا وغلالا واموالا ترسل الى القسطنطينيه ولا يعنى البيزنطيين بغير ذلك وكانت الضرائب مصدر شكوى الفلاحين بالاضافه الى المظالم الكثيره التى كانت تقع فى جبايتها .

٢ – الحماس الدينى عند الجنود العرب المسلمون وهو لايمكن اغفاله هذا الحافز الدينى نراه واضحا حتى من عهد نبى المسلمين فبعد ان سيطر على شبه الجزيره العربيه اراد ان يدخل فى عهود ومواثيق مع القبائل المسيحيه . فكتب سنه ٦٣٠م الى نصراى نجران (فى بلاد اليمن) يدعوهم الى ابرام ميثاق معهم فأرسلت قبيله نجران المسيحيه وفدا ليفاوض محمد نبى المسلمين فى الحصول على احسن الشروط مع افهامه ان القبيله لن تتنازل عن عقيدتها المسيحيه مهما كان الثمن ... وفى اليوم التالى لوصول الوفد النجرانى الى مكه قابلوا محمدا نبى المسلمين وكان اول مافعله ان دعاهم الى اعتناق الاسلام ... والامر واضح من شروط الصلح التى فرضها على اى شعب مغلوب اما اعتناق الاسلام او الجزيه او السيف (١)

٣ – العامل الاقتصادى وهو من العوامل الهامه التى كانت وراء غزوات العرب المسلمين لقد ارادوا وهم شعب فقير جدا ان يتمتعوا بخيرات الامصار المفتوحه.

---

(١) ابن خلدون

ويقول توماس ارنولد (ان حركه التوسع العربى كان عباره عن هجرة جماعه بسيطه دفعها الجوع والحرمان الى ان تهجر صحاريها الجرداء وتجتاح بلاد اكثر خصبا كانت ملكا لجيران اسعد منهم حظا (١)

٤ - نضيف الى ذلك الانقسام المذهبى الداخلى فى مصر مابين الخلقيدونيين (البيزنطيين) وبين الخلقيدونيين (المصريين الوطنيين) هذا الصراع الذى دام حوالى ١٩٠ عاما والاضطهادات العنيفه التى اجتازتها كنيسة مصر الوطنيه من الرومان بالاضافة الى ضعف جيش الروم المدافع عن مصر كل ذلك ساعد على انتصار العرب وفتحهم لمصر

موقف الاقباط من العرب الغزاة :

نستطيع ان نؤكد ان موقف الاقباط من العرب الغزاه كان سلبيا بمعنى انهم لم يتعاونوا معهم ولم يقفوا ضدهم . واذا كان الامر كذلك فمن الذى ارشد العرب فى زحفهم فى ارض مصر؟

يجمع الباحثون ان مرشدى العرب كانوا من اليهود .. يذكر ساويرس بن المقفع فى تاريخ البطاركه ان الامبراطور هرقل رأى فى منامه ان شعبا مختونا سيثور عليه ويهزمه ويملك الارض . فظن هرقل لاول وهله انهم اليهود فأمر بتعميد جميع اليهود والسامريين فى كل ولايات الامبراطوريه .. هذا التصرف من جانب هرقل جعل اليهود يعرضون خدماتهم على العرب , وقدموا لهم خدماتهم واعطوهم مايحتاجونه من معلومات وبذلوا لهم المساعده فى سوريا ومصر (٢) ويقول الفريد بتلر فى تاريخه عن فتح مصر لم يكن يوجد قبطى واحد فى سلحه القتال ومن الخطأ الادعاء ان الاقباط كانوا يستطيعون فى ذلك الوقت ان يجتمعوا او يقاتلوا او يفاوضوا العرب .

لم يستقبل الاقباط العرب كمحررين لبلادهم فلقد كان الاقباط يجهلون كل شىء عن نواياهم وهل سيرغمهم العرب على اعتناق دين جديد هو الاسلام ؟ ونحن قد رأينا كيف ان الاقباط وقفوا امام الامبراطور البيزنطى والدوله وأبوا ان يقبلوا مجرد عقيده جديده فى نطاق المسيحيه فهل يعقل انهم رحبوا بأمه جديده تدين بدين جديد لو احسوا انهم سيرغموا على اعتناق الاسلام وما يتبع ذلك من متاعب ومظالم (٣)

---

(١) د.سعيد عبد الفتاح عاشور (أوربا فى العصور الوسطى) ج الطبعة السادسة

(٢) تاريخ البطاركه (ساويرس بن المقفع)

(٣) الفتح العربى لمصر (الفريد بتلر)

ويقول الدكتور محمد حسين هيكل (باشا) فى كتابه الفاروق عمر ج٢ بعد دراسه مستفيضه لعصر الخلفاء الراشدين مستندا الى المصادر العربيه "لاشك فى ان القبط لم يعاونوا الروم فى قتال العرب الا بالقدر الذى يضطرهم اليه خضوعهم كارهين لسلطات قيصر واعماله ولكن لاشك كذلك فى انهم لم يعاونوا العرب الا ان تكون معاونات فرديه أما فيما عدا ذلك فقد وقف شعب مصر من الفريقين المتحاربين موقف المتفرج شديد التطلع.

وقد لخص الاب (جانو) موقف الاقباط من العرب الغزاه فى قوله " انهم لم يقوموا بأى مجهود لوقف الكارثه (الغزو) ولكنهم احتموا خلف اسوار المدن التى لم يجرؤ العرب بعد على اقتحامها و انتظروا هجومهم عليها (١)

وحقيقة انه لايوجد نص واحد فى المصادر القديمه يشير الى ان الاقباط قدموا اية مساعده لجيش عمرو حتى وقت حصارهم لحصن بابليون – اى فى المرحله الاولى للغزو العربى (٢)

كيف عامل العرب اقباط مصر عند الفتح

لم يحاول العرب قط ان يطمئنوا الشعب المصرى على نواياهم اذ كانوا يجهلون اللغتين اليونانيه والقبطيه . ومع انهم على عكس الفرس – قاتلوا بشىء من الرفق ولم يقوموا بأعمال تخريبيه منظمه او باراقه دماء كثيره الا انهم تمادوا فى بعض الاحيان فى اقتراف اعمال مشينة وحركات قمع داميه مالم يساعدهم على كسب ثقه الشعب وتعاطفهم معهم .

يذكر الاسقف يوحنا النقيوسى فى تاريخه – وهو المصدر الوحيد المعاصر للفتح العربى – امثله لما عمله العرب الغزاه فيقول ان " عمرا " أمر بالقاء القبض على القضاة الرومان وتكبيل ايديهم واقدامهم بسلاسل حديديه وأوتاد خشبيه واغتصب الاموال وضاعف الضرائب المفروضه على الفلاحين وكان يضطرهم ان يحضروا علف الخيل كما انه اقترف كثيرا من اعمال العنف (٣) اما عن حماس العرب الدينى للاسلام فيقول " عندما كان المسلمون يدخلون المدن ومعهم الاقباط الذين ارتدوا عن المسيحيه كانوا يستولون على املاك المسيحيين الفارين كما كانوا يسمون خدام المسيح اعداء الله " وهكذا نستطيع القول ان الاقباط لم يرحبوا بالعرب ويستقبلوهم كمحررين .. ويقول ساويرس بن المقفع فى تاريخه " من بعد ان ملك عمرو مصر بثلاث سنين ملك المسلمون

---

(١) كتاب اقباط ومسلمون (د جاك تاجر) ص ٤٧

(٢). محمد حسين هيكل فى كتابه الفاروق عمر ج ٢

(٣) تاريخ ص ٥٦٠ (يوحنا النقيوس)

مدينه الاسكندريه وهدموا اسوارها واحرقوا بيعا كثيره بالنار وبيعه مار مرقس التى هى مبنيه على البحر حيث كان جسده موضوعا ... احرقوا هذا الموضع بالنار وماحوله من الديارات".

وان كنا نذكر مظالم العرب الفاتحين فلا بد – انصافا للحقيقه – ان نقول ان هذه المظالم لم تكن عامه او شامله خاصه فى الفتره الاولى للفتح العربى فقد اكتشف البروفسور جروهمان وثيقتين برديتين يرجع تاريخهما الى سنه ٢٢ هـ (٦٤٢م) مكتوبتين باليونانيه وملحق بهما نص اخر باللغه العربيه .

الوثيقه الاولى عباره عن ايصال حرره على نفسه احد امراء الجند يدعى الامير عبدالله بانه استلم خمسا وستين نعجه لاطعام الجند الذين معه وقد حررها الشماس يوحنا مسجل العقود فى اليوم الثلاثين من شهر برموده من السنة المذكوره اولا وقد جاء بظهر الورقه مايلى " شهاده بتسليم النعاج للمحاربين ولغيرهم ممن قدموا البلاد وهذا خصما عن جزيه التوقيت الاول " .

اما **الوثيقه الثانيه** فنصها " باسم الله انا الامير عبدالله اكتب اليكم يا امناء تجار مدينه بسوفتس وارجوا ان تبيعوا الى عمرو بن العاص قوتا لفرقته (علفا بثلاث دراهم كل واحد منها "بعرورين ") والى كل جندى غذاء من ثلاثه اصناف ويعلق الاستاذ جروهمان على الوثيقتين بقوله " ان هذه المعامله ازاء شعب مغلوب قلما نراها من شعب منتصر (١).

حريق مكتبه الاسكندرية

لقد اتهم القائد العربى عمرو بن العاص بحرق مكتبه الاسكندريه الشهيرة بتصريح من الخليفه عمر بن الخطاب .. وتقول المصادر التى ذكرت ذلك ان عمرو ارسل للخليفه يأخذ رأيه فكان رد عمر كالاتى " و أما ما ذكرت من أمر الكتب فاذا كان ماجاء بها يوافق ماجاء فى كتاب الله (القرآن) فلا حاجه لنا به واذا خالفه فلا أرب لنا فيه وأحرقها .. فلما استلم عمرو هذا الكتاب امر بالكتب فوزعت على حمامات الاسكندريه العامه لتوقد بها فكانوا يوقدون منها لمده سته اشهر .

وقد كان اول ماذكر القصه كتابه هو الرحاله الفارسى عبداللطيف البغدادى فى كتاب اسماه اخبار مصر . وأبو الفرج بن العبرى فى كتابه "مختصر تاريخ الدول " ويبدو مما ذكره عبداللطيف البغدادى وقد كتب كتابه حوالى سنة ١٢٠٠م ان قصه حريق مكتبه الاسكندريه على يد عمرو كانت شائعه ومتداوله فى ايامه .. حتى انه قال " وهناك كانت تقوم المكتبه التى احرقها عمرو بن العاص بأمر عمر.

---

(١) وثيقتين برديتين للبروفسور جروهمان

كما ان ثلاثه من المؤرخين الكنسيين القدامى وهم سوزومين وثيودريت وروفينوس ذكروا ان المكتبه كانت لاتزال موجوده فى القرنيين الرابع والخامس ويذكر كيرلس مقار بطريرك الاقباط الكاثوليك وكان رئيسا للمجمع العلمى المصرى بالانتداب فى بحث له عن سرابيوم الاسكندريه مستندا الى شهادات الاقدمين " ان مكتبه السرابيوم التى كانت فى القرن الرابع المكتبه العظمى بالاسكندريه لم تحرق بأمر يوبيانوس (جوفيان) سنه ٣٦٤م ولاخربت بأمر ثاوفيلس الكبير سنة ٣٩١م بل ظلت قائمه مع المكتبات الاخرى فى القرن الخامس وحتى اخر القرن السادس ... يضاف الى ذلك ان للعرب سابقه حرق جميع كتب الفرس بالقائها فى الماء والنار . هذه الحقيقه التى ذكرها بن خلدون فى مقدمته .. الامر الذى يرجح الرأى القائل بحرق تلك المكتبه العظيمه على يد عمرو بن العاص بأمر الخليفه عمر بن الخطاب (١)

عوده البابا بنيامين (البطريرك الـ ٣٨)

كان البابا بنيامين (البطريرك الـ ٣٨) هاربا من قيرس (المقوقس) البطريرك الملكانى وبعد الهزيمه التى منى بها الروم ورحيل جيشهم عن مصر غدا القبط فى مأمن من الخوف وبدأوا يشعرون بالحريه الدينيه .. ولما علم عمرو باختفاء البابا القبطى بنيامين نتيجه الظروف التى كان يمر بها الاقباط كتب كتاب امان للبابا بنيامين يقول فيه " الموضع الذى فيه بنيامين بطرك النصارى القبط له العهد والامان والسلامه من الله فليحضر آمنا مطمئنا ويدبر حال بيعته وسياسه طائفته "..ويقال ان الذى سعى فى عوده البابا بنيامين احد الاقباط ويدعى سنوتيوس (شنوده) وكان بين قاده الجيش الرومانى كما يقال ان عمرو وهو فى طريق عودته بعد فتح الاسكندريه خرج للقائه رهبان وادى النطرون فلما رأى طاعتهم سلمهم كتاب الأمان للبابا.

لم يلبث عهد الأمان ان بلغ البابا بنيامين فخرج من مخبئه وعاد الى الاسكندريه ودخلها دخول الظافرين وفرح الناس برجوعه فرحا عظيما بعد ان ظل غائبا مده ثلاثه عشر عاما .. منها عشره اعوام قبل الفتح العربى وثلاثه اعوام فى حكم المسلمين

وكان البابا بنيامين ذا هيئة جميله تلوح عليها امارات الوقار والجلال وكان لذلك اثر عظيم فى نفس عمرو بن العاص حينما ذهب اليه البابا والتقى

---

(١) كتاب اخبار مصر (للرحاله الفارسى عبداللطيف البغدادى)+ كتاب مختصر تاريخ الدول(ابو الفرج بن العبرى)

به،حتى انه قال لاصحابه " ان فى جميع الكور التى ملكناها الى اللآن ما رأيت رجل الله يشبه هذا " ثم التفت اليه عمرو وقال له " جميع بيعك ورجالك اضبطهم ودبر احوالهم واذا أنت صليت على حتى امضى الى الغـرب والخمس مـدن وأملكها مثل مصر واعود اليك سالما بسرعه فعلت لك ماتطلب منى"

فدعا البابا بنيامين وقال له كلاما طيبا أعجبه والحاضرين ثم انصـرف من عنده مكرما مبجلا.

وقد نجح البابا بنيامين فى جمع القبط الارثوذكس ولم شملهم كما اتجهت همته الى اصلاح ما تهدم من الأديره ولاسيما ماكان منها فى وادى النطرون وقد لحقها التخريب الكثير منذ اوائل القرن السابع على يد الفرس والخلقيدونيين .. ومن ذلك زيارته بريه شيهيت وتكريسه لبيعه جديده بدير القديس ابـو مقـار , حيث رأى السيد المسيح يكرس الهيكل بنفسه كما ظهر ايضا القديس أبو مقار.

كل ذلك حدا بالمؤرخ بتلر ان يقول عن البطريرك بنيامين " ولقد كـان لعوده بنيامين اثر عظيم فى حل عقده مذهب القبط وتفريج كربته ان لـم تكـون عودته قد تداركت تلك الملة قبل الضياع والهلاك اذ لم يكن قبط مصر فى وقـت من الأوقات أشد حاجة منهم فى ذلك الوقت الى ذى رأى فصيح وخلـق متيـن يقودهم ويدبر أمرهم (١)

عدد القبط وقت الفتح العربـى.

المؤرخون المسيحيون والمسلمون الاوائل ممن أرخوا الفتح العربى فـى مصر فى شبه اجماع على ان عدد من فرضت عليهم الجزيه دينـارين بحسـب معاهدتى بابليون والاسكندريه بلغوا ستمائه آلالف الف (سته ملآيين) وذلك لان مقدار الجزيه وحدها (بخلاف الضرائب الاخرى على الارض وخلافـه كـانت تسمى الخراج) التى جمعت منهم بلغت اثنى عشر ألف ألف دينار (اثنى عشـر مليونا) ومعلوم ان الجزيه كانت تقرر على الذكور ممن تبلغ اعمارهم مـن ١٥ الى ٦٠ سنه ويعفى منها النساء والشيوخ والصبيان والمعوقين وغير القـادرين والرهبان .. واضح ان من كانت تنطبق عليهم شروط دفع الجزيه كانوا حوالـى ربع سكان مصر من القبط فى ذلك الوقت .. نعتقد ان عددهم كان لايمكن ان يقل عن خمسه وعشرين مليونا هذا وان كان المؤرخ الانجليزى ستانلى ليـن بـول يقول ان ابن عبدالحكم يقدر دافعى الجزيه (ضريبه الرأس من سته الى ثمانيه

---

(١) كتاب الفتح العربى لمصر (الفريد بتلر)

ملايين نسمه فاذا كان الامر كذلك فالعدد يرتفع الى نحو ثلاثين مليون قبطى (١)

الشريعه الاسلاميه واهل الذمه:

كان العرب بحكم بيئتهم الاولى يجهلون فن الحكم .. والقرآن بتعليماتـه فيما يجب اتباعه حيال أهل الذمه ، جعل مهمة الحكام فى الاراضى المحتله شيئا صعبا فقد اضطر هؤلاء الحكام بحكم الظروف اما الى تجاهل بعض تعليمـات القرآن والحديث واما الى تفسيرها حسب أهوائهم .. وهكذا تعرضت هذه المبادئ منذ بدايه الفتوح العربيه لبعض التعليقات الخطيره فازدادت الفوارق بين المبـدأ الذى كان يشتد احيانا على اهل الذمه وبذلهم وبين تطبيقه.

ويقول الدكتور ترتون فى كتابه اهل الذمه فى الاسلام " من المتفق عليـه تاريخيا انه ورد فى الحديث النبوى " لايجتمع دينان فى بلاد العرب " مما حمـل عمربن الخطاب على طرد جميع اليهود والنصارى من شبه الجزيـره العربيـه باعتبارها دار الاسلام دون سواه من الاديان . وقد خلت بلاد الحجاز من الذميين نتيجه طردهم منها .. على انه لم يؤد هذا المفهوم الى اخراج الذميين من بـلاد اليمن .. على أيه الحالات فنحن نرى تضاربا فى تطبيق هذا الاتجاه .. ففى حياة محمد نبى المسلمين كان هناك نصرانى اسمه موهب يسكن مكه ذاتها لكن عمر فى خلافته حرم دخول المدينه على غير المسلمين من الذكور البالغين ولم يستثن من هذا التحريم سوى شخص يدعى ابو لؤلؤه لانه كان صانعا ماهرا .. ويبـدوا انه الاحتياج الى بعض النصارى كان يلزم الحكام المسلمين بالسـماح بدخـول البلاد المحرمه هكذا فعل عثمان بن عفان ومعاويه بن ابى سـيفيان الـذى لمـا ارسل ابنه يزيد مع الحج استصحب يزيد معه طبيبه النصرانى ابا الحكـم كمـا ارسل الخليفه عبدالملك بن مروان احد المهندسين الروم المسيحين الى مكه لعمل هندسى عقب احد الفياضانات التى هددت الكعبه وأرسل الوليد بن عبدالملك بـن مروان ثمانين صانعا من الروم والقبط لاعاده مسجد محمد .. كما اشترك كثـير من العمال الذميين فى بناء المساجد(٢)

اهل الذمه وعهد عمـر

خضع اهل الذمه ايضا لشروط عمر التى تعرف باسـم عـهد عمـر . ذكرها القلقشندى (١٣٥٥ - ١٤١٨) فى كتابه (صبح الاعشـى) ... ونحـن نذكرها هنا لان بعض ولاة مصر المسلمين رجعوا اليها احيانا . هذه الشروط

---

(١) كتاب تاريخ مصر فى العصور الوسطى ص ١٩ (ستالى لينبول)

(١) كتاب اهل الذمه فى الاسلام ٢٠٣ : ٢٠٤ (د . ترتون)

المنسوبه لعمر بن الخطاب وضعت اولا فى صوره خطاب حرره اهل سوريا ورفعوه للخليفه عمر ليصدق عليه.

وقام القلقشندى بتلخيص الشروط المفروضه على اهل الذمه وهى : الجزيه والضيافه والانقياد لاحكامنا . وعندما لايركبوا الحمير يجعل الراكب رجليه من جانب واحد . وان ينزلوا المسلمين صدر المجلس وصدر الطريق . والتمييز عن المسلمين فى اللبس وانهم لايرفعون ما يبنونه على جيرانهم المسلمين وانهم لا يحدثون كنيسه ولابيعه فيما احدثه المسلمون من البلاد.

ان موضوع عهد عمر محل نقاش من جهه صحه نسبته اليه .. لكن الامر الذى لايمكن انكاره او تجاهله هو أن بعض الخلفاء والولاه وفقهاء المسلمين ساروا على نفس الخط الواضح نحو الذميين فى عهد عمر طوال الحكم الاسلامى.

ومن جهه مصر . فان عمرو بن العاص كان فى بادئ الامر قد صالح اقباط مصر على مبدأ الجزيه الذى اشرنا اليه لكن المؤرخ المقريزى يذكر ان عمر بن الخطاب ما لبث ان كتب لواليه على مصر عمرو بن العاص " أن أختم فى رقاب أهل الذمه بالرصاص وليظهر مناطقهم ويجزوا نواصبهم ويركبون على الاكف عرضا ولاتضرب الجزيه الا على من جريت عليه الموس دون النساء والولدان ولاتدعهم يتشبهون بالمسلمين فى ملبوسهم " .(١)

<u>عمر بن الخطاب وفتح القدس :</u>

عندما فتح عمر بن الخطاب القدس اعطاهم العهد التالى (الذى عرف بعهد عمر) " بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما اعطى عبدالله امير المؤمنين اهل ايليا (اسم القدس بعد سقوطها فى عهد تيطس الرومانى وطرد اليهود منها) من الامان واعطاهم امانا لانفسهم واموالهم وكنائسهم وصلبانهم وسقيمها وبريئها وسائر ملتها انه لا تسكن كنائسهم ولاتهدم ولا ينقص منها ولا من خيرها ولا من حليتهم شيئا ولا شئ من اموالهم ولا يكرهون على ديننا ولا يضار احد منهم" . تاريخ الرسل والملوك للطبرى ج ١ ص ٢٤

صلاة عمر بن الخطاب فى القدس :

بعد ان فتح عمر بن الخطاب القدس سنه (١٥ هـ - ٦٣٦ م) كان اول عمل قام به عمر ان زار كنيسة القيامه ولما كان فى داخلها حان وقت الصلاة فأشار عليه البطريرك صفرونيوس ان يصلى فى داخل الكنيسة قائلا (مكانك صلى)

---

(١) كتاب " صبح الاعشى " (للقلقشندى)

ولكن عمر ابى وخرج من الكنيسة وصلى فى مكان على مقربه منها خشـية ان يتخذ المسلمون صلاته فى داخل الكنيسة ذريعة فيضعوا ايديـهم عليـها فقـابل النصارى عمله هذا بالشكر وذكره المؤرخون بالتقدير .(من كتاب تاريخ القـدس للمؤلف عارف باشا العارف ص ٤٨) .

سماحة عمر بن الخطاب فى القدس :

ذكر ان عمر بن الخطاب عندما كان فى القدس اتاه رجل من النصارى له ذمـه مع المسلمين فى كرم عنب فشكا اليه همه فركب معه ولما رأى ان فريقـا مـن المسلمين اكلوا ما فى الكرم لشدة ما اصابهم من جوع اعطاه ثمن ما اكلوه وقـد امر رجاله بالعدل قائلا لهم متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم امهاتهم احرارا

مسجد عمر بن الخطاب بالقدس (العهد العمرى)

بعد ان اعطى عمر بن الخطاب للبطريرك صفرونيوس العهد العمرى - طلـب من البطريرك ان يدله على مكان يبنى فيه مسجدا للمسلمين فدله البطريرك علـى منطقه هيكل سليمان وكان المكان مهجورا بالمره وكانت الصخره المبنى عليـها الهيكل المتهدم مغطاه بالزباله والاقذار اذ كان سكان المدينـه اتخذوهـا مزبلـة فدهش عمر وراح ينضح بكفيه وينقله بثوبه ويتبعه الصحابه فراحوا يرفعون عن الصخرة التراب الى ان بدت للناظرين فأمر عمر ببناء مسجده فى ذلك المكـان وذكر المؤرخون هذه الحقيقة وهى ان عمر رضى الله عنه قد بنى مسجده فـى المنطقة التى كان مقام فيها الهيكل وكان من الخشب ويتسع لثـلاث آلاف مـن المصلين وكان ذلك سنه ٦٣٦ م (١)

عمر بن الخطاب والتاريخ :

ذكر عن الخليفة العادل عمر بن الخطاب الذى قال عنه " محمد " زوج ابنته لقـد جعل الله الحق على لسان عمر وقلبه انه تنفيذا للعهد العمـرى (القيـود التـى فرضها الاسلام والمسلمين على اهل الذمه) وفى فتره خلافه عمر بن الخطـاب اخضع المسلمين لطاعته ٣٦ الف مدينه وقلعه وهدموا ٤٠٠٠ كنيسـة ومعبـد وبنوا ١٤٠٠ جامع وبعد مئة عام من هجرة محمد للمدينه امتد نفوذ خلفاء محمـد وسلطانهم من الهند الى المحيط الاطلسى وعبر الاقاليم المختلفة والنائية (راجـع الاستشراق ١٠٢)

---

(١) السائح (اركولف) الذى زار القدس حوالى سنه ٦٧٠ م (كتاب القدس للاستاذ عـارف باشا العارف)

الاقباط والنظام المالــى:

اهتمت الخلافه الاسلاميه عقب فتح مصر مباشرة باســتغلالها وجبايـه اموالها وتشهد المكاتبات التى دارت بين الخليفه عمر بن الخطاب وعمــرو بــن العاص عقب فتح مصر على ان الخليفه كان يريد جبايه نفس القدر الــذى كــان يجبيه الروم من مصر (ابن الحكم فتوح مصر واخبارها) وينسب لعمـــرو بــن العاص انه قال لاقباط مصر بعد الفتح (أن من كتمنى كنزا عنده فقدرت عليــه قتلته " ويذكر ابن الحكم ان عمرو قتل احد اثرياء الصعيد ويدعى بطرس لانـــه اخفى كنزا له فكان ذلك سببا فى ان يخرج الاقباط كنوزهم خوفا من القتل (١)

ومن الواضح ان الاقباط سرعان ماعادوا الى المعاناه من كثره ما فرض عليهم من ضرائب. تماما كما كانوا فى زمن الروم اذ ان الاعباء الماليه التـــى تطلبتها الخلافه كانت كثيره واصبح مطلوب منهم توفير المال اللازم لبيت مــال المسلمين وللمنتفعين من الولاه والموظفين (دكتوره سيده كاشف , مصــر فــى عصر الولاه ١٢٢ - ١٢٣) وتقول دكتوره سيده كاشف " يظهر ان العنصــر المالى الرئيسى الذى كان يهتم به العرب هو الجزيه ولذلك كانت الجزيه سببا فى اسلام كثير من الاقباط الذين ارادوا التخلص منها وهذا طبعا معناه نقص دخــل الدوله وربما حدا هذا بالخلفاء الى مضاعفه مقدار الجزيه على من تبقـــى مــن الاقباط على دينه حتى لقد قيل ان الخليفه عمر بن عبدالعزيز ارسل الى حيان بن شريح عامله على خراج مصر ان يجعل جزيه موتى القبط على احيائهم.
والملاحظ ان الاعباء المالية اخذت تزداد تدريجيا على الاقبــاط ممــا اضطــر الكثيرين الى التحول الى الدين الاسلامى فرارا منها وعندما كثر عــدد الاقبــاط الذين دخلوا فى الاسلام كثر العبء المالى على من بقى على دينه منهم .. كذلــك بدأ والى مصر عبدالعزيز بن مروان سنه (٦٨٥ - ٧٠٥) فرض الجزيه علـــى الرهبان اذ امر باحصاء جميع الرهبان فى كل الكور وفى وادى النطرون وسائر الاماكن وفرض دينارا جزيه على كل راهب وامر الا يترهب احــد بعــد مــن احصاه وكانت هذه اول جزيه اخذت من الرهبان (٢)

وفى خلافه الوليد بن عبد الملك واثناء ولايه اخيه عبدالله بن عبدالملـــك (٧٠٥ - ٧٠٩) زادت الاعباء الماليه على الاقباط وقد اسلم عدد منهم لكن مـــن ناحيه اخرى قامت فى عهده حركه مقاومه سلبيه ضد سياسه العرب الماليه من

---

(١) فتوح مصر واخبارها (لابن الحكم)

(١)كتاب مصر فى عصر الولاة (د.سيدة كاشف)

جانب الذين لم يرضوا بتغيير دينهم بسبب الاعباء المالية فأخذ بعـــض الافــراد يهربون الى مناطق مختلفه غير تلك التى كانوا مقيدين فيها ... غير ان الوالـــى تشدد فى قمع تلك الحركه التى كانت تهدد باثاره الفوضى فى مصر فضلا عـــن تأثيرها فى ماليه الدوله فأمر بوسم الغرباء الذين وجدوا فى الاقاليم المختلفه على ايديهم وجباههم وأرسلهم الى مواضع مختلفه وقد استمرت حركه الهروب مـــن ولايه قره بن شريك الذى خلف عبد الله بن عبد الملك (٧٠٩ - ٧١٤) بل انـــها اتخذت فى عهده شكلا واسعا فكانت اسرات بأسرها رجالا ونساءا واطفالا تهرب من مكان الى مكان لاتستقر فى مكان معين وذلك فرارا من دفع الضرائـــب .. وفى خلافه سليمان بن عبدالملك (٧١٥ - ٧١٧) كان متولى خراج مصر اسـلمه بن زيد التنوخى وقد اشتد اسامه فى طلب الخراج والجزيـــه وامـــر عمالــه الا يتوانوا فى جمع الضرائب فأسلم الكثيرون فى عهده كى يتخلصوا من الاعبـــاء الماليه وقد امر اسامه الا يأوى احد غريبا فى الكنائس او الفنادق او السـواحل .. وقد عمل اسامه بن زيد احصاء ثانيا للرهبان بعد الاحصاء الذى تم فـــى عــهد عبدالعزيز بن مروان وجبى منهم الجزيه كما امر الرهبان الا يقبلوا فى الرهبنــه من يأتى اليهم بعد ذلك وأمر أسامه بوسم كل راهب بحلقه حديد فى يده اليســرى كان يكتب عليها اسم بيعته وديره وتاريخه اما من وجد هاربا او غير موسوم فقد كان يلقى عقابا قاسيا (دكتوره سيده كاشف ٢١٢٣ - ١٢٨) (١)

وبسبب الحاجة الى المال كان بعض الخلفاء والولاة يستمرون على جمع الجزيــه حتى ممن يسلمون ولاشك ان معظم الذين اعتنقوا الاسلام من الاقباط كان بسبب التهرب من دفع الجزيه وليس حبا فى الاسلام كدين فقد حدث فى ولايه حفـــص بن الوليد الثالثه على مصر سنة ٧٤٥م من قبل الخليفه مروان بن محمود عندمــا اعلن اعفاء كل من يسلم من الجزيه . اعتنق نحو اربعه وعشرين الفا من الاقباط الدين الاسلامى . كذلك عندما قرر الخليفه العباسى ابو العباس السفاح ان يعفـــى من الجزيه كل من يعتنق الدين الاسلامى ويقيم شعائره تخلى كثير من المسيحين عن دينهم واعتنقوا الدين الاسلامى بسبب فداحه الجزيه والاعباء الملقاه عليـــهم (سيده كاشف ١٢٩)

أهل الذمه ووظائف الدولـــة :

لم يشمل عهد عمر مسألة إستخدام أهل الذمه لان القران أجاب على ذلك بالنفى وقد تمسك عمر طوال مده خلافته بأحكام القران...وقد أورد لنا الفقيه بن

---

(١)كتاب مصر فى عصر الولاة (د.سيدة كاشف)

النقاش خطيب (١) مسجد بن طولون فى القرن التاسع الميلادى عده أمثلـه لمـا اتبعه الخليفه عمر" قال أبو موسى الاشعرى للخليفه :استخدمت رجلا نصرانيـا . فأجابه الخليفه : ماذا فعلت ايها الرجل ؟ ان الله سيعاقبك . ألم تدرك معنى قـول الله تعالى " يا ايها الذين آمنوا , لاتتخذوا اليهود والنصارى اولياء بعضهم بعـض ومن يتولهم منكم فانه منهم ان الله لايهدى القوم الظالمين (المائده ٥٠) " فقلـت يا أمير المؤمنين استخدمته وتركت جانبا عقيدته . فأجاب عمر : ليس هذا عذرا ولن أشرف ابدا الذين احتقرهم الله . ولن أرفع ابدا الذين وضعهم الله فى حالـه دنيئه ولن اقترب من الذين ابعدهم الله منه ، وكتب الى الخليفه عمر احد قـواده ليستعلم بخصوص ادخال الكفار فى الوظائف العامه فقال : " ان الامـوال التـى تدفقت على الخزينه بكثرة , ولا يستطيع غيرهم أن يقوم بالاعمال الحسابيه قـل لى حينئذ مايستحسن عمله " ... فأجاب عمر " لاتشركوا الكفار فـى أعمـالكم لاتعطوهم ماحرمه الله عليهم . ولاتضعوا ثروتكم فى أيديـهم ولا تنسـوا هـذه المبادئ التى يجب أن يسير عليها كل رجل " . وكتب الخليفه الى احد قواده : أن الذى يستخدم كاتبا نصرانيا , يجب الا يشاطره فى حياته او يكن له عاطفـه او يجلسه بجانبه أو يستشيره لان النبى والخليفه امرا بألا يسـتخدم الذميين فـى الوظائف وتلقى الخليفة عمر رسالة من معاوية بن أبى سيفان يقول فيها " يا أمير المؤمنيين انى استخدم فى ولايتى نصرانيا لا أستطيع بدونه أن أجمع الخراج . ولكن أردت قبل أن يقوم بهذا العمل ان انتظر أوامركم " فأجاب الخليفه " أدعـو الله أن يقينى هذا الشـر . قـرأت الرسـالة التـى وجهتـها الـى بخصـوص النصرانى.واعلم ان هذا النصرانى قد توفى والسلام(٢)

أما رأى الفقيه النقاش , فلم يكن اقل صراحه من رأى عمر رغم الفاصل الزمنى بينهما (نحو ٢٣٠سنه) لقد سئل الفقيه " ما هو رأى علمـاء الاسـلام وهم قاده الشعوب , فيما يختص باستخدام الذميين وبالاستعانه بهم بصفه كتاب

---

(١) كان ابن النقاش فقيها من الدرجه الاولى وخطيبا لمسجد ابن طولون وكان يعطى دروسـا فى هذا الجامع وفى بعض مساجد القاهره وتوفى سنه (١٣٦٢م) وقد اعتمدنا على رأيه لسببين : اولا لانه كان يقيم بمصر ويتحدث فى كتبه الفقهيه عن الاقباط بوجه خاص ثم انـه عـاش بمصر فى زمن كانت البلاد تتمتع بالاستقلال...وكان المسلمون يسيطرون على حالـة البـلاد سيطرة كاملة

(٢) كتاب أقباط ومسلمون (د.جاك تاجر ص ٥٥ ، ٥٦

لدى الامراء لاداره البلد او لجبايه الخراج ؟ أهو عمل شرعى أم محرم فأجاب ابن النقاش أعلم ان الشرع لايسمح باستخدام الذمين وهذا رأى جميع المسلمين أما العلماء فقد افتوا بعدم استخدام الذميين فحرموه بتاتا أو أعربوا على الاقل عن عدم رضائهم لانهم يقولون : لاعهد بيننا وبين انصار النبى (١) ويمكن تطبيق هذا الكلام على اقباط مصر الذين يعتقدون انهم غير مرتبطين بعهد مع المسلمين فان قيل ان الايات التى ذكرتها تتعلق فقط بشعور الصداقه نحو النصارى بينما ان المسأله تتعلق باستخدامهم فى الوظائف العامه , اقول " لا يستخدم الانسان الا من يثق فيه .. وعلى ايه حال فان الله تعالى حل المشكله الخاصه بالذميين حلا قاطعا اذ قال " من يتولهم منكم فانه منهم (سوره المائده الايه ٥١).

وقد كره عمر بن عبد العزيز الخليفة الأموى أن تكون يد الذمى هى العليا فيكون له السلطات على المسلمين وحاول من ذلك.فأرسل الى الولاه عن هذا الخصوص رسالة يقول فيها " أما بعد فان الله عز وجل اكرم بالاسلام اهله وشرفهم و أعزهم,وضرب الذله والصغار على من خالفهم وجعلهم خير امة أخرجت للناس.فلا تولين أمور المسلمين أحدا من أهل الذمه,فتبسط أيديهم والسنتهم . وتذلهم بعد أن أعزهم الله,وتهينهم بعد أن أكرمهم الله تعالى وتعرضهم لكيدهم والاستطاله عليهم "لذلك فقد عزل عمر بن عبدالعزيز جماعة من العمال القبط بمصر,واستبدل بهم عمالا مسلمين.والواقع انه كان شديد التمسك بتطبيق ذلك المبدأ فى جميع نواحى الدوله الاسلاميه لأنه كتب ذات مره يقول "أن من أراد أن يقيم فى مملكته وبلاده فليكن على دين محمد مثله,ومن لايريد فليخرج عنها"(٢)

---

(١) لم يذكر إبن النقاش نصوص القرآن ولكنه فسر معنى الآية ٧٥ من سورة آل عمران (الكندى : لكتاب الولايه والقضاء , ابن عبد الحكم : سيره عمر بن عبدالعزيز , الكامل فى التاريخ لابن الأثير , ساويرس بن المقفع : تاريخ البطاركه صفحه ٣٢٦) .

(٣) (الكندى:لكتاب الولاية والقضاء ،ابن عبدالحكم :سيرة عمر بن عبدالعزيز ،الكامل فى التاريخ لابن الأثيرساويرس بن المقفع ::تاريخ البطاركة صفحة ٣٢٦)

القيود الخارجيه المفروضه على أهل الذمـــه :

عرض عمر لهذه القيود بصفه عامة ثم جاء الفقهاء ليفسروا ما قاله عمر يقول أبو يوسف قاضى بغداد فى "كتاب الخراج" (١) عن (القيـــود المفروضـــه علىازياء أهل الذمه) ينبغى ان تختم رقابهم فى وقت جبايه جزيه رووسهم حتى يفرغ من عرضهم . ثم تكسر الخواتيم كما فعل بهم عثمان بن حنيف ان ســـألوا كسرها وأن يتقدم فى أن لا يترك احد منهم يتشبه بالمسلمين فى لباسه ولا فـــى مركبه , ولا فى هيئته ويؤخذوا بأن يجعلوا فى أوساطهم الزنارات مثل الخيـــط الغليظ يعقده فى وسطه كل واحد منهم وبأن تكون قلانسهم مضربه (٢) وأن يتخذوا على سروجهم فى موضع القرابيس مثل الرمانه من الخشب وبأن يجعلـوا شراك نعالهم مثنيه ولايحذوا على حذو المسلمين وتمنع نســاؤهم مـــن ركــوب الرحائل ويمنعوا من أن يحدثوا بناء بيعه لهم او كنيسه ... فمر عمالك أن يتخذوا اهل الذمه بهذا الزى هكذا كان عمر بن الخطاب .. أمر عماله ان يأخذوا أهـــل الذمه بهذا الزى وقال حتى يعرف زيهم من زى المسلمين .

وقال ابو يوسف ايضا " حدثنى عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان عن ابيـــه ان عمر بن عبد العزيز كتب الى عامل له : اما بعد فلا تدعن صليبا ظـــاهرا الا كسر وسحق ولا يركبن يهودى ولانصرانى على سرج وليركب على اكـــاف ولا يركبن امرأه من نسائهم على رحالة وليكن على اكاف وتقدم فى ذلك تقدما بليغا، وامنع من قبلك فلا يلبس نصرانى قباء ولاثوب خز ولاعصب وقد ذكر لـــى ان كثيرا ممن قبلك من النصارى قد راجعوا لبس العمائم وتركوا المنـــاطق علـــى اوساطهم واتخذوا الحمام والومز وترلكوا التقصيص ، ولعمرى لئن كان يضـــع ذلك فيما قبلك ان ذلك بك لضعف وعجز ومصانعه وانهم حين يراجعـــون ذلـــك ليعلموا ماأنت فانظر كل شئ نهيت عنه فاحسم عنه من فعله والسلام"
وان هذه الفقره لتدل بوضوح على ان هذه القيود قد حزفت احيانا بعد ظـــهورها وترجع اسباب هذه المخالفات اكثر ماترجع الى اعتبارات ماليه وسياسيه وسنتحقق من ذلك بوضوح عندما نتكلم عن عهد الولاه (٣)

---

(١) طبع ببولاق سنه ١٣٠٢ ص ٧٢و ٧٣

(٢) يبدو ان مسأله الملابس هذه قد أخذت دورا هاما عند العرب ويقص علينا الكندى قصـــه قلنسوتهم كادت تنتهى بمأساه فقد لاحظ القاضى ابن ابى الليث ان القضاه التابعين لـــه كـــانوا يبالغون فى تطويل قلنسوتهم فأمرهم بتقصيرها واقسم أن تقطع رأس كل من يخالف هذا الامر (كتاب الولاه والقضاه ص ٤٦٠ للكندى)

(٣) اقباط ومسلمون (د٠ جاك تاجر ص ٥٨)

أهل الذمة ودية من يقتل منهم :

هناك تضارب كبير بين الفقهاء فى هذا الامر .. يقال ان كلا من محمد نبى المسلمين وعمر بن الخطاب اباح دم المسلمين الذين يقتلون النصارى اغتيالا والمأثور عن النبى محمد انه اشار الى ان من قتل ذميا فلن يشم رائحه الجنه .. ولكن على بن ابى طالب قال " لايقتل مؤمن بكافر " وقد دعاه الى هذا القول وجود فكره ضد قتل المسلم لقتله ذميا.

ويقال ان كلا من ابى بكر وعمر وعثمان طالب فديه كامله غير منقوصه كما فى حالة المسلم تماما . ولكن مالك بن انس يقول بأن ديه الذمى نصف ديه المسلم سواء كان القتل عمدا او خطأ .. ويرى الأمام الشافعى ان ديه الذمى ثلث ديه المسلم فى العمد والخطأ .. وقيل ان ديه الذمى المقتول زمن محمد نبى المسلمين كانت نصف ديه المسلم .

واذا قتل رجل من المسلمين فى ارض اهل الذمه التزم اهلها الذميون بديته اذا لم يعرف قاتلوه او لم يستطع القبض عليهم (اهل الذمه فى الاسلام صفحه ٢٠٧ – ٢١٠) (١)

الاسلام والمرتد

الفقهاء المسلمون متفقون على ان الموت جزاء الردة عن الاسلام . وهم فى ذلك متمسكون بالحديث القائل يقتل من بدل دينه .. ويصر البعض على قتل المرتد مهما كانت الظروف التى دعت الى ردته , على حين يرى البعض الاخر ان يستتاب . فأن استتاب ولم يصر على ردته فلا يجوز قتله .. وطبعا هذا الكلام ينطبق على الذمى الذى يعتنق الاسلام تحت اى ظروف وبعدها أحس بخطئه وأراد العوده الى دينه .. وان كان الفقهاء متفقون على قتل المرتد , لكنهم يختلفون فى المده التى ينفذ بعدها الحد .. فمنهم من يقول يجب قتل المرتد فى الحال , والبعض يرون أن يمهل ثلاثه ايام للاستتابة , فان تاب قبلت توبته

سئل عمر بن الخطاب رأيه فى رجل اسلم ثم ارتد ثم اراد العوده هل يقبل اسلامه , قال " اقبلوه منه ,وقدموا له الاسلام فان قبله اتركوه وان لم يقبله فأقطعوا رقبته"

---

(١) كتاب أهل الذمة فى الإسلام (د . ترتون)

و أخذ رأى عمر بن عبد العزيز الخليفه الأموى فى امر يهودى أسلم ثـم ارتـد فقال " ادعه الى الاسلام فان اسلم اخلوا سبيله و ان أبى اقتلوه (اهل اللذمه فـى الاسلام صفحه ٢١١ - ٢١٦) (١)

الاسلام وشهاده الذمـــى

يكاد يكون هناك اجماع بين فقهاء المسلمين بعدم جواز شهاده ذمى لمسلم لا فى سفر ولا فى حضر ويقال ان عمر بن عبد العزيز كان اول من اخذ بـهذا الرأى . وبعض المصادر تظهر مدى التزمت فى هذه الحاله فيرفض ابو حنيفـه ومالك والشافعى شهاده الذمى فى حالة مسلم مرض مرض الموت وهو فى سفره وأراد ان يوصى فلم يجد أحدا من المسلمين يتخذه شاهدا فأوصى وصيته لذمـى ومع ذلك يرفض هؤلاء الفقهاء شهاده الذمى حتى فى هذه الحاله (أهل الذمه فى الاسلام صفحه ٢١٧)

آراء اسلامية معتدلة بخصوص اهل الذمة فى الاسلام

على انه من المفيد ان نشير هنا ــ بعد ان عرضنا لموضوع أهل الذمـه فى الشريعه الاسلاميه الى ما كتبه مؤخرا الدكتور محمد عماره فى كتاب الهلال عدد فبراير ١٩٧٩ بعنوان " الاسلام والوحده الوطنيه "..والكاتب تخـرج فـى الازهر ودار العلوم وحصل على الماجستير والدكتوراه فى العلـوم الاسـلاميه يقول : (٢)

اولا : الجزيـــة

لقد القى فى فكر امه الاسلام وتراثها الفكرى والتاريخى بفعل الممارسات السياسية والاداريه التى لم تكن ابدا اسلاميه وبسبب منحها التبرير والمباركه من الفقهاء ورؤساء الدين القى فى فكر أمه الاسلام وعقلـها . ان اهـل الشـرائع الاخرى من اهل الذمه واصحاب الكتاب هم رعايا من الدرجه الثانيه وفى احسن الاحوال انهم ليسوا مع المسلمين على قدم المساواه فى الحقوق والواجبات وكـان وجوب
(الجزيه) عليهم واعطائهم لها وهم صاغرون اهم فارق شكلا وموضوعا يقيـم جدار التفرقه باسم الدين.

---

(١) كتاب الهلال عدد فبراير سنه ١٩٧٩ بعنوان " الاسلام والوحده الوطنيه" للدكتور محمـد عماره

(٢) كتاب اهل الذمه فى الاسلام (د.ترتون)

صحيح ان القرآن الكريم قد تحدث عن هذه الجزيه فى موطن واحد وايه واحده فقال " قاتلوا الذين لايؤمنون بالله ولا باليوم الاخر ولايحرمون ماحرم الله ورسوله ولايدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى تعطوا الجزيه عن وهم صاغرون " (سورة التوبه : ٢٩)

وصحيح كذلك ان حكاما مسلمين لا يرقى الشك الى التزامهم بتعاليم الاسلام – ومنهم عمر بن الخطاب – حصلوا الجزيه من أهل الكتاب .. بل لقد تحدثت مصادر التاريخ عن أن الرسول , قد عقد صلحا مع نصارى نجران , ومجوس البحرين وفيه نص على دفعهم الجزيه للدوله الاسلاميه .

ولكن هناك روايات ومأثورات كثيره فى موضوع الجزيه هذا تحتاج الى تمحيص ودراسة وتصحيح وعلى ضوء نتائج هذا التمحيص والتصحيح , سنجد أن اغلب التطبيقات فى تاريخنا لهذا الامر هى سياسة ومظالم لا علاقه لها بالاسلام.

فالشائع مثلا ان الجزيه هى ضريبه يدفعها اهل الذمه والكتاب , غير المسلمين , الذين يعيشون فى ديار الاسلام وأن سبب وجوبها عليهم هو عدم تدينهم بشريعه الاسلام , وهذا هو رأى علماء المذهب المالكى الذين قالوا ان الجزيه قد وجبت على اهل الكتاب " **بدل عن القتل بسبب الكفر** " فكأن اختلاف الشريعه هو سبب وجوبها , ومن ثم فهى دائمه الوجوب ومستحقه الدفع طالما بقى هذا الاختلاف.

لكن هذا الشائع ليس هو الصحيح .. اذ لو كان سبب الجزيه هو الاختلاف فى الدين لوجبت على كل المخالفين , بينما امرها ليس كذلك فهى لا تجب الا على القادرين على القتال من الرجال ولاتجب على الشيوخ ولا النساء ولا العجزه ولا المرضى من اهل الكتاب . وهؤلاء جميعا مخالفون للمسلمين فى الشريعه (الدين) ومع ذلك لاتجب عليهم الجزيه .. كما انها لاتجب على الرهبان إذن . فليس الخلاف فى الدين هو سبب وجوبها , وانما هى " ضريبه جنديه " أو بدل الخدمه العسكريه "بتعبيرنا الحديث " فرضتها الدوله الاسلاميه على القادرين على حمل السلاح والقتال . ممن هم فى سن الجنديه وطور القدره عليها . فى نظير اعفائهم من هذه الجزيه لاعتبارات " أمن " اقتضتها ظروف خاصه ببعض المجتمعات التى فتحتها جيوش المسلمين عندما اقتضت اعتبارات الامن هذه ان يكون الجيش جميعه فى تلك البلاد مؤلفا من العرب المسلمين
ويشهد لذلك ما قاله غير المالكه من الفقهاء , من انها وجبت " بدلا عن النصر والجهاد"

فلم تكن الجزيه اذا ضريبه دينيه , عله وجوبها هى المخالفه فى الدين بل كانت بدلا من الجنديه عندما اقتضت ضرورات الامن قصـــر الجنديـــه علـــى المسلمين . فلما زالت هذه الضروره وكلما تخلفت ســـقطت هـــذه الضريبـــه , وقامت المساواه الحقه والحقيقه بين المواطنين على اختلاف الشرائع والمذاهـــب والاديان .. واليوم وبعد التطور الذى بلغته الامه والذى ساوى بين ابنائها جميعـا فى شرف الجنديه وتأديه ضريبه الدم والذود عن الوطن . هل هناك مبرر لبقايـا فكر او حديث ــ مجرد فكر أو حديث ــ عن هذه الجزيه تظل معششه فى عقول متخلفه ظانة او زاعمة ان سقوط هذه الجزيه هو تعطيل لحكم من احكام الله!

ثانيا : الـــزى الخـــاص :

ولقد ترسبت فى قناعه العامه وقطاع من الخاصه ان الاسلام قد دعا الى تمييز اهل الكتاب عن المسلمين بزى خاص وعلى الرغم مـــن ان الاســـلام ــ وخاصه فى قرآنه الكريم ــ لم يعرض لقضيه الازيـــاء والاشـــكال لا بالنســـبه للمسلمين ولا بالنسبه لغيرهم لاهتمامه بالجوهر والمقاصد اكثر مـــن الظواهـــر والاشكال الا ان ما شهده تاريخنا وسجله حول زى اهل الكتاب واهل الذمه مـــن مراسيم قد صدرت تحدد لهم التزى بزى خاص ثم تعطل تنفيذه هذا بالرشـــوه او الجاه او مرور الزمن ثم العوده اليها ثانيا ... وهكذا ان ما شهده التاريخ فى هـذا المجال قد رسب فى القناعات والافكار ان هذا الامر هو دين , او علـــى الاقـل وثيق بالدين .. ولقد اسهم فى هذا الخلط , خلـــط السياســـة واوامرهـــا بـــالدين وشريعته.

ان ائمه وفقهاء أجلاء قد تحدثوا عن وجوب تمييز أهل الذمه بزى خاص ورووا ان فقهاء اجلاء قد التزموا ذلك فى مجتمعاتهم التى حكموهـــا .. وعلـــى ســـبيل المثال فها هو القاضى ابو يوســـف (١١٣ - ١٨٢ هـــ - ٧٣١ - ٩٨ م) يكتب فى كتاب الخراج طالبا من الخليفه هارون الرشيدى الالتزام بذلك مع اهـل الكتاب والذمه " فلا يترك احد منهم يتشبه بالمسلمين فى لباسه ولا مركبه ولا فى هيئته ...الخ"

وقد استند أبو يوسف فى تقرير ذلك الى ان عمر بن الخطاب قد امر بـــه وانه " امر عماله بأن يأخذوا أهل الذمه بهذا الزى وقال:حتى يفرق بين زى اهل الكتاب من زى المسلمين " .. ونحن لانجادل صدق رواية ابى يوسف ان عمـــر بن الخطاب . قد طلب ان يتميز زى اهل الكتاب عن زى المسلمين .

وان كانت لنا ملاحظات على القضيه برمتها نوجزها فى نقاط :
١- ان صنيع عمر بن الخطاب فى هذا المقام - كذلك غيره من الخلفاء - ليس دينا ولا شريعه فمثل هذه الامور ليست من الدين فى شئ .
٢ - ان خيال الحكام قد تلقف مبدأ التمييز فى الزى فأضاف فى تطبيقه التفاصيل , حتى ليخيل للمرء ان الذين شرعوا هذا الامر وطبقوه هم من مصممى الازياء .وذلك يجعل هذا الامر اذ حل فى عادات الحكام التى نسجتها ظروف عصورهم . و أبعد عن ان تكون ذات صله بالشريعه والدين .
٣ - وهو أهمها ـ ان الفقهاء الذين استمروا على مر القرون يعيدون هذه القضيه ويزيدون لم يقفوا وقفه المتأمل للحكمه التى من اجلها بدأ عمر بن الخطاب فوضع هذا القانون .. فوصفه لم يرو عن النبى ولا عن ابى بكر وإنما روى عن عمر أى إنه من محدثات عهده لم يتأمل الفقهاء حكمة هذا القانون ولو تأملوها لقالوا بالغائه لانه قد اصبح غير ذى موضوع .

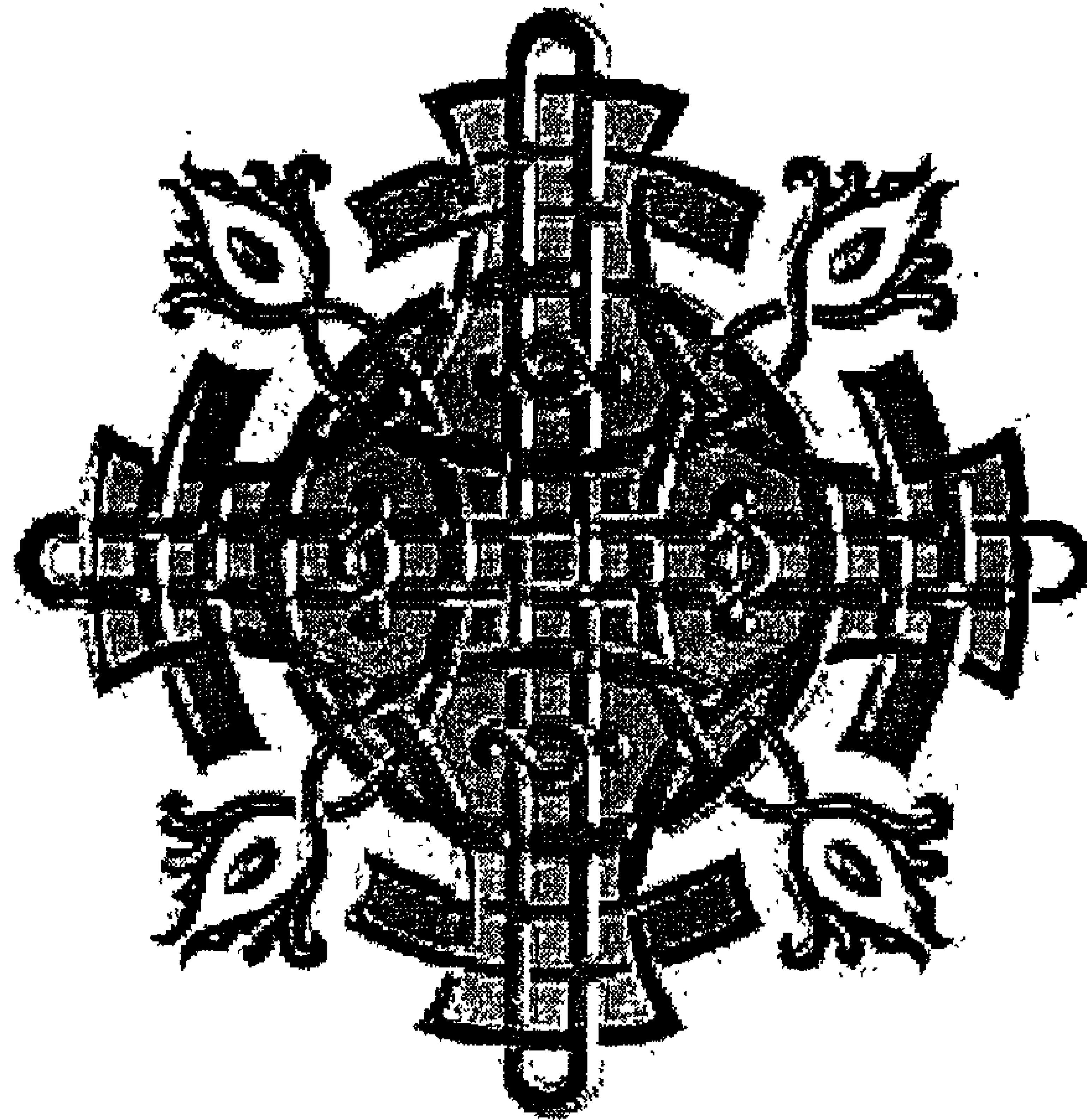
ثالثا : وقف بناء الكنائس والبيع الجديدة :

وقضيه ثالثه جرى عليها العمل وطبقتها السلطه السياسيه فى تاريخنا او فى بعض فتراته وهى حظر بناء دور العباده الجديده لغير المسلمين من اهل الكتاب غير تلك التى كانت قائمه عند فتح البلاد من قبل العرب المسلمين وعقد الصلح بينهم وبين اهل تلك البلاد فى ذلك التاريخ .. بل اننا نجد كتب الفقه الاسلامى تكاد تجمع على منع قيام هذه المعابد الجديده وتطلب الاقتصار على ماكان قائما منها عند الفتح كنائس كانت للنصارى او بيعا لليهود او بيوت نار للمجوس وأقصى ماتبيحه هذه الكتب هو ترميم بيوت العبادة هذه دون زيادة أو توسيع .

والامر الذى لاشك فيه هو ان مثل هذا الحكم وتطبيقه انما يمثل مظهرا للتفرقه الدينيه وللطائفيه ويؤكد غياب الوحده الوطنيه والقوميه اذ ما الذى تعنيه اباحه اقامه المساجد الجديده دون حظر او تحديد مع منع غير المسلمين من ممارسه هذا الحق الذى يمارسه المسلمون...هىاذن تفرقه لا سبب لها الا اختلاف الشرائع الدينيه .. ولايحق لباحث مخلص عن الحقيقه .. ان يتجاهل ان نصوص الفقهاء هذه والادله التى استندت اليها من المعاهدات والمصالحات وكذلك تطبيقاتها التى نهض بها ساسة العصور الوسطى وحكامها وعوامها . ان هذه الاشياء قد غدت لدى الكثرين من المسلمين " مسلمات دينيه وشرعيه " , تسلب الشريعه عن اغلب دور العباده غير الاسلاميه , وتجرد القرارات الحديثة باقامه المعابد الجديده لاهل الكتاب من الحجيه الشرعيه . ومن ثم فلا بد من فتح باب النظر من جديد فى هذا الحكم الذى اجمع اغلب الفقهاء والبحث عن علاقته

بالاسلام كدين , وبالشريعه الاسلاميه , كنهج الهى يجب ان يلتزمـــه المســلمون ومنذ البدايه فنحن نرى ان هذا الحكم رغم وروده فى كتب الفقه فهو ليس دينـــا , ولا هو من الشريعه الدينيه وانما هو من الترتيبات الاداريـــه والسياســيه التـــى مارستها السلطات السياسيه بعد عصر الفتوحات مدفوعه بقدر غير ضئيل مـــن التعصب وضيق الافق ثم جاء الفقهاء فقننوها وجعلوها فقـــها ، وذلـــك بعـــد أن إستولوا عليها بنصوص معاهدات وإتفاقات صلح عقدت فى صدر الاســـــلام

وان كانت هذه الاصوات المخلصه تدل علـــى ان الحـــق لـــه انصـــاره ومريدوه فى كل مكان وزمان لكنه يؤسفنا الى جانب الكلام السابق ان يقع فـــى ايدينا كتاب اقامه الحجه الباهره على هدم كنائس مصر والقاهره " لشيخ الاســلام احمد الدمنهورى فى القرن الثامن عشر " وعنى بنشره موسى برلمان وطبعتـــه جامعه كاليفورنيا سنه ١٩٧٥ الذى يورد آراء فقهاء المذاهب الاربعه بوجـــوب هدم الكنائس ليس المستحدث منها بل حتى ماكان قائما بها من بيوت العباده لغير المسلمين.



الباب الخامس

الكنيسه القبطيه فى عصر الخلفاء الراشدين
والدولة الاموية
ابتداء من سنه (٦٤٢ م - ٧٥١ م)

" الفصل الأول " (ملامح هذا العصر)

كانت الخلافة فى زمن الخلفاء الراشدين تبعث بالولاة من مقرهـا فـى المدينة المنورة ومن الكوفة زمن على بن ابى طالب , ومن دمشق زمن معاويـة بن ابى سفيان وهكذا كانت مصر ولاية تابعه للخلافة , ولذلك سمى هذا العصـر بعصر الولاة .

وقد تولى حكم مصر وادارتها فى هذه الفترة عدد كبير من الولاة ويمكن ترتيبهم كالاتى :-

اولا : فى عصر الخلفاء الراشدين من سنه (٦٤٠ م - ٦٦١ م)

١ - عمرو بن العاص فى الفترة (من سنه ٦٤٠م - ٦٤٤م) وكان ذلـك فـى خلافه عمر بن الخطاب الذى قتل بواسطة عبد فارس يدعى فيروز ويلقب بـأبى لؤلؤه حيث هجم عليه وهو يصلى وضربه بخنجر فى خاصرته فقتله .

٢ - عبدالله بن سعد بن ابى سرح (من سـنه ٦٤٤م - ٦٥٧م) فـى خلافـه عثمان بن عفان الذى قتل بيد محمد بن ابى بكر . وقد طعنه برمح وقتله والقرآن فى يده

٣ - محمد بن ابى بكر الصديق (من سنه ٦٥٣م - ٦٥٨ م) فى خلافه الامـام على بن ابى طالب الذى قتل بتحريض من أئمة الاسلام فى مكـة فخـلا الجـو لمعاوية بن ابى سفيان وبايعه الجميع خليفة له وهو اول خلفاء الدولة الأموية (١)

ثانيا فى عصر الخلفاء الامويين .(٢)

١ - عمرو بن العاص , فى خلافه معاوية بن ابى سفيان وتنيح عمرو سـنه ٤٣ هـ (٦٦٤م) وذلك بعد ان قبض على محمد بن ابى بكر وسلمه الى معاوية بـن حديج الذى قطع رأسه وارسلها الى معاوية بن ابى سفيان (٣)

أ - ومما يذكر عن معاويه بن ابى سيفيان انه اختـار كاتبـا مسـيحيا اسـمه سرجون كما استعان بالاقباط فى بناء وتشغيل الاسطول البحرى

---

(١) الخريدة النفيسة فى تاريخ الكنيسة ج٢ص١١٠ و ص ١١١

(٢) " " " " " " " "

(٣) ينتمى الأمويين الى عبد مناف الجد الأكبر لنبى الإسلام - فكان حقهم فى الخلافة قائما على هذا النسب وآخر خلفاء الدولة الأموية هو مروان الثانى الذى لاقى حتفه فى المعركة التى نشبت بينه وبين العباسين .

ب - كما اختار رجلا مسيحيا لتأديب ابنه زياد وزياد اختار رجلا كاهنا مسيحيا لتأديب ابنه خالد

٢ - عقبه بن ابى سفيان اخو معاوية من ابيه الذى استمر سنه واحده ومات فى خلافه معاوية

٣ - عقبه بن العامر الجهى فى خلافه معاوية بن ابى سفيان

٤ - مسلمة بن مخلد الانصارى الذى استمر واليا خمس عشر سنه وكان فى خلافه معاوية بن ابى سفيان وابنه يزيد بن معاوية .

وكان مسلمة رجلاً عادلا نزيها يعامل جميع المصريين معامله واحده فلا يفرق بين مسلم ومسيحى الى حد انه سمح للقبط بأن يبنوا كنيسة خلف الكوبرى عند الفسطاط رغم معارضه رجال ولايته (١)

ومما يذكر عنه ايضا انه كان يتعامل مع اساقفة الاقباط كمساعدين له فى علاج الامور ومن اشهر الحوادث المعبرة على ذلك انه قد بلغ مسامعه ان بعضا من اهالى سخا قد اشعلوا النيران فى عدد من رجال الديوان هناك فانتدب سبعه من اساقفة الكرازة المرقسية ورجا منهم ان يذهبوا ليعالجوا الامور فى تلك المدينة بحكمتهم . فذهبوا لفورهم ونجحوا فى اقرار الامن وقد منحتهم النعمة الالهية القدرة على شفاء من كانوا قد اصيبوا فى الاعتداء كما منحتهم الحكمة فى توقيع العقاب المناسب على المعتدين .

(٥) سعيد بن يزيد الازدى فى خلافه يزيد بن معاوية
وقد اضطهد الاقباط اضطهادا شديدا .

(٦) مسلمة بن عقبه المرسى فى خلافه يزيد بن معاوية .

(٧) عبدالرحمن بن حجدم فى خلافه عبدالله بن الزبير .

(٨) الوالى عبد العزيز فى خلافه مروان بن عبدالحكم الذى تولى الخلافة بعد معاوية الثانى وعبدالعزيز هذا هو ابن الخليفة مروان .

وفى ايام الوالى عبد العزيز فرض ضرائب على الاكليروس والبطريرك بعد ان كانوا معافين من الجزية .

ومما يذكر عن الخليفة مروان بن عبد الحكم انه صك المسكوكات وكتب عليها اسم الله تعالى . وسببه أنه وجد دراهم ودنانير تاريخها قبل الاسلام بأربعمائة سنه مكتوب عليها " باسم الأب والابن والروح القدس " (٢)

---

(١) تاريخ مصر فى العصور الوسطى (بالانجليزية) لستانلى لابن بول (الطبعة الخامسة)ص ٢٦ قصة الكنيسة القبطية الجزء الثانى ص ٢٨٢ (د.ايزيس حبيب المصرى)

(٢) الخريدة النفيسة فى تاريخ الكنيسة ص ١١٠ ج٢

(٩)عصبه بن عبدالعزيز(او الاصمغ)الذى كان فى ايام الخليفة عبد الملك بن مروان
(١٠) خلافه الوليد بن عبد الملك وولاية عبدالله ابن اخيه (سـنه ٧٠٥م) وقـد ذكر انه فى زمن الوليد بن عبدالملك ارسل لشمعه شيخ تغلب وعـرض عليـه الاسلام فرفض قائلا " لا والله لا اسلم كارها ولا اسلم الا طائعا ان شئت فغضب الوليد واقسم على اكل لحمه وامر فقطعت قطعه من فخذه وشويت بالنار واطعمه اياها ومع ذلك ظل حيا وظلت اثار الجروح ظاهرة فى جسمه
(١١) ولاية قرة بن شريك (سنة ٧٠٩م)
(١٢) خلافه سليمان بن عبد الملك وولاية اسما بن يزيد (سنه ٧١٤م)

وقد ذكر ان الخليفة سليمان بن عبد الملك استخدم البطريرك ابن النقاش المسيحى كاتبا وناظرا على مبانيه فى الرماه ومراقبا للقنوات والابار والمسجد القائم بها .
(١٣) خلافه عمر بن عبدالعزيز (سنه ٧١٧م)
(١٤) خلافه يزيد بن عبدالملك (سنه ٧٢٠ م)
(١٥) خلافه هشام بن عبدالملك (سنه ٧٢٤م)

يذكر الكتاب ان الخليفة هشام بن عبدالملك فى العصـر الامـوى كـان يحـب المسيحيين جدا وفى عهد البابا ميخائيل الاسكندرى كان يدخل الاسـكندريه فـى احتفال رافع الانجيل والصلبان والشموع وأمر هشام ببناء دار بجواره قصره فى دمشق يقيم فيها البطريرك ليسمع الصلاة والعظة وقال (اذا بدأت الصلاة بـالليل تنالني راحة عظيمة ويزول عني هموم أمور المملكة ثم يأتينى النوم براحة) .
(١٦) ولاية حنظله بن صفوان (سنه ٧٣٦م)
(١٧) خلافة الوليد بن يزيد (سنه ٧٤٣ م)
(١٨) ولاية عبدالملك بن مروان (سنه ٧٥٠م)

أ - يذكر عن الخليفة عبدالملك بن مروان انه طلب من اخيه عبدالعزيز والـى مصر ارسال ١٠٠٠ قبطى واسرهم الى تونس لبناء اسطول بحرى

ب - يذكر عن الخليفة عبدالملك بن مروان انه امر بهدم كنيسـة سـمع دقـات جرسها (مروج الذهب - المسعودى ج ٥ ص ٣٨١)

ج - فى زمن عبدالملك بن مروان بعث محمد حاكم الجزيرة فى طلب معاذ كبير بنى تغلب وطلب منه الاسلام فابى فالقاه فى الوحل ثم اخرجه وجلده ولما اصـر على الرفض قتله

حقيقة ينبغى ان تقال :

على رغم من المظالم التى حاقت بالاقباط والكنيسة فى ايام الخليفة عبدالملك بـن مروان الا اننا نجده اتخذ مسيحيا مستشارا له هو يوحنا الدمشقى (من قديسى

الكنيسة الخلقيدونيه) كما اتخذ اثناسيوس الرهادى المسيحى مؤدبا لاخيه عبدالعزيز – الذى لما تولى مصر – اخذه مستشارا له حيث جمع ثروة كبيرة وملك ٤٠٠٠ من العبيد وكثيرا من دور البساتين وكان ذهبه وفضته كأنها الحصى عنده وقام ببناء العديد من الكنائس والاديره منها كنيستان بالفسطاط وطنية بالرها من ايجار ٤٠٠ حانوت يملكها

عبدالملك بن مروان والمسجد الاقصى وقبه الصخر

وفى زمن عبدالملك بن مروان بنى المسجدان الصخرة والاقصى

(ملحق رقم ١) فى آخر الكتاب (كتاب القدس للاستا عارف باشا العارف)

احوال الكنيسة القبطية وشعبها من خلال استعراض النقاط التالية التى تظهر لنا ملامح هذا العصر :-

اولا : كثره عدد الولاة المسلمين :-

اولا ما يلاحظ على تلك الفترة كثره عدد من تولوا حكم مصر. فالاحصاءات تدل على ان الخلفاء الراشدين والامويين والعباسين منذ ولاية عمرو بن العاص الى ولاية احمد بن طولون ٠ نصبوا مائه واحدى عشر (١١١) واليا مده ٢٢٥ سنه .. وطبيعى ان المدة القصيرة التى كان يقضيها كل والى فى حكم مصر لم تتح له الفرصة اتباع سياسة إنشائية ووضع خطه معينه لخير البلاد وشعبها .

ويقدم لنا الاستاذ جاستون فييت فى بحث له عن مساجد القاهرة احصاء عن ذلك

يقول " حكم مصر اثناء خلافه الامويين واحد وعشرين واليا . اثنان منهم وليا الحكم مرتين . وواحد منهم ثلاثة مرات .. كان خمسه من هؤلاء من اسرة الخلفاء وقد توفى ستة منهم وهم ولاه . وقتل الخليفة او اقال احد عشر منهم ٠ واستقال احدهم وطرد الجند آخر لانه خفض رواتبهم .. مكث احدهم على كرسى الولاية ستة عشر يوما .

ان عدم الاستقرار الذى لازم الولاة لم يكن فى صالح البلاد على الاطلاق اذ كيف تطلب من موظف جاء من الخارج ويثق من عدم بقائه فى الولاية ان يعير البلاد اهتمامه او ان ينظم مواردها او ان يسهر على دولاب ادارتها بالإضافة الى ما تقدم .كان كل هم من يتولى حكم مصر هو الاثراء بأيه صوره من الصور فى اقصر وقت ممكن وبطبيعة الحال فان هذا لا يأتى الا بكثرة المظالم على الشعب المسكين .

ومن يا ترى هو ضحية هذه المظالم سوى الاقباط الذين رفضوا اعتناق الاسلام وثبتوا على ايمانهم المسيحى .

ثانيا :- سياسة الخلفاء والولاة تجــاه مصر اساسها المنفعة المادية

كان من الطبيعى ان يعمل رجل البادية الذى خرج منتصرا بعد حــــرب شنها على امبراطوريتين (الفارسية والبيزنطية) على الاستفادة من انتصاراتـــه وهذا الامر واضح من الحاح الجيوش المنتصرة لتوزيع اراضى البلاد المفتوحـة فى العراق وسوريا ومصر (١)

ومما يكشف النظرة المادية البحتة التى كان عليها الخلفاء والولاة نحـــو مصر . تلك الكلمات المنسوبة الى عمر بن الخطاب الذى يوصف بأنه كان اكثر الخلفاء عدلا .. اذ لما حاقت المجاعة بالمدينة المنورة . طلب عمر ان يســتعجل ارسال القمح اللازم من مصر وقال " أخرب الله مصر عمران المدينة وصلاحها "(الطبرى فى تاريخ البلاذرى " فتوح البلدان " - اقباط ومسلمون الصفحـــه ٧٩) وعندما تكلم عمر عن الشعوب المغلوبة قـــال "يأكلهم المسلمون ماداموا احيـــاء فاذا هلكنا وهلكوا . اكل ابناؤنا ابناءهم ما بقوا (ابو يوسف " الخـــراج " اقبـــاط ومسلمون الصفحة ٧٩) (٢)

ومما يوضح تلك الروح المادية الجشعة للخلفاء مـــا جـــاء بالخطابـــان المتبادلان بين عمر بن الخطاب وعمرو بن العاص او ما دار بين عثمـــان بـــن عفان وعمرو بن العاص وقد ذكرها ابن عبد الحكم فى كتـــاب فتـــوح مصـــر وذكرها د.جاك تاجر فى كتاب أقباط ومسلمين ص ٧٦،٧٥ .فاذا كان هذا هـــو حال الخلفاء . فكم يكون حال الولاة (٣)

وقد ذكر عمرو بن العاص انه قال لاحد الاقباط " انتم كنز لنا ان كثر علينا كـــثر عليكم وان خف علينا خففنا عنكم " الخطط للمقريزى ج ١ ص ٧٧ ، ١٦٨

والحق ان المسائل المالية كانت شغل الخلفاء الشاغل .. كانت الضرائـــب فى تناقص مستمر .. وبينما كان الدخل ينقص اخذت المصروفات تزداد .. امـــا السبب فى ذلك فكان الرغبة فى القيام بفتوحات جديدة . وضرورة تأمين ســـلامه الإمبراطورية . الامر الذى اقتضى الاحتفاظ بجيوش كبيره العدد والعدة .. كمـــا اقتضت الضرورة انشاء قوه لحفظ الامن الداخلى .

كان الجيش يستنفذ الجزء الاكبر من الدخل .. حاول الخلفاء ضغـــط الميزانيـــة بخفض مرتبات الجند . لكنهم فشلوا فى ذلك عده مرات .. لم يكن امامهم اذن

---

(١) كتاب فتوح مصر لأبن عبد الحكم

(٢) كتاب فتوح البلدان (للطبرى فى تاريخ البلاذرى) وكتاب" الخراج" لأبو يوسف

(٣) كتاب أقباط ومسلمون (د.جاك تاجر)ص ٧٦،٧٥

سوى البحث عن حلول اخرى لا تعرضهم للخطر فلجأوا الى زيادة الضرائب على شعوب البلاد المفتوحة (١)

من اشهر الحوادث التى توضح ذلك

(١) حادثه قتل بطرس والاستيلاء على الكنوز فى عهد عمرو بن العاص :-

يذكر بن الحكم واقعة حدثت مع احد اقباط الصعيد ويدعى بطرس يقول " ان عمرو بن العاص لما فتح مصر قال لقبط مصر أن من كتمنى كنزا عنده فقدرت عليه فقتلته " . ونما لعلم عمرو بن العاص ان بطرس هذا عنده كنز ، فأرسل اليه ، ولما سأله أنكر فحبسه فى السجن ، وكان عمرو يسأل من حوله فى السجن ، هل تسمعونه يسأل عن احد " فقالوا " انما سمعناه يسأل عن راهب فى الطور " فأرسل عمرو الى بطرس . ونزع خاتمه من يده . وكتب الى ذلك الراهب . ليبعث اليه بما عنده وختمه بخاتمه (وكأن الخطاب صادر من بطرس) فعاد رسول عمرو بقله شامية مختومة بالرصاص ولما فتحها عمرو وجد فيها صحيفة مكتوب فيها " مالكم تحت الفسقيه الكبيرة " فأرسل عمرو الى الفسقيه . فحبس عنها الماء ثم قلع البلاط الذى تحتها . فوجد فيها اثنين وخمسين اردب ذهب مضروبة . فضرب عمرو رأسه (بطرس) عند باب المسجد . فذكر ابن رقيبة ان القبط اخرجوا كنوزهم خوفا ان يقبض على احد منهم فيقتل كما قتل بطرس " (ابن الحكم : فتوح مصر) (٢)

(٢) حادثه حبس البابا الكسندروس الثانى :-

وعلى الرغم مما يوصف به عبد العزيز بن مروان سنه (٦٨٥م - ٧٠٥م) من عدل فى مده ولايته على مصر التى امتدت الى واحد وعشرين عاما متتالية لكنه استحدث فرض ضريبة على الرهبان ظلت سارية بعده . جاء بعد عبد العزيز بن مروان اخوه عبدالله . ولم يكتف بتثبيت ضريبة الدينار على رجال الدين المسيحى . بل سجن البابا الكسندروس الثانى البطريرك الـ٤٣ (٧٠٠ م - ٧٢٤ م) حتى يدفع له ثلاثة آلاف دينار . يقول ساويرس بن المقفع " فى تلك الايام خرج الطوباوى الكسندروس وسار الى مصر ليسلم عليه (الوالى) كالعادة بين البطاركة والولاة . فلما نظر اليه قال ايش هو هذا. قالوا . له هذا أب وبطرك جميع النصارى . فأخذه وسلمه لواحد من حجابه وقال له أفعل به ماتريد من الهوان الى ان يقوم بدفع ثلاثة آلاف دينار . فأخذه وأقام عنده ثلاثة ايام فلما نظر ذلك جرجه الشماس انه مايفرج عن البطرك الا بعد ان يأخذ.المال تقدم اليه

---

(١) ، (٢) كتاب أقباط ومسلمون (د.جاك تاجر)ص ٧٥،٧٦

وقال له (الوالى) ياسيدنا تطلب نفس البطرك او مالا . فقال له أريد المال فقال له الشماس جرجه ضمنى اياه مده شهرين انحدر به الى بحرى أطلب له من الاراخنه والنصارى وأقدم لك عنه ثلاثة آلاف دينار . فسلمه اليه فطاف به المدن والقرى على المؤمنين بالمسيح حتى حصل على المال وحمله ويصف ساويرس بن المقفع هذا الوالى بأنه " كان محبا للمال جدا " حتى انه حصل من أهل الذمة ثلثى دينار زيادة عما كانوا يدفعونه .. ويؤيد رواية ساويرس الكندى ويتهمه بأنه شجع الرشوة وملأ جيوبه بمال الجزية (١)

وخلف عبدالله فى ولايته اخر اسمه قرة بن شريك . وكان هو الاخر جشعا ظالما حتى ان البطريرك الكسندروس لما ذهب اليه ليهنئه بالولاية قبض عليه وقال له " الذى قبضه منك عبد الله بن عبد الملك تحتاج ان تقوم لى بمثله " يقصد ان يدفع ثلاثة آلاف دينار . وعبثا حاول البطريرك ان يفهم الوالى ضيق ذات يده وأنه لا يملك شيئا ، بل أنه مازال مديونا بخمسمائة دينار فكان رد الوالى عليه "هذا الكلام ما ينفع " ولو انت تبيع لحمك لابد من ثلاثة آلاف دينار والا فما تخلص من يدى ، وكانت النتيجة ان خرج البطريرك فى هذه المرة الى بلاد الصعيد ليتصدق من اولاده المسيحيين ليوفى هذا المبلغ .

(٣) حادثه جلد وقتل عدد كبير من الرهبان بسبب الضرائب :-

ومما يذكر فى هذا الصدد ما ارتكبه اسامه بن زيد والى مصر من قبل الخليفة الاموى سليمان بن عبد الملك .. كان اسامه هذا اكثر جشعا ممن سبقوه من الولاة ويذكر المؤرخون المسلمون والمسيحيون انه صادر الأملاك بغير حق كما اسرف فى القتل بصوره وحشيه . جمع الرهبان واخبرهم بابقاء الضريبة عليهم واجبرهم على ان يطلبوا من رجال الضرائب خاتما من جديد تنقش عليه اسماؤهم وموعد دفع الضرائب ، ويضعونه فى احدى اصابعهم واذا قبض على راهب ولم يكن يضع الخاتم فى يده ، كانت تقطع يده فى الحال ونفذ هذا الامر . اما الرهبان الذين لجأوا الى الاديرة ليختبئوا فيها . فقد قام رجال الشرطة بالبحث عنهم حتى قبضوا عليهم . وحكم عليهم بقطع رؤوسهم او جلدهم بوحشيه (٢)

---

(١) كتاب الولاة والقضاة – عن أقباط ومسلمون ص ٩٣ (د.جاك تاجر)

(٢) كتاب تاريخ البطاركة ص ٣٢٤،٣٢٥(ساويرس بن المقفع)

(٤) ظلم اسامه بن يزيد متولى الخراج

كان ذلك فى ايام الخليفة مروان الثانى . حيث كانت السنه الاولى لبابوية الانبا ميخائيل الاول مليئة بالعسف والضيق . ذلك ان اسامه بن يزيد متولى الخراج فرض ضرائب باهظة على المصريين وضاعفها على القبط . ومن بين الأمثلة على مغالاته فى ابتزاز الشعب المسكين انه فرض ضريبة مقدارها عشر دنانير على كل من يتنقل من بلد الى آخر عن طريق النيل وكان عاتيا فى الاستيلاء على الضرائب الى حد ان ارمله كانت مسافرة فى مركب ذات يوم ومعها ابنها . وحدث ان اراد ابنها هذا ان يستقى ماء من النيل . فخطفه تمساح على مشهد من جميع الركاب دون ان يستطع احد انقاذه . وكانت التذكره التى تثبت انها دفعت الضريبة فى جيب ابنها ساعة ان خطفه التمساح . فلما وصلت الى البلد التى تقصد اليه طالبها اعوان اسامه بن يزيد بالضريبة . وعبثا حاولت ان تقنعهم بأنها دفعتها الا انهم قد اصروا على أخذ المبلغ منها . غير مبالين بحزنها على فقد ولدها وبفقرها الذى اضطرت معه الى بيع شئ مما عندها لتدفع الضريبة المفروضة مره ثانيه .

وكان هذا التعسف فى الاستيلاء على المال بدعوى انه ضريبة واجبه الاداء سببا فى ان ينس بعض القبط ولاءهم لمسيحيتهم . فأنكروها ليفوزوا بالاعفاء من دفع المال الذى حتمه عليهم اسامه بن يزيد (١)

ثالثا :- العرب لم يكن لهم سياسة ثابتة فى حكم البلاد :-

بالإضافة الى النقطة السابقه التى عالجنا فيها سياسة الخلفاء والولاة المادية تجاه مصر . نقول ان هناك طابعا اخر لازم الحكم العربى اثناء الفتوحات فى مصر وفى جميع البلدان التى احتلها العرب . الا وهو افتقار الحكم الى خطه مرسومة يسير عليها . فالقرارات السياسية والاقتصادية والاجتماعية كانت تصدر حسب الظروف ولمقتضيات الحال . يقول بعض المؤرخين ان السبب فى ذلك يرجع الى انه لم يكن فى نية العرب الاقامة فى تلك البلاد وادارتها . بل كانوا يهدفون الى غرض واحد هو المحافظة على سلامه مؤخره جيوشهم حتى يقوموا بفتوحات جديده . وهذا بالتالى دفعهم الى الرغبة فى الحصول على المال الكافى لمتابعة اعمالهم العسكرية الجديدة .

كانت الخطة المرسومة الا يختلط الجنود العرب بالشعوب المغلوبة .

---

(١) تاريخ الأمة القبطية (ليعقوب نخلة روفيلة)ص ٧٠ ، ٧١

وكان رؤساءهم يمنعوهم من ذلك . ويذكر لنا ابن عبد الحكم ما قاله الخليفة عمر بن الخطاب عن جيش الاحتلال العربى لمصر " انى لا احب ان ينزل المسلمون منزلا يحول الماء بينى وبينهم فى شتاء و لا صيف " هذا ونحن لانجد بين الوثائق التاريخية ما يدل على اى اجراء او تدبير قام به الحكام العرب من اجل زيادة ثروة البلاد الاقتصادية او اصلاح احوالها ورفع المعاناة عن الشعب وان كان ثمة شئ قد تم ، فقد كان الغرض منه خدمه مصالح المستعمر .

ومن امثله ذلك :-

بينما كان بناء الكنائس محظورا فى المدن التى انشأها العرب . سمح عبد العزيز بن مروان ببناء كنيسة فى حلوان لوجود بعض المسيحيين الملكانيين فى خدمه الوالى .. ونفس السياسة اتبعها الخليفة العباسى المأمون حال اقامته فى مصر . واستخدم بعض النصارى الذين التمسوا منه تشييد كنيسة بالقرب من قبة الهواء فأذن لهم (١)

(١) ابن بطريق ص ٤١ – أقباط ومسلمين ص ٦٤ (د.جاك تاجر)

" الفصل الثانى "

أمثله من المتاعب التى حاقت بالكنيسة فى هذه الفترة :

ليس من المبالغة ان قلنا ان المصادر القديمة التى سجلت لنا تاريخ تلك الفترة . ترسم لنا صوره قاتمة محزنة أليمة عن المآسى التى عانت منها كنيسة المسيح فى مصر والاقباط .

وقبل ان نتكلم بشىء من التفصيل عن تلك المآسى نسجل شهادة الدكتورة سيده اسماعيل كاشف استاذه التاريخ الاسلامى فى كتابها مصر فى عصر الولاة .. تقول :-

على ان سياسة العرب نحو الاقباط بدأت تتغير عما كانت عليه فى السنين الاولى التى تلت الفتح ووجد قسم كبير من الاقباط ان من مصلحتهم الدخول فى الدين الاسلامى والتعرب هربا من المضايقات الاجتماعية والأدبية او فرارا من الضرائب المتزايدة عليهم او رغبه فى الابقاء على مناصبهم والمعروف ان العرب بعد فتوحاتهم العظيمة . وتفوقهم على شعوب لها حضارات عريقة . وبعد استقرار اقدامهم فى البلاد المفتوحة بدأوا يشعرون بتفوق شعبهم على سائر الشعوب . وبتفوق لغتهم ودينهم على سائر اللغات والاديان . ولم تكن هذه النزعة قويه فى السنوات الاولى للفتوحات العربية حينما كانت تغلب عليهم روح البساطة والتواضع ولكنها سرعان ما ازدادت وضوحا وليس أدل على هذه الروح الجديدة مما ذكره المقريزى عن .معاوية بن ابى سفيان فقد اثر عنه أنه قال : وجدت اهل مصر ثلاثة اصناف فثلث ناس . وثلث يشبه الناس . وثلث لا ناس . فأما الثلث الذين هم الناس العرب . والثلث الذى يشبهون الناس فالموالى ٠ والثلث الذين لاناس المسالمة يعنى القبط .

امثله لبعض انواع التحقير الادبى :-

(١) وقد وقع الاقباط تحت طائل المضايقات والشدة . ولكن هذه المضايقات لم تكن دائمة . وانما حدثت فى فترات متقطعة .. ومن المضايقات التى تعرض لها الاقباط فى مصر انه كان هناك امور يجب على اهل الذمة اتباعها من حيث بناء الكنائس . ومن حيث لباسهم وزيهم والدواب التى يركبونها . وغير ذلك مما يميز بينهم وبين المسلمين فى مظهرهم من الناحية الاجتماعية والأدبية . ويذكر المؤرخون ان الخليفة عمر بن الخطاب امر بألا يتشبه أهل الذمة من الدولة الإسلامية بالمسلمين فى مظهرهم وفى لباسهم . والا يبقى من الكنائس الا ما كان

قبل الاسلام . كما امر الخليفة بهدم كل كنيسة استجدت بعد الهجرة وكذلك منع الخليفة من تجديد أى كنيسة .

(٢) اسلام كثير من الاقباط للحفاظ على وظائفهم وللهروب من المضايقات :-

الواقع ان العصبية الدينية تغلبت على العرب بعد الفتح . وتغلب عليهم الشعور لعزتهم وتفوقهم على غيرهم من الشعوب . بعد ان انشأوا امبراطوريتهم الاسلامية بحد السيف . فرأوا ان يتميزوا عن غيرهم فى اللباس والزى والركوب وغير ذلك مما يشعر فى الوسط الاجتماعى بأنهم هم السادة وغيرهم دونهم ولذا نراهم يعاملون اهل الذمة معامله الطبقات الدنيا . مهما كانت ثرواتهم ومراكزهم فى الدولة . مما حمل الكثيرين على الدخول فى الدين الاسلامى رغبه فى التخلص من تلك المضايقات . كما ان العرب وقد أصبحت البلاد التى فتحوها ملكا للمسلمين رأوا ان ليس عليهم أن يبنوا كنائس فيها . ويكفيهم ان يبقوا على ما وجدوه منها وقد حاول الخليفة عمر بن عبد العزيز (٩٩ - ١٠١ هـ) احلال المسلمين محل المسيحيين حتى فى الوظائف الصغيرة .. وما لبث ان ارسل كتابا يأمر فيه الاقباط بالتخلى عن أعمالهم فى الدولة ماداموا على دينهم . اما من يريد منهم الاحتفاظ بعمله فليكن على دين محمد . كذلك استبعد عمر بن عبدالعزيز رؤساء الكور الاقباط واحل محلهم المسلمين . وربما أدى قرار عمر بن عبد العزيز الى اسلام كثيرين اذ ذاك كى لا يتركوا مناصبهم .

(٣) سلب ونهب الفسطاط وحرقها بالنار :-

بينما كان الخليفة مروان منشغلا بالعمل على قمع ثوره البشموريين الذين تمردوا بالإسكندرية ، بلغه ان ابا مسلم وجنده - من الخراسانيين - قد اجتازوا الحدود المصرية . وعندها بعث برسول عاجل الى حوثره اكثر قواده بطشا يستدعيه للعودة الى الفسطاط على الفور كما بعث برسول اخر الى جنوده الذين يقاتلون البشموريين يستدعيهم ايضا ولقد اوصى الجميع بأن ينهبوا ويسلبوا كل ما تصل اليه ايديهم وان يشعلوا النيران فى كل الاماكن التى يغادرونها . وكانت هذه الاوامر لما احس به مروان من خطر داهم - اذ بدأ العدو يزحف من الحدود المصرية الى داخل البلاد - كما أمر عازف البوق ان يعلن أهل الفسطاط بوجوب اخلاء المدينة لانه قرر اشعال النار فيها بعد ثلاثة ايام .

وان من لم يخرج من هذه المدينة بعد الايام الثلاثة المحددة سيأمره مروان بقتله قبل احراق العاصمة . وما ان اخذ عازف البوق يعلن اهالى الفسطاط بوجوب اخلاء المدينة حتى تملكهم الفزع فخرجت جموعهم على غير هدى متجه نحو الجيزة والجزيرة وكانوا يتزاحمون على المراكب الراسية على شاطئ النيل

ويتدافعون بغير وعى فغرق عدد كبير منهم - كذلك تناس الناس فى رعبهم المرضى والمقعدين والمكفوفين فتركوهم لمصيرهم - وحين تفقد مروان الفسطاط بعد الايام الثلاثة التى حددها لم يجد غير هؤلاء العاجزين فلم يشفق عليهم بل امر باشعال النار فى المدينة وهم فيها فراحوا جميعا ضحية اللهيب المتقدة (١) .

(٤) اضطهاد الصور والايقونات :

ومن المضايقات التى وقع الاقباط تحت طائلها ان الخليفة يزيد بن عبدالملك (١٠١ - ١٠٥ هـ) امر فى سنه ١٠٤هـ بكسر الصلبان فى كل مكان وبمحو الصور والتماثيل التى فى الكنائس . ولذا نرى ساويرس بن المقفع يصفه بأنه سلك طريق الشيطان وحاد عن طريق الله . وقد شمل هذا القرار الأيقونى او حركه كسر الصور - جميع بلاد الدولة الإسلامية . وكان من نتائج هذه الحركة فى مصر ان كسرت التماثيل والصلبان ومحيت الصور ولم تنج فى هذه الحركة بعض الآثار الفرعونية من الهدم والتخريب .

(٥)هدم كثير من الكنائس والأديرة واحراقها واضطهاد الرهبان وسبوا النساء:

وقد اصاب اقباط مصر كثير من الاذى اثناء الفتن التى قامت من اجل النزاع حول الخلافة فعندما هرب الخليفة مروان بن محمد الى مصر . عاث جنده فى البلاد فسادا . فقتلوا جماعه من رجال الاقباط ونهبوا اموالهم وسبوا نساءهم . كما أحرقوا ديارت عده وهدموا كثيرا من الكنائس . واعتدوا على كثير من الراهبات .

وفى ايام الوالى عبدالعزيز والبابا يوحنا الثالث البطريرك الـ ٤٠ بلغ التحقير للكنائس وبيوت النصارى الى حد كبير حتى ان الوالى كان يدخل الكنائس و يعبث بصورها وصلبانها ويكتب رقعا يقول فيها (محمد رسول الله وعيسى رسول الله لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد) ويلصقها على الاسوار والابواب داخل وخارج الكنائس (٢)

ولاشك ان المضايقات التى نالت الاقباط فى مصر احيانا . والتعصب لكل ما هو عربى ومسلم . وتعريب الدواوين لاشك ان هذا حمل كثيرين من المسيحيين فى عصر الولاة على اعتناق الدين الاسلامى وعلى تعلم اللغة العربية (٣)

---

(١) قصة الكنيسة القبطية . ج ٢ ص ٣٦٦ رقم ٤٦٧ (د.ايزيس المصرى)

(٢) الخريدة النفيسة فى تاريخ الكنيسة (ص ١٢٣)

(٣) د.سيدة اسماعيل كاشف (مصرفى عصر الولاة(من ص ١٤-١٢١)

والان نستعرض بعض صور وامثله لما حل باقباط مصر من اضطهاد ومعاناة :

١ - ما يختص بالشعائر الدينية

عبد العزيز بن مروان والى مصر (٦٨٥ - ٧٠٥) الذى يوصف بأنه اكثر من حكموا مصر عدلا . أمر بكسر جميع الصلبان التى فى كوره مصر حتى صلبان الذهب والفضة . ثم كتب عده رقاع وجعلها على ابواب الكنائس بمصر والريف يقول فيها [محمد الرسول الكبير الذى لله وعيسى ايضا رسول الله وان الله لم يلد ولم يولد] (تاريخ البطاركة ص ٢٧٩) . وكان ذلك فى بطريركية البابا اسحق البطريرك الـ ٤١ (٦٨٦ - ٦٨٩) . وذهب عبدالعزيز بن مروان الى اكثر من هذا اذ ما لبث ان ابطل اقامه القداسات . وحدث هذا فى بطريركية البابا سيمون الاول البابا الثانى والاربعين (٦٨٩ - ٧٠١) .

٢ - مظالم ضد الأكليروس والأقباط العلمانيين :.

تعاقب على مصر ولاه وعمال خراج من قبل الخلفاء . وقد اشرنا سابقا الى كثره عددهم لغاية فى نفوس الخلفاء الذين ولوهم . فكان هم هؤلاء الولاة والعمال هو الاثراء بأسرع وسيلة لانهم كانوا على يقين من انهم لم يستمروا طويلا فى مناصبهم . وفى سبيل الحصول على المال لم يألو جهدا فى اضطهاد قبط مصر وتعذيبهم وسلب اموالهم وهتك اعراضهم وتقطيع اعضائهم بل وقتلهم ومحاولة النيل منهم واذلالهم بكل الطرق . وبوسائل يقف المرء ازاءها مذهولا لبشاعتها .. وللأمانة التاريخية نقول ان مظالم بعض هؤلاء الولاة وعمال الخراج عمت الشعب كله اقباط ومسلمين.. لكن الاقباط حظوا بالنصيب الاوفر من المظالم ولقد احتمل الاقباط المظالم لكونهم مسيحيين

ونعرض الان لبعض النماذج :-

البابا يوحنا السمنودى البطريرك الـ ٤٠ (٦٧٧ - ٦٨٦) :.

فى ولاية عبد العزيز بن مروان (٦٨٥ م - ٧٠٥ م) نالته شدائد من عبد العزيز بن مروان والى مصر والسبب فى ذلك وشاية من حاسد .. فعبد العزيز فى اول سنه تولى فيها مصر ذهب الى الإسكندرية ليأخذ خراجها ولكن البطريرك لم يخرج للقائه معتذرا بضعفه الامر الذى وشى به الى عبدالعزيز على انه تعالى من البطريرك .. غضب عبدالعزيز وامر بالقبض عليه حتى يدفع مائه الف دينار . وان يوقفوه على جمر نار وكاد الامر يتم لولا ان زوجه عبد العزيز رأت حلما وأخبرت به زوجها بألا يفعل سوء بالبطريرك .. ومع ذلك فقد هدد عبد العزيز الوالى الاب البطريرك بأنه سيلبسه ثياب يهودى ويلطخ وجهه

برماد وسيأمر بأن يطوفوا به المدينة بهذه الصورة .. لكن البابا لم يرهب .. وأخذ الوالى يقلل المبلغ حتى وصل الى عشره آلاف دينار .. فلما سمع الكتاب والمسيحيون طلبوا الى البطريرك ان يقبل دفع هذا المبلغ وهم سيتولون جمعه خشيه ان يجرى على البيعة اضطهاد وفعلا انتهى الأمر بذلك (١)

فى بطريركية البابا الكسندروس الثانى البطريرك الـ ٤٣ (٧٠٥ - ٧٣٠):

فى ايام الاصبغ بن عبدالعزيز بن مروان ، وفى اخر حياة عبد العزيز بن مروان التى امتدت لنحو عشرين عاما اعطى ابنه الاكبر ويدعى الاصبغ نفوذا وسلطانا على كل اقليم مصر .. وكان الاصبغ يبغض النصارى . محبا لسفك الدماء . استخدم مواهبه لمضايقه المسيحيين .. وقد ساعده على تحقيق مآربه شخص يدعى بنيامين .. قيل انه كان قبلا شماسا فى الكنيسة . ثم ارتد عن الايمان واعتنق الاسلام . التصق به وصار صديقه الحميم وبدأ يكشف له عن خطط يضايق بها الاقباط وتقلل من عددهم انفذ الاصبغ اثنين من خاصته الى اديره وادى النطرون وقاما بخصى جميع الرهبان هناك ! وفرض جزية على كل راهب مقدارها دينار . كما امر الأديرة الا ترهب احدا وكان الاصبغ هو اول من فرض جزيه على الرهبان وفرض على الاساقفة ان يؤدوا عن ايبارشياتهم الفى دينار غير ما كانوا يدفعونه وقد ضغط الاصبغ ضغوطا رهيبة على الاقباط . فكان من نتيجتها ان اضطر البعض الى اعتناق الاسلام ومن بينهم بطرس والى الصعيد واخيه تاودور وابن مقدم مريوط وعدد كبير من الكهنة والعلمانيين لكن السيد المسيح لم يمهله ليتمادى فى طغيانه ففى يوم سبت الفرح دخل الى دير حلوان فرأى صوره العذراء مريم تحمل ابنها . فلما نظر اليها سأل الأساقفة عن الصورة فلما قالوا له إنها العذراء مرين ام المسيح تكلم بافتراء عليها وبصق على الصورة وقال " ان وجدت زمانا فأنا اسحق النصارى من مصر . ومن هو المسيح حتى تعبدوه الها . فى نفس تلك الليلة ازعجه الله بحلم رأى فيه السيد المسيح جالسا على عرش عظيم . ووجهه يضىء اكثر من الشمس . ورأى نفسه ووالده خلف المسيح مربوطين بسلاسل .. فلما سأل عن الجالس على العرش قيل له انه يسوع المسيح ملك النصارى الذى هزأ به .. وبالفعل اصيب بحمى لم تمهله ومات فى الليلة التالية . اما والده فمات بعد اربعين يوما حزنا وكمدا عليه

فى ولاية عبد الله بن عبد الملك (٧٠٥ م- ٧٠٩ م) :-

خلف عبد العزيز بن مروان فى ولاية مصر عبدالله بن عبد الملك

---

(١) تاريخ البطاركة ص ٢٦٧ لساويرس بن المقفع

(٧٠٥ - ٧٠٩ م) وهو ابن الخليفة الاموى عبد الملك بن مروان . وبلغ هـــذا الوالى من .القساوة والغلظة حدا كبيرا حتى ان ساويرس بن المقفع يقول عنـــه " كان كالوحش الضارى . حتى انه فى اكثر اوقاته اذا جلس على المائدة يقتلـــون الناس قدامه . وربما طار دمهم فى الصحن الذى يأكل منه فيفـــرح بذلـــك " ولا تنسى مافعله مع البابا الكسندروس الثانى عندما ذهب ليهنئه بالولاية كالعادة وقيل أيضا عن هذا الوالى انه كان يجمع رجال الدين المسيحى من أســاقفة ورهبـــان واراخنة ويهزأ بهم ويقول لهم بتجبر " انتم عندى مثل الروم ومن قتـــل منكـم واحدا غفر الله له لانكم اعداء الله " ومن المظالم التى اقترفها هذا الوالى وجشـعه فى محبه المال ان امر بعدم دفن ميت قبطى حتى يقوم اهله بدفع الجزية الواجبة عليه . وفى سبيل تحقيق ذلك عين انسانا مختص بهذا الامر (١) .

فى ولاية قرة بن شريك (٧٠٩ م - ٧١٤ م) :-

ولى مصر بعد عبد الله بن عبد الملك . والى اخر يدعى قرة بن شـــريك (٩٠٧. م - ٧١٤ م) .. وتكرر مع البابا الكسندروس ما حدث له مـــن الوالـــى السابق عندما قصده البابا للتهنئة بالولاية .

وبلغ جشع الوالى قرة بن شريك حدا مذهلا . حتى انه كان يستولى علـــى تركه كل من يموت من الاراخنة والاقباط والأساقفة . حتى ان ســـاويرس بـــن المقفع يقول عنه " وكان الناس يهربون ونساؤهم و أولادهم من مكان الى مكـــان ولا يأويهم موضع من اجل البلايا ومطالبات الخراج . وعظم ظلمه اكثر ممـــن تقدمه

فى ولاية اسامه بن زيد :-

واسامه بن زيد الذى حكم مصر بعد قرة بن شريك . وكان قبل ذلك فـــى ولاية الخراج . امر الرهبان " الا يرهبوا من يأتى اليهم . ثم خصـــى الرهبـــان ووسمهم كل واحد منهم بحلقه من حديد فى يده اليسرى ليعرف . ووسم كل واحد باسم بيعته وديره بغير صليب بتاريخ مملكة الاسلام " . وامر بعقاب من يـــهرب من هذا الاجراء بقطع احد اعضائه فشوه عددا كبيرا وحلق لحى كثيرين وقتـــل جماعة وقلع أعين جماعة بغير رحمه . بل ان البعض كان يموت تحـــت جلـــد السياط . وبلغ من جبروته وجشعه فى محبه المال ان أمر الولاة ان يقتلوا النـــاس ويحضروا اليه مالهم . ويقول ساويرس عنه انه كاتب الولاة وقال لهم " ســـلمت لكم انفس الناس فتحملوا ما تقدرون عليه من أساقفة ورهبان او بيع او كل الناس

---

(١) تاريخ البطاركة ص .٨٣ و .٩٣ (ساويرس بن المقفع)

. فاحملوا القماش والمال والبهائم وكل ما تجدونه لـــهم ولا تراعــوا احـــدا وأى موضع نزلتموه فانهبوه .. وفى مرارة يذكر ساويرس عنه انـــه " مـــن الضيـــق والضنك هم الناس ببيع اولادهم(تاريخ البطاركة ٣٢٢ و ٣٢٣)

وفى عهد الخليفة الاموى هشام بن عبيـــد :-

وعبيد الله بن الحبحاب ولى الخراج على مصر فى عهد الخليفة الامـوى هشام بن عبد الملك ارتكب صنوفا من المظالم لا تحصى . فجعل علامة الاســد على ايدى النصارى . وكل من يضبط فى اى موضع وليس على يـــده الرســم تقطع يده ومن ضمن الذين حاولوا وضع الرسم على يده البابا الكسندروس الثانى الذى رفض ومن شدة ضيقه نفسه طلب الى الله ان ينقله اليه . وقد اســتجاب الله ذلك واخذ روحه (تاريخ البطاركة ٣٣٢ - ٣٣٣)

القبض على جمول اسقف اوسيم وتعذيبه :-

وممن قبض عليهم عبيد الله وعذبهم جمول اسقف اوسيم . الذى اتهمـــه الوالى انه قام بتهريب البابا الكسندروس فأفلت من قبضه يده . ففرض على هــذا الاسقف غرامه قدرها الف دينار وكان الاسقف فقيرا يعجز عن قوت يومه . فلما عرف انه لا يقدر على دفع دينار واحد . سلمه الى المعذبين . وهؤلاء جاءوا بـه الى باب بيعه الشهيد مارجرجس بمصر القديمة وهم يسحبونه . ثم نزعوا عنـــه ثيابه . البسوه مسح شعر . وعلقوه بذراعيه وهو عريان . والشعب ينظره وهـم يضربونه بسياط من جلود البقر حتى سال دمه . وقد ظلوا يعذبونه لمده اســبوع بهذه الكيفية . فجمع له المسيحيون ٣ دينار . ولم يفرج عنه الا بعـــد توســلات الكثيرين من الاقباط لعبيد الله (تاريخ البطاركة ٣٣٢ - ٣٣٣)

لى النقمة انا اجازى يقول الرب :-

أ - ذكر عن احد جامعى الخراج ويدعى ابا جراح . هذا كان له اخوا اخذهمـــا ودخل دير عامر بالرهبان قرب تانيس على اسم السيدة العذراء . فطرد الرهبـان ونهب الدير وبصق اخوه الاصغر على صليب كان بقلاية امين الدير الايغومانس ابيماخس مستهزئا به . فخرج الايغومانس من الدير وقال ان لم ينتقم الرب مـــن هذه الاهانة لا اعود الى الدير . وكانت نقمة الرب سريعة . اذ شعر هذا المعتدى بحاجة لازالة ضرورية . وهناك فى دوره المياه انسكبت أحشاؤه على نحو مـــا حدث لاريوس المجدف ومات . فصار خوف عظيم عند المســلمين فــى ذلــك المكان (البطاركة ٣٥٦ - ٣٥٧) .

ب – وحفص بن عبد الوليد الحضرمى الذى وليى مصر (٧٤٢ – ٧٤٥) اصدر امره بأن يصلى كل من بمصر واعمالها بصلاة السنة .. وكل من يتخلى عن دينه ويكون مسلما لا تؤخذ منه جزيه . وبسبب هذا الاجراء " أضل الشيطان خلائق كثيرين فتخلوا عن دينهم ". ولشده الضيق خرج الأساقفة عن كراسيهم الى الأديرة ليتضرعوا الى الله " وقيل ان من اعتنق الاسلام بسبب ذلك بلغ عددهم اربعه وعشرين ألفا (١)

وقد تنبأ الانبا مويسيس أسقف أوسيم بأن الله سينتقم من حفص فيحرق جسده بالنار وسط الفسطاط . وقد تم ذلك حينما ارسل الخليفة مروان الثانى حوثره بن سهيل سنه ٧٤٥ م بجيش الى مصر قوامه خمسه آلاف مقاتل ليصبح واليا على مصر وأعمالها فأحرق حفصا بالنار و أخذ جميع امواله .

ج – ذكر عن الوالى عصبة بن عبدالعزيز (الاصبغ) انه دخل كنيسة بدير فى حلوان وبصق على صوره السيد المسيح والعذراء واقسم ان يسحق النصارى و فى الليل ابصر فى حلم السيد المسيح واحد جنده يطعنه بحربه وفى الصباح اصيب بحمى قاتله فعاجلتة المنية بعد لحظات(سير البطاركه - ابن المقفع ص ١٣٤)

د – ذكر عن ابو القاسم انه حاول دخول دير الانبا شنودة ممتطيا جوادا مع احد مخطياته فنصحه رئيس الدير ان يتخلى عن كبريائه ولا يجلب الموت للمرأة مثل كل امرأه داست البيعة فلم يرتدع ودخل ونفر الجواد فماتت المرأة (سير البطاركه - ابن المقفع ص ١٥٤)

حبس البابا خائيل فى خلافه مروان بن محمد وولاية عبد الملك بن موسى

وفى خلافه مروان بن محمد وولاية عبد الملك بن موسى على مصر ساد الاضطراب واستعدى الوالى البابا خائيل ليدفع خراج البيعة التابع له وطولب الاب البطريرك بما يفوق طاقته فعجز عن الوفاء بما يطالب به . فأمر الوالى ان يعتقل البطريرك وتوضع فى رجله خشبه عظيمة وفى رقبته طوق حديد ثقيل واعتقل مع الاب البطريرك الاباء الأساقفة انبا مويسيس اسقف اوسيم وانبا تادرس اسقف مصر وانبا ايلياس بولس الابن الروحى للانبا مويسيس وجعلوهم فى خزانه مظلمه وظل البابا خائيل مكبلا بالحديد حوالى من ١١ توت الى ١٢ بابه . لم ير ضوء الشمس خلالها . وبالإضافة الى هؤلاء الآباء . كان فى المعتقل ثلثمائه رجل وامرأة . وأخيرا أفرج الوالى عن البطريرك تحت شرط

---

(١) تاريخ البطاركة ص ٣٧١ (ساويرس بن المقفع)

ذهابه الى بلاد الصعيد ليأتى بما يستطيع جمعه من اولاده المسيحين ويقدمه للوالى . وبالفعل اخذ الوالى ما تصدق به المسيحيون ولم يطلق سراح البطريرك الا بعد ان زحف قرياقص ملك النوبه المسيحى الى القطر المصرى . وكانت كنيسة النوبة تتبع الكنيسة القبطية كنسيا (١) .

تحول الذئب الى غنمه :-

وبلغ من تجبر عبد الملك بن موسى والى مصر حدا كبيرا حتى ان الانبا ساويرس" كاتب تاريخ البطاركة كتب " ولم تجد ديار مصر طمأنينة ولا راحة فى ايام مملكة عبد الملك لانه لم يكن من جنس ملوك الاسماعيليين (العرب) الذين ملكوا عليهم مثله . وصنع مع الديارات مالا يجوز لبغضه للنصارى وكما كان يشاء ان يعمل كذلك فعل . والسيد المسيح الذى بيده قلوب الملوك . رد قلبه لمحبه انبا خائيل البطريرك . وكان يدعوه الى قصره ويطلب منه ان يدعو له وكانت ابنته قد سكن فيها روح نجس . وكان عمرها اربع سنوات فسأل الاب البطريرك ان يصلى عليها فأخذ زيتا وصلى عليها ودهنها به فخرج الشيطان منها للوقت . فصار يحب النصارى لاجل محبته للاب البطريرك وكان ايضا يحب الاساقفه ويكرمهم . (البطاركة .٢٤)

وقد بلغت الضيقات التى حلت بأقباط مصر حد الذروه بعد تواجد مروان بن محمد حينما وصلها هربا من العباسين حيث وصل مروان مصر سنة٧٥٠ م (٤٦٧ش) وقد اعلن الاعلان الاتى " كل من لايدخل فى دينى ويصلى صلاتى ويتبع رأيى من اهل مصر قتلته وصلبته . ومن دخل معى فى دينى خلعت عليه

وكان البشموريون قد قاموا بثورتهم ضد الاحتلال العربى . وحدث ان قبض حوثرة بن سهيل مقدم جيش مروان بالاسكندريه على البابا خائيل وقال له " كيف مكنت اولاد النصارى (يعنى البشموريين) ان يقاتلوا .. وطلب منه مبلغا من المال ولما لم يستطع ان يحقق طلبه طرحه فى السجن وجعل رجليه مربوطتين بالحديد وضيق عليها كثيرا لمدة تسعة أيام .أحضره بعدها أمامه وجذبه على وجهه وطرحه على ركبتيه ، وضربه مائتى دفعه بقضيب على رأسه لكن المسيح حفظه ثم أمر بضرب عنقه . وكانوا يجذبونه مثل الخروف الساكت وأنزل قلنسوته على وجهه حتى تؤخذ رأسه ثم انه مد رقبه بفرح مد السياف يده وجرد السيف " وكانت العاده ان يصيح السياف ثلاث دفعات " هل اخذ رأسه " . واستأذن السياف مرتين . وفى المرة الثالثه عدل . لانه تذكر

---

(١) تاريخ الأمة القبطية ص ٧٥ (يعقوب نخلة روفيلة)

كيف ان البابا خائيل كان قد كتب الى البشموريين لتهدئتهم . وعلى ان يستخدمه مستقبلا لنفس هذا الغرض فأمر حوثره بالافراج عنه (١) .

استشهاد القديسة فبرونيا :-

لكن جيش مروان اخذ يعيث فى بلاد الصعيد فسادا ومن ذلك انهم قتلوا جماعه من الاراخنه ونهبوا اموالهم وسبوا نساءهم وأهاليهم واولادهم . واحرقوا ديارات الرهبان واخذوا الراهبات ومما يحفظه التاريخ قصة دير للراهبات قوب اخميم كان فيه ثلاثون عذراء اخذوهن جنود مروان وبعد ان نهبوا الدير ارادوا اغتصاب عذراء صغيره تدعى فبرونيا . فتنوا بجمالها . واذ وجدت العذراء نفسها ضائعه لا محاله . خرجت للجند بحيله للخلاص من الدنس فطلبت اليهم ان يتركوها لعبادتها مقابل جميل تسديه اليهم تعلمته من اسلافها . وكان هذا الجميل زيتا تقتنيه اذا دهن به أى جزء من أجزاء الجسم لاتعمل فيه السيوف . ولكى تبرهن على صدق كلامها . دهنت عنقها بالزيت وطلبت ان يهوى اقواهم بسيفه على عنقها .. وما ان فعل ذلك . حتى انفصل رأس العذراء الطاهره عن جسدها اما الجند فاعتراهم خوف شديد . و أسرعوا بمغادره الدير . بعد ان تركوا كل ماكانوا قد نهبوه . (البطاركة ٤١٧ و ٤١٨)

اشعال النار فى مدينة الفسطاط :-

ويصف كتاب تاريخ البطاركة الضيق الذى حل بالناس فى نهاية الدولة الاموية . فيقول انه كان ضيق شديد حيث ان مروان اشعل النار فى الفسطاط واسرع الناس يعبرون النيل الى الجيزة وسقط فى النهر عدد كبير من الناس والبهائم مالا يحصى عدده لعدم وجود الوسائل لعبور النيل ويقول ساويرس بن المقفع وهو يصف هذا الضيق " وكان الاخ يهرب من اخيه والصديق من صديقه والاعمى لايجد من يقوده والمقعد والمفلوج والضعيف والشيخ الفانى والعجوز التى لانهضه لها . جميع هؤلاء احترقوا بالنار . وكان الناس مطروحين فى الشوراع والازقه والحقول فى اعمال الجيزه كالاموات مما حل بهم تحت شقاء عظيم وجوع وعطش ولايجدون ما يقتاتون به من كثره الخلق . وكانت الغلات التى بمصر قد أحرقها مروان (٢) .

---

(١) تاريخ البطاركة ص ٤١٤ - ٤١٦ (ساويرس بن المقفع)

(٢) تاريخ البطاركة ص ٤٢٢ (ساويرس بن المقفع)

خامسا – ثورات الاقبـــــــــــــاط

أدرك الاقباط انهم بالغوا فى تفاؤلهم لان الحكومه العربيه مـــهما كـــانت متسامحه لا تستطيع ان تكف عن جبايه الضرائب وزادت خيبه املـــهم عندمـــا أدركوا ان العرب كمستعمرين جدد كانوا يريدون ان ينعموا بثمـــره انتصـــارهم لذلك لم يلبثوا ان وضعوا نصب اعينهم هدفا واحدا هو التخلص مـــن حكامـــهم الجدد والتحرر من ظلمهم . وهكذا لم يقف اقباط مصر مكتوفـــى الايـــدى ازاء مظالم الخلفاء والولاه . لكنهم عبروا عن تمردهم بعده ثورات قاموا بها فى انحاء مختلفه من البلاد خاصه الوجه البحرى وظلت تلك الثورات تندلع من آن لآخـــر نحو قرن من الزمن . ولعل اهم هذه الانتفاضات الشعبيه كانت سبعه نعرض لها فيما يلى :–

١ – فى حكم هشام بن عبد الملك الخليفه الاموى . وولايه الحر بن يوسف على مصر (٧٢٤ – ٧٢٧) ونتيجه المظالم الفادحه التى حلت بالاقباط . جأر الاقباط بالشكوى دون جدوى . وكانت النتيجه ان قام اهل الحوف الشـــرقى (المنطقـــه الواقعه شرقى فرع دمياط والصحراء) واعتصموا وتوقفوا عن دفع الامـــوال . فأرسل الوالى جندا حاربوهم . ولما وجد ان كفه الثوار راجحه . خـــرج اليـــهم بنفسه ورابط فى دمياط لمده ثلاثه اشهر . وكانت النتيجه ان قتل من الفريقيـــن عدد كبير . وحلت الهزيمه اخيرا بالاقباط لعدم تدربهم على القتال . غير انهم لم يهربوا بل ثبتوا امام اعدائهم حتى ذبحوا عن اخرهم . وكانت النتيجه ان عـــزل الخليفه الحر بن يوسف ونقل الى اماره اسبانيا .

٢ – وفى الولايه الثانيه لحنظله بن صفوان (٧٣٧ – ٧٤٢) – وكـــان عاتيـــا غشوما – اثقل على الشعب – ولم يكتف بالضرائب المفروضه علـــى الاطيـــان وعوائد الاملاك والجزيه . بل استحدث ضرائب جديده على الحيوانات واســـاء معامله الجميع لاسيما الاقباط . حتى ان اقل جزاء عنده كان قطع يد من لا يجـــده حاملا ايصالا مختوما بختم عليه صوره الاسد . كانت نتيجة ذلك أن هاج اهـــل الصعيد وقاموا على عمال الخراج واخرجوهم من بلادهم . وحدثت بينهم وبيـــن جند الوالى واقعه عظيمه قتل فيها عدد كبير من القبط . وخربوا عـــده اديـــره . وكانت النتيجه ان تقدم الشعب بشكواه الى الخليفه فعزل حنظله وولى مكانه اخـــو يدعى حفص بن الوليد .

٣ – وحدث فى ولايه عبد الملك بن موسى والى مصر من قبل مروان بن محمد اخر خلفاء الدوله الامويه . ان حل بالاقباط ظلم كثير حتى انه الزم الاقباط بدفـــع مبالغ طائله . والزم البطريرك البابا خائيل ٤٦(٧٤٤– ٧٦٨) والاساقفه بدفع

غرامه لم يكن فى طاقتهم اداؤها . فطلب اليه البطريرك ان يمهله حتى يطوف بالبلاد يجمع المال من رعيته . فصرح له بذلك . فاتجه البطريرك اولا الى الوجه القبلى فوجد الاقباط فى ضنك شديد بسبب الغرامات الفادحه التى فرضها هذا الوالى عليهم وتشديد رجاله فى تحصيلها . لم ير البطريرك ماذا يفعل . وصار ينتقل من بلد الى بلد ومن قرية الى اخرى حتى بلغ اقصى الصعيد .

وقيل ان قرياقص ملك النوبه المسيحى – الذى كانت بلاده تابعه دينيا للكنيسه القبطيه – لما علم بما حل بالبطريرك من اهانات واضطهاد – جمع جيشا وسار به الى مصر حتى صار على مقربه من الفسطاط فانزعج عبد الملك بن موسى لقله جنوده وما كانت عليه البلاد من الضعف بسبب ظهور العباسيين وحربهم ضد الامويين وانشغال مروان بن محمد فى هذه الحروب فاستدعى الوالى البطريرك وابرز ذمته من المبلغ الذى فرضه عليه وطلب اليه ان يتوسط فى الصلح بينه وبين ملك النوبه فأجابه البابا خائيل الى طلبه ومازال بالملك حتى انسحب وعاد الى بلاده (١) .

٤ – وحدث اثناء الصراع بين العباسيين والامويين ان مروان بن محمد اخر خلفاء الامويين وفد الى مصر هاربا من وجه ابى العباس . الذى استطاع ان ينتزع كل الولايات التابعه للامويين . وكان قصد مروان – كما ظن – ان يستبقى مصر فى يده لكنه لما وصل اليها وجدها فى هياج واضطراب شديدين بسبب ظلم الولاة وعمال الخراج .

وكان البشموريون – وهم سكان الارض الرمليه بأقصى شمال الدلتا ما بين فرعى دمياط ورشيد – قد ثاروا على عمال الخراج وقتلوهم . وكان يقود البشموريين فى ثورتهم قبطى يدعى مينا بن بقيره . جرد الوالى عليهم جنده لكن الثوار انتصروا عليهم مرتين . كان هذا سببا فى ان مروان حمل عليهم بجنوده فقاوموهم وقاتلوهم لكن البشموريين لعلمهم انهم لا يستطيعون الثبات طويلا امام مروان . تركوا ميدان القتال وتحصنوا فى بلادهم الكثيره المياه ولهذا السبب لم يستطع مروان ان يتعقبهم . استدعى مروان البطريرك القبطى الانبا خائيل ٤٦ وطلب اليه ان ينصح البشموريين بالخضوع فكتب اليهم البطريرك رساله يحثهم فيها على الخضوع والطاعه لكنهم لم يذعنوا واصروا على المقاومه . فظن مروان ان البطريرك يحرضهم سرا على العصيان . فاستعمل معه العنف والشده وقبض عليه . وعلى كثير من الاساقفه والقسوس وزج بهم فى السجون وهددهم

---

(١)تاريخ مصر فى القرون الوسطى (ستانلى لاين بول) تاريخ بطاركة الأسكندرية لساويرس بن المقفع ج٣ ص ١٤٤ - ١٤٥

بالقتل اذا استمر البشموريين على المقاومه فكتب البطريرك والاساقفه رساله اخرى الى البشموريين ابانوا لهم فيها النتائج السيئه التى تعود على الاقباط عموما من جراء شق عصا الطاعة ونصحوهم بالتسليم والاذعان . وقبل ان تظهر نتيجه هذه الرسالة الثانيه وصلت جيوش ابى العباس واضطر مروان الى ترك الوجه البحرى والفرار الى الصعيد . وأخذ جنوده ينهبون اموال القبط ويهدمون الديارات والكنائس . وكانت نتيجه ذلك ان توقف اهل طما (كانت مدينه عامره ولما تخربت قامت فى موضعها قريه صغيره تسمى طما العموديين بمحافظه المنيا) عن دفع الخراج . فأرسل اليهم مروان احد قواد جيشه فقتل كثيرين . واستباح اموالهم وهدم كنائسهم . ولم يبق منها سوى واحده . كانوا التزموا بدفع ثلاثه آلاف دينار نظير بقائها فلما دفعوا الفى دينار فقط وعجزوا عن دفع الباقى جعل ثلثها جامعا .

كان القبض على البطريرك الانبا خائيل والمعامله السيئه التى عامله بها مروان كتكبيله بالحديد بمثابه ايذان بانضمام الاقباط كلهم الى صف العباسيين (او الخرسانيين كما يدعوهم ساويرس بن المقفع).. يقول الانبا ساويرس " كان بقيه النصارى بمصر قالوا للخرسانيين هذا ابونا البطريرك عند مروان الكافر . ومانذرى ما يصنع به .. وكان البشامره قد لقوهم من الفرما . وقالوا للخرسانيين ان بطريركنا عند مروان قد اخذه بسبب اننا قاتلناه وقتلنا عسكره قبل مجيئكم وإدّعى كذباً حوثره الكافر عند مروان عن البابا خائيل قائلاً إن هذا البطريرك كان يقول (للبشامرة) تشددوا فإن الله ينزع المملكة من مروان ويسلمها لاعدائه .. ومثل هذا كثير . فلما سمع مروان هذا قال ترجمانه للبطريرك وذلك عن قول مروان .. انت رئيس اعداء مذهبنا ثم امر مروان الاعوان الذين يمسكونه ان يمدوا ايديهم بسرعه و ينتفوا شعر لحيته من عارضيه . ورموا شعره فى البحر (البطاركة ٤٢٦ – ٤٢٧) .. يصف تاريخ البطاركه انتصار العباسيين (الخرسانيين) على الامويين ويقول لاجل ذلك كان الناس يقولون ان يد الرب مع الخرسانيين وكان اذا وجدوا قوما عليهم علامه الصليب يخففون عنهم الخراج . ويرفقون بهم .. ويعملون معهم الخير فى جميع البلاد وصلبوا مروان منكسا بعد ان قتلوه .كما أخلوا الاب القديس الشهيد انبا ميخائيل واكرموه كرامه عظيمه (البطاركة ١٤٤)

ويذكر المؤرخ المقريزى ان المسلمين بعد ثوره البشموريين اصبحوا يؤلفون غالبيه من بلاد مصر خاصه فى الوجه البحرى . بعد ان اعتنق الاسلام عدد كبير من الاقباط نتيجه كل هذه الضغوط المروعه . لكن يبدو ان كلام المقريزى مبالغ فيه جدا .

نزوح العرب الى مصـــــر :-

عرفنا فيما سبق ان عمرو بن العاص وفد الى مصر على رأس جيـــش عربى قوامه اربعه الاف مقاتل . وقد ارسل عمر بن الخطـــاب اربعـــه آلالاف اخرى كمدد . وقد قتل بعض هؤلاء الجنود اثناء الحمله على مصر .. معنى ذلـك ان العرب الفاتحين كانوا اقليه ضئيله جدا اذا ماقورنوا بعدد سكان مصـــر مـــن الاقباط وغيرهم فى ذلك الوقت .. لم يختلط هؤلاء العرب الفاتحين بسكان البـــلاد الاصليه . وانما اختطوا لهم مدينه عربيه اسلاميه وسط المحيط المصرى القبطى هى مدينه الفسطاط الواقعه شمالى حصن بابليون بمصر القديمه . ما بين النيـــل والجبل المقطم (المرجح اسم الفسطاط غير عربى وانه مشتق من لفظ يونـــانى فساطن الذى بدوره مشتق من اللغه اللاتينيه فساتم الذى كان يطلقه الرومان على معسكراتهم الحربيه (مصر فى عصر الولاه ص ١٢٣) .

وكان تخطيط المدن من اهم الظواهر التى سارت جنبا الى جنب مع الفتوحـــات العربيه .

ولما اختط العرب مدينه الفسطاط فى سنه ٦٤١م (٢١هـــ) قسمت الـــى خطط اى اقسام وسكنت كل قبيله خطه من الخطط . وبالاضافه الى الفســـطاط . فقد اختط العرب مدينه الجيزه على غرار الفسطاط . ونزل قـــوم مـــن العـــرب الاسكندريه وهكذا فان العرب الذين استقروا فى مصر كانوا يقيمون فى الفسطاط او الجيزه او الاسكندريه . وقد حرم عليهم عمر بن الخطاب الاشتغال بالزراعـــه او امتلاك الارض . حتى يكون كل همهم منصرفا الى السياسه والحكم والحـــوب . لذا لم يختلط العرب بأقباط مصر فى البدايه . ولم يكن لهم تأثير يذكـــر علـــى الاقباط سواء من ناحيه انتشار الدين او اللغه العربيه.

كان استيلاء العرب على مصر فاتحه لهجرات عربيه متواليه دامت زمنا طويلا . ولعل اقل هذه الهجرات . هجره العرب او الجند الذين اتوا مع عمرو بن العاص لفتح مصر . على ان اغلب الذين حكموا مصر فى عصر الولاه كـــانوا يصحبون معهم جيوشا عربيه حتى نهايه العهد الاموى(٧٥٠م) او عربته ومـــن شعوب اخرى غير العرب . كالخرسانيين والـــتراك فـــى العصـــر العباســـى . والمعروف ان الجنود كانوا يصحبون معهم اسرهم .

وفى خلافه هشام بن عبد الله (٧٢٤ - ٧٤٤م) حدث تطور فى هجـــره القبائل العربيه الى مصر . لقد سأل عبيد الله بن الحبحاب عامل الخـــراج علـــى مصر سنه ٧٢٨م ان ينقل الى مصر بيوتا من قيس اى عرب الشمال . فأذن له

الخليفه بذلك . وجاء بن الحبحاب بعدد كبير بلغ حوالى ثلاثه آلاف . وقد أنزلـــهم بالحوف الشرقى اى شرقى الدلتا وامرهم بالاشتغال بالزراعه .

معنى ذلك ان العرب فى زمان هشام بن عبد الملك اخذوا يتخلون عـــن السياسه التى اتبعوها منذ الفتح وهى سياسه الترفع عن الاختلاط بالاهالى وعــن الاشتغال بالزراعه .. وقد ساعد وجود العرب فى القرى المصريـــه واشـــتغالهم بالزراعه على الاختلاط بالاهالى . وكان لهذا الاختلاط اثره فى انتشار الاســـلام بمصر نتيجه التزاوج والجوار والمصاهره . لذا يقول المقريزى فى كتابه الخطط " ولم ينتشر الاسلام فى قرى مصر الا بعد المائه من تاريخ الـــهجره . عندمـــا انزل عبيد الله بن الحبحاب مولى سلول قيسا بالحوف الشرقى . فلما كان بالمائـــه الثانيه من سنى الهجره . كثر انتشار المسلمين بقرى مصر ونواحيها .

سماحه الاسلام

كما ينبغى ان نعلم انه رغم الضيقات الكثيره التى لحقت بالاقباط عمومـــا والبطاركه ورجال الدين والكنائس خصوصا . فى عصــــر الخلفـــاء الراشـــدين والدوله الامويه الا اننى اريد ان اذكر ان الاسلام فى جوهره وفى روحه وفـــى اساسه يعامل غير المسلمين معامله طيبه نذكر من هذا الميثـــاق الـــذى اعطـــى لنصارى نجران والميثاق الذى اعطى لقبيله تغلب والوصية التى قدمها الخليفـــه الامام عمر بن الخطاب قبل موته ووصيه الخليفه ابى بكر الصديق لاسامه بـــن زيد والميثاق الذى اعطاه خالد بن الوليد لاهل دمشق . والميثاق الـــذى اعطـــاه عمرو بن العاص لاقباط مصر . واذكر العباره الاسلاميه الجميله :
" استوصوا بالقبط خيرا فان لنا فيهم نسبا ورحما " واذكر ايضا الحديـــث الشريف " من آذى ذميا فليس منا . العهد لهم ولابنائهم عهد ابـــدى لا ينقـــض . يتولاه ولى الامر ويرعاه " و اذكر ايضا فى سماحه الاسلام ذلك الشرع الجميـــل الذى يقول " وان اتاك اهل الذمه فأحكم بينهم بما يدينون وهكذا اعطى الاســـلام الحكام والولاه المسلمين الذين يعرفون مافى الاسلام من سماحه حريه الدين لغير المسلمين .

واذكر ايضا فى سماحه الاسلام حفظه فى عهوده ومواثيقه للمسيحين فى كنائسهم وصوامعهم ورهباناتهم واملاكهم وارواحهم .
وهكذا عاش الاقباط فى ظل الحكام المسلمين الذين يؤمنون بســـماحه الاســـلام عاشوا حياه طيبه (١) .

---

(١) كلمة قداسة البابا شنودة الثالث فى مؤتمر الوحدة الوطنية سنة ١٩٧٧

" الفصل الثالث "

قديسوا الكنيسة وعلماؤها وأراخنتها
فى عصر الولاة

(عصر الخلفاء الراشدين والدولة الأموية)

ما أغنى الكنيسة القبطية وعلمائها فى كل الاجيال . انه من المستحيل ان يحصى الانسان كل القديسين فى هذه الفترة لكننا نقدم بعض النماذج .

١ - البابا بنيامين الاول البطريرك الـ ٣٨ (٦٢٣م - ٦٦٢م)

وتتميز حياه البابا بنيامين الرعوية بثلاث مراحل متباينة :-

المرحلة الاولى :- تمتد منذ رسامته اوائل سنة ٦٢٣ حتى اختفائه سنه ٦٣١

المرحله الثانيه :- وتمتد من سنه ٦٣١م الى سنه ٦٤٤م :-

وفيها اختفى البابا بنيامين . وظل مختفيا حتى اصدر عمرو بن العاص خطاب أمان له .. وكان البابا بنيامين مختفيا بأديره وادى النطرون ومنها الى الصعيد وظل مختبئا بأحد أديره الصعيد للمده ثلاثة عشر عاما .. وبينما كان هذا البابا فى مخبئه . غزا العرب مصر واحتلوها .

المرحله الثالثه :- وتمتد من سنه ٦٤٤ الى نياحته سنه ٦٦٢ :-

وفيها شهدت مصر الحكم العربى .. وعاد البابا بنيامين الى نشاطه الرعوى بعد اختفاء لمده ثلاثه عشر عاما . خاصة بعد التعاطف الذى أظهره القائد العربى عمرو بن العاص على الاقباط والنعمه التى اعطيت للبابا فى عينيه حتى ان عمرو بن العاص أعطى للبابا بنيامين سلطانا على جميع رجال الكنيسه فى مصر ليدبر احوالهم . كالبطريرك والرئيس الشرعى للكنيسه فى كل اقليم مصر كما امر باسترداد جميع الكنائس التى اغتصبها الروم خاصه فى الاسكندريه .

واهم اعمال البابا بنيامين فى هذه الفتره يمكن تلخيصها فيما يلى :-

أ) - اعاد رأس القديس مار مرقس بعد ان سرقها احد البحاره من كنيسة مار مرقس بالاسكندرية وكانت تقع على السور الشرقى للمدينة وكانت ملفوفة بلفائف وظنه مالا مخبئاً - وبمعجزه الهيه لم تبحر المركب التى كانت فيها الرأس.فخرج البابا ومعه الكهنة وحملوا الرأس المقدس وسط التسابيح .. وكانت كنيسة مار مرقس قد احرقت اثناء فتح العرب الثانى للإسكندرية فى صيف سنه ٦٤٦م . وقد اعاد بناءها خلفه البابا اغاثون البطريرك الـ ٣٩

ب) – ومما يذكر للبابا بنيامين انه دشن كنيسة الانبا مقار بديره ببريه شـيهيت ويروى انه اثناء صلوات التكريس شاهد الانبا بنيامين الانبا مقار حاضرا بين اولاده رهبان الدير • فظنه واحدا منهم ووضع فى قلبه ان يرسمه اسقفا حينما يخلو احد الكراسى • ولكن السيرافيم ظهر له واعلمه بحقيقة هذه الشخصيه وهو انه انبا مقار ابو البطاركة والاساقفة .. ووقت الدهن بالميرون رأى البابا بنيامين يد السيد المسيح تمسح معه الهيكل .

٢ – البابا اغاثو البطريرك الـ ٣٩ (٦٦٢ م – ٦٨٩ م)

وكان هذا البابا معاصراً لمعاوية بن ابى سيفان وقد اشتهر هذا البابا فى مده خدمته بشراء صبيان النصارى الذين نهبهم العرب من الجـزر خصوصاً جزيره صقليه التى استولوا عليها وجعلوا يتجرون بهم فى اسواق الثغـر فكـان يشتريهم ويفرقهم على المسيحيين ليربوهم . وفعل ذلك بالرجال والنساء ونقـراً فى السنكسار اليعقوبى ان البابا اغاثو " لقى شدائد كثيرة من أجل الامانة فقد ذكر ان فى زمانه مضى انسان اسمه تاؤدوسيوس (وكان ملكانى المذهب) الى مدينه دمشق وقدم الى يزيد بن معاويه الخليفه اموالا كثيره واخذ منـه منشـورا بـأن يتولى مدينه الاسكندرية والبحيرة ومريوط فلما أتى تقسى علـى البابـا اغـاثو وضاعف الجزيه اذ طلب منه ٣٦ ألف دينار والزمه بكل ما ينفق على مراكـب الاسطول فى كل سنة وكان هذا يزيد على سبعه الاف دينار ولكثره شـرةّ لـم يختلط به اهل ملته لانهم كرهوا منه ما عمل مع البطريرك ومن شده المظالم التى حاقت بالبابا وبالاقباط امتنع البابا عن الخروج من قلايته خوفا من بطشه لانـه اصدر امرا بأن " كل من وجد البطريرك فى الطريق يقتله فمكث البابا فى قلايته محبوسا الى ان اهلك الله هذا المنافق (١) .

٣ – البابا خائيل البطريرك الـ ٤٦ (٧٤٤ م – ٧٦٨ م)

قد احتمل هذا البابا شدائد وضيقات واضطهادات تجل عن الوصف مما اشـرنا اليه سابقا فى اكثر من موضع . وقد عاصر نهايه الدوله الامويه وقيام العباسيه

اثبات ملكيه الاقباط لكنيسه مارمينا بمريوط

حاول الخلقيدونيون (الملكانيون) ان يضعوا ايديهم على بيعه مار مينـا العظيمه بمريوط . وقد قويت شوكتهم بعد ان اقيم لهم بطريركـا يدعـى قسـما (٧٢٨ – ٧٥٦) وكان عضدهم هو ثاوفيلكتس بطريرك الروم فى الشام الذى

---

(١) السنكسار ص ٣٤١ + أقباط ومسلمون (د.جاك تاجر)

كان مقربا للخليفه الاموى مروان بن محمد . واستطاع ان يحصل من الخليفه على خطاب الى والى مصر عبدالملك بن مروان للتحقيق فى ملكيه بيعه مارمينا المشار اليها . وقد حقق الوالى الموضوع بنفسه اولا . ثم احاله الى احد القضاه قدم الخلقيدونيين رشوه للقاضى ورغم وضوح ثبوت ملكيه البيعه للاقباط فانه اخذ يماطل .. فاقترح البعض ان يدفع البطريرك خائيل شيئا للقاضى فتصدى الانبا مويسيس اسقف اوسيم وقال انه ما يليق بالبطاركه والاساقفه ان يدفعوا رشوه لاحد . والله لن يتخلى عنا . وفى نفس الاسبوع عزل القاضى المرتشى . واقيم اخر وكان شخصا لايحابى . فحكم بملكيه الاقباط لهذه الكنيسه

اول محادثات للوحده المسيحيه فى مصر :-

وفى اثناء نظر قضيه ملكيه كنيسه مارمينا بمريوط جرت اول محادثات للوحده المسيحيه فى مصر بين الاقباط والروم والملكانيين فى مارس او ابريل سنه ٧٤٩م وكانت المبادره من جانب الملكانيين لكنها لم تكن بنيه خالصه وكانت نتيجه لفشلهم فى وضع يدهم على بيعه مارمينا بمريوط .. ارسل البابا خائيل يستطلع رأيهم فى هذه المسأله . فكان جوابهم انها خدعه . لكن الانبا مويسيس اسقف اوسيم رأى ان يجربوا ويرسل اليهم وفدا لمعرفه رأيهم . وفعلا ارسل البطريرك اثنان للتباحث هما القس مينا كاتب البطريرك (وهو الذى خلف البابا خائيل فى البطريركيه والشماس يحنس كاتب سير البطاركه وكان الاول عالما بكتب البيعه) اجتمع الاثنان مع قسما بطريرك الملكانيين وقسطنطين اسقف مصر الملكى . اعترف الاثنان بطبيعه واحده للمسيح بعد الاتحادوليس بطبيعتين ولما طلب منهما ان يحررا اعترافهما كتابه ليحملوه للبابا . لكنهما سألا عن وضعهما ووضع باقى الاساقفه الملكانيين بعد الاتحاد . وطلب قسما البطريرك الملكانى ان يعامل كأب مثل البابا خائيل . ويحضر جميع البيع مثله . فطلب القس مينا الرجوع للبطريرك . فلما سمع الاساقفه الاقباط طلب قسما . صاح انبا مويسيس انه لايكون اسقفا على مصر ويكون اخا للاساقفه .. ولما اخبر قسما بطريرك الملكانين بذلك فرح اولا . الا ان شماسا من الاسكندريه يتبعه . تدخل وافسد هذا الاتفاق المبدئى للوحده . لانه كان يطمع ان يكون اسقفا وهكذا فشلت اول مباحثات للوحده المسيحيه . لكنها نجحت فى ضم قسطنطين اسقف مصر الملكانى الى الكنيسه القبطيه الارثوذكسيه .

اعتقال البابا وسجنه :-

اعتقل البابا خائيل شهرا كاملا فى السجن (٨ سبتمبر - ٩ اكتوبر ٧٤٩ م) وكان معه انبا مويسيس اسقف اوسيم وانبا تادرس اسقف مصر .

واعطاه (البابا خائيل) الرب نعمه فى عيون المسجونين مسيحين ومسلمين وغيرهم . وكانوا يعترفون له بذنوبهم التى فعلوها . فكان يعزيهم ويصبرهم ويقول لهم انهم ان نذروا توبه حقيقيه وعدم العوده لمثل الذنوب التى فعلوها فلان الله يخلصهم قبل انتهاء السنة . فعاهدوه جميعا على ذلك . وقد تمجد الرب وتم ما قاله حرفيا . وقد افرج عنه الوالى بعد ما ضمنه بعض اراخنه الاقباط فى ان يذهب الى الصعيد ليجمع مايمكن جمعه من الاقباط ويقدمه للوالى . واعطاه الرب نعمه فى هذه الجوله وتمت على يديه معجزات شفاء كثيره .

عاقبة من يستهن بمقدسات الرب وصوره :-

وحدث يوم خروج البابا خائيل من السجن بعد اعتقاله شهرا . ان طلب اليه الشعب ان يصلى معهم قداسا . وبالفعل رفع القرابين فى كنيسه سرجيوس وواخس (ابى سرجه) بمصر القديمه .. ولما حان وقت التناول تقدم اليه رجل ليتناول من الاسرار المقدسه . ولم يناوله . وفى نهايه الخدمه حضر هذا الرجل للبابا البطريرك باكيا ليعرف سبب منعه من تناول الاسرار المقدسه فقال له البطريرك انه لم يمنعه . لكن المسيح هو الذى فعل ذلك . وطلب اليه ان يعترف بخطيئته .. فأعترف الرجل وقال انه كان يتناول طعام الافطار فى بيته ثم يأتى الى الكنيسه ويتقرب من الاسرار . وهكذا فعل فى ذلك اليوم ليتناول من يد البابا كان ذلك سببا فى ان اصدر البابا خائيل تعليماته الى الاكليروس لكى يحذروا الناس من ذلك .

وحدثت معجزه عجيبه فى بيعه مريم العذراء بالاسكندريه . حينما دخل شاب غير مسيحى ورأى صوره السيد المسيح على الصليب والجندى يطعنه فى جنبه بالحربه . وسأل الشاب عن معنى الصوره فقيل له انها تعبر عن خلاص العالم . فما كان من ذلك الشاب الا ان اخذ قصبه وطعن الصوره فى الجانب الايسر فى استهزاء . وللوقت تصلب الشاب والتصقت يده بالقصبه التى طعن بها صوره المصلوب . وصار معلقا هكذا وهو يصرخ طوال اليوم . فصلى الشعب الحاضرين كيرياليسون .. ولم يعد الشاب الى حالته الطبيعية الا بعد ان اعترف ان تلك الصورة هى للمسيح المخلص ... وبعدها قصد ذلك الشاب احد الاديره وتعمد هناك .

اما عن الضيقات الكثيره التى احتملها هذا البابا فقد اشرنا اليها فى اماكن متفرقه من هذا الكتاب

٤ – انبا مويسيس اسقف اوسيم (١) .

من اعلام الكنيسه وقديسيها العظام فى القرن الثامن الميلادى ·· واتـــاه يومـــا بعض اراخنه مصر وطلبوا اليه ان يصلى الى الله ليرفع الضيق عنـــهم وعـــن شعبه . لانهم احصوا الذين اعتنقوا الاسلام فوجدوا عددهم اربعه وعشرين الفـــا فقال لهم امنوا يا اولادى ان الوالى الذى يضطهدكم يهلك فى بحر هـــذا الشـــهر وفعلا تم الامر كما قال.

وعاصر هذا الاسقف البابا خائيل البطريرك الـــ٤٦ وفى أيامــه حـــاول الخلقيدونيون بأسلوب ملتوى وللتشفى ان ينزعوا ما فى بيعه مارمينا بمريوط من زينه وأعمدة ولكن الله لم يسمح بذلك .

ولما اضطهد مروان بن محمد اخر الخلفاء الامويــين . البابـــا خـــائيل البطريرك الـــ ٤٦ لازمه الانبا مويسيس واشتهى ان يستشهد ويسفك دمه علـــى اسم المسيح . وما ان وصلا (البابا والانبا مويسيس) الى خيمه مروان طـــرح الجند الانبا مويسيس على ركبتيه ورفعا رجليه الى اعلا وضربوه بدبابيس نحاس على جنبيه وعلى رقبته . وكان المعذبون يطلبون منه رشوه ليطلقوه اما هو فلـــم ينبث ببنت شفه لانه كان لايفهم لغه الجند العربيه .

وامر مروان بقطع رقبه البابا خائيل بالسيف · وســـاقه السـيــاف الـــى موضع تنفيذ حكم القتل فجرى خلفه الانبا مويسيس . وحاول السياف منعه لكنـــه لم يمتنع حتى غضب منه احد الجند ورفع عليه دبوس نحاس ليضربه به · فمـــد القديس رأسه لكن بعض الموظفين منعوا الجلاد من ضربه ثم زج به فى الســجن مع البابا .. ووضعت القيود فى ارجلهما مع كثيرين . لكن انبا مويســـيس تنبـــأ بأنهم سيخرجوا من السجن سالمين · وبالفعل تم قوله بهزيمـــه مـــروان امـــام العباسيين .

استمر الانبا مويسيس مرافقا للبابا خائيل . وفيا له وللكنيسه طوال ايــــام تجاربه المره . واخيرا مرض . وعلم بدنو ساعة رحيله من هذا العالم فاســتدعى رعيته وأوصاهم وباركهم وتنيح بسلام

اشهر النساك القديسون :-

يعسر علينا ان نحصى القديسين من النساك الذين حرصوا على ان يخفوا فضائلهم كتدريب مستمر لإماتة الذات . لكننا نذكر منهم :-

---

(١) اوسيم مركز امبابة بمحافظة الجيزة

الانبا يحنس قمص شيهيت (هذا غير يؤنس القصير) الذى كـــان يظـــهر لـــه المخلص وامه العذراء فى كل مره يقدس القرابين وكذلك تلميذه ابيماخس القمص الذى شبهوه بموسى النبى للنعم التى كانت تبدو عليه . والذى اعطى موهبه شفاء الامراض وعمر اكثر من مائه عام . وكذلك القديسين انبا ابــرام ورفيقــه انبــا جوارجى والقديس انبا اغاثون العمودى الذى ترهب بدير ابو مقار وتوحد فـــى جهه سخا (بمحافظة كفر الشيخ) وغيرهم كثيرون جدا .

أشهر العلماء وكتّاب السير :-

١ – يوحنا النقيوس　　　٢ – مينا اسقف نقيوس

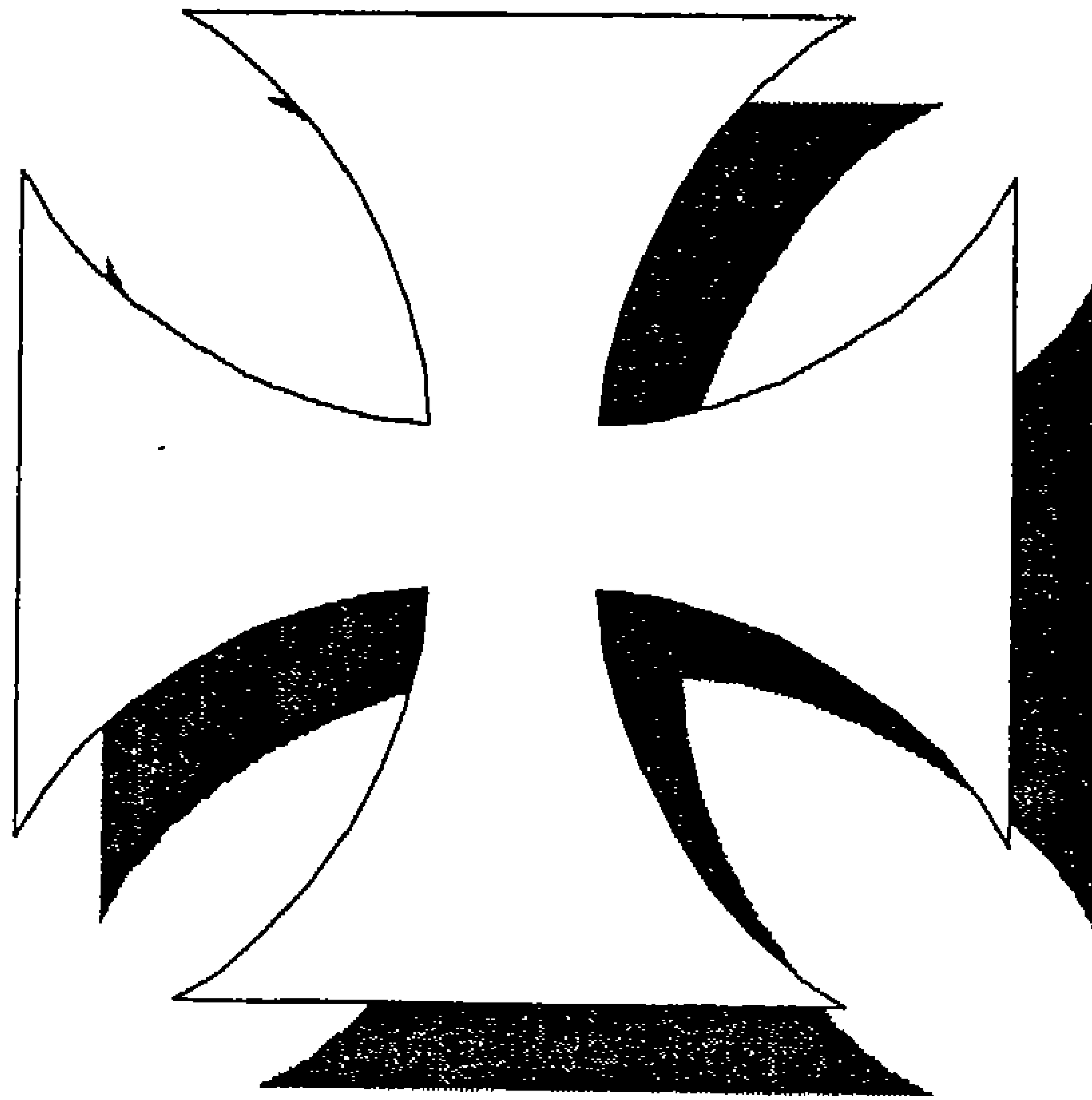
٣ – الشماس جرجه　　　٤ – الانبا زخارياس اسقف سخا

٥ – الشعراء

برز شعراء مسيحيون كثيرون وكانت لهم مكانه عظيمة فى بلاط الخلفاء نذكـــر منهم اعشى بن تغلب واعشى بن ربيعه وعبدالرحمن الطـــائى الملقـــب مرقـــس والاخطل والتغلبى ويعد الاخطل اعظم الشعراء المسيحيين فى فجـــر الاســـلام وكان يدخل المساجد فيقف له المسلمون اجلالا لعلمه وادبه

٦ – الاطبـــــاء

كما نبغ كثير من الاطباء تولوا علاج الخلفاء منهم ابوالحكم ابن اتـــال (تـــاريخ المسيحية والحضارة العربية للاب الدكتور جورج قنواتى ص ١٤٨ – ١٤٩)



الباب السادس

الكنيسة القبطية فى عصر الدوله العباسية ابتداء من سنه (٧٥١م - ٨٧٠ م)

" الفصل الأول "

كانت الخلافة العباسية تبعث بالولاة الذين يحكمون مصر من بغداد وسامرا وكان الولاة فى هذا العصر خليط من العرب والفرس والخرسانيين والاتراك وقد بدأت الدولة العباسية بسقوط عبدالملك بن مروان امام ابو العباس وبذلك انتقلت الخلافة من بنى اميه الى بنى العباس . وتحولت العاصمة من دمشق الى الكوفة ببغداد ولما كان الاقباط قد وقفوا فى صف ابا العباس على مروان نادى العباسيون بعد استتباب الملك لهم بالامان على المسيحين وكانت نواياهم لاقباط مصر حسنه الا ان بعد البلاد عن مركز الخلافه وعدم بقاء الولاه فى مناصبهم جعلهم يستعبدون ويعملون فى الناس كيفما شاءوا ٠ كما كان يفعل الولاه ايام الدوله الامويه .

ومن اشهر خلفاء الدوله العباسية :-

١ - الخليفه عبدالله ابى العباس (٧٥١ م)

٢ - الخليفه عبدالله ابى جعفر المنصور (سنه ٧٥٤ م)

الذى اضطهد البابا مينا الاول بطريرك الاقباط اضطهادا عظيما مما تسبب فى ثوره اقباط رشيد وسخا .

٣ - الخليفه محمد منصور المهدى

٤ - الخليفه موسى مهدى الهادى

٥ - الخليفه هارون الرشيد سنه ٧٨٦ م

وقد ولى مصر على بن سليمان الذى اشتد غضبه على النصارى وعمد الى ماكان يلجأ اليه غيره من الولاه السالفين وهو هدم الكنائس فعزم على هدم كنائس الفسطاط . فعرض عليه النصارى خمسين الف دينار لكى يتجاوز لهم عن كنيسه كانت قائمه فى حصن قسطنطين فأبى وهدم جميع الكنائس ولم يبقى منها سوى كنيسه انبا شنوده الواقعه بين الفسطاط وبابليون .

وفى ايامه حدثت ثوره اهل الحوف (١) .

وقد ظهر فى ايامه بوادر الشقاق المرير بين السنيين والشيعيين - او بين

---

(١) تاريخ الكنيسة القبطية (للقس منسى يوحنا)ص ٣٩٠

مناصرى الاسره العلويه (١) ومساندى اصحاب الحكم الفعلى وهم العباسيون وفوق هذا كله فقد نشط الخوارج (٢) .

٦ – الخليفه الامين بن الخليفه هارون الرشيد

٧ – الخليفه المأمون بن الخليفه هارون الرشيد (٨١٣ م)

وفى ايامه هجم مسلموا الاندلس على مصر . وقد استغل البغـــاه هــذه الفرصه وقاموا بسلب ونهب الاقباط فهجموا على البيوت والمنازل فنهبوها . ثــم دمروا الكنائس ومنها كنيسه المخلص واغتصبوا ما فيها مـــن امتعــه وســلبوا الاوانى اللمقدسه واثمــوا بالمقادس . وغارت قبائل العرب على وادى النطــرون فأخربوا اديرته ونهبوها وفتكوا برهبانها وطردوهم . فلم يبقى منــهم الا القليــل وآلت ولايه مصر بعد ذلك لرجل اسمه عبدالله بن طاهر فأبــاح لجنــوده نــهب الاديره واحراق الكنائس والتمثيل بعابديها وفى ايامه قام اقباط الوجــه البحــرى والوجه القبلى بآخر ثوراتهم وكان ذلك فى ايام الوالى عيسى الجلــودى . وقــد وصل خبر الثوره للخليفه المأمون . فقدم الى مصر وشاهد ظلم الــولاه فســخط على الوالى عيسى وقال له " لم يكن هذا الحدث الا من فعلك وفعل عملك . فقــد حملتم الناس مالا يطيقون وكتمتم الخبر حتى تفاقم الامر واضطربت البلاد .

ومما يذكر ان الخليفه المأمون حمل على البشموريين بعســاكره فشــتت شملهم ومزق جمعهم ودخل بلادهم وقتل رجالهم وسبى نساءهم واطفالهم وســلب اموالهم وهدم كنائسهم وبالجمله لم يبرح تلك الجهه حتى خرب منازلهم وجعــل بلادهم العامره اطلالا باليه ومن ثم ذل القبط ولم يتجرأوا فيما بعد على المقاومــه وكان رعاع المسلمين والغوغاء فى اثناء قيام المأمون باخضاع الثائرين الاقبــاط يطوفون فى البلاد لينتقموا منهم فقتلوا كثيرين ونهبوا واخذوا عددا كبيرا منــــهم وباعوهم كالحيوانات حتى اضطرت الطبقه السفلى الى اعتناق الدين الاســلامى هروبا من تلك الفوادح التى كانت ملمه بهم . فأخذ عدد الاقباط يقل حتى صــار اقل من عدد المسلمين .

وقبل هذا الزمن كان المسلمون لايوجدون الا فى الجيش او فى المـــدن الكبرى فامتلأت بهم القرى الصغيره لاعتناق ربع سكان القطر المصرى.الديانــه الاسلاميه . وهؤلاء صاروا يفلحون اراضى اخوانهم الاقباط الباقين على دينـــهم

(١) كان على بن أبى طالب ابن عم النبى محمد وزوج ابنته فاطمة الزهراء فكان أنصاره يعرفون بالعلويين نسبة اليه وكانوا ينادون بوجوب حصر الخلافة فى أبنائه

(٢) هم الذين خرجوا على النبى محمد وثاروا على رسالته (قصة الكنيسة القبطية)ج٢ ص٤٠٨ رقم ٥١٧

ويغتصبونها منهم . وبذا زاد عددهم وقويت شوكتهم (١) .
٨ – الخليفه المعتصم بالله
٩ – الخليفه الواثـــق
١٠ – الخليفه المتوكل سنه (٨٤٧ م)
وكان عهده شؤوما على الاقباط وعلى الكنيسه عموما

وقد ولى الخليفه المتوكل على مصر ابنه المنتصـــر . وكانـا كلاهمـا يبغضان الاقباط ومع انهما كانا يشعران بشده الحاجه اليهم فى انجـاز الاعمـال الهندسيه والحسابيه والطبيه وغيرها الا انهما عاملاهم بالقوه والجور قاصدين ان يغيرا هيئه مملكتهما بمحوهم . فاضطر الاقباط الى الاهمال فى واجبات دينـــهم وتراخوا فى خدمه الحكومه .

وبلغت الاستهانه بالاقباط الدرجه التى لم يكتفوا منها بأن ينهبوا حجـاره الرخام والمرمر الموجوده فى كنائسهم ونقلها الى بغداد لتوضــع فــى قصــور الخليفه . بل قاموا الى مدافنهم فى القطر ونبشوا قبورهم التــى كـانوا يعنــون بتشييدها وازالوها ولم يبقوا فيها حجرا على حجر .

واستمر الخليفه المتوكل فى اضطهاده للاقباط . فأصدر اوامره المتعسفه على المسيحيين التى تقيد بأن يتنقبن النساء ببرقع عسلى اللـــون وهــو ماكـان قاصرا بالبغيات . كما امر الاقباط بأن يجعلوا على ابواب دورهم صور شياطين وقرود من خشب ومنعوا من اشعال النور فى احتفالاتهم او اعراسهم . ولم يقـف الامر عند هذا الحد . بل اصدر امرا يراد به القضاء على المسيحيه فى مصـو . وهو ابطال الصلاه على كل ميت واغلاق جميع الكنائس . فلا تؤدى فيها خدمـه واستئصال جميع الكروم ومنع بيع النبيذ حتى لايجد الاقباط خمرا لاتمـام سـر الافخارستيا .

وقد ذل الاقباط ذلا عظيما فى ذلك العصر ولم يعدوا يرفعون رؤوســهم وأسـلم منهم عدد لايحصى والذين لم يسلموا كان كثيرون منهم لايقدرون على التظـاهر بالمسيحيه . وكانوا اذا اجتمعوا للصلاه لايستطيعون رفع اصواتهم بل يصلـــون بأصوات ضعيفه حتى لا يسمعهما المسلمون فيهجمون عليهم ويدنسون مقادســهم ويطردون من فيها وينهبونها ويخربونها بالاضافه الى ذلك ففــى سـنه ٨٥٢ م عندما عزم الرومانيون على استرداد مصر قام الخليفه بزيـــاده الضيـق علـى الاقباط فطلب منهم مبلغا طائلا واذ لم يتمكنوا من تأديته نهب القدس وقفل جميع

---
(١) تاريخ الكنيسة القبطية للقس منسى يوحنا ص ٤٨١

الكنائس فى الفسطاط وبابيليون الا واحده (١) .

ايمان اعرابى من قريش :-

ذكر فى ايام الخليفه المتوكل ان اعرابيا من قريش ظل يشاغل قسا اثناء خدمه الاسرار وفى ذات مره تطلع من كوه على ما يجريه القس فى القداس فشاهد على المائده المقدسه حملا مذبوحا مقطعا ثم دخل الكنيسه . فلم يشاهد شيئا من ذلك . ماعدا الخبز . وعاد الى تلك الكوه فرأى المنظر الاول فدهش وللحال ترك قبيلته وانطلق الى احد الاديره . وطلب ان يعتمد وبعد عماده انتشر خبره فدعاه الخليفه ولاطفه ليرتد الى الاسلام فلم يقبل فهدده فلم يخف . فحبسه وبعد مضى سنتين اخرجه من الحبس وعرض عليه الاسلام فرفضه فقطع رأسه وعلقه على السور مده . وكان المؤمنون يشاهدون نورا نازلا من السماء على جسده . وفى النهايه سرق جسده انسان وسار به الى بلاد الفرس (٢) .

١١ – الخليفه المنتصر بالله سنه ٨٦١ م

١٢ – الخليفه المستعين سنة ٨٦٢ م

الذى اراح الاقباط ورد لهم ما سلب منهم من الكنائس فأصلح المتخرب منها من الاسكندريه شمالا الى اسوان جنوبا وصارت تمارس فيها الخدمات الكنسيه كالعاده .

١٣ – الخليفه المعتز سنة ٨٦٦ م

الذى عين ببك التركى واليا على مصر سنة ٨٦٨ م . وكان قد ارسل احمد بن المدبر لجمع الضرائب . واحمد بن طولون لقياده الجيش .فتجبر اولهما على الاهالى وضاعف الضرائب على المسيحيين والمسلمين سواء ولكن وطأته كانت اشد على المسيحيين . فأحصى الرهبان وعين لهم ضريبه بعد ان كانت رفعت عنهم . وألزم البطريرك بدفع ما فرض عليهم . وهو يحصلها منهم بمعرفته وبلغ مقدار ما فرض عليهم اكثر من سته آلاف دينار فى السنة فاضطر البطريرك ان يفرض عوائد على الاساقفه وافراد الناس ليتمكن من دفع هذه الغرامات فحصلت لهم مضايقات شديده فآثر كثير منهم الاسلام تخلصا من الشدائد .

وفى هذه الاثناء هجم العرب على بعض بلاد الصعيد واضروا بالبلاد

---

(١) تاريخ الكنيسة القبطية للقس منسى يوحنا ص ٤١٩ – ٤٢١

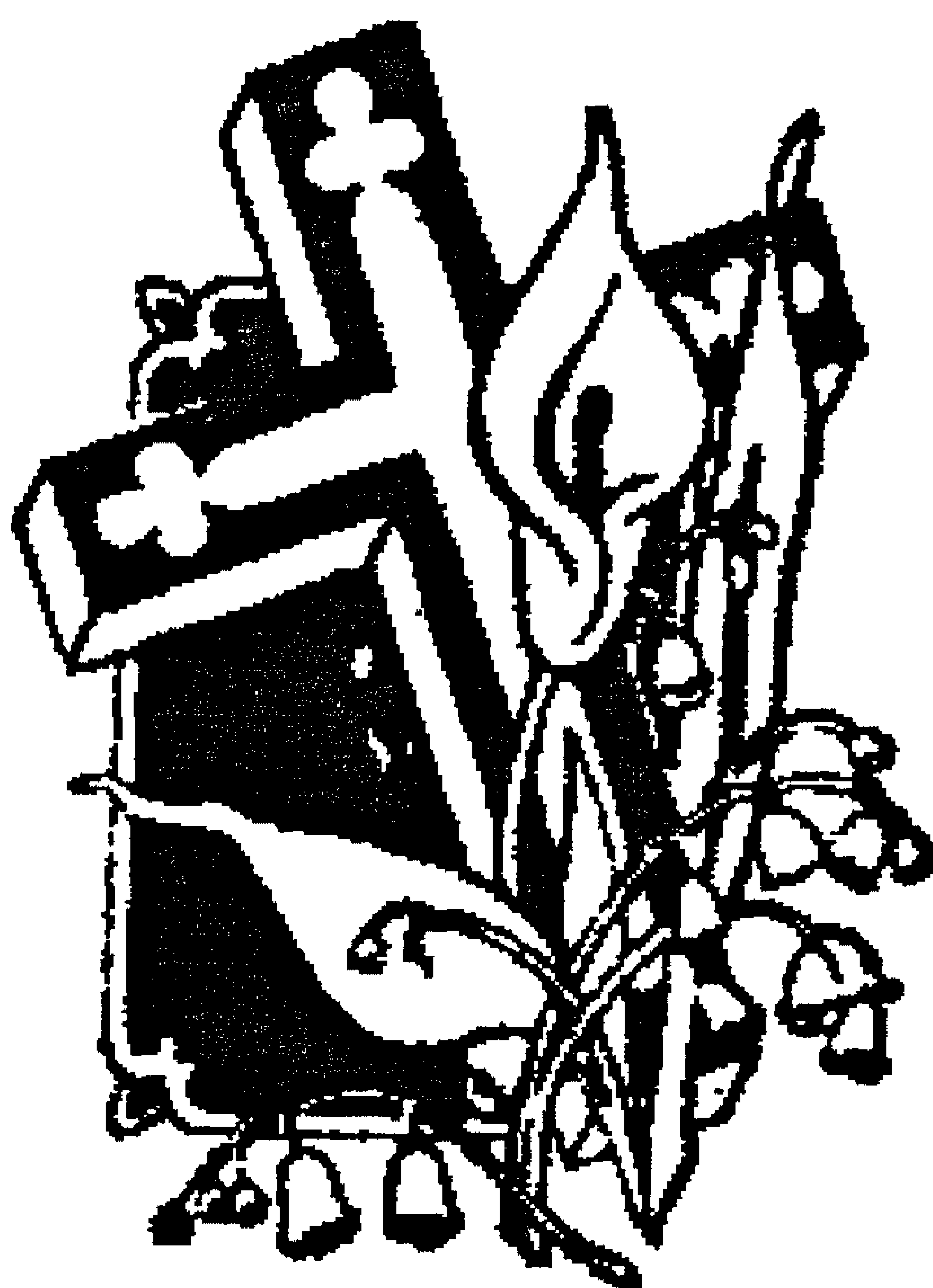
(٢) كتاب الخريدة النفيسة فى تاريخ الكنيسة ج ٢ ص ٢٠٤

والعباد واحرقوا عده اديره منها دير انبا شنوده ودير القلمون ودير انبا بـــــاخوم بناحيه طما (١) .

١٤ - الخليفه المهتدى ٨٦٩ م

١٥ - الخليفه المعتمد ٨٧٠ م

وقائد جيشه احمد بن طولون وهو مؤسس الدوله الطولونيه



(١) تاريخ الكنيسة القبطية للقس منسى يوحنا ص ٤٢١ ، ٤٢٢

" الفصل الثانى "

ويمكن دراسه احوال الكنيسة القبطية وشعبها فى العصر العباسى من خلال استعراض النقاط التاليه التى تظهر ملامح هذا العصر :

اولا : كثره عدد الــــــــــــــــــولاه :-

كما كانت الدوله الامويه هكذا كانت الدوله العباسيه . فاذا انتقلنـــا الـــى الخلافه العباسيه نجدهم عينوا اربعه وستين واليا .. ومما يلفت النظر ان عـــدد التنقلات قد ازداد فى عصر العباسيين عما كان عليه فـــى حكـم الامويين .. ويرجع السبب الى ان السلطه المركزيه كانت بعيده جدا فى بغداد . وكان الخليفه لايريد ان يترك للولاه متسعا من الوقت يستطيعون خلاله استماله قلوب الشـــعب لهم وكان الخوف من نفوذ الولاه قد طبع فى قلوب الخلفاء شـــيئا مـــن الخـــوف المستديم.

ومن اعظم الامثله على ذلك ماحدث فى خلافه هارون الرشيد الخليفـــه العباسى التى امتدت الى ثلاثه وعشرين عاما .. لقد حكم مصر فى مده خلافتـــه اربعه وعشرين واليا.وهذه الخطه ان كانت قد ساعدت علـــى ترسـيخ الحكـــم العباسى - الا انها اضرت بالمصريين لانهم كانوا كلما آنسوا الى والى وبـــدأوا ينصرفون الى عملهم فى ثقه ونشاط يجدون هذا الوالى مضطرا الـــى مغـــادره البلاد لان الامر بعزله قد صدر . ولهذا قامت الفتن العديده فى عهد العباسيين اذ كان المسلمون يعلنون سخطهم على هذا التغيير فينضم اليهم القبط (١) .

ثانيا : كانت سياسه الخلفاء العباسيين والولاه تجاه مصـــر اساســها المنفعـــه الماديه :-

ومن اعظم الامثله على ذلك ما حدث فى السنه الاولى لباباويـــه الانبـــا يوساب الاول حيث قام الاقباط فى الوجه البحرى والوجه القبلى بثوره جارفـــه ضد ارتفاع الضرائب الباهظه فى ايام الخليفه المأمون . وقد استطاع المعتصـــم قائد الجيوش العباسيه اخضاع الثوار القبط واخذ جموعا منهم اسرى . ســـيرهم حفاه فى شوارع بغداد .وكل ذلك بسبب الضرائب الباهظة الى حد الارهاق .

ومما هو جدير بالذكر انه بسبب كثره الولاه الذين ادركوا ان مده ولايتهم قصيره - كانوا ينصرفون الى جمع المال بشتى الوسائل حتى يغتنوا قبل عزلـــهم وبالطبع كانت اسهل وسائلهم مضاعفه الضرائب وبخاصه على القبط (٢) .

---

(١) تاريخ مصر فى القرون الوسطى (لستانلى لاين بوول) قصة الكنيسة القبطية ج ٢ ص ٤٠٧ رقم ٥١٧

(٢) قصة الكنيسة القبطية ج ٢ رقو ٤٧٦ ص ٣٧٣ _د.ايزيس المصرى)

ومن اكثر الادله على جشع الولاه واهتمامهم بجمع المال بكل الوسائل ماحدث للأقباط عامه وللبابا شنوده الاول خاصه . وذلك فى عهد الخليفه المنتصر الذى ولى مصر فى ايامه يزيد بن عبدالله سنة ٨٦١م . وكان هذا الوالى ظالما قاسيا . فأتى بالبابا شنوده اليه وأمره ان يدفع له خمسه آلاف دينار وقرر عليه ان يقوم بدفع مثل هذا المبلغ سنويا . ولما ادرك البابا شنوده انه ليس فى طاقته القيام بدفع مثل هذه الضريبه الفاحشه لاذ بالهروب واختفى فى احد الاديره البعيده . ولما لم يعرف الوالى مقره شرع بنهب الكنائس ويسلب الكهنه ويهين الرعيه . فلما سمع البطريرك بأن اولاده يعذبون . مضى الى الوالى وسلم نفسه فداء لراحتهم . فأمسكه الوالى وشدد عليه ليدفع سبعه آلاف دينار منها اربعه آلاف خراج الكنائس مده سنتين وثلاثه آلاف خراج الرهبان سنه واحده فأخذ الاساقفه والقسوس يجدون فى جمع هذا المبلغ من الشعب ليقوموا بدفعه ولكنهم لم يتمكنوا الا من جمع اربعه آلاف دينار قدموها للبطريرك فسلمها للوالى وتعهد له بدفع مثلها سنويا اذا عفى عنه فقبل و أطلقه (١) .

ثالثا : العباسيون لم يكن لهم سياسه ثابته فى حكم البلاد :

كما كان الحكام والولاه الامويين هكذا كان الحكام والخلفاء العباسيون فكانوا يفتقرون الى سياسه ثابته والى خطه مرسومه ومن امثله ذلك اعاده حفر قناة تراجان من اجل تسهيل ارسال قمح مصر الى البلاد العربيه القاحله فى اقصرمده وبأسهل الطرق. ولكن ما لبثت هذه القناة ان اهملت فردمتها الرمال اوائل القرن الثامن الميلادى . وردمها حكام مصر بين سنتى (٧٦١ م– ٧٦٢ م) كى يمنعوا ارسال الاقوات الى المدينه (المنوره) عندما اصبحت مصدرا للثورات . وقد سخر الحكام السكان لتطهير القنوات واعاده بناء الطرق والجسور مقابل اعفائهم من قسط من الضرائب تتلائم مع ما قاموا به من عمل (٢) .

حادثه ارتفاع مستوى ماء النيل بصلوات الاقباط :-

ويروى تاريخ البطاركه انه لما هبط مستوى النيل سنة ٧٥٢ م فى ايام البابا خائيل الاول رفعت صلوات الى الله من اجل ارتفاع ماء النيل فصلى المسلمون وتبعهم اليهود دون جدوى . ولم تحدث المعجزه الا حينما بدأ النصارى الصلاه . فقرر نائب الوالى مكافأتهم فخفض الجزيه و أمنهم على حياتهم و أملاكهم فى القطر المصرى كله (تاريخ البطاركه)

---

(١) تاريخ الكنيسة القبطية للقس منسى يوحنا ص ٤١٠

(٢) المقريزى الخطط ج ظ ص ٧٤

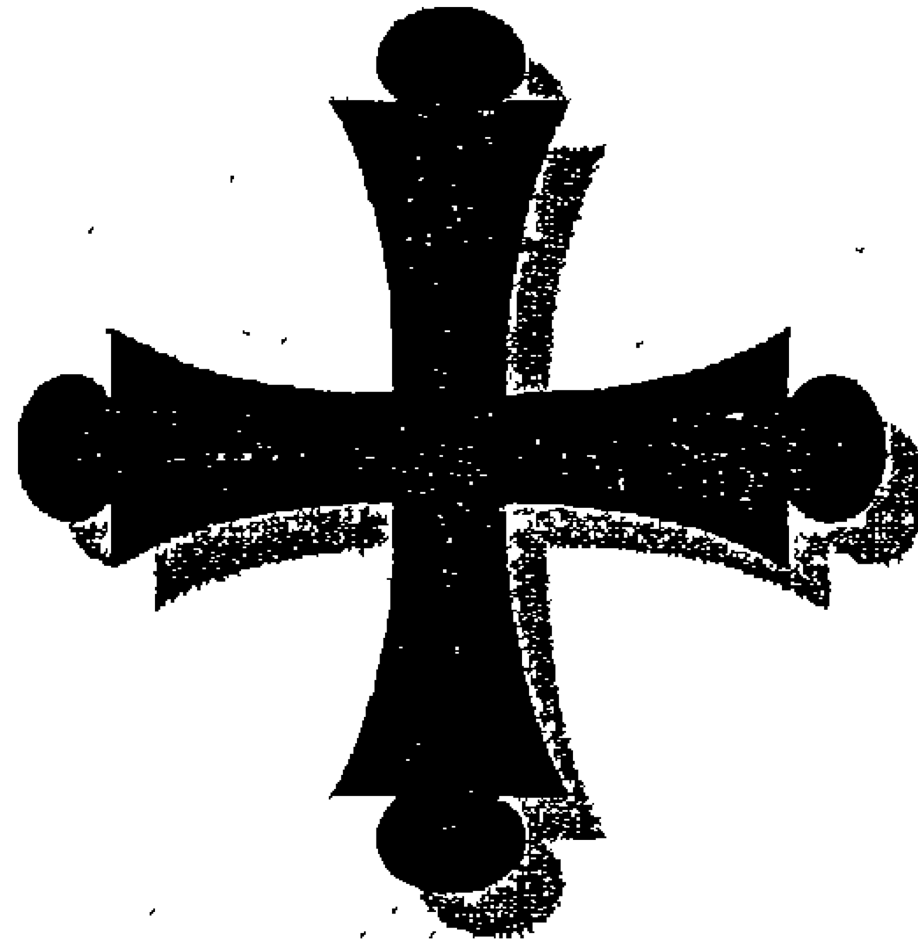
وليس أدل على سياسه الحكام الارتجاليه واتخاذهم قرارات متناقضه مما حدث سنه ٧٨٥ م حين امر الوالى على بن سليمان بهدم الكنائس المحدثه بمصر لكنه لما اعطى خمسون الف دينار مقابل تركها قائمه عدل على قـــراره . هــذا بينما صرح موسى بن عيسى الذى خلفه سنه ٧٨٧ م . باعاده تشـــييد الكنـــائس لاعتبارات ماديه خالصه . وقد اقدم على هذا بعد ان سأل الفقهاء رأيهم فى هــذه المشكله ، فأفتوا بأن الكنائس هى " من عماره البلاد " ويجب الا يكون الوالـــى اكثر تطرفا ممن سبقوه بدليل ان "عامه الكنائس التى بمصر لـــم تبـــن الا فـــى الاسلام فى زمن الصحابه والتابعين " (١) .

ومما هو جدير بالملاحظه ان الغوغاء فى سنه ٧٣٥م - اى قبل ذلـــك ببضع سنوات - قاموا على الوليد بن رفاعه . لانه صرح للنصارى ببناء كنيسه مار مينا .

وفى ايام الولاه الاتراك :-

يذكر كتاب قصه الكنيسه القبطيه ان غالبيه الولاه الترك من الغاشـــمين المستبدين سريعى التقلب قليلى الوفاء ، فكانوا سرعان ما يقلبون ظهر المجـــن للرجال الذين خدموهم . وهكذا ساد القلوب الشعور بالقلق والتطير .

فمثلا كان يزيد (احد الولاه الذين جاءوا بعد عنبسه آخر والى عربـــى المنبت) ينفر من الخصيان . فاذا صادف احدهم فى الطريق امـــر جنـــده بـــأن يجلدوه من شارع الى شارع حتى يخرجوه خارج المدينه . كذلك كان يتشاءم من ندب النائحات فى الجنائز . واوقف سباق الخيل . ومع ان هذه الصغائر لم تبلـــغ حد التعذيب والتنكيل الا انها صبغت الحياه المصريه بالقلق وعدم الاستقرار .



---

(١) اكندى ص ١٣١، ١٣٢

" الفصل الثالث "

امثلة من المتاعب التى حاقت بالكنيسة فى عصر الدولة العباسية

١- فى عهد الخليفة الهادى :-

فى أيام الخليفة الهادى لم يكد يتسلم الوالى على بن سليمان العباسى مقاليد الحكم حتى توهم أن هدم الكنائس مما يأمر به الدين الاسلامى ، فأمر بهدم عدد كبير منها ، وقد شجع هذا العمل بعض المتعصبين فى هدم عددا آخر من الكنائس (١) .

٢- فى عهد الخليفة المتوكل حدثت بعض انواع التحقير الادبى :-

ففى سنة ٢٣٥ هـ ايام الخليفة المتوكل على الله العباسى ، أمر المتوكل أهل الذمة بلبس الطيالسة (شال أو طرحة) العسلية ، والزنانير (الحزام الذى يشد على الوسط) ، وركوب السروج بركب الخشب . وتكون السروج كهيئة الأكف (بردعة الحمار) ، وعلى رؤوسهم القلانس المختلفة الألوان . وأن تخيط الرقاع على ظهورهم وصدورهم . كل رقعة قدر أربع أصابع ولونها عسلى . وأزر نسائهم عسلية ، وملبس مماليكهم مثلهم . ويمنعون من لبس المناطق . وهدم بيعهم المحدثة . وأخذ العشر من منازلهم . فأن كان الموضع واسعا صير مسجدا ، وإن كان لا يصلح أن يكون مسجدا صير قضاء . وأمر أن تجعل على باب دورهم أساطين (عمدان) وقيل شياطين من خشب مسمورة تقريبا بين منازلهم ومنازل المسلمين . ونهى أن يستعان بهم فى الدواوين وأعمال السلطان التى تخالف أحكامهم فيها أحكام المسلمين . ونهى أن يتعلم أولادهم فى كتاتيب المسلمين ، وأن يعلمهم مسلم . ونهى أن يظهروا فى أعيادهم وشعانينهم صلبانا وأمر بأن تسوى قبورهم بالأرض لئلا تشبه قبور المسلمين . وكتب الكتب إلى عماله فى الآفاق بذلك . ثم أمر أهل الذمة فى سنة ٢٣٩ هـ بلبس دراعتين (الدراعة قميص مفتوح من الأمام إلى موضع القلب) عمليتين على الدرايع والأقبية (القباء ثوب يلبس فوق الثياب) . وبالاقتصار فى مواكبهم على ركوب البغال والحمير دون الخيل والبراذين (الخيول التركية)

٣- ما يختص بالشعائر الدينية :-

وفى مدة بطريركية البابا خائيل الأول البطريرك الـ ٤٦ (٧٤٤ - ٧٦٨) هم القاسم ابن عبد الله الحجاب متولى الخراج - وكان شريرا محبا للنساء

---

(١) قصة الكنيسة القبطية ب٢ رقم ٥٠٨ ص ٤٠١ (د. ايريس المصرى)

بالدخول إلى البيعة بدير الأنبا شنودة بالصعيد ، وهو راكب فرس ، ومعه سوية مفضلة لديه كانت تركب على فرس أخر .حاول رئيس الدير منعه ، لكنه في غطرسة أبى ، ودخل البيعة ، فنفرت الفرس التى تركبها السرية ، فوقعت على الأرض ميتة ، ونفقت الفرس أيضا .. أما القاسم فصرعه روح نجس لبث ملازما له يعذبه حتى مات .

٤ – اضطهاد الصور والايقونات :-

وفى أيام الفتنة بين الأمين والمأمون اعتدى على الأقباط فى الاسكندرية ، واحرقت مواضع عديدة لهم كما أحرقت ديارات وادى النطرون ، ونهبت فلم يبق بها من رهبانها إلا نفر قليل

٥ – مظالم ضد الاكليروس والرهبان والعلمانيين :-

لقد خلف الأمويين فى حكم مصر العباسيين سنة ٧٥٠ م . وإن كان العباسيون قد أظهروا نوايا طيبة نحو أقباط مصر فى بداية عهدهم ، لكن المشكلة الكبرى كانت فى الولاة الذين يعينون على مصر .. كان هؤلاء الولاة فى ظلمهم وحقدهم امتداد للولاة الامويين . وكانت الدوافع التى دفعت ولاة الأمويين إلى ابتزاز الشعب ، هى عينها دوافع الولاة الذين ولوا مصر من قبل العباسين ، خاصة وأن مركز الخلافة صادر فى بغداد وهى أبعد من دمشق . وربما استعصى الأمر على المظلومين من أن يقرعوا باب الخليفة .

ويذكر تاريخ البطاركة فى سيرة البطريرك يوساب الأول (٨٣٠ م –٨٤٩ م) أن أمرا وصل من بغداد صحبه رجل نسطورى اسمه العازر يقضى بنزع الأعمدة الرخامية والأرضيات الرخامية من الكنائس لاستخدامها فى تزيين قصور الخليفة والأمراء فى بغداد . وذلك لما عرف عن مصر من الثراء الحضارى . كان معنى نزع أعمدة الكنائس وحملها أن تهدم هذه الكنائس .. وما أن وصل العازر النسطورى حتى انضم إليه الخلقيدونيون المقيمون بالاسكندرية وأخذوا يرشدونه إلى الكنائس الفخمة بالاسكندرية ، إلى أن انتهى به المطاف إلى بيعة الشهيد مارمينا بمريوط التى اهتم الأباطرة البيزنطيون بتزيينها ، وكان بها من الرخام الشيء الكثير جدا ، فلما رأى ذلك النسطورى ما بها من الرخام الملون تعجب وبهت وقال هذا ما يحتاجه الخليفة . فلما سمع البابا يوساب بذلك ، قال لذلك النسطورى " هوذا كل البيع التى بحكمى بين يديك فافعل بها ما أمرك به الملك وهذه البيعة فقط أحب منك ألا تعترضها . ومهما التمسته منى سلمت إليك " لكن العازر لم يقبل شماتة منه . وأخرج من البيعة المذكورة الرخام الملون والبلاط الذى يحتوى الوانا بديعة ولا مثيل له ولا يقدر بثمن على حسب تعبير

تاريخ البطاركة . بعدها قام البطريرك باعادة عمارتها .. لكن الله أظهر قوته ، فضرب العازر ضربة فى جسده فمرض بمرض الاستقساء (تاريخ البطاركة ٦٢٦ - ٦٢٨) (١)

وفى أيام الخليفة هارون الرشيد :-

شيد البابا يوحنا الرابع كنيسة عظيمة للملاك ميخائيل فأغتاظ منه الاروام وشكوه للخليفة ، ووجدها الوالى عبد الله بن المهدى - فرصة مناسبة لفرض غرامة باهظة على البطريرك فدفعها هذا راضيا دون أن يوقف بناء الكنيسة يوما واحدا (٢)

ثورات الاقباط فى عصر الدولة العباسية :-

كان العباسيون أكثر دراية من عمرو بن العاص ، فقد عرفوا كيف يستعينون بأهل البلاد الاصليين ، الذين كانوا على أستعداد لمساعدتهم ضد حكام البلاد تخلصا من المظالم الكثيرة لكن كثيرا ما يعيد التاريخ نفسه ، فما لبث العباسيون أن وجدوا أنفسهم مضطرين إلى فرض ضرائب باهظة .. يقول تاريخ البطاركة ، ولما كان فى ثالث سنه من مملكة الخرسانيين أضعفوا الخراج واكملوه على النصارى ، ولم يوفوا لهم بما وعدوهم (البطاركة ٤٤٢)

١) ثورة أقباط رشيد :

تكررت مظالم الولاة واستبدادهم بالناس على نحو ما اتبعه ولاة الامويين .. ففى خلافة أبى جعفر المنصور العباسى ، أوقع واليه على مصر يزيد بن حاتم بن المهلب بن أبى صفرة (٧٦٢ م- ٧٦٩ م) ببطريرك الاقباط الانبا مينا الاول اضطهادا شديدا . فساء الاقباط مالحق برئيسهم الدينى وابيهم الروحى . وكانت نتيجة ذلك أن ثار الاقباط فى رشيد وسخا وغيرهما من المدن المصرية ، وجاهروا بالعصيان . فأرسل إليهم الوالى قوة من الجيش. لكن الثوار الاقباط ردوهم على أعقابهم مهزومين أما الوالى فإزاء هزيمته أشتعل غضبه على الأقباط ، واضطهدهم وهدم كنائسهم . فعرض عليه أقباط الفساط (مصر القديمة) أن يترك لهم كنائسهم مقابل خمسين ألف دينار يدفعونها ، لكنه رفض وأصر على هدمها إذلالا لهم وانتقاما من أقباط سخا ورشيد . وبالفعل هدمها .

---

(١) تاريخ البطاركة (ساويرس بن المقفع) ص ٦٢٦ - ٦٢٨

(٢) تاريخ الكنيسة القبطية (للقس منسى يوحنا) ص ٣٩٠

٢) ثورة أقباط حوف : -

وفى ولاية الليث بن الفضل (٧٩٩ م- ٨٠٣ م) بعث مساحين يمسحون الارض وأمرهم أن ينتقصوا من القصبة أصابع ، فتظلم أهل الحوف عليه ، فلم يسمع منهم فتجمهروا قبطا وعربا وساروا إلى الفسطاط . فخرج إليهم الليث بجنده وقاتلهم فهزموه لكنه عاد ولم شمل قواته وهزمهم ، وقتل منهم عددا كبيرا . وقبض على ثمانين من زعمائهم وقطع رؤوسهم ، وحملها إلى الفسطاط وعرضها على الناس حتى يلقى الرعب فى نفوسهم ، فكان لهذا العمل أثره فى أمتداد الثورة إلى معظم الوجه البحرى ، واستمر الحال على هذا المنوال حتى ولى الخلافة المأمون فى سنة ٨١٣ م .

٣ - ثورة أقباط الوجه البحرى :-

وفى خلافة الخليفة المأمون العباسى (٨١٣ م- ٨٣٣ م) ، تفجرت مشاعر المظالم والتحقير والاضطهاد التى ظلت مكبوته لسنوات عديدة فى نفوس الاقباط ، فقد أمتنع أقباط الوجه البحرى عن دفع الخراج ، وشاركهم فى ذلك العرب . وقامت بينهم وبين الولاة حروب متفرقة قتل فيها كثيرون .. وإزاء هذه الحالة الخطيرة التى لم يسبق لها مثيل - فقد كانت أكثر الثورات عنفا - نظرا لانشغال المأمون بمحاربة الروم فقد بعث برسائل على يد مندوبين لاهل مصر أن يخلدوا للهدوء ، لكنها لم تجد نفعا .

فما أن انتهى من حربة مع الروم حتى قصد مصر ، وكان واليها فى ذلك الوقت هو عيسى بن منصور (٨٣١ م - ٨٣٢ م) ، فعاتبة بشدة ناسبا إليه كل ماحدث من هياج الناس نتيجة المظالم الكثيرة . وبلغ الامر أن المأمون أمر بتجريد الوالى من ملابسة الخارجية علامة على التحقير .

يقول مؤرخو المسلمين أن الخليفة المأمون لما كان فى مصر ورأى ثورة أقباط الوجه البحرى ، حكم بقتل رجالهم وبيع نسائهم وسبى أطفالهم ، لكن يبدو أن هذا الكلام هو تلخيص للنتيجة النهائية .. أما مؤرخو القبط فيقولون أنه لما وصل المأمون إلى مصر ذهب إليه البابا يوساب البطريرك الـ ٥٢ (٨٣٠ م- ٨٤٩ م) ، فأستقبله الخليفه استقبالا حسنا ، وطلب إليه أن ينصح اقباط الوجه البحرى ويحذرهم بأن يكتب لهم منشورا يدعوهم فيه الى الطاعة حقنا لدمائهم ووعده بأن ينظر بنفسه فى راحتهم .

وكتب البطريرك المنشور فأطاع الناس واذعنوا إلا أهل البشمور ، الذين رفضوا الاستسلام والخضوع ، وأبوا إلا المقاومة .. فلما علم المأمون بما وصل إليه الامر،حمل عليهم بجنوده فشتت شملهم ودخل بلادهم ، وقتل رجالهم وسبى

نساءهم وأطفالهم ، وسلب أموالهم وهدم كنائسهم إمعانا فى إذلالهم ، وبالجملة فان المأمون لم يبرح أراضيهم إلا بعد أن خرب ديارهم وجعل بلادهم أطلالا . ومكث المأمون فى مصر نحو شهرين طاف خلالها بأنحاء البلاد يسكن خواطر الشعب فسامحهم مما تبقى عليهم من أموال .. كانت هذه الثورة هى اخر ما قام به الاقباط من ثورات ، وكانت فى نفس الوقت أعظمها .

وعلى الرغم أن البطريرك يوساب عمل جاهدا على إقناع البشموريين على الاذعان والخضوع ، لكن كاتب سير البطاركة يصف الحالة المهينة التى وصلوا اليها ، مما يبعث على الاعتقاد أنه يبرر مسلكهم الثورى ، يقول بعد أن يصف ثقل يد عمال الخراج وموجه الغلاء التى عمت البلاد " مات بالجوع خلق كثير من النساء والاطفال والصبيان والشيوخ والشبان ومن جميع الناس مالا يحصى عدده من شدة الجوع وكان متولى الخراج يؤذى الناس فى كل مكان . وأكثر النصارى البشموريين كانوا يعذبونهم بعذاب شديد مثل بنى أسرائيل الى أن باعوا اولادهم فى الخراج من كثرة العذاب لانهم كانوا يربطونهم فى الطواحين ويضربونهم حتى يطحنوا مثل الدواب .. فلما نظر أهل البشموريين أن ليس لهم موضع يخرجون منه وموضعهم لا يقدر عسكر يسلكه لكثرة الوحلات فيه وما يعرف طرقه إلا هم ، فبدأوا ينافقوا ويمتنعوا أن يدفعوا خراجا ، وأتفقوا وتأمروا على ذلك وكان الملك فى ذلك الوقت عبدالله المأمون أبن هارون الرشيد " (تاريخ البطاركة ٦٠٠ ، ٦٠١)

ومما يلاحظ على ثورات الاقباط التى أستمرت نحو قرن من الزمان – لا سيما فى منطقة الدلتا – أنها كان يعوزها التنظيم والتكتيك والقيادة الموحدة ، لذلك كان يقضى عليها سريعا .. لم يعرف الاقباط كيف يوحدون صفوفهم ويتخذون لهم قيادة قوية حكيمة . ويبدو أن هدف هذه الثورات الرئيسى كان رفع المظالم المالية التى أثقلت كواهلهم . بالاضافة إلى الاعتراض على نواحى وأنواع الاضطهادات الاخرى كالتحقير الادبى وما يمس العقيدة الدينية .

حوادث مؤسفة :-

من أشهر الحوادث المؤسفة فى العصر العباسى :-

١ – ماحدث للبابا مينا الاول البطريرك الـ ٤٧من متاعب بسبب الشماس بطرس .

٢ – ماحدث للبابا يوساب البطريرك الـ ٥٢ بسبب اسحق أسقف تانيس وتادرس أسقف مصر .

٣ – ماحدث للبابا يوساب أيضا بسبب أسقف مصر الذى يدعى بنا .

٤ – ماحدث للبابا يوساب بسبب شخص أسمه تاوضروس الذى أشتهى أن يرسم أسقفا على أوسيم بغير رضا الشعب فأمتنع البطريرك عن رسامته ، وكان والى مصر فى ذلك الوقت هو على بن يحيى الارمنى (٨٤١ م – ٨٤٣ م) فى خلافة المعتصم الخليفة العباسى .. فلما رفض البطريرك رسامة تاوضروس ، وكانت شهوة الاسقفية تشتعل فى قلبه ، لجأ إلى الوالى ليرغم الآب البطريرك على رسامته أسقفا ولما سأل الوالى البطريرك فى رسامة تاوضروس المذكور أسقفا ، رفض البطريرك ، مما سبب حنق الوالى .. فبدأ يهدم الكنائس مبتدئا بكنيسة المعلقة بمصر القديمة ، التى هدم أعلاها .. وأخيرا تحت ضغوط الاراخنة الاقباط – وحتى لا يتسبب تشدده فى هدم كثير من الكنائس – قبل البطريرك رسامة المذكور بعد أن أشهد الله عليه . وعرض الوالى على الانبا يوساب غرامة ثلاثة ألاف دينار ، دفعها عنه الاراخنة بالتقسيط . لكن الله العادل لم يدع هذا الوالى المتجبر يفلت من انتقامه ، فقد قتل بيد الروم حينما أرسله الخليفة على رأس حملة لغزو بلادهم (تاريخ البطاركة ٦٣٣ – ٦٣٦) (١).

حقيقة ينبغى أن تقال : –

١ – رغم ما عاناه البابا مرقس الثانى البطريرك الـ ٤٩ (٧٩٩ م – ٨١٩ م) من إضطهادات ومظالم إلا أنه كان يربطه مع لبيب الدولة والى مصر علاقة مودة وصداقة وثيقة حتى انه فى احدى زياراته للوالى : قال الوالى للبابا " أطلب ما تريد وعلى التنفيذ " فإبتسم البابا الاسكندرى ابتسامة هادئة ثم قال " أنت تعرف أن سلطانى إنما هو على الارواح دون االاجساد وأن من واجبى أن اعمل على رفع النفوس نحو الله تعالى . وليس هناك من وسيلة أقوى أثرا من بناء الكنائس لبلوغ غايتى هذه فأرجوا أن تأذنوا لى ببناء الكنائس اللازمة وترميم المتهدم منها . وليس لى غير هذا الطلب " فأجابه لبيب الدولة على الفور " إن طلبك مقبول أيها البابا الجليل " ثم أصدر أمره لأولى الشأن بتنفيذ ما يطلبه البابا الاسكندرى منهم . (٢)

٢ – على الرغم أن البابا شنودة الاول البطريرك الـ ٥٥ (٨٥٩ م – ٨٨٠ م) قد عانى من كثير من المظالم والشدائد التى حاقت بالكنيسة بسبب تعسف الولاة فى أيام الخليف المتوكل الذى كان عهده شؤما على الاقباط ولكننا نجد أن عدالة عنبسه ابن اسحق الوالى وحسن معاملته للمصريين جعل الاقباط ينسون الشدائد التى حاقت بهم قبل ولايته ، لما ابداه نحوهم من نزاهة . وفوق هذا فقد كانت

---

(١) تاريخ البطاركة ص ٦٣٣ – ٦٣٦

(٢)قصة الكنيسة القبطية : جـ ص ٤٠٤ رقم ٥١٣ (د. أيريس المصرى)

ولايته فرحة للمصريين جميعا ليعملوا وهم ناعموا البال . وقد انتهز البابا شنودة الاول هذه الفرصة لتجديد الكنائس المتداعية وبناء الاديرة الخربة . ولا تزال الأثار المتخلفة عن هذا العصر تتحدث بدقة الايدى التى انتجتها وسداد الفكر الذى ابتدعها . (١)

ومما ينبغى ذكره أيضا أنه على الرغم أنه البابا شنودة الاول قد لاقى كثير من المتاعب والمظالم والضيقات فى أيام أحمد بن المدبر الذى أرسله بيبك الوالى التركى لجباية الضرائب لكن فى السنتين الاولين قد لاقى البابا شنودة الاول معاملة طيبة من الخليفة المعتز فقد ذكر انه عندما تولى الخليفة المعتز بالله الخلافة سنة ٨٦٦ م انتخب البطريرك رجلين من كبار الأقباط المعتبرين من الشعب وأوفدهما للخليفة ليشرحا له ما ذاقته مصر من المر والعلقم لجور ولاتها وظلم حكامها ويرجوه بأن يرحم بلادهم ويقيم فيها نصاب العدل والشفقة ودعا لهما البطريرك بالتوفيق ، فلما مثلا بين يدى الخليفة أحسن إستقبالهم وأجاب بطلبهما وأعطى لهما أمرا يقضى بأن جميع الاراضى والكنائس والاديرة وأوانى المذبح التى سلبت منهم أيام التعدى والاعتساف ينبغى أن ترجع اليهم ثانية فجاء الرسولان الى البابا شنودة الاول بذلك القرار فكتب منه عدة صور أرسل لكل اسقف فى القطر المصرى صورة منها طالبا منهم ان يشكروا الله على هذه المنحة العظيمة ويقدموا الثناء الواجب للخليفة . (٢)

٣ – كرم الاقباط : –

حدث فى أثناء وجود الخليفة المأمون بمصر . أن مر بقرية طاالنمل (٣) ولم يشأ أن يعرج عليها لصغرها فخرجت خلفه عجوز قبطية وطلبت منه أن يشوف قريتها فلبى دعوتها ، وقامت العجوز وولداها بتقديم طعام فاخر له وجنوده حتى استعظم ذلك ، ولما أصبح الصباح وعزم المأمون على الرحيل حضرت اليه العجوز ومعها عشر وصيفات فى يد كل وصيفة طبق عليه كيس من ذهب مطبوع فى عام واحد . فإندهش المأمون وطلب منها أن تعيد ذهبها فابت وقالت له لاتكسر قلوبنا ولا تحتقرنا . ولما سألها من أين كل لك ذلك تناولت قطعة طين وقالت له " إن هذا الذهب من هذا الطين . ولا تنسى عدلك ياأمير المؤمنين "

---

(١)قصة الكنيسة القبطية : جـ ص ٤٠٤ رقم ٥١٣ (د. أيريس المصرى)

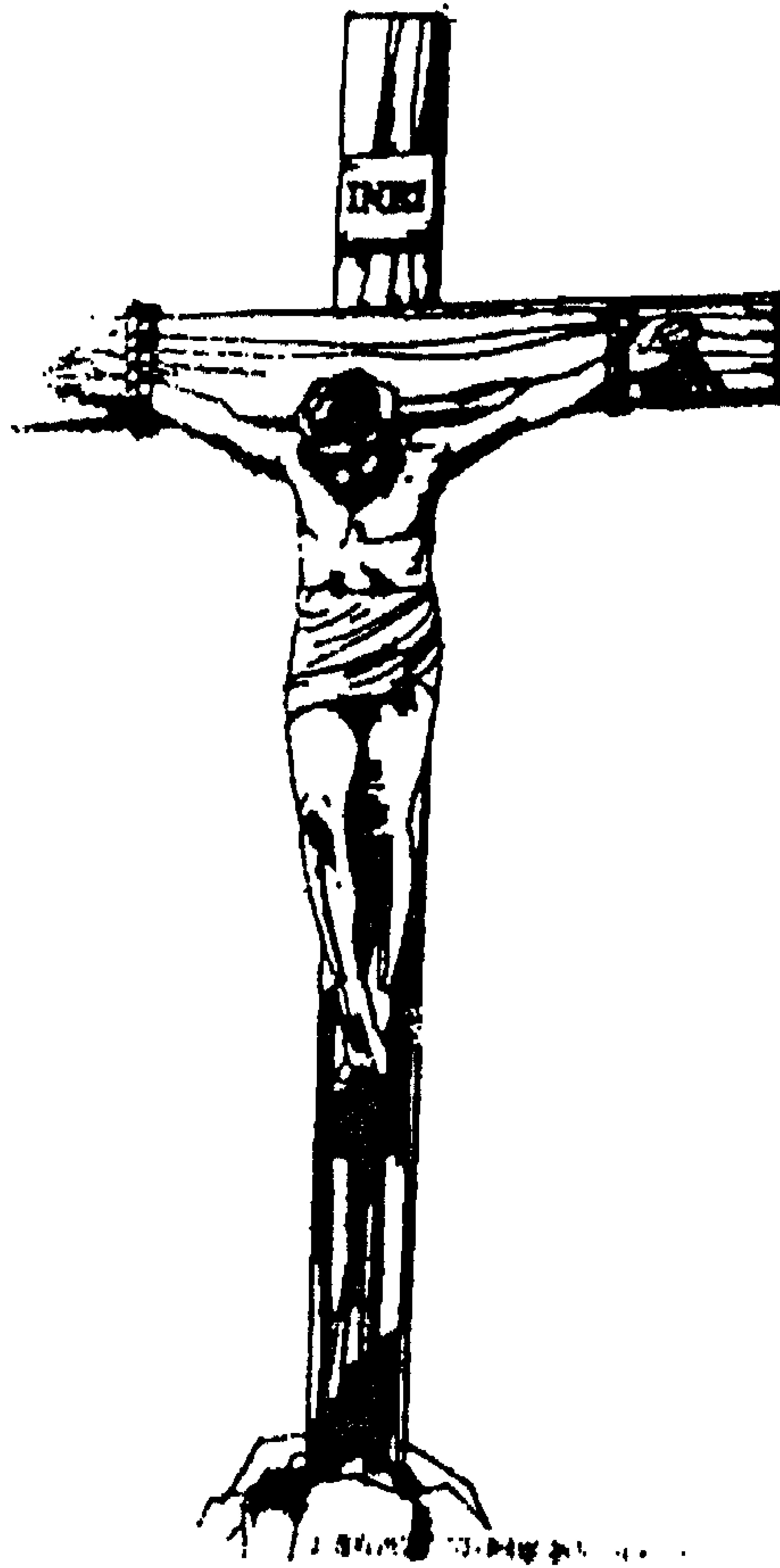
(٢) تاريخ الكنيسة القبطية للقس منسى يوحنا ص ٤١٠

(٣) تسمى الآن " طنامل " بمحافظة الدقهلية مركز أجا

فأعجب بها وبسعة حالها وقبل هديتها وأقطعها عده ضياع ووضع لـــها خــراج مائتى فدان . (١)

٤ - فى عصر الخليفة المعتصم

ذكر عن الخليفة المعتصم أنه فى عهده ، كان هناك أخوان مسيحيان مساعدين له ، الأول إسمه سلماوية والثانى إسمه إبراهيم . الأول كان له فى مقـــام الوزيــر والثانى كان حامل خاتمه وكان أمينا على خزائن الدولة .



(١) تاريخ الكنيسة القبطية " للقس منسى يوحنا " ص ٤١٩

" الفصل الرابع "

قديسوا الكنيسة وعلماؤها وأراخنتها
فى عصر الدولة العباسية

١ – البابا ياكوبوس (يعقوب) الملقب بالعمود المضئ البطريرك الـ ٥٠ (سنة ٨١٩م – ٨٣٠ م) الذى كان فى أيام الخليفة المأمون

وقد أشتهر بالتقوى والقداسة وفعل الخير كما خصه الله بصنع العجائب نذكر بعض منها .

أ – عاقبه من يستحى برجال الله :

ذكر أن شماسا وقحا دفعه الطيش على شتمة البابا فى وجهه وقال له ادفع الديون والاقساط المقرره عليك للكنائس والايبروشيات أو تخل عن البطريركية وأمضى إلى لديرك من حيث أتيت ، فقال له البطريرك إنك لن تعود ترى وجهى بعد . فمضى ذلك الشماس الى بيته وأعترته للحال حمى ومات تلك الليلة .

ب – إقامته للموتى :-

ذكر عن أحد الاراخنة المدعو مكاريوس من نبروه كان قد طعن فى السن ولم يرزق نسلا وفى آخر عمره رزق ولدا ، فصنع وليمة ودعا اليها كثيرين وفى مقدمتهم البطريرك البابا ياكوبوس ، فحدث أن الوليمة لم تنته حتى أصيب الولد بوعكه مفاجئة ومات .

وعندما علم والده المدعو مكاريوس لم يضطرب ولا إنزعج ولكن بثقة وبإيمان قوى ، الايمان الذى نقل الجبال وأقام الموتى والذى يقول عنه الكتاب المقدس " كل شئ مستطاع للمؤمن " قام وحمل أبنه الذى مات وألقاه فى حضن البابا وهو غير مرتاب فى أن الله يسمع له ليعيد لولده الروح والحياة ، وما كان من البابا ياكوبوس إلا أنه قام برسم الولد بعلامة الصليب على جبهته وصدره وقلبه وصلى قائلا " ياسيدى يسوع المسيح الواهب الحياة المنعم بالجاه أعد لهذا الطفل نفسه وأمنحه الحياة " وفى النهاية نفخ فى وجهه فعادت إليه نفسه فكان الفرح بإحيائه أعظم من الفرح بالوليمة ، أما والده ففرق ثلث أمواله على الفقراء والمساكين وبنى كنيسة مريم المجدلية فى القدس وأماكن لزائريه .(١)

الخريدة النفيسة فى تاريخ الكنيسة جـ ٢ ص ١٩٣

٢ – البابا يوساب البطريرك الـ ٥٢ (٨٣٠ م – ٨٤٩ م):

وقد أمتلا تاريخ هذا البابا بالازمات والمشاكل والضيقات ومنها موضوع أسقفى تانيس ومصر اللذين طلب شعباهما أبعادهما وإلا تركا الكنيسة وأنتهى الامر بقطعهما من الكهنوت بقرار مجمعي .. وفى أيامه ثار البشموريون وكان ذلك فى خلافة المأمون العباسى ، الامر الذى أشرنا إليه سابقا ، وقد تعرض للموت بضرب عنقه بالسيف بواسط أخو الافشين قائد الجيش بوشاية أسقفى تانيس ومصر كما أسلفنا سابقا .

وفى أيامه أصدر المعتصم الخليفة العباسى أمرا إلى واليه على مصر بتجريد الكنائس من زينتها ، وينزع منها الأعمدة الرخامية . ومن الكنائس التى خضعت لتنفيذ هذا الامر بيعة مار مينا بمريوط ، على يد نسطورى يدعى لعازر . هذا بالاضافة إلى الضيقة التى سببها تادرس الذى أشتهى أسقفية أوسيم ، ويوحنا أسقف مصر الذى أشتهى أن يكون متقدما على بقية الاساقفة .

كان البابا يوساب يعد شبانا من الافريقيين – ممن كانوا يهدونهم ملوك الحبشة والنوبة المسيحيين – ليكونوا بمثابة إرساليات للكرازة فى بلاد الحبشة وغيرها من البلاد الافريقية .. وفتح البابا لهؤلاء الشبان مدرسة لتعليمهم قواعد الدين المسيحى فى البطريركية ، لكن أسقف مصر المقطوع من الكهنوت وشى إلى قاضى مصر أن هؤلاء الشبان مسلمين .. فما كان من القاضى إلا أن أرسل وأحضر هؤلاء الشبان ، كما أستدعى البطريرك وعنفه قائلا " لا ينبغى أن تخطف أبناء المسلمين لتنصرهم " فأجابه البابا " هؤلاء نصارى اولاد نصارى ارسلوا الى من ملكى النوبة والحبشة " .فأتى القاضى بالشبان أمام البطريك ، ونظرا لعظم تهديد القاضى لهم ، إعترفوا بالإسلام أمامه .. وإنتهى الأمر بأن صار هؤلاء الشبان عبيدا وأقتسمهم أعيان المسلمين .

وقد احتمل هذا الأب البطريك شدائد كثيرة ، وإهانات بالغة ذكرنا بعضها فى غير هذا الموضوع .. ولما أكمل سعيه الحسن أراد الله الذى لاينسى تعب المحبة ، أن يريحه من أتعاب هذا العالم الفانى فنقله إليه ، وكان إنتقاله فى يوم الأحد وقت تناول الأسرار المقدسة

أ – موهبة إخراج الشياطين

وقد حظى الله هذا البطريرك بموهبة إخراج الأرواح النجسة ومن ذلك أن روحا نجسا إعترى إبن أحد الأراخنة ، وجعل يسخر بالبطريرك قائلا " إنى لن أترك الولد حتى لو أمرنى البطريرك " فإنطلق أبوه وأعلم البطريرك بذلك وطلب منه

أن يكتب ورقة يأمر فيها ذلك الروح بالخروج من ولده فكتب يقول " من يوسف الحقير أصغر البطاركة الى الشيطان ، أنى آمرك بأسم الرب يسوع أيها الروح النجس أن تخرج من هذا الولد لأنه عبد للمسيح إلهنا ولا تعود تمس جسمه أو نفسه بأذى " فأخذ الأرخن هذا الأمر وعاد به الى بيته ، وحالما تلاه على ولده ، خرج منه الشيطان مولولا ، وشفى الولد (١)

٣ – البابا شنودة الاول (سانوتيوس) البطريرك الـ ٥٥ (٨٥٩ م – ٨٨٠ م)

الذى عاصر كل من الخليفة المتوكل والمنتصر والمستعين كما عاصر أحمد بن طولون فى خلافة المعتز والمهتدى والمعتمد .

أ – من مآثر هذا الآب

أنه حفر خليجا أوصله الى الثغر الاسكندرى ، أجرى فيه الماء الى المدينة وعمل قنوات تحت الارض توصل المياه الى المبانى ، وبعد أن أتم هذا العمل الخيرى اشرع الناس يغرسون الاشجار والكروم على شاطىء ذلك الخليج ، ولم يمضى زمن حتى تحولت تلك الاراضى القاحلة الى جنات وفراديس (٢)

ب – كل ماتطلبونه من الآب باسمى تنالونه : –

كان لهذا الآب دالة عظيمة عند الله ، ومن البراهين على ذلك أنه كان يصنع لمارمينا عيدا إحتفاليا كل سنة تتقاطر لزيارته الناس من الجهات ، فاتفق فى إحدى السنين إن مياه الآبار نضبت لكثرة ازدحام الناس ، إذ لم يكن مطر فى تلك السنة فأشرفوا على الخطر ، وقد عظم الكرب خصوصا فى اليوم الذى يليه فتجمع الناس حول البطريرك وطلبوا إليه أن يدعو الهه لكى يفتقدهم ويفرج ضيقتهم ويروى ظمأهم وظماء دوابهم فوعدهم خيرا .وفى الصباح احتفل بقداس العيد وذكر أمام الرب ضيق شعبه فلم ينته من القداس حتى تغطت السماء بالغيوم وبدأ المطر يهطل بغزارة وإستمرت المياه تنهال حتى رويت الارض وملأت الأباروزال ضيق الشعب وتمجد الإله الصانع العجائب على ايدى أحبائه (٣)

جـ – الأب المحب يبذل نفسه من أجل أحبائه :–

فقد ذكر عن هذا الأب ان له عادة سنوية أن يذهب هو ومجموعة من الاراخنة وأعيان الاقباط الى دير ابى مقار ويقضوا جمعة الألام فيه ، فذهب مع كثيرين على حسب عادته وكان العرب (الغوغاء ورعاع المسلمين) منتشرين

الخريدة النفيسة فى تاريخ الكنيسة جـ ص ١٩٥

(٢) + (٣) كتاب الخريده النفيسة فى تاريخ الكنيسة جـ ٢ ص ١٩٨ ، ١٩٩

كالجراد فى الوادى فتعقبوهم فى طريقهم وأضروا بهم ونهبوا قواتهم وكــل مــا وصلت اليه أيديهم وفى يوم الخميس الكبير (خميس العهد) تكرر هجومهم مـرة أخرى على الدير بقصد نهبه وتدميره ، فجزع الرهبان والشعب معا وأيقنــوا أن الهلاك وشيك ، وأبتدأوا يولولون ويبكون ، فلما شاهد البطريرك هذا الاضطراب اشتمله الحزن وقصد أن يفدى شعبه بتضحية ذاته فاخذ عكــــازه وخــرج الــى الغوغاء – رغما عن توسلات الاساقفة والشعب بعدم خروجه – ودعــاهم الــى قتله بعد أن انتهرهم ووبخهم.ولكن هؤلاء لما نظروه خارجا لهم بمفرده جزعــوا كما كان منظره المهيب سببا فى دخول الرعب فى قلوبهم فولوا هاربين ولم يبقى منهم احد .

وكان نتيجة الهجومات المتكرره على الاديرة من عرب البادية والغوغاء والبربر أن هجر اغلبية الرهبان من الاديرة وتشتتوا فى البلاد ، ولكــى يحمــى البطريرك الرهبان داخل الاديرة من بطش الغوغاء المتكررة ، شاد فى كل ديــر حصنا منيعا وهى التى بقيت ولها آثار حتى الان فى اديرة وادى النطرون (١)

مشاهير المسيحين من الاطبا ء فى العصر العباسى : –

١ – جورجيوس طبيب الخليفة المنصور (٢)

هو جورجيوس بن جبرائيل وكان يدعى بن أبى أصيبعة خدم بصناعـــة الطــب للخليفة المنصور وكان خطيبا عنده رفيع المنزلة ، ونال من جهته اموالا جزيلة وقد نقل للمنصور كتبا كثيرة من كتب اليونانيين الى العربى

اما قصة استدعائه لعلاج المنصور فهى :

مرض المنصور سنة ١٤٨ هـــ وفسدت معدته . وكلما عالجه الاطبـــاء ازداد مرضه فتقدم إلى الربيع (وزيره وكــاتم ســره) بــأن يجمــع الأطبــاء لمشاورتهم . فجمعهم فقال لهم المنصور"من تعرفون من الأطباء فى سائر المــدن طبيبا ماهرا ؟ "فقالوا " ليس فى وقتنا هذا احد يشبه جورجيوس رئيـــس أطبــاء جندى سابور (٣) ، فإنه ماهر فى الطب ، وله مصنفات جليلـــة " . فــأنفذ اليــه المنصور من يحضره . فحاول جورجيوس ان يعتذر بمشغوليته فلم يستطيع .

---

(١) كتاب الخريدة النفيسة فى تاريخ الطنيسة ج٢ ص ١٩٨،١٩٩

(٢) الخليفة العباسى . أسس بغداد وجعلها عاصمته توفى سنة ٧٧٥ .

(٣) مدينة فى خوزستان .

فعهد بأمر البيمارستان (١) إلى ابنه بختيشوع ، وذهب . ولما وصل إلى المنصور دعا له بالفارسية والعربية . فتعجب الخليفة من حسن منظره ومنطقه ، وسأله عن أشياء ، فأجاب عنها بسكون ، فقال له " قد ظفرت منك بما كنت أحبه واشتاقه . وحدثه بعلته وكيف كان ابتداؤها ، فقال له جورجيوس : أنا ادبرك كما تحب .

اكرام الخليفة له :

* أمر له الخليفة بمكانه جليلة . وقال للربيع (وزيره) " انزله فى منزل جليل من دورنا ، واكرمه كما تكرم أخص الأهل وقد عالجه جورجيوس حتى عاد إلى صحته " وفرح به الخليفة فرحا شديدا وأمر أن يجاب إلى كل ما يسأل "

وبعد مرور سنتين ، قال الخليفة لجورجيوس " أرسل من يحضر أبنك الينا . فقد بلغنى أنه مثلك فى الطب " . فقال له جورجيوس " مدينة جندى سابور اليه محتاجة . وإن فارقها أنفسد أمر البيمارستان (المستشفى) . وكان أهل المدينة إذا مرضوا ساروا اليه ، وههنا معى تلامذة قد ربيتهم وخرجتهم فى الصناعة حتى أنهم مثلى . وفى الغد أخذ معه عيسى بن شهلا وأوصله اليه (٢)

ولما كان فى ١٥١ هـ دخل جورجيوس إلى الخليفة فى يوم الميلاد ... فقال له الخليفة " من يخدمك ههنا ، فقال " تلامذتى " فقال له " سمعت أنه ليست لك أمراة " فقال له " لى زوجة كبيرة ضعيفة ، ولا تقدر أن تنتقل إلى من موضعها " . وخرج من حضرته ومضى إلى البيعة .

فأمر الخليفة خادمه سالما ، أن يختار من الجوارى الروميات الحسان ثلاثا ، ويحملهن إلى جورجيوس مع ثلاثة آلاف دينار ففعل ذلك .

ولما عاد جورجيوس إلى منزله ، عرفه عيسى بن شهلا بما جرى ، وأراه الجوارى ، فقال لتلميذه عيسى " يا تلميذ الشيطان ، لم أدخلت هؤلاء منزلى ؟ أمضى ردهن إلى صاحبهن . ثم ركب جورجيوس وعيسى ومعه الجوارى إلى دار الخليفة.وردهن على الخادم

فلما وصل الخبر بالمنصور ، أحضره وقال له " لم رددت الجوارى ؟ " . قال له " هؤلاء لا يكونون معى فى بيت واحد ، لأننا نحن معشر النصارى لا نتزوج بأكثر من أمراة واحدة . وما دامت المرأة فى الحياة ، لا نأخذ غيرها ، فحسن

---

(١) البيمارستان (المستشفى)

(٢) بعد عيسى ، استخدم ابراهيم تلميذ جورجيوس

موقعه من الخليفة ، وأمر فى وقته ان يدخل جورجيوس غلى حظاياه وحرمه ويخدمهم وزاد موضعه فى عينه وعظم محله .

ولما كان فى سنة ١٥٢ هـ مرض جورجيوس مرضا صعبا ... وخرج إليه الخليفة ماشيا وراءه وسأل عن خبره . فبكى جورجيوس وقال له " إن رأى أمير المؤمنين ، اطال الله بقاءه ، أن يأذن لى فى المصير إلى بلدى لأنظر إلى أهلى وولدى ، وإن مت قبرت مع آبائى " .

فقال الخليفة " يا جورجيوس ، اتق الله وأسلم ، وأنا أضمن لك الجنة " . قال جورجيوس " أنا على دين آبائى اموت وحيث يكون آبائى ، أحب أن أكون إما فى الجنة أو فى جهنم " . فضحك الخليفة من قوله وقال له " وجدت راحة عظيمة فى جسمى منذ رأيتك وإلى هذه اللحظة وقد تخلصت من الأمراض التى كانت تلحقنى قال جورجيوس " إنى أخلف بين يديك عيسى وهو تربيتى " .

فأمر الخليفة أن يخرج جورجيوس الى بلده " وأن يدفع إليه عشرة آلاف دينار وأنفذ معه خادما وقال " إن مات فى طريقه فأحمله إلى منزله ليدفن هناك كما آثر فوصل إلى بلده حيا .

٢ - جبرائيل بن بختيشوع طبيب هرون الرشيد وابنيه

قال عنه ابن ابى أصيبعة ونقل عنه دكتور محمود دياب مايأتى:
كان مشهودا بالفضل ، جيد التصرف فى المداواة ، عالى الهمة ، سعيد الجد ، حظيا عند الخلفاء ، رفيع المنزلة عندهم ، يكثرون الإحسان اليه ، وحصل من جهتهم من الأموال ما لم يحصله غيره من الأطباء ...

علاجه لجعفر البرمكى :

ولما كان فى سنة ١٧٥ هـ ، مرض جعفر البرمكى ، فتقدم الرشيد إلى بختيشوع أن يتولى خدمته ومعالجته . ولما كان فى بعض الأيام قال له جعفر : أريد أن تختار لى طبيبا أكرمه وأحسن اليه . فقال له بختيشوع " أبنى جبرائيل أمهر منى . وليس فى الأطباء من يشاكله " فقال له جعفر " أحضرنيه " ولما أحضره عالجه مدة ثلاثة أيام وبرا . فاحبه جعفر مثل نفسه . وكان لايصبر عنه ساعة . ومعه يأكل ويشرب .

بدء صلته بالخليفة الرشيد :

مرضت حظية الرشيد ، ورفعت يدها فبقيت منبسطة لا يمكنها ردها . والأطباء يعالجونها بالتمريخ والأدهان ، ولاينفع ذلك شيئا ، فقال جعفر للرشيد : لى طبيب

ماهر وهو ابن بختيشوع ، ندعوه وتخاطبه فى معنى هذا المرض ، فلعل عنـــده حيلة فى علاجه .

فأمر الرشيد باحضاره ... وشرح حال الصبية. فعالجها وبرأت .

وأمر الرشيد له بخمسمائة الف درهم ، وأحبه مثل نفسه ، وجعله رئيسـا علـى جميع الأطباء ...

مكانته عند الرشيد :

وكان محل جبرائيل يقوى فى كل وقت ، حتى أن الرشيد قال لأصحابـه : كل من كانت له إلى حاجة ، فليخاطب بها جبرائيل ، لأنى أفعل كل ما يسألنى فيه ويطلبه منى . فكان القواد يقصدونه فى كل امورهم

ومنذ يوم خدم الرشيد إلى أن أنقضت خمس عشرة سـنة لـم يمـرض الرشيد خلالها فحظى عنده جلرائيل بمكانة عظيمة.

دعاء الرشيد له :

قال الرشيد مرة لجبرائيل بن بختيشوع وهو حـاج بمكـة " يـاجبرائيل علمت مرتبتك عندى ؟ " قال " ياسيدى ، وكيف لاأعلم " قال له " دعوت لك والله فى المواقف دعاء كثيرا " . ثم التفت إلى بنى هاشم فقال " عسى أنكرتم قولى لـه ؟ " فقالوا " ياسيدنا ذمى " فقال " نعم ، ولكن صلاح بدنى وقوامه به ، وصـلاح المسلمين بى ، فصلاحهم بصلاحه وبقائه " . فقالوا " صدقت يا أمير المؤمنين . وكانت مدة خدمة جبرائيل بن بختيشوع للرشيد إلى أن توفى الرشيد ٢٣ سنة .

مكانته عند الخليفة الأمين :

ولما تولى الأمين ، وافى اليه جبرائيل ، فقبله أحسن قبـول وأكرمـه ، ووهب له أموالا جليلة أكثر مما كان أبوه يهب له . وكان الأميـن لا يـأكل ولا يشرب إلا بإذنه .

حبس المأمون له وعزله :

فلما ملك المأمون أمر وزيره بالقبض على جبرائيل وحبسه ، لأنه تـرك قصرة بعد موت ابيه الرشيد ، ومضى إلى أخيه الأمين .

علاجه للحسن وزير المأمون :

وفى سنة ٢٠٢ هـ مرض الحسن بن سهل (وزير المأمون) مرضا شـديدا ، وعالجه الأطباء فلم ينفع ذلك . فأخرج جبرائيل من الحبس حتى عالجه وبرا فى

أيام يسيرة . فوهب له سراً مالا وفيرا . وأرسل فأخبر المأمون وسأله فى أمره ، فأمر بالصفح عنه .

وفى سنة ٢٠٥ هـ أمر المأمون بأن يجلس جبرائيل فى منزله ولا يخدم . وأحضر ميخائيل المتطبب ، وهو صهر جبرائيل ، وجعله مكانه ، وأكرمه إكراما وافرا مكايدة لجبرائيل .

علاجة للخليفة المأمون :

وفى سنة ٢١٠ هـ مرض المأمون مرضا صعبا ، وكان وجوه الأطباء يعالجونه ولا يصلح..فقال له أخوه أبو عيسى:يا أمير المؤمنين إحضر جبرائيل....فتجاهله .فلما ضعفت قوة المأمون عن أخذ الأدوية ، ذكروة بجبرائيل فأمر بإحضاره . ولما حضر غير تدبيره (علاجه) كله . فاستفاق بعد يوم . وبعد ثلاثة أيام صلح . فسر به المأمون سرورا عظيما .

اكرام المأمون له :

قال له عيسى أخوه وهو جالس معه على المشرب : مثل هذا الرجل الذى لم يكن مثله ولا يكون ، سبيله أن يكرم . فأمر له المأمون بألف ألف درهم ، وبألف كر حنطة ، ورد عليه سائر ما قبض منه من الأملاك والضياع . وكان إذا خاطبه كناه بأبى عيسى جبرائيل . وأكرمه زيادة على ما كان أبوه يكرمه .

وانتهى به الأمر فى الجلالة ، إلى أن كان كل من تقلد عملا ، لا يخرج إلى عمله إلا بعد أن يلقى جبرائيل ويكرمه . وكان عند المأمون مثل أبيه ونقص محل ميخائيل المتطبب وانحط.

ولجبرائيل بن بختيشوع من الكتب :

رسالة إلى المأمون فى المطعم والمشرب ، كتاب المدخل إلى صناعة المنطق . رسالة مختصرة فى الطب . كناشه كتاب فى صنعة البخور . وغيرها

٣ - بختيشوع بن جبرائيل بن بختيشوع

طبيب الخليفة المتوكل والخليفة المستعين والخليفة المهتدى
وردت عنه فى كتاب (عيون الأبناء فى طبقات الأطباء) :
بلغ من عظم المنزلة والحال وكثرة المال ، مالم يبلغه أحد من سائر الأطباء الذين كانوا فى عصره . وكان يضاهى الخليفة المتوكل فى اللباس والفرش .

دسيسة ضده عند الخليفة الواثق :

لما ملك الواثق ، كان محمد بن عبد الملك ، وأبن أبى داود يعاديان بختيشـــوع ، ويحسدانه على فضله ، وبره ، ومعروفه ، وصدقاته ، وكمال مروءته . فكانـــا يغيران الواثق عليه . فسخط عليه الواثق ، وقبض على أملاكه وضياعه ، وأخـذ منه جملة طائلة من المال . ونفاه الى جندى سابور . وذلك سنة ٢٣٠ هـــ .
فلما اعتل بالاستسقاء ، وبلغ الشدة من مرضه ، انفذ من يحضـــر بختيشـــوع . ومات الواثق قبل أن يوافى بختيشوع .

مكانته ايام الخليفة المتوكل :

صلحت حال بختيشوع بعد ذلك فى أيام المتوكل ، حتى بلغ من الجلالة ، والرفعة ، وعظم المنزلة ، وحسن الحال ، وكثرة المـــال ، واللبـــاس والطيـــب والفرش والصناعات والتفسيح والبذخ فى النفقات ، مبلغا يفوق الوصف .

وقد قال المتوكل عنه للوزير ابن المدبر " إن محله مثل محل أرواحنا من أبداننـــا " . وكان طبيبه بختيشوع له دلالة كثيرة عليه وكان يدخل اليه فيأنس به .

ابراؤه للمعتز بالله :

كان المعتز بالله قد اعتل فى ايام المتوكل ، علة من حرارة أمتنع معـــها عن أخذ شىء من الأدوية والأغذية . فشق ذلك كثيرا على المتوكل ، وأغتم به . وصار اليه بختيشوع ، والاطباء عنده ، وهو فى حالة من الامتنـــاع .. وظـــل يمازحه ، حتى أمكنه أن يجعله يتناول العلاج ... وبرأ المعتز . فكان المتوكـــل يذكر هذا الفعل له .

حسد المتوكل له :

وحدث ان زاره المتوكل فى بيته . فأكرمه غاية الإكرام ، فى زينة البيت ، والطيب ، والطعام ... فرأى المتوكل مالا عهد له بمثله ، وقال له " من أيـــن لك هذا ؟ " ... وحسد بختيشوع على ما رآه من نعمته ... فنكبه بعد أيام يسيرة . وأخذ مالا كثيرا له ، لا يقدر ...

وقيل : مرض المتوكل بعد ذلك بالقولج . فاستحضر بختيشوع واعتـــذر اليه ، فعالجه فبرىء . فأنعم عليه ، ورضى عنه ، واعاد ما كان له . ثم جـــرت على بختيشوع حيلة اخرى ، إذ وشى به البعض ، فنكبه المتوكل نكبه ، قبـــض فيها جميع املاكه ، ووجه به إلى البصرة .

اكرام الخليفة المستعين له :

ولما استخلف المستعين ، رد بختيشوع إلى الخدمة وأحسن اليه إحسانا كثـــيرا .

اكرام الخليفة المهتدى له :

ولما تولى الخلافة أبن عبد الله محمد بن الواثق ، وهو المهتدى ، جـرى على حال المتوكل فى أنسه بالأطباء ، وتقديمه إياهم وإحســانه اليــهم . وشــكا بختيشوع إلى المهتدى ما أخذ منه فى أيام المتوكل ، فأمر بأن يدخل إلى الخزائن ، وكل ما اعترف به فليرد اليه بلا مراجعة ... وأطلق له سائر ما فاته

وفاته : وقد توفى بختيشوع سنة ٣٥٦ هـــ وخلف عبيد الله ولده وثلاث بنات .

كلامه وكتبه : ولبختيشوع من الكتب كتاب فى الحجامة على طريقـــة الســؤال والجواب

ومن كلامه فى الطب : قال : الشرب على الجوع ردىء والأكل على الشبع أردا وقال : أكل القليل مما يضر أصلح من أكل الكثير مما لا ينفع .

وقد نقل حنين بن أسحق لبختيشوع بن جبرائيل كتبا كثيرة من كتب جالينوس إلى اللغة السريانية والعربية .

٤ – سلمويه طبيب الخليفة المعتصم

اختيار المعتصم له :

لم يكن سلموية بن بنان ، مجرد طبيب فى عهد الخليفة المعتصم بـــالله ، وانما كانت له سلطة سياسية كبيرة فى الدولة . وكان مقربا جدا لدى الخليفة تمر عليه كل ورقة هامة . وقد قال عنه بن ابى أصيبعة لما ولى المعتصـــم باللهـــة الخلافة فى سنة ٢١٨ هـــ اختار لنفسه سلمويه طبيبا ، واكرمه اكرامـــا كثـــيرا يفوق الوصف . وقد قدمه له ابو إسحق إبراهيم بن المهدى بقوله " وقع إختيــارى على خادمين لى ، يصل كل واحد منهما الى فى مجالس جدى وهزلى ، يصـــل الى فى مرقدى ومتوضئ ، وهما : مسرور سمانه ، وسلمويه بنان . فإختر أيهما شئت ، وقلده حوائجك .

فوقع إختياره على سلمويه . أحضره أمير المؤمنين ، فامره أن يتولـــى إيصـــال رسائله فى كل الأوقات .

سلطته فى عهد الخليفة المعتصم :

وكانت توقيعات المعتصم ترد الى الدواوين فى السجلات وغيرها بخط سلمويه . وكل ماكان يرد على الأمراء القواد من خروج أمر وتوقيع من حضـــــرة أمـــير المؤمنين ، فبخط سلموية .

وإخوة إبراهيم :

وولى المعتصم أخا سلمويه ، إبراهيم بن بنان ، خزائن بيوت الأموال في البـــلاد ، وكان معه خاتم أمير المؤمنين ، ولم يكن أحد عنده مثل سلمويه وأخيه إبراهيـم في المنزله . وكان سلمويه بن بنان نصرانيا حسن الإعتقاد فى دينه ، كثير الخير ، محمود السيرة ، وافر العقل ، جميل الرأى .

تقدير وتوقير المعتصم له :

قال إسحق بن على الرهاوى ، فى كتاب أدب الطبيب : إخـــبرنى يوحنـــا بـــن ماسوية عن المعتصم ، إنه قال : سلمويه طبيبى أكبر عندى من قاضى القضـــاه .لأن هذا يحكم فى نفسى ، ونفسى أشرف من مالى وملكى .

ولما مرض سلمويه الطبيب ، أمر المعتصم ولده أن يعوده فعاده ثم قـــال : أنـــا أعلم وأتيقن أننى لاأعيش بعده ، لأنه كان يراعى حياتى ويدبر جســـمى . ولـــم يعيش بعده تمام السنة .

وفاة سلمويه وحزن الخليفة عليه :

وقال إسحق بن حنين ، عن أبيه :

إن سلمويه كان أعظم أهل زمانه بصناعة الطب . وكان المعتصم يسميه (أبى) . فلما إعتل سلمويه ، عاده المعتصم وبكى عنده ... ولما مات سلمويه ، أمتنـــع المعتصم عن اكل الطعام يوم موته . وأمر بأن تحضر جنازتـــه إلـــى الـــدار ، ويصلى عليه بالشمع والبخور على نظام النصارى الكامل . ففعل بحيث يبصرهم ، ويباهى فى كرامته وحزن عليه حزنا شديدا . ومات بعد عشرين شـــهرا مـــن وفاة سلموية (أفى ربيع الأول سنة ٢٢٧ هـــ)

– ٥- يوحنا بن ماسوية

طبيب ستة من خلفاء المسلمين

خدم بالطب هارون الرشيدى ، وابنيه الأمين والمامون ، كمـــا خـــدم المعتصـــم والواثق والمتوكل . وورد عنه فى كتاب " عيون الأبناء فى طبقات الأطباء "

لابن أبى اصيبعه ما ياتى :

كان طبيبا ذكيا فاضلا ، خبيرا بصناعة الطب وله كلام حسن وتصانيف مشهورة ، وكان مبجلا محظيا عند الخلفاء والملوك .

وقال سليمان بن حسان : كان يوحنا بن ماسوية مسيحى المذهب ، سريانيا ، قلده الرشيد ترجمة الكتب القديمة ، مما وجد فى أنقره وعمورية وسائر بلاد الـروم ، حين سباها المسلمون . ووضعه أمينا على الترجمة . وخـدم هـرون والآميـن والمأمون ، وبقى على ذلك إلى أيام المتوكل . قال : وكان ملوك بنى هاشـم لا يتناولون شيئا من أطعمتهم إلا بحضرته ...

وقال اسحق بن على الرهاوى ، فى كتابه أدب الطبيب أن يوحنا بن زكريا قـال انه اكتسب من صناعه الطب الف الف درهم ، وعاش بعد قوله ثلاث سنين آخر وكان الخليفة الواثق مشغوفا به وضنينا ...

وقال يوسف بن ابراهيم : كان مجلس يوحنا بن ماسوية أعمر مجلس كنـت أراه بمدينة السلام لطبيب أو متكلم أو متفلسف ، لأنه كان يجتمع فيه كل صنف مـن أصناف أهل الأدب وكان فى يوحنا دعابة شديدة يحضر بعض من يحضر مـن أجلها .

وكانت وفاة يوحنا بن ماسوية فى سنة ٢٤٣ هـ

اما الكتب التى اصدرها يوحنا بن ماسوية ، فهى عديدة ، ذكر منها ابن ابى اصيبعة ٤٤ كتابا من بينها :

كتاب فى الاغذية ، كتاب فى الأشربة ، كتاب فى القصد والحجامة كتـاب فـى تركيب الادوية المسهله وأصلاحها وخاصة كل دواء ، ومنفعته،كتاب البرهـان (ثلاثون بابا) ، كتاب فى السموم وعلاجـها ، كتـاب الماليخوليـا وأسـبابها وعلامتها وعلاجها ، كتاب تدبير الأصحاء ، كتاب عـلاج النسـاء اللواتـى لا يحملن ، كتاب الجنين ، كتاب تركيب خلق الانسان وعدد أعضائـه ومفاصلـه وعظامه وعروقه ، كتاب جامع الطب مما اجتمع عليه اطباء فـارس والـروم كتاب ، المعدة ، كتاب القولنج ، كتاب التشريح ، كتاب الصدر والدوار ، كتـاب فى الجذام لم يسبقه أحد الى مثله ، كتاب الحيلة للبرء ، كتاب دغل العين ، كتاب مجسة العروق ، كتاب الصوت والبحة ، كتاب محنة الطبيب ، كتـاب النـوادر الطبية ، كتاب مضار الأغذية .

الباب السابع
الكنيسة القبطية فى عصر الدولة الطولونية
أبتدأ من سنة (٨٧٠م - ٩٠٥م)
" الفصل الأول "

ظلت مصر خاضعة خضوعا تاما للخلافة العباسية طالما كانت الخلافة قوية الجانب . ولكن بدأ الضعف يدب فى جسم الخلافة أثناء النزاع بين الامين وأخيه المأمون ابنى هارون الرشيد ومالبث هذا الضعف أن وضح بعد أن أستعان الخليفة العباسى المعتصم - الذى كانت أمه تركية - بالاتراك فى حكم الدولة . وكان من هؤلاء المماليك الاتراك طولون (أبو أحمد بن طولون) ، أهداه والى بلاد ماوراء النهر (والى بخارى) للخليفة المأمون سنة ٨١٥ م وقد تحكم هؤلاء الاتراك فى شئون الدولة المدنية والحربية . حتى أصبح بيدهم - منذ خلافة المتوكل على الله (٨٤٧ م- ٨٦١م) انتخاب الخلفاء وعزلهم . لذا نجد النزعة الى الاستقلال تظهر فى مصر بوضوح أثناء النزاع بين الامين والمأمون .. وقد حكم مصر منذ سنة ٨٥٦ م حكاما من الاتراك .

قدم أحمد بن طولون إلى مصر سنة ٨٦٨ م من قبل الامير باكباك Bakbak صاحب أقطاعها وكان له من العمر ٣٣ سنه) . ووجد الخلافة ضعيفة ، فما لبث أن تحدى سلطة الخلافة ، وأستقل بمصر أستقلالا فعليا فى واقع الامر .. بل أكثر من هذا ، فقد نجح فى ضم سوريا إلى مصر ، وفى تأسيس دولة طولونية دامت نحو ٣٨ سنة . وكانت هذه أول مرة تستقل فيها مصر بعد الفتح العربى .

ويمكن دراسة أحوال الكنيسة القبطية وشعبها من خلال ولاتها كالأتى :.

أولا : عصر أحمد بن طولون : (٨٦٨م - ٨٨٤م)

١ - استمر احمد بن طولون فى حكم مصر ١٦ سنة ، وتوفى سنة ٨٨٤ ، ولم يكمل الخمسين سنه من عمره .. يذكر المؤرخون المسلمين الكثير عن تقواه وفضله ومحبته للصدقه ، وعدله ، لكنهم يجمعون على أنه كان سريعا جدا إلى استخدام السيف .. وقيل أنه قتل ١٨٠٠٠ (ثمانية عشر ألفا) سواء بالسيف أو موتا فى السجن .. كان يحفظ القرآن عن ظهر قلب ، بل قيل أنه كان يرتله ، اذ كان ذا صوت رخيم ، تعلم القرآن والفقه وأصول الدين على مذهب أبى حنيفه . ورغم أنه تركى فما أن تولى زمام الحكم حتى أخذ فى تثبيت دعائم سلطته بأستمالة القلوب إليه ، فخلع جباه الضرائب الدخلاء وعين بدلا منهم موظفين مصريين .. ويبدو أن مثل هذه المعاملة العادلة لم تعجب الجميع فثار العلويين

غربى الاسكندرية سنة ٨٦٩ م. ولما خمدت ثورتهم أشعلها بقيتهم فـــى منطقــة أسنا بصعيد مصر . لكن أبن طولون نجح فى الحالتين وقضى على الثوار .

٢ – ويذكر عنه أنه وجه عنايته الى الشعب المصرى فمنح الجميع الحرية فـــى ظل القانون وهكذا أتاح الفرصة للقبط لمزاولة شعائرهم الدينية وبنـــاء الكنـــائس والاديرة . ومباشرة أعمالهم التجارية والزراعية والصناعية ، فعم البلاد هـــدوء شامل ، وأستتب الامن . (١)

٣ – وعلى الرغم مما يذكره المؤرخون عن عدله ، فهناك نقطة موضع تســاؤل الباحثين ... هذه النقطة هى أن أحمد بن طولون ، رغم قصر المدة التى قضاهــا فى حكم مصر (١٦ سنه) ، فقد أقام من العمائر الشئ الكثير : فى ســنة ٨٧٠ م أسس حاضره جديدة (عاصمة) سميت " القطائع " وأقام بها قصرا فخما لنفســه ، كما أسس مسجده المشهور الذى يحمل أسمه (لم يبدأ فى بنائه قبل ٨٧٦/٨٧٧) . وأستغرق بنائه سنتين وأقام إلى جواره دار الامارة وهو فى سبيل ذلــك أمــر بحرث قبور اليهود والنصارى وأختط موضعها مبنى القصر والميـــدان وبنــى اتباعه حوله (S. lanepoole P.63 – د. ترتون ، أهل الذمــة فــى الاســلام ص٥٤ عن المقريزى والكندى : الولاة والقضاة) . فمن أين أتى أبن طولـــون بالاموال الضخمة التى أنفقها فى إقامة هذه المنشآت خاصة المسجد الضخم ؟ لقد شك معاصروا ابن طولون من المسلمين فى مصدر هذا المال لهذا السبب قـــال الناس بعدم جواز الصلاة فيه لانهم لم يعرفوا أصل هذا المـــال أو مصـــدره .. ولكى يهدئ أبن طولون من روع الناس جمع (ابن طولون) الناس والقى عليهم خطبة أقسم فيها أن ذلك الجامع لم يبن بها .. ومما أشيع فى ذلك الوقت أن ابـــن طولون عثر على كنز أستخدمه فى بناء الجامع .. ورغم كل هذه المنشآت فـــى فترة وجيزة فقد ترك ابن طولون فى خزائنه عشرة مليون دينارا والسؤال الــذى يطرح نفسه ، من أين كل هذه الاموال التى بنى بها العمائر ، وخلفها بعد موتـــه فى خزائنه ؟

وأجابه على هذا السؤال يقول المؤرخ الانجليزى Stanley Lanpoole فـــى كتابه " تاريخ مصر فى العصور الوسطى ص ٦٦ ، عن مصدر هذه الامـــوال " انه اكثر من محتمل ان احمد بن طولون كان من وقت لاخر يفـــرض غرامـــات باهظة على بطريرك الاقباط (٢)

---

(١) قصه الكنيسة القبطية ص ٤٥٦ رقم ٥٨٤ (د. ايزيس حبيب المصرى)

(٢) تاريخ مصر فى العصور الوسطى ص٦٦ + أهل الذمة فى الاسلام ص٥٤ (د. ترتون)

٤ - كما يسجل البلوى الذى كتب " سيرة أبن طولون " - والذى يبدو أنه عاصر ذلك العهد أن ابن طولون لم يكن يعامل جميع طبقات الشعب على قدم المساواة . فكان يفضل الاتراك الذى هو منهم - على بقية المسلمين ، والملكيين (الـــروم الخلقيدونيين) على سائر النصارى . ونعلم مما ذكره المؤرخ البلـــوى أن ابـــن طولون كان يتردد على دير القصير ويعتكف فى صومعة من صوامعه للتأمل (١)

٥ - احمد أبن طولون ولقائه بالرحالة القبطى :

ويخبرنا المسعودى فى كتابه مروج الذهب ومعادن الجوهر أن أحمد بن طولـــون علم فى سنة ٨٧٤/٨٧٣ م أن رجلا قبطيا بصعيد مصر له مـــن العمـــر مائـــة وثلاثين سنه . عرف عنه العلم الواسع والاطلاع الكبير ، وأنه ساح فى بلـــدان عديدة وشاهد المماليك ووعى الكثير من المعارف ومصدره ومصدره ولاسيما عن مصـــر ونيلها ، فأمر بأحضاره فحملوه إليه فإذا هو رجل تبدو عليه دلائل الـــهرم لكـــن لاتزال حواسه سليمة وعقله صحيحا ، وعلم أحمد ابن طولون منه أن سر صحته يرجع إلى أعتداله فى مأكله ومشربه طوال حياته وانه لم يشرب الخمر ولا يتأنق فى الطعام ولا يلبس إلا البسيط من الثياب .. وأنه كان يحرص على نظافة بدنـــه ولا يميل مع شهوات نفسه . ولما أراد أن يحمله على تناول شئ من لذيذ المـــأكل والمشرب أبى .. سأله عن منابع النيل فقال " أعتقد أن منابع النيل مستقرة فـــى قمم الجبال الشامخة حيث توجد بحيرة واسعة وحيث يستوى الليل والنهار علـــى مدار السنة . وقد أطلق العلماء على هذه المنطقة أســـم " الخـــط المســـتقيم " .. والمقصود بذلك خط الاستواء وقد أعجب أبن طولون باجوبة هذا الشيخ القبطـــى وبسعة معلوماته فأذن له بالعودة إلى بلاده .. والعجيب أن الباحثين الاوروبييـــن لم يعرفوا منابع النيل إلا بعد ذلك بنحو تسعة قرون . (٢)

٦ - مساوئ أحمد بن طولون وقوته :

أ - على الرغم أن أحمد بن طولون لم يضع ضرائب جديدة على القبط إلا أنـــه أستغل وشاية ضد البابا خائيل الثالث (ميخائيل الاول) البطريـــرك الـــ ٥٦ (٨٨٠ م - ٩٠٧ م) فأستدعاه وحتم عليه بدفع عشرين ألف دينار . فأدى هـــذا التعسف إلى توتر العلاقات بينهما ، وبخاصة لان أبن طولون - حين وجد البابـــا الاسكندرى عاجزا عن دفع هذه الضريبة الفادحة - ألقاه فى السجن دون تردد . **ويروى المقريزى** " الكاتب المسلم " أن الانبا ميخائيل عن طريق أحـــد الكتـــاب

---

(١) سيرة ابن طولون " للبلوى "

(٢) مروج الذهب للمسعودى .

وأبنه أستطاع الخروج من السجن بعد أن ضمناه - وأضطر البابا ميخائيل الى بيع عقارات وقف كنائس الاسكندرية ، وبيع كنيسة لليهود بقصر الشمع المجاور للكنيسة المعلقة (ومازالت فى ايديهم إلى اليوم) ، كما باع لليهود أيضا قطعة من الارض (بأرض الحبش) وهى التى يستخدمها اليهود إلى اليوم مقابرهم شرقى منطقة البساتين وظل البابا فى ضيق شديد (١)

وبارشاد من الله قصد مدينة تانيس (اندثرت ومكانها بحيرة المنزلة غربى قبلى بورسعيد ليأخذ شيئا من صدقات النصارى هناك . وبعد أن أقام بتانيس يوما واحدا أحضر إليه جماعة ليتباركوا منه ويستفسروا عن أحواله ، وإذا راهب مستور الوجه نحيف الجسم زرى المنظر وبعد أن دخل وسط الجموع لأخذ بركة البطريرك ، جلس إلى جانب التلاميذ وقال لاحدهم لماذا أبونا البطريرك قلق بسبب ماهو مطلوب منه ... أمضى إليه وقل له بعد أربعين يوما يمزق الرب عنه الخط ولا يطلب منه مال بل يترك له " فتقدم التلميذ وأعلم البطريرك وطلب هذا الراهب ، لكنهم لم يجدوه فى المدينة كلها وبحثوا عنه حتى فى البلاد المجاوره فلم يجدوه .. وفى تمام الأربعين يوما مات أحمد بن طولون فى ١٠ مايو سنة ٨٨٤ م وجلس ابنه خماروية موضعه ، وعندئذ أخرج الوزير أحمد بن على الماذرائى الصك وسلمه ليوحنا المليجى كاتبه ، وأحضر البطريرك من تانيس . ونزل فى بيعة السيدة العذراء بقصر الشمع حيث كان يقيم أولا وأحضر الاراخنة عنده ، وأحضروا الصك فمزقه بيده ، " وعاد إلى قلايته يمجد الله "
ب - كما لا ننسى أن البابا شنوده الاول البطريرك الـ ٥٥ قد حلت به متاعب كثيرة فى عصر احمد ابن طولون بسبب بعض الوشايات الكاذبة المغرضة من بعض أولاده الخارجين والحاقدين وضعيفى الايمان .

+ كما ذكر القس منس يوحنا أن ابن طولون ظن أن الاقباط أغنياء فزاد عليهم الضرائب وعول على نهب اموالهم (٢)

جـ - قتل سعيد بن كاتب الفرغانى :

مهندس قبطى ظهر أسمه فى عهد الطولونيين .. وغالبا ما ينسب إلى ناحية فرغان بمركز ديرب نجم بمحافظة الشرقية ، أو إلى مدينة الفراجون التى أندثرت ومحلها اليوم مدينة سيدى سالم بمحافظة كفر الشيخ .. أول ما نسمعه عنه أنه تولى عمارة مقياس النيل فى جزيرة الروضة سنة ٨٦٤ م بعد أن أمر

---

(١) الخطط للمقريزى

(٢) تاريخ الكنيسة القبطية للقس منس يوحنا ص ٤٢٢

بعمارته الخليفة العباسى المتوكل .. ولما تولى أحمد بن طولون حكم مصر عـهد إليه ببناء اهم منشآته ، فبنى له أولا قناطر بن طولون وبئره عند بركـة حبش لتوصيل الماء إلى مدينة القطائع بين عامى ٨٧٣/٨٧٢ م .. ويقول المقريـزى " والذى تولى لأحمد بن طولون بناء هذه العين رجل نصرانى حسـن الهندسـة ، حاذق بها ، وأنه دخل إلى أحمد بن طولون فى عشية من العشايا فقـال لـه إذا فرغت مما تحتاج إليه فأعلمنى لنركب إليها فنراها . فقال يركب الامير إليها فـى غد فقد فرغت – فتقدم النصرانى فرأى موضعا بها يحتاج إلى قصريـة جـير وأربع طوبات ، فبادر إلى عمل ذلك . وأقبل احمد بن طولـون يتـأمل العيـن فاستحسن جميع ما شاهده فيها . ثم أقبل إلى الموضع الذى فيه قصرية الجـير ، فوقف بالقصد عليها حسب الاتفاق ، فلرطوبة الجير غاصت يد الفرس فيه فكبـا بأحمد . ولسوء ظنه قدر أن ذلك لمكروه أراده به النصرانى . فأمر به فشق عنه ما عليه من الثياب وضربه خمسمائة سوط وأمر به إلى المطبـق (السـجن) ، وكان المسكين يتوقع الجائزه بدل ذلك دنانير ، فاتفق له اتفاق سوء " (المقريزى ج ٤ الصفحة ٣٣٨) (١)

بعد ذلك فكر ابن طولون فى بناء جامع يكون أعظم ما بنى من المسـاجد فى مصر ويقيمه على ثلثمائة عمود من الرخام .. يقول المقريزى عن أحمد بـن طولون " فلما أراد بناء الجامع قدر له ثلثمائة عمود فقيل له ما تجدها ، أو تنفـذ إلى الكنائس فى الارياف والضياع الخراب فتحمل ذلك . فأنكر ذلك ولم يخـتره وتعذب قلبه بالفكر فى أمره

ويذكر القس منس يوحنا فى كتابه " تاريخ الكنيسة القبطية " فـى هـذا الصدد " أن احمد ابن طولون كان يسمع القرآن فى أحد الأيام وعلم بعدم جـواز استعمال أدوات مسروقة فى بناء الجوامع فشق ثيابه وصاح قائلا " أنه يسـتحيل على تشييد الجامع بدون نهب مواده من الكنائس فإنى ماسمعت من يوم وجـودى أن جامعا بنى دون أن تؤخذ أعمدته من كنائس المسيحيين أو حيث أنه لا يمكننى إلا مخالفة هذا الامر فسوف أخالفه وأستغفر ربى عن هذا الذنب إن لم يكن بنـاء الجامع كافيا للغفران " (٢)

ولما سمع سعيد بن كاتب الفرغانى وهو فى السجن ماكان من رغبة ابن طولـون وتردده كتب اليه يقول أنا أبنيه لك كما تحب وتختار بلا عمد إلا عمودى القبله .

---

(١) المقريزى ج ٤ الصفحة ٣٣٨

(٢) تاريخ الكنيسه القبطية " للقس منس يوحنا " (ص ٤٢٢)

فأحضره وقد طال شعره حتى نزل على وجهه . فقال له ويحك ما تقول فى بناء الجامع ، فقال أنا أصوره للأمير حتى يراه عيانا بلا عمد إلا عمــودى القبلـــه . فأمر بان تحضر له الجلود فأحضرت وصورة له فأعجبه واستحســـنه وأطلقــه وخلع عليه ، وأطلق له للنفقه عليه مائة ألف دينار . فقال له أنفق وما أحتجـــت إليه بعد ذلك أطلقناه لك . فوضع النصرانى يده فى البناء فى الموضع الذى هـــو فيه وهو جبل شكر . فكان ينشر منه ويعمل الجير ويبنى إلى أن فرغ من جميعه وبيضه .. فلما كان أول جمعه صلاها فيه أحمد بن طولون وفرغت الصـــلاة .. فلما أراد الانصراف .. صعد النصرانى الذى بنى الجامع .. وصاح يا أحمد بـــن طولون يا أمير الامان عبدك يريد الجائزة ويسأل الأمان أن لا يجرى عليه مثـــل ماجرى فى المرة الاولى فقال له أحمد بن طولون انزل فقد أمنك الله ولك الجائزة فنزل وخلع عليه ، وأمر له بعشرة الاف دينار وأجرى عليه الرزق الواسع إلـــى أن مات " (المقريزى ج ٤ الصفحات ٣٦ ، ٣٧) (١)

ويشهد جامع ابن طولون بعبقرية هذا المهندس القبطى .. وقد بدئ بنـاؤه فى ٨٧٦/٨٧٧ م واستغرق بناؤه سنتين . وترى العقود المدببة فى الجامع قبـــل أن يعرف استخدامها فى انجلترا بقرنين على الأقل(S. Lane Poole pp 66 ,64) وفيما يختص بما أنتهى إليه أمر هذا المهندس القبطـــى ، فـــان مصـــادر أخرى تروى أن أبن طولون عرض عليه أعتناق الاسلام فأبى وتمسك بايمانــــه المسيحى فقطعت رأسه ومات شهيدا (٢)

كلمة حق ينبغى أن تقال :

رغم كل ما سبق فقد ذكر عن أحمد بن طولون أنه كان كثيرا ما يـــتردد على دير القصير (دير ملكانى شرقى طره واندثر) ويعتكـــف فـــى صوامعـــه للتأمل . وقد استفاد الرهبان من هذه العلاقة فعندما تقدموا إليه بالشكوى من ثقـــل الجزيه المفروضة عليهم منحهم بعض الامتيازات وكف ايدى رجاله عنهم .

ثانيا : عصر خمارويه بن أحمد بن طولون (٨٨٤ م - ٨٩٥ م)

١ - صداقة أنبا باخوم أسقف طما مع خمارويه :

وفى عهد ابنه خمارويه زاد التعاطف مع المسيحيين وحذا حذو ابيه بالتردد علـــى دير القصير .. وجاء فى تاريخ البطاركة ان خمارويه كان صديقا للانبا باخوم أسقف طما ، بل أن خمارويه كان قد ائتمنه على الدفاع عن حدود مصر الغربية

---

(١) المقريزى جـــ ع ص ٣٦،٣٧

(٢) مقال لكامل صالح نخله عن هذا المهندس بمجلة التوفيق فى ١٥ فبراير ١٩٣٩ نقلا عن المقريزى والسيوطى والاسحاقى .

فى منطقته . وكان الاسقف أهلا لهذه الثقة فعين ثلثمائة جندى يحسنون الرماية بالنشاب لهذه الحراسة .. كما أعد لهم معديات فى عدة نقط لسهولة الانتقال من ضفة الى أخرى . وعين لهم أوقات الحراسة بالتناوب حتى يكون على أهبة الاستعداد لمراقبة أى تحركات للعدو .

٢ - سياسة بطريرك الأسكندرية الخلقيدونى وعزله :

وقد أشرنا تفضيل أحمد بن طولون للملكيين وكذا ابنه خمارويه على سائر النصارى . ومن هنا استطاع الخلقيدونيين أن يقيموا لهم أسقفا نصبوه بطريركا للاسكندرية بعد أن ظلوا قرنين كاملين من الزمان عاجزين عن إقامة بطريرك لهم .

ولاشك أن الكنيسة القبطية أستراحت مدة هذين الواليين من اعمال الشغب وقد استطاع الانبا باخوم أسقف طما وصديق خمارويه أن يقنعه أن اقامة بطريرك للخلقيدونيين لن يخدم مصر ، اذ من المحتمل أن يكون هذا البطريرك الدخيل جاسوسا لصالح الامبراطور البيزنطى ويكون هذا تمهيدا لغزو جديد للبلاد .. سر خمارويه من وطنية وإخلاص أسقف طما وخوله حق الذهاب إلى الاسكندرية واتخاذ مايراه صالحا للبلاد وللاقباط .. فأخذ الاسقف رسالة من خمارويه إلى والى الاسكندرية . وهناك نجح فى خلع الاسقف الخلقيدونى وستة من اساقفته ..

٣ - لى النقمة أنا أجازى يقول الرب :-

لما سمع خمارويه بخبر وادى النطرون سار إليه ، ودخل إلى بيعة القديس أبو مقار ونظر جسده المقدس وسأل عنه ، فقيل له هذا جسد صاحب هذه البيعة فأمر بحله من كفنه ، وأمسك شعر لحيته ، ففتح القديس عينيه فى وجهه فوقع على ظهره ، وظل ساعة مغشيا عليه لا ينطق فحملوه إلى خيمته ، وأخذوا من زيت قنديل أبو مقار ومسحوا به جبينه .. وحدثت أية أخرى مع خمارويه فى هذه البيعة ، ففيما هو يجتاز الباب ، أبصر صورة الشهيد تادرس وهى تنظر إلى الغرب وكان فى يد خمارويه حزمه ريحان فرمى بها الصورة ، قال خذها يافارس الشجعان فخرجت يد من الصورة وأخذت حزمة الريحان ، وظلت فى يده حتى أبصرها كل أحد فخاف خمارويه بن أحمد بن طولون جدا وبهت من هذه العجائب وأمر أن تعمل علامة فى تلك الصورة تسجيلا لم حدث ، فصوروا فى يده صليب آخر .. ويبدو أن هاتين المعجزتين جعلتاه يراعى النصارى ولاسيما الاساقفة والرهبان (١)

---

(١) تاريخ البطاركة مجلد ج ٢ ص ٧٧

٤ – خمارویة ودیر القصیر

وكان خمارویة یتردد على دیر القصیر بالجبل الشرقی (شرقی طره) ، وكـان یعجب بصورة للسیدة العذراء حاملة المسیح والملائكة عـن یمینـها ویسـارها وصور التلامیذ الاثنی عشر . وبنی خمارویة فی اعلا الدیر غرفة لیقیـم فیـها جعل لها أربعة طاقات إلی أربع جهات (الشابشتی : الدیارات ص ٢٨٤ – أبـو صالح الارمنی ، كنائس وادیرة مصر ، ورقة ٤٩ (١)

٥ – نهایة خمارویة :

أغتیل خمارویة فی أثناء زیارته لدمشق سنة ٨٩٥ م بسبب مؤامرات الحریـم ، ذلك أن خمارویة رغم عدالته وهمته كان ولوعا بالنساء فجمع العدید منهن فـی قصوره الباذخة ویبدو أن الحسد أكل قلوب البعض منهن فتأمرن علـی قتلـه . وكان حادث إغتیال خمارویة بدایـة سلسـلة مـن الاغتیـالات والمؤامـرات والاضطرابات .

ثالثا : حالة الكنیسة بعد مقتل خمارویة : (٨٩٦ م – ٩٠٥ م)

١ – معاناة الاقباط فی هذه الفترة :

بوفاة خمارویة أوائل سنة ٨٩٦ م أخذت الدولة الطولونیة فی الضعف والانحلال وتولی زمامها أفراد من البیت الطولونی تعوزهم الحنكـة السیاسـیة .. فبعـد خمارویة تولی **أبنه أبو العساكر حبش** (٨٩٥ – ٨٩٧) فلم یرض عنه الجنـد وخلعوه . تولی بعده أخوه أبو موسی هارون (٨٩٧ – ٩٠٥) وهو فی الرابعة عشرة من عمره ، فلم یكن یصلح بطبیعة الحال للولایـة .. وإذ بـدا واضحـا ضعف الطولونیین بعث الخلیفة العباسی المكتفی بقائدة محمد بن سلیمان الكـاتب لاسترداد مصر . فهزم الاسطول المصری وفر هارون بن خمارویة حیث قتلـه عماه شیبان وعدی . لكن الجند لم یرضوا عن عملهما . ولما عین شیبان والیـا علی مصر ، رفضوا الاعتراف به وكاتبوا محمد بن سلیمان ، فنزل الفسـطاط ومنها إلی القطائع عاصمة الطولونیین سنة ٩٠٥ م واشعل فیها النار فالتـهمت الدور والمساجد والحمامات والاسواق والبساتین ، وهكذا قضـی علـی الدولـة الطولونیة وخربت القطائع حاضرتهم ولم یبق منها غیر مسجد ابن طولون . وقد نال الاقباط من ذلك شدائد كثیرة نتیجة نهب جنده بعـض المـدن واسـتباحتهم المحرمات .

---

(١) یرجح أن هذا الدیر هو دیر القصیر وبناه اركادیوس الامبراطور أبن ثیؤدوسیوس فوق قبر معلمه أرسـانیوس – والتسمیة – القصیر نسبة إلی یحنس القصیر)

٢ - رغبة بغداد فى القضاء على الاسرة الطولونية :

فلقد ساد البلاد المصرية حالة من الاضطراب والفوضى لاكثر من سبب فـــابن خمارويه الاكبر عند مقتل ابيه كان صبيا فى الرابعة عشرة من عمره . وهيهات فى هذه السن إمكان حمل المسؤولية ، فضلا عن أنه نشأ مدللا . وثمة سبب ثـان هو أن حكومة الخلافة فى بغداد كانت تريد القضاء على الاسرة الطولونية لمـــا أحرزته من نفوذ وثروة .

٣ - كلمة حق ينبغى أن تقال :

ولم يقتصر غضب حكومة الخلافة ببغداد على الطولونيين وحدهم ، بل أمتد إلـى المصريين فضاعفت الضرائب عليهم .. وذكر المقريزى أن الوزير علــى بـن عيسى وفد الى مصر وقرر فرض ضرائب على الاساقفة والرهبان والعجزه من الاقباط . فذهب وفد قبطى إلى بغداد وقدموا التماسا إلــى الخليفــة بأعفائــهم ، وبالفعل قبل التماسهم وبعث برسالة الى وزيره فى مصر يخبره فيها بما قـوره . وأن يعامل النصارى بالرفق واللين ويراعى العهود والمواثيق التــى بأيديــهم ، لاسيما أرباب الكهنوت والرهبان والفقراء (١)



(١) الخطط للمقريزى

الباب الثامن

الكنيسة القبطية فى عصر الدولة الاخشيدية
ابتداء من سنة (٩٣٥ م - ٩٦٩ م)

" الفصل الأول "

يمكن دراسة أحوال الكنيسة القبطية وملامحها فى عصر الدولة الاخشيدية بفحص هذه النقاط التالية : -

١ - وبسقوط الطولونيون سنة ٩٠٥م عادت مصر الى عهد التبعية المطلقة للعباسيين لكن الاضطرابات الداخلية لم تتوقف بسبب ضعف الخلفاء العباسيين .. وظل الامر كذلك حتى قيام دولة الاخشيديين بعد ثلاثين سنة (٩٣٥ - ٩٦٩ م)

٢ - وعلى وجه العموم لم يشر المؤرخون المسيحيون إلى تسامح الاخشيديين ، مثلما أشاروا إلى تسامح الطولونيين بل أنهم يتهمون محمد بن طفح الاخشيدى مؤسس هذه الاسرة أنه حينما عجز عن دفع مرتبات الجند ، أضطهد الاقباط وابتز منهم أموالا كثيرة مما أضطرهم إلى تصفية بعض ممتلكات الكنائس .. لكن يبدو أن هذه الضغوط كانت عامة فيذكر تاريخ البطاركة سيرة أنبا مينا الثانى البطريرك الـ ٦١ (٩٥٦ - ٩٧٤ م) أنه حدث غلاء شديد فى مصر أستمر سبع سنين متوالية بسبب نقص فيضان النيل ثلاث سنوات متوالية بالاضافة إلى هجوم النوبيين على مصر .. " وكان غلاء عظيم فى جميع أرض مصر حتى أن كورة مصر خلت من الناس لكثرة الموت والجوع الذى كان . وخربت عدة من كراسى الأساقفة لخلوها من الناس . ولم يقم لها أساقفة ، بل أضيفت إلى الكراسى العامرة المجاورة لها " .

٣ - وتقول دكتورة سيده أسماعيل كاشف فى كتابها (مصر فى عصر الاخشيديين) .. ولا نسمع فى العصر الاخشيدى شيئا عن التزام أهل الذمة بالقوانين الخاصة بمخالفة هيئتهم هيئة المسلمين فىاللباس والركوب ... وكانت العلاقات بين المسلمين وأهل الذمة فى العصر الاخشيدى طيبة فى معظم الاحيان . كانت المشاغبات بين الفريقين تنشأ حين يقصد الشعب أن يحارب سيطرة أهل الذمة على الشؤون المالية فى البلاد . وحين ينتصر البيزنطيون على المسلمين فى أطراف الشام ، وحين يحتج المسلمون على السماح للمسيحيين بتعمير الكنائس . ومن ذلك مايروى عن هياج العامة وتخريب الكنائس فى مصر حين ورد الخبر بأن البيزنطيين دخلوا الشام سنة ٩٦٠م وقتلوا وخربوا . ولما غزا الامبراطور البيزنطى نيقيفور فوكاس جزيرة اقرطيش (كرسيت) فى العام التالى وخرب مافيها من المساجد وسبى من أهلها خلقا كثيرا . ووصل خبر ذلك

الى مصر ، ثار العامة وخربوا إحدى الكنائس فى مصر القديمة (١)

٤ - كلمة حق ينبغى أن تقال :

نعم لقد تخللت حكم كافور الاخشيدى حروب شنها الامبراطور البيزنطى " نيقيفور فوكاس " على حدود سوريا الشمالية فأصاب فيها نصرا كبيرا .. لكن من الانصاف القول أنه بالرغم من أن الاغلبية فى مصر كانت تحقد على هذا العمل كل الحقد .. وبالرغم من أن الشعب كان يثير الشعب بعد كل موقعه يشترك فيها البيزنطيون ، ويهاجم النصارى ويضرب بعض كنائسهم ، إلا أن هذه المظاهرات لم تشجعها السلطات الحاكمة التى كانت تلجأ فى الحال إلى القوة لاخمادها .. بل على العكس أصدر الخليفة سنة ٩٥٢ م مرسوما لتهدئة النفوس فى أنحاء الامبراطورية الاسلامية أعلن فيها رفع الجزية عن الاساقفة والرهبان والعلمانيين المعوزين .

ويؤكد هذا الكلام ماذكره المؤرخ الانجليزى ستانلى لين بول من أن المصريين ظلوا على ولائهم لكافور الاخشيدى ، حتى فى الوقت الذى أغار فيه النوبيون على مصر ، وذلك لما أمتاز به من عدل وانصاف جعله يسوى بين رعاياه على اختلاف اديانهم ومذاهبهم (pp.87, 88).(٢)

بالاضافة الى ذلك كان الوزير المقرب الى كافور الاخشيدى حاكم مصر قبطيا أسمه أبو اليمن قزمان بن مينا الذى ظل فى الوزارة طيلة حكم كافور .

- ومن أعظم الادلة على انصاف كافور وتقديره للكفايات بغض النظر عن دين أصحابها أن عمال الترسانات والمراكب كانت غالبيتهم من القبط وكان القداس الالهى يقام رسميا لهم على المراكب .

كذلك كانت الاحتفالات بالاعياد المسيحية تقام بصورة رائعة على شاطئ النيل . كما كانت المراكب الخاصة بها تسير فى الميادين العامة والشوارع الرئيسية ويذكر أن محمد بن فاضل الاخشيدى كان يشترك مع الاقباط فى احتفالاتهم بعيد الغطاس ويجلس فى جزيرة بالنيل وحوله الف قنديل (٣)

١- تاريخ مصر فى القرون الوسطى (لستانلى لاين بول ص ٨٧ - ٨٨

٢- كتاب مصر فى عصر الاخشيديين للدكتوره سيده اسماعيل كاشف .

(٣) تاريخ الامة القبطية - المجلد الرابع - مصر الاسلامية من الفتح العربى الى الفتح التركى لجاستون فييت ص ١٧٥ - ١٧٧ + المسعودى - مروج الذهب - ج ١ ص ٢٥٨

" الفصل الثانى "

أشهر العلماء الأقباط فى عصر الدولة الاخشيدية :

١ – أبو المكارم :

وهو الشيخ المؤمن ابو المكارم سعدالله بن جرجس بن مسعود زوج السيدة جليلة ست الدار بنت أخى سيف الدولة . وقد كان من أفاضل القبط ومؤرخيهم .

٢ – ساويرس بن المقفع : (فى عصر الدولة الاخشيدية والدول الفاطمية):

هو من أعظم الشخصيات الذين أنجبتهم الكنيسة القبطية فى القرن العاشر الميلادى ، ولد نحو سنة ٩١٥ م من والد لقب بالمقفع (معناه المنكس الرأس دائما أو من كانت يده متشنجة) .. وقد يكون ساويرس هو أول من نشر كتبا مسيحية باللغة العربية .. أهتم بجمع سير البطاركة السالفين جمعها من المخطوطات القبطية واليونانية بدير أبى مقار بوادى النطرون ودير نهيا قرب الجيزة (اندثر) . وقد أتم هذا الكتاب وهو فى سن الثمانين .

وكتبه تدل على معرفته للفلسفة اليونانية والاسلامية . فلا يوجد مصنف من مصنفاته إلا وفيه رد فلسفى دقيق كما كانت له دراية بالطب والفلك .

تدرج فى وظائف الدولة فى عصر الاخشيديين حتى أصبح كاتبا ماهرا . وكان يشترط فى كاتب الدواوين إلماما باللغة العربية . وعلى ذلك فقد كان ملما بالعربية إلى جانب القبطية واليونانية . وكانت وظيفة الكاتب شريفة جدا .. وعرف ساويرس فى ذلك الوقت بإسم أبى البشر بن المقفع الكاتب " . وهذه الكنية لا تعنى أنه أنجب ولد اسماه بشر . وانما تدل على أنه كان شخصا معتبرا ومبجلا على نحو ما جرت عليه العادة فى ذلك الوقت .

وبعد أن وصل أبو البشر إلى اعلا المناصب ترك مجد العالم وتخلى عن وظيفته وترهب فى أحد الاديرة التى نجهلها . ولا شك أنه استفاد من فترة ترهبه ليكمل تكوينه الدينى وكان هذا التكوين يعتمد أساسا على قراءة الكتاب المقدس ومؤلفات الآباء . وقد تفوق أبو البشر فى كليهما .

سيامته أسقفا :

أختير أسقفا على مدينة الاشمون (كانت أسقفية عظيمة مزدهرة بالكنائس والاديرة . ذكرت فى جداول الاسقفيات منذ القرن الرابع المسيحى تحت أسم هرموبوليس الكبرى) وهى الآن قرية تابعة لمركز الروضة محافظة أسيوط شمال غربى ملوى .. ولا يعرف من من البطاركة رسمه أسقفا ، لكن يحتمل أن يكون قد رسم بيد أنبا مقارة البطريرك ٥٩ (٩٣٢ – ٩٥٢)

مناظراته ومجادلاته مع أئمة المسلمين :

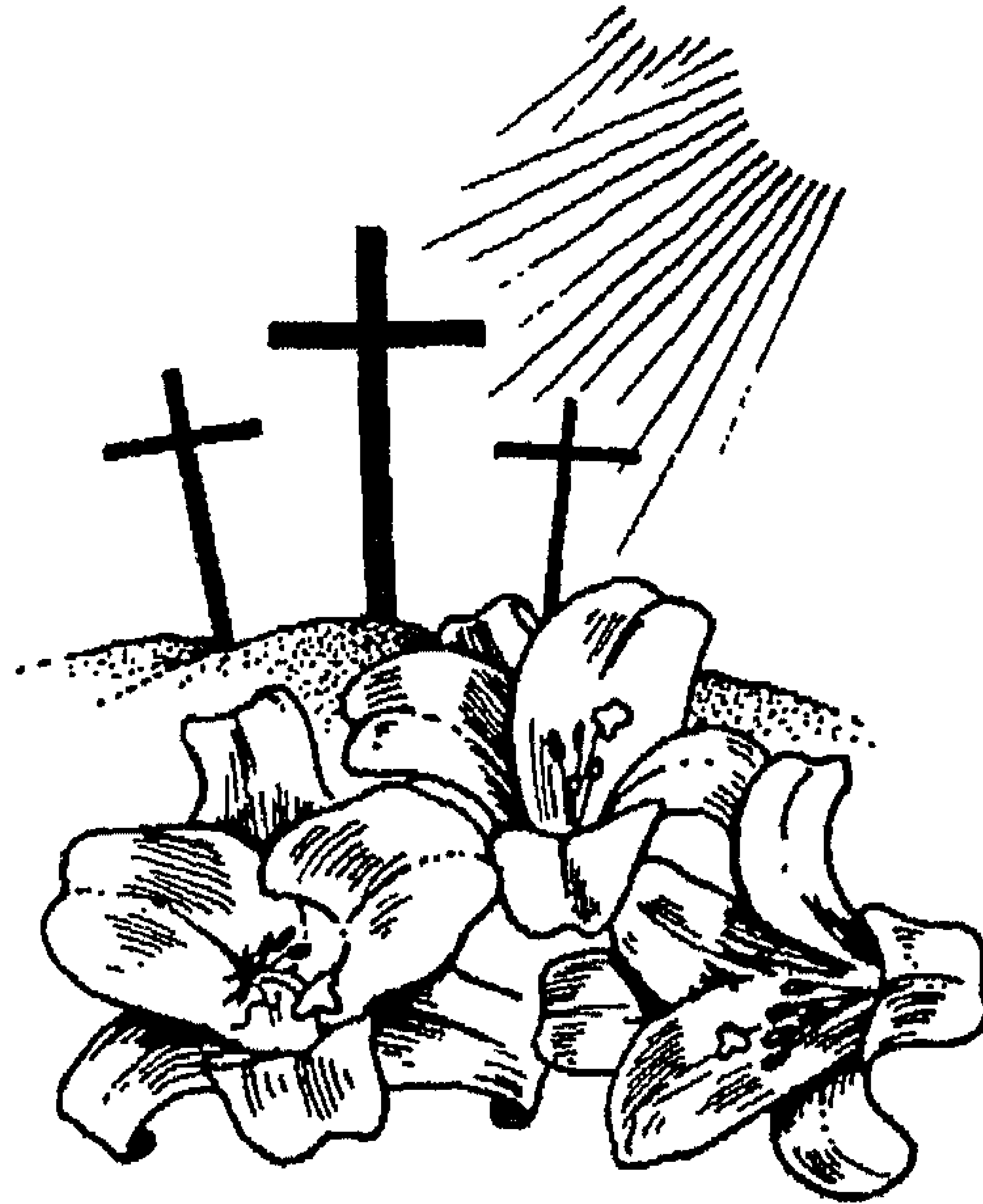
من الامور التى أشتهر بها مجادلاته مع أئمة المسلمين فى عصره......جرت لـه مناظره قبل سنة ٩٥٥ مع أحد علماء الاسلام . فدون ساويرس مناقشته هذه عـن الثالوث القدوس فى " كتاب المجالس " وللاسف الشديد فقد هذا الكتـــاب . وقـد علمنا بهذا الكتاب حينما أشار هو إليه فى كتابه " تفسير الامانة " ، حينما أراد أن يرفع عن المسيحيين تهمة تحريف كتابهم المقدس ويعتبر ساويرس بن المقفـع – بلا منازع – أكبر عالم دين ولاهوتى مسيحى فى القرن العاشر الميلادى كلـه .. كان صديقا للبابا ابرام بن زرعة السريانى. البطريرك ٦٢ . كما كـــان يـتردد على بلاط المعز لدين الله الفاطمى ، الذى كان يدعوه للمناظرة مع ائمة المسلمين واليهود فى حضرته .. وكان ساويرس يتفوق عليهم بقوة حجته وفرط ذكائـــه .. وبسبب توقد ذكائه وعلمه كان له علاقة طيبة مع كبار علماء المسلمين ، وكـــان يمزج جلساته معهم بالمرح ... ومن أمثلة مرحه وسرعة بديهته أنه كان جالســا عند قاضى القضاه ، وحدث أن مر عليهم كلب . وكان يوم الجمعة ، وكان هناك بعض الجالسين . فقال له قاضى القضاه " ماتقول ياساويرس فى هذا الكلب هـــو نصرانى أو مسلم . فقال له أسأله فهو يجيبك عن نفسه . فقال له القــاضى هــل الكلب يتكلم . وإنما نريدك أنت أن تقول لنا . قال نعم يجب أن نجرب هذا الكلب وذلك أن اليوم يوم الجمعة ، والنصارى يصومون ولا يأكلون فيه لحـــم . فــاذا فطروا عشية يشربوا النبيذ . والمسلمين ما يصوموه ولا يشـــربوا فيــه النبيـذ ويأكلوا فيه اللحم . فحطوا قدامه لحم ونبيذ فان أكل اللحم فهو مســلم ، وإن لــم يأكله وشرب النبيذ فهو نصرانى . فلما سمعوا كلامه تعجبوا من حكمتـــه وقـــوة جوابه وتركوه " (١)

وبالاضافة إلى مناظره المسلمين فقد كانت له منـــاظرات مـــع اليـــهود . منـــها مناظراته مع موسى اليهودى التى تمت فى حضرة المعز لدين الله ســـنة ٩٧٥ م وقد رواها الشماس ميخائيل ابن بدير الدمنهورى فى كتاب " تـــاريخ البطاركـــة (المجلد الثانى ، الجزء الثانى ، الصفحة ٩٣) – وهى مناظرة ظريفة .. كـــان موسى اليهودى صديقا ليعقوب بن كلس الوزير الذى كان يهوديا وأعتنق الاسلام .. وفى اليوم المحدد حضر موسى اليهودى والوزير بن كلس بحضرة الخليفـــة المعز فى قصره. فجلسوا وقتا طويلا وهم سكوت " فقال لهم الملك المعز تكلمـــوا فيما اجتمعتم فيه . ثم قال تكلم يابطرك وقل لنائبك يقول مما عنده . فقال البطرك للأسقف تكلم ياولدى فان الله يوفقك . فقال الاسقف للمعز الملك ما يجوز خطـــاب

---

(١) كتاب تاريخ البطاركة المجلد الثانى (ج ٢) ص ٩٢،٩٣

رجل يهودى بحضرة أمير المؤمنين . فقال له اليهودى أنـــت تعيبنـــى وتقـــول بحضرة أمير المؤمنين ووزيره أنى جاهل . قال له الاسقف أنبـــا ســـاويرس إذا ظهر الحق لامير المؤمنين مايكون فيه غضب . قال الملك المعز ما يجـــوز أن يغضب أحد فى المجادلة ، بل ينبغى للمجادلين أن يقول كل واحد منهم مـــاعنده ويوضح حجته كيف شاء . قال الاسقف ما أنا شهدت عليك يايهودى بالجهل بـــل نبى كبير جليل عند الله شهد عليك بذلك قال اليهودى : ومن هو النبى . قال لـــه هو أشعياء الذى قال فى أول كتابه عن " الله " عرف الثور قانيه والحمار عـــرف مذود سيده واسرائيل لم يعرفنى " فقال المعز لموسى أليس هذا صحيح . فقـــال نعم هذا هومكتوب قال الاسقف أليس قد قال الله أن البهائم أفهم منكم ، وما يجوز لى أن أخاطب فى مجلس أمير المؤمنين دام عزه من تكون البهائم أعقل منـــه . وقد وصفه الله بالجهل . فأعجب الملـــك المعـــز ذلـــك وأمرهـــم بـــالانصراف وأستحكمت العداوة بين الفريقين ، وقوى غضب الوزير وصار يطلب عثرة على البطريرك لاجل أنه فضح اليهود بين يدى الملك المعز "(١)



تاريخ البطاركة ، المجلد الثانى ، الجزء الثانى ، الصفحتان ٩٣ ، ٩٤

الباب التاسع

تاريخ الكنيسة القبطية فى عصر الدولة الفاطمية
الذى ابتدأ من سنة (٩٦٩ م - ١١٧١ م)

" الفصل الأول "

وبوفاة كافور الاخشيدى سنة ٩٦٨ م أختار الجند ورجال البلاط ابنه وكان صبيا لم يبلغ الحادية عشرة من العمر .. وهكذا وقعت البلاد فى فوضى وضعف واضطراب بسبب ضعف الاخشيديين وكذلك العباسيين ، وانتهز الفاطميون الذين أسسوا دولتهم فى بلاد المغرب هذه الفرصة للهجوم على مصر .. وارسل الخليفة الفاطمى المعز لدين الله جيشا بقيادة جوهر الصقلى لفتح مصر وكان ذلك سنة ٩٦٩ م . وكان قوام هذا الجيش أكثر من مائة ألف مقاتل مسلحين ومعهم ألف جمل واعداد كبيرة من الاحصنة Horses .

ومما هو جدير بالذكر ، أن جوهر الصقلى هو الذى أسس مدينة القاهرة لتصبح حاضرة للفاطميين ، وبنى فيها المسجد الجامع وهو الجامع الازهر الذى مازال برسالته قائما وباقيا الان .

وقد وجد الفاطميون كل شئ مهيئا فى مصر ، ولم يتحرك أحد من المصريين ليقف فى وجه الغازى الجديد سوى البشموريين الذين انضموا إلى الاخشيديين . لكن جوهر الصقلى سحق هذه الثورة بسرعة عجيبة وبطش بالاخشيديين بطشا عنيفا . وكان فى ذلك درس لمن تسول له نفسه القيام بثورة أخرى .

وبعث جوهر برسول إلى جرجس ملك النوبة يذكره بالجزية التى فرضت على اسلافه وعرض عليه إمكان الاعفاء من الجزية إن هو أعتنق الاسلام . فرد عليه الملك النوبى بأرسال المبلغ المطلوب .

الوزير القبطى بجانب الخليفة : -

كان الخليفة المعز يتمتع بصفات شخصية طيبة واحتذى به قائده جوهر ، فأحسن معاملة المصريين وعاملهم بالعدل والانصاف ولم يميز بين مسلم وقبطى . وأبقى على الوزير القبطى أبو اليمن قزمان بن مينا الذى ظل فى الوزارة طيلة حكم كافور الذى أمتد إلى أثنتين وعشرين سنة .. بل أنه أنس إليه وخوله سلطة أوسع مما كان يتمتع بها فى عهد كافور .

وقد امتد حكم الفاطميون فى مصر إلى مائتى سنة كاملة (٩٧٢ - ١١٧١ م) كما تقلبت سياسة الفاطميين من التسامح الكامل إلى الاضطهاد الشنيع .

فبعد أن مهدوا للاقباط ولاهل الذمة بصفة عامة عصرا زاهرا ، عادوا فقضوا عليهم وعلى أمالهم قضاء مبرما . الحق أنه لم يحكم تصرفات هؤلاء الحكام والخلفاء سياسة ثابته . لكن الامر كان يرتبط بالاستعداد الشخصى لهؤلاء الحكام والخلفاء .

أصل جوهر الصقلى ومعاونوا المعز :

كان جوهر الصقلى الذى زحف من المغرب إلى مصر وفتحها ، وأسس مدينة القاهرة عبدا يونانيا قدم هدية إلى الخليفة المعز ، ولذلك يعرف بأسم جوهر الرومى .. وممن عاون المعز أيضا يعقوب بن كلس ، وهو يهودى من بغداد أعتنق الاسلام بهدف دنيوى . قدم يعقوب هذا الى مصر فى عهد كافور الاخشيدى . ويذكر المؤرخ " ابن القلانس " أن يعقوب بن كلس كان واسع الحيلة والدهاء . ويروى أن كافور قال عنه يوما " لو كان مسلما لاستوزرته " . فلما سمع يعقوب ذلك دخل مسجدا فى يوم جمعة ونطق بالشهادتين .. وما لبث أن هرب إلى المغرب ، وعاون الفاطميين على فتح مصر . وقد جعله المعز أكبر مستشارية وعينه أمينا على بيت المال .

ومما ينبغى ذكره فى هذه الفترة (تعصب مسلموا مدينة تانيس)

عندما دخلت مصر فى حكم الدولة الفاطمية تعصب ضدها مسلموا مدينة تنيس ورفعوا راية العصيان وجعلوا يعبثون فى الارض فسادا فنهبوا أغنياء النصارى وخطفوا بناتهم ونساءهم وفضحوهن ، و إستمروا يظلمون الاقباط ويخربون البلاد . (١)

وفيما يختص بسياسة الخلفاء الفاطميين تجاه الأقباط وأهل الذمة سنقدم كمثال خمسة خلفاء : المعز والعزيز والحاكم بأمر الله والظاهر والمستنصر .

(أ) المعز لدين الله (٩٦٩ - ٩٧٦ م)

سياسة غير ثابتة : -

كان من أكثر الحكام تسامحا وأوسعهم صدرا ، كما كان سياسيا محنكا..كان واسع العلم ، وكان يعرف عدة لغات . فالى جانب العربية وحفظ الشعر العربى ، فانه كان يجيد اللغات اليونانية والسودانية ولغة بربر شمال افريقيا ، كما كان يتكلم السلافونية ليتحدث بها مع عبيده الذين جلبهم من شرقى أوروبا .. وبالاضافة إلى ذلك فقد كان خطيبا بارعا إلى حد انه كان يستذرف الدموع من عيون سامعيه . وإلى جانب هذا كان جوادا كريما منصفا يحب العدالة

---

(١) كتاب الخريدة النفيسة فى تاريخ الكنيسة جـ ٢ ص ٢٤٤

(S. Lane Poole P. 99) . كما كان المعز ولوعا بالعلوم الروحية . ولذلك كان يدعو رجال الدين من مسلمين وأقباط ويهود ليتناقشوا فى حضرته بكل صراحة .. ولكن على الرغم من هذه الصفات الطيبة التى كان يتحلى بها المعز لدين الله فالسياسة لها مقتضياتها - كان يدرك تماما أنه لن يستطيع حكم البلاد وهو أمام تيار العداء العام . فقد حاول أن يتقرب إلى السنيين ، وذلك باظهار شيء من النفور إزاء الذميين . لذلك نجده يلغى التقليد الذى بدأه الاخشيديون من حضور الحفلات الخاصة بالنصارى . ومنع الأقباط فى عيد النيروز من جمع الحسنات من العظماء ، ومن عادة رش المارة بالماء العكر أو إشعال الصواريخ فى هذه المناسبة . كما حرم عليهم نصب الخيام والتنزه بالزوارق فى النيل بالقرب من المقياس فى ليلة عيد الغطاس . وهدد بالاعدام شنقا كل من يخالف أوامره . فكف النصارى عن الاحتفال بهذه الأعياد طيلة عهده (جاك تاجر ، أقباط ومسلمون ، الصفحة ١٢٠ ، عن ابن اياس ، بدائع الزهور فى واقع الدهور)

أما الأستاذ الدكتور جمال الدين سرور فى كتابه الدولة الفاطمية فى مصر فيقدم رأيا يخالف الرأى الأول . وهو أن بعض خلفاء الفاطميين بعد أن جاءوا إلى مصر بمذهب شيعى خالفوا به جمهور المسلمين ، إنهم بحاجة إلى من يعاونهم تثبيت سلطانهم . ولما أيقنوا أنه من المتعذر عليهم الاعتماد على السنيين فى مصر - وهم أصحاب الدعوة العباسية - قربوا إليهم أهل الذمة وأظهروا لهم كثيرا من التسامح . واستخدموهم فى أهم شئون الدولة . على أن هذه السياسة لم يتمسك بها الفاطميون . فكثيرا ما اضطروا إلى العدول عنها . (١)

ايمان المعز بالمسيحية ومعموديته : -

يذكر الفريد بطلر المؤرخ الانجليزى الذى كتب كتابا فى مجلدين عن كنائس مصر القديمة أن المعز بعد نقل الجبل المقطم أمر بهدم المسجد الذى كان يقع مقابل كنيسة أنبا شنودة بمصر القديمة . وأنه اعتمد فى المعمودية التى بجوار هيكل يوحنا المعمدان . وأنه تنازل عن كرسى الخلافة لابنه العزيز بأمر الله ، وصرف أيامه الأخيرة فى العبادة فى أحد الأديرة (٣٩) - وأورد هذه القصة ابن المكين فى القرن الرابع عشر ، وذكرها مرقس باشا سميكة . وإن كان المؤرخون المسلمون ينفون بشدة هذه الواقعة .. لكننا نقول أنه وإن كان اعتناق الخليفة المعز لدين الله للمسيحية لم يذكره مؤرخ مشهور ، لكن الملابسات كلها تدل على صدق القصة وواقعيتها .. فمثلا يحيى بن سعيد الأنطاكى المتوفى سنة

---

(١) الدولة الفاطمية فى مصر (للدكتور جمال الدين سرور) ص ٨٦

١٠٦٦ م فى كتابه " صلة كتاب سعيد بن بطريق المسمى التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق - وإن كان لم يشر إلى معجزة الجبل المقطم ونقله ، لكنه يذكر بدون قصد أن خبر موت المعز لدين الله ظل مكتوما زهاء ثمانية أشهر ، وانه فى يوم من الأيام قبل وفاته ، جعل أسرته تبايع ابنه العزيز بالخلافة (١)

وفاة المعز : -

ويقول الدكتور جاك تاجر فى كتابه أقباط ومسلمون " غير أن هناك نقطة مازالت تقلقنا : لقد أثار المعز - وهو أول خليفة نزل مصر - إشاعات حول وفاته ، ولم يتردد فيها التاريخ القبطى حيث يقول أن هذا الخليفة ترك الحكم بعد أن اعتنق المسيحية . ومن جهة إخرى بلغ تسامح ابنه العزيز مع النصارى درجة تدعو إلى الدهشة بالنسبة إلى عمره . أما الحاكم فانه اختفى بعد أن تردد أخر شهور خلافته على الرهبان وأصلح الأديرة والكنائس وزار الأديرة وزينها وأهمل محاربة الصليبيين . وأخيرا خاطر الحافظ بحياته ليحمى وزيره بهرام النصرانى ، هل نستطيع أن نجزم بان الافراط الذى وقعت فيه الأسرة يبرره فقط إخلاص النصارى لها ؟ (٢)

كما ذكر كتاب الخريدة النفيسة فى تاريخ الكنيسة أن المعز بعد حادثة نقل الجبل المقطم تنصر ولبس زى الرهبان ، وقبره ومعموديته الى الان فى كنيسة أبى السيفين (١)

حقيقة ينبغى أن تقال : -

ومما ينبغى ذكره أن المعز لم يتجل تقديره للقبط فى السماح لهم بترميم الكنائس وتجديدها فحسب ، إنما أيضا عين قبطيا متوليا للخراج أولا فى مصر ثم فى فلسطين ، وكان هذا القبطى هو أبو اليمن الذى كان قد حظى بالتقدير العظيم عند كافور الاخشيدى أو كان بمثابة وزير للمعز .

كما يذكر ان اولاد قشلام المسيحيين عندما استنجدوا بالمعز لتأديب المعتدين على مسيحى مدينه تانيس الذين سلبوا اموالهم وخطفوا نسائهم وبناتهم انجدهم وحاصر جيشه تانيس ثلاثه شهور ولما استسلم العصاه اولم لهم ثم قام بذبحهم عن آخرهم . هكذا كانت علاقة الخلفاء المسلمين الذين يؤمنون ما فى الاسلام من سماحة ومودة مع الاقباط.

---

(١) كتاب كنائس مصر القديمة " المورخ الانجليزى الفريد تبلر "

(٢) كتاب أقباط ومسلمون " د . جاك كاجر " ص ١٥١ ، ١٥٢

وقد إشتهر عدد من رجال عائلة أبى اليمن فى خلافة الفاطميين وأدوا خدمات جليلة لوطنهم ولكنيستهم ومن هؤلاء : الشيخ ابو المكارم بن حنا والشيخ صنيعه الملك أبو الفرج ، والشيخ علم السعداء أبو اليمن ، والشيخ أبو الفرج بن أبى اليمن (١)

(ب) العزيز بأمر الله (٩٧٦ - ٩٩٦)

جميع المؤرخون الثقاة يجمعون على أن هذا الخليفة شمل النصارى برعايته سواء الملكانيين أو اليعاقبة .. وحتى خلافة العزيز كانوا يعتبرون الوالى متسامحا أن هو أعطى تصريحا بترميم كنيسة أو ببنائها مقابل هدية مالية . لكن فى خلافة العزيز نرى السلطة هى التى تقوم بهذا العمل وتسهر على حراسة العمال ، إذا اقتضى الأمر ذلك .. ويمكن القول أن العزيز عمل على إلغاء الفوارق الاجتماعية بين المسلمين والذميين .. وبهذا يمكن القول دون مبالغة أن خلافة العزيز تعد تحولا هاما من تاريخ مصر الاسلامية ، لأن الخليفة دعا لأول مرة لمبدأ المساواة الكاملة بين المسلمين والذميين . كما أن الخلافة الفاطمية فى عهده وصلت الى اوج عظمتها .

تزوج العزيز من مسيحية ملكانية . وأنجب منها ضمن من أنجب بنتا أسماها " ست الملك " ، كانت تتعاطف كثيرا مع المسيحيين .. وكان العزيز يحب زوجته المسيحية وابنته حبا جما ويأخذ بمشورتهما ، حتى أنه أصدر أمرا مخالفا للقانون ويقضى بتعيين نسيبيه (شقيقى زوجته) بطريركين ملكانيين . الأول ويدعى اريستس (Orestes) بطريركا على بيت المقدس والآخر ارسانيوس مطرانا للقاهرة ورقى فى عهد الحاكم بأمر الله بطريركا للملكانيين بالاسكندرية (٢).

غضب المسلمين لاعتماد العزيز على الذميين وأثر ذلك : -

ولاشك أن اعتماد العزيز على الذميين وممن اسلموا ظاهريا - كيعقوب بن كلس - أثار غضب المسلمين .. فقد ظل يعقوب بن كلس ولمدة خمس عشرة سنة ساعد العزيز الأيمن ، حتى أنه حينما توفى حزن عليه العزيز حزنا شديدا وذهب إلى داره وصلى عليه وكشف عن وجهه ، وبكى عليه بكاء شديدا ، وأمر أن يدفن فى داره بالقاهرة فى قبة كان بناها لنفسه ، وحضر جنازته وأغلق الدواوين وعطل الأعمال أياما (٣) .

وبعد وفاة يعقوب بن كلس سنة ٩٩١ م منح العزيز ثقته لعيسى بن نسطورس

---

(١) كتاب الخريدة النفيسة فى تاريخ الكنيسة . ب٢ ص٢٤٨

(٢) دائرة المعارف القبطية لرمزى تادرس ب أ ص ٧٣

(٣) كتاب اقباط مسلمون (د. جاك تاجر) ص ١٢٣ . عن ابن القلانس . قيل فى تاريخ، دمشق وسعيد بن يحى الانطاكى .

النصرانى الذى ما لبث أن أصبح وزيرا . ثم ألحق بخدمته أبا المنصور طبيب المعز النصرانى وأعطاه مركزا ممتازا .

وليس ادل على أن الاستعانة بالذميين اثارت غضب المسلمين وعبأت مشاعرهم ، من أن العزيز بينما كان يتنزه يوما فى المدينة أن شخصا شق طريقه بين الجماهير المحتشدة ، وقدم للعزيز عريضة ثم اختفى .. أما فاتحة العريضة فكانت :

" بالذى أعز اليهود بمنشا (١) ، والنصارى بعيسى بن نسطورس ، واذل المسلمين بك " ..

وكان من نتيجة ذلك أن العزيز – لكى يهدئ من ثائرة المسلمين – قبض على هذين الرجلين وصادرهما (٢) . كما استغنى العزيز عن عدد من موظفيه الاقباط .. لكن لم يلبث أن عفا عن عيسى بن نسطورس وولاه الوزارة ، وأعاد عددا من الاقباط الى وظائفهم إما تحت ضغط زوجته المسيحية وابنته ست الملك ، وإما أنه كان يرى أستحالة الاستغناء عن خدماتهم وكفاءتهم . على أنه أشترط على عيسى بن نسطورس أن يولى المسلمين فى الدواوين (٣)

سماحة المعز :-

وفى عهد العزيز نجد قمة التعاطف مع المسيحية والمسيحيين ، وذلك فى رفضه معاقبة من يرتد عن الاسلام ويعتنق المسيحية .. ويروى عن واحد من أكابر المسلمين يدعى " وساع " أنه أعتنق المسيحية . فقبضت عليه السلطات بتهمة الردة . لكن بعض الشخصيات الكبيرة تدخلت لصالحة . كما توسطت له زوجة العزيز لدى الخليفة . الذى أطلق سراحة دون أن يناله سوء أو أذى ، وأعتكف فى دير بالصعيد حيث قضى بقية حياته (٤) .

وبالجملة فان العزيز أظهر همة عالية فى نشر روح التسامح بين المسلمين والمسيحيين فكثيرا ما كان يدعو الانبا ساويرس بن المقفع أسقف الاشمونين حول بعض نقاط العقيدة مع بعض علماء المسلمين مثل القاضى الشهير ابن النعمان

---

(١) هو منشأ بن ابراهيم الفرار ، عينه العزيز واليا على بلاد الشام (أنظر : دكتور جمال سرور ، الدولة الفاطمية بمصر ، الصفحة ٨٧) .

(٢) أدم متز ، ج ١ ، الصفحة ١١٤ عن الكامل فى التاريخ لابن الاثير .

(٣) دكتور جمال سرور ، الدولة الفاطمية الصفحة ٨٧ – أقباط ومسلمون ، الصفحة ١٢٤ .

(٤) nly Lane Poole, History of Egypt in the Middle Ages p. 119 .وأقباط ومسلمون الصفحة ١٢٥

حادثة حرق الاسطول المصرى ونتيجة ذلك :-

ويروى يحيى بن سعيد الانطاكى حادثا عجيبا فى نتائجه . ما كان يمكن أن ينتهى إلى ما أنتهى إليه فى أى وقت آخر .. عزم العزيز على غزو بلاد الروم سنة ٩٩٦ م وأمر وزيره عيسى أبن نسطورس أن يعد الاسطول . وعزم على تسييره بعد صلاة الجمعة فأشتعلت النار فى سفن الاسطول وأحرقت منها ست عشرة سفينة . وأتهم عامة الناس تجار الروم الذين يأتون بالبضائع إلى مصر بهذا الحريق . فثار عامة الناس ومعهم المغاربة ، وقتلوا من هؤلاء التجار مائة وستين رجلا ، ونهبت كنيسة الملاك ميخائيل الخاصة بالملكانيين بقصر الشمع ، وكنيسة النسطورية . وتوجه الوزير ابن نسطورس إلى مكان النهب ، ونادى بكف الأذى عن الروم ، ونودى بأن يرد كل واحد من النهابه جميع ما أخذه . فرد البعض ما نهبه ، وأحضر من سلم من التجار الروم من القتل . ودفع لكل واحد منهم ما أعترف أنه نهب منه .وقبض على ثلاثة وستين رجلا من النهابة وأعتقلوا . وأمر العزيز باطلاق ثلثهم وقتل ثلثهم . وتم ذلك بواسطة رقاع كتب على بعضها " تضرب " وبعضها " تقتل " وبعضها " تطلق " . ووضعت تحت ازار . وتقدم كل واحد منهم وأخذ رقعته . وكان ينفذ فيه حسبما يكون فى الورقة (١) - وقد جرح فى هذا الشغب أسقف النسطوريين جراحات أدت إلى وفاته .

(ج) الحاكم بأمر الله (٩٩٦ - ١٠٢٠)

هو من الشخصيات التى يحيط بها الغموض والتضارب فى فهمها نتيجة التضارب فى تصرفاته ، والغموض فيها بين أقصى اليمين وأقصى اليسار..ولما كان الحاكم بأمر الله من أكثر حكام المسلمين - بل لعله أكثرهم جميعا - الذين أنزلوا بالاقباط صنوفا من الاضطهادات والأهوال والتحقير الأدبى ، رأينا من الضرورى أن نتوقف قليلا لنتعرف على شخصيته ، قبل الكلام عن تهوره واندفاعه فى محاولة محو المسيحية والمسيحيين من مصر .

وصاية برجوان على ولى عهد العزيز بالله : -

تولى الحاكم بأمر الله الخلافة بعد وفاة أبيه العزيز وله من العمر إحدى عشرة سنة ونصف . وقام بالوصاية عليه برجوان الصقلى ، وتقلد الوساطة (وهى دون الوزارة فى المركز) ابن عمار (أبو محمد الحسن بن عمار) زعيم

---

(١) أقباط ومسلمون ، ص ١٢٥ ، ١٢٦ - ويروى المقريزى القصة باختصار (ادم متز ج ١ من الحضارة الامية) ، الصفحة ١١٤ .

الكاميين وهم عصب الخلافة الفاطمية .. وتقدم الكتاميون طالبين عزل عيسي بن نسطورس وتولية زعيمهم ابن عمار . فأجاب الحاكم طلبهم وتقلد ابن عمار أمور الدولة ، وأسند الخليفة إلى ابن نسطورس ديوانه الخاص . لكنه لم يتمتع طويلا بهذا المنصب ، فقد تآمر عليه حاسدوه واتهموه بالعبث فى أموال الدولة . وأعطى بذلك سلاحا لخصمه ابن عمار فقبض عليه وقتله (١) .

مقتل برجوان : -

لكن الاضطراب عم البلاد خلال وصاية برجوان بسبب العداوة القائمة بينه وبين أبى عمار زعيم الكتاميين وقائد جيش الخليفة فى نفس الوقت .. وما لبث ابن عمار أن قتل بعد أن هزمت القوات التركية قواته المكونه من قبائل شمال افريقيا . انفرد برجوان بالسلطة وعين الحاكم فهد بن ابراهيم وهو قبطى كاتبا له وكاتم سره ومنحه ثقته وأعطاه لقب " الرئيس " ولم يمض وقت طويل حتى لحق برجوان بخصمه ، وكان ذلك بأمر الخليفة سنة ١٠٠٠ م لشعوره أن برجوان يسعى للاستئثار بالسلطة بعد أن منعه من الاتصال المباشر برجال دولته ولما أمر الخليفة الشاب بقتل برجوان ، كان ذلك سببا فى قلق الشعب وضجره ، فحمله ذلك على التوجه إلى مقر الخلافة محتجين. ولم يستطع الحاكم الافلات من ثورة شعبه إلا بالبكاء والعويل واحتجاجه بشبابه وعدم خبرته بشؤون الحكم

الوزير القبطى سكرتيرا للخليفة : -

ولما أغتيل برجوان ، أرسل الحاكم فى طلب فهد بن ابراهيم القبطى ، وخلع عليه أحسن الحلل وقال له " لا تقلق أبدا لما حدث " .. ويقص علينا ابن القلانسى ما دار بين الحاكم وكاتم سره فهد ابن ابراهيم يقول " جلس الحاكم وقت العشاء الأخير واستدعى الحسين بن جوهر وأبى العلاء بن فهد بن ابراهيم الوزير ، وتقدم إليه باحضار سائر كتاب الدواوين والأعمال ، ففعل . وحضروا وأوصلهم إليه وقال لهم : أن هذا فهدأ ، كان أمس كاتب برجوان عندى وهو الآن وزيرى . فاسمعوا له وأطيعوا ، ووفوه شروطه فى التقدم عليكم وتوفروا على مراعاة الأعمال وحراسة الأموال " .. وقبل فهد الأرض ، وقبلوها وقالوا " السمع والطاعة لمولانا " . وقال لفهد " انا حامد لك وراضى عنك وهؤلاء الكتاب خدامى ، فاعرف حقوقهم وأجمل معاملتهم ، واحفظ حرمتهم ، وزد فى واجب من يستحق الزيادة بكفايته وأمانته " (٢) .

---

(١) دكتور جمال سرور ، الدولة الفاطمية فى مصر ، ص ٨٧ (عن تاريخ يحيى بن سعيد الأنطاكى)

(٢) اقباط ومسلمون ص ١٢٧ ، ١٢٨ (عن ابن القلانسى - ذيل تاريخ دمشق) .

اغتيال فهد بن ابراهيم : -

وسرعان ما أصبح فهد هدفا للدسائس ، إذ خشى الحاسدون أن الثقة التـــى أولاه إياها الخليفة تزيد من نفوذه ونفوذ النصارى . فبدأت الوشايات ليضعفوا ثقته لدى مولاه . فاتهمه أبو طاهر وابن عداس الكاتبان باختلاس الأموال . وكانا يحمــلان حقدا دفينا وعداء واضحا للنصارى فى مصر وسوريا . ولما لم يحسن الحـــاكم استقبالهما والاستماع إلى وشايتهما ، حرضا أخرين على تقديم شكاوى مماثلة .. وإن كان الحاكم قد فهم مغزى هذه الشكاوى ، لكنه - ممالأة منــه للظــروف - سمح باغتيال فهد . وأفهم حاشيته أنه أصدر أمره هذا تحـــت ضغــط شــديد . ولتغطية موقفة أرسل الحاكم فى طلب أولاد فهد الذى قتل ، وخلع عليهم ، وأمــر بألا يمسهم أحد بسوء وإلا ينهب منزله . وقد أراد الحــاكم بــهذا التصــرف أن يتحدى أبا طاهر وابن العداس اللذين أوعزا بهذه الجريمة ، واللذين توصلا إلــى أعلا المناصب .

ملامح من شخصية الحاكم بأمر الله :

قبض الحاكم على زمام الأمور فى البلاد وهو دون السادسة عشر من عمـــره . وأخذ يصدر تعليمات ومراسيم تثير الدهشة والأسى والضحك فى وقــت معــا . ومهما قيل فى تبرير هذه التصرفات فأنه من الواضح التضارب الشــديد وعــدم الاستقرار الفعلى فيها .. ومن أمثلة هذه التصرفات :

حرص الحاكم على التجول ليلا فى مدينتى القاهرة والفســطاط للوقــوف علــى أحوال الناس وكان له حب للظلام ، ولكى يتيسر له تحقيق هذه الغايــــة ، أمــر بتعليق المصابيح على جميع الحوانيت والمحلات التجارية فى جميع الظـــروف وبناء على أمره حدث تغيير جذرى فى حياة الناس ، فانقلب نهارهم ليلا ، وليلهم نهارا ، يزاولون فيه الأعمال والمعاملات التجارية . كان يعشق الظلام ويحــب التجول فى الطرقات ليلا ، ليلة بعد أخرى (١)

ولما بلغه أن بعض الناس استغلوا إضاءة الشـــوارع والطرقــات ليــلا للعبــث والمجون . فرض قوانين شديدة . فمنع الناس من الخروج ليلا ابتداء من وقـــت صلاة العشاء . كما نهى الرجال عن الجلوس فى الحوانيت . ثم أصــدر أمــرا بحظر التجول فى الطرقات من بعد العشاء حتى مطلع الفجر . ثــم اتبــع ذلــك باصدار قوانين تحرم على الناس فتح محلاتهم التجارية ليلا .

Stanly Lane Poole , History of Egypt in the Hiddle - the Middle ages PP. 125 , 126 (١)

ولما رأى الحاكم أن أوامره السابقة لم تضع حدا للفوضى الاجتماعية التى سادت البلاد . أصدر سنة ١٠٠٥ م قوانين جديدة منها منع النساء من الظهور سافرات ومن السير خلف الجنازات . واتبع ذلك بأمر سنة ١٠٠٦ بمنع خروج النساء إلى الاسواق والحمامات . كما حظر عليهن التطلع من نوافذ البيوت والوقوف فوق أسطح المنازل . وبلغ حرص الحاكم على تنفيذ أوامره أن منع صانعى الأحذية من صنع الأخفاف للنساء حتى يتعذر عليهن الخروج من بيوتهن . وكان من أثر هذه السياسة التى اتبعها الحاكم إزاء النساء أن اعتكفن فى بيوتهن . ويحاول بعض المدافعين عن الحاكم بأمر الله أن يعللوا أمثال . هذه التصرفات بانها " بدافع الشعور الدينى وإصلاح الأخلاق وتطهير نفوس المجتمع من الرذائل " (١) .. ولكننا لا نوافق على هذا الرأى . ونقول أنه إن كانت تصرفات الحاكم هذه هى بدافع الشعور الدينى ، فهى نوع من الهوس الدينى . فلم يحدث فى كل التاريخ الاسلامى إن كان حاكما مسلما اصدر مثل هذه القوانين .

كما حرم الحاكم انشطة اللهو على شواطئ الخليج المصرى بالقاهرة . فأمر بسد أبواب الدور التى تقع على الخليج والطاقات المطلة عليه .. وفرض قيودا على بعض أنواع المأكل والمشارب ومن أمثلة ذلك أنه منع بيع الزبيب واستيراده حتى لا يصنع خمرا . كما منع شراء أكثر من أربعة أرطال من العنب دفعة واحده خشية استعمالها فى صنع النبيذ . وأعقب ذلك أمرا أصدره باتلاف شجر الكروم ومنع اكل الملوخية .

وفيما يتعلق بالمأكولات أمر بمنع عجن الخبز بالارجل . والا يصطاد الصيادون سمكا بغير قشر . وانذر المخالفين بالعقاب الشديد . ونهى عن ذبح البقر إلا فى عيد الاضحى . وأمر ألا يخزن أحد من المؤون أكثر من حاجته . وجعل القتل عقوبة للمخالف .

حرص الحاكم على الاشراف بنفسه على تنفيذ أوامره ، والتزم بذلك طوال عهده ، ولكنه لجأ إلى إنزال العقوبات الصارمة بمن يعصى أوامره ، رغبة منه فى فرض هيبته على رعاياه وتأييد حكمه ، فاذا أظهر فريق من الناس تذمرا ، أسرع إلى التخلص منهم .. وقد تعرض لقسوة الحاكم أقرب الناس إليه من الوزراء والكتاب ، فلم يأمن رجال الدولة من العمال والطوائف المختلفة على حياتهم ، فالتمسوا منه أمانا سنة ١٠٠٦ م ، فأجابهم إلى طلبهم وأصدر أمانا أمنهم فيه على حياتهم .

---

(١) دكتور جمال سرور ، الدولة الفاطمية فى مصر ، الصفحة ٩٢

تقشف الحاكم :-

ويذكر عن الحاكم أنه على الرغم من سياسة العنف التى أتبعها ، فأنه كان متقشفا فى حياته ، واتبع فى ذلك بعض المظاهر العامة مثل منع الناس من ذكر عبارة " سيدنا ومولانا " فى المكاتبات التى توجه إليه . والا يقبل أحد الارض بين يديه ، وأمر الا يصلى عليه أحد فى الخطب الدينية والمكاتبات والمحادثات الرسمية . وكان من المعتاد أن يصلى الخطيب على الخليفة كما يصلى على النبى فى خطبة الجمعة . ونهى عن اقامة الزينات فى طريقه وهو ذاهب للصلاة (١)

تلاعبه فى معرفة الغيب :-

ومن الامور التى تذكر عن الحاكم أنه حذا حذو أسلافه المعز والعزيز فى الاهتمام برصد النجوم لمعرفة الغيب . فصار يشجع الفلكين والمنجمين ويغدق عليهم ، فأخذ المنجمون يسيطرون على عقول الكثيرين ، حتى أضطر الحاكم سنة ١٠١٤ م إلى تحريم مهنة التنجيم لكنه ظل هو حريصا على رصد النجوم ، وأقام له مرصدا خاصا بالجبل المقطم .

ومن الامور التى تذكر عنه أنه شغف بالتطلع إلى معرفة أخبار رعاياه . ولكى يوهم الناس أنه واقف على افعالهم ، اتخذ له جواسيس يطوفون بالاسواق والدور ، يجمعون الاخبار ويرفعونها إليه فى تقارير . وهكذا صار فى نظر رعاياه كمن يعلم الغيب .

قتل حمزه بن على الزورنى :

وفد الى مصر بعض الفرس واعتنقوا المذهب الشيعى الفاطمى ، وتطرفوا فى الدعوة له ومن بينهم شخص يدعى حمزه بن على الزورنى ، الذى وفد إلى مصر سنة ١٠١٥ م . وأخذ ينشر سرا الدعوة الى تأليه الحاكم .

ومالبث أن جهر بهذه الدعوة سنة ١٠١٨ م فاجتمع إليه طائفة من متطرفى الشيعة الاسماعيلية . فاحتضنه الحاكم بأمر الله .. لكن مسلمى مصر السنيين أعلنوا غضبهم علنا وثار بعضهم بعد أن أعلن واحد من هؤلاء الدعاة " تأليه الحاكم " فى جامع عمرو بن العاص . وقد انتهى الامر بقتل هذا الداعية .

---

(١) دكتور جمال سرور ، الدولة الفاطمية فى مصر ، ص ٩٤ ، ٩٥ .

دعاة تأليه الحاكم :-

وكان من بين الدعاة إلى تأليه الحاكم شخص يدعى محمد بن اسماعيل الدرزى . فاحتضنه الحاكم وقربه . أعلن الدرزى مذهبه فى الجامع الازهر فأثار سخط المصريين السنيين وكذا المعتدلين من الشيعة ، فأخذوا يتعقبونه حتى علموا انه ملتجئ بقصر الخليفة ، فذهبوا إلى الخليفةالحاكم بأمر الله وطالبوه بتسليمه فظل يماطلهم حتى دبر له أمر الفرار إلى الشام بعد أن أمده بأموال . وهناك أخذ ينشر دعوة تأليه الحاكم ، فاستمال له أنصارا اصبحوا يعرفون باسم الدروز..أما الحاكم بامر الله فقد أستاء من اعتراض رعاياه خاصة من الفسطاط الذين قتلوا داعية تأليهه ، فانتقم منهم بحرق مدينة الفسطاط .

نهاية الحاكم بأمر الله :-

أما عن نهاية حكم الحاكم ، فان الغموض يكتنفها . لقد اختفى فجأة بعد أن شوهد يقصد جبل المقطم ، وقد تعددت الآراء .. لكن من بين هذه الآراء ان الحاكم بأمر الله – رغبة منه فى احاطة نفسه بسياج من التقديس ، يقصد جعل رعاياه طوع إرادته – انتهى إلى ما انتهى إليه . ولعله أراد أن يجعل من نفسه المهدى الذى يعتقد الاسماعيلية (من فرق الشيعة) . أنه سيظهر فى آخر الأيام ليملأ الأرض عدلا وأمنا .. ولا شك أن عقيدة تأليه الحاكم بأمر الله ، قد استمدت من معتقدات متطرفى الشيعة ، الذين يعتقدون أن على بن أبى طالب وخلفاءه من الائمة ليسوا بشرا عاديين ، وبعض هذه الطوائف الشيعية تعتقد بعدم موت على بن أبى طالب وأنه سيعود إلى الارض ليحكم بالعدل .. وبعض متطرفى الشيعة ببلاد فارس (ايران) يقدسون بعض أحفاد على ويعتبرونهم حكاما معصومين (الخومينى – اية الله – روح الله) .

الحاكم بأمر الله وأقباط مصر :-

ليس الحاكم بأمر الله هو وحده المسئول عن الاحداث الدامية والفظائع التى تعرض لهما الاقباط فى عهده ، لكن يشترك معه فى المسئولية بعض الدساسين الذين عملوا على التخلص من النفوذ الذى ناله الذميون فى عهد العزيز وأستغلوا صغر سن الخليفة وميله إلى سفك الدماء لتحقيق مأربهم .

١ -قتل فهد بن ابراهيم :-

تأتى أولى المأسى حينما قتل عيسى بن نسطورس وزير العزيز . وتأتى ثانية المأسى حينما قتل فهد بن ابراهيم بعد أن قربه إليه وأعطاه الثقة ثم قتله فى النهاية إرضاء لبعض المتعصبين بعد أن أستمر فى خدمته نحو ست سنوات. ولم تكن الوشايات الكاذبة تستهدف فهد وحده ، بل الاقباط جميعا .

ويذكرتاريخ البطاركة أن سبب قتل فهد هو أن الحاكم طالبه بالاسلام ، فلما لم يوافقه أمر بقطع رأسه وحرق جسده لمدة ثلاثة أيام ، ومع ذلك لم يحترق الجسد ، بل بقيت يده اليمنى وكأن النار لم تقربها .. وقيل عن فهد أنه كان رحوما جدا ولا يرد سائلا . وهذه اليد اليمنى التى كانت تمتد بالخير هى التى ظهرت فيها المعجزه وكأن النار لم تقربها (١)

تعذيب عشرة من أراخنة الأقباط وقتل أبو نجاح الكبير : -

وبنفس السياسة قبض على عشرة من أراخنة الأقباط وكتابهم ، وكان أحدهم من مقدمى الأقباط الأرثوذكس ويدعى أبو نجاح الكبير ، وأمره الحاكم باعتناق الاسلام ليجعله وزيره فطلب من الخليفة أن يمهله يوما يفكر فيه . ولم يكن طلبه مهلة اليوم للتفكير ، بل للاتصال باخوانه وحثهم على الثبات فى الايمان والموت على اسم المسيح . وحينما اجتمع بهم قال لهم " الآن يا أخوتى لا تطلبوا هذا المجد الفانى ، فتضيعوا مجد المسيح الدائم الباقى ، فقد أشبع نفوسنا من خيرات الارض . وهوذا برحمته قد دعانا إلى ملكوت السموات فقووا قلوبكم " فلما كان الغد مضى إلى الحاكم بأمر الله وأظهر أمامه إيمانه فاجتهد الحاكم بكل نوع من الترغيب والترهيب أن ينقله عن دينه فلم يفعل ، ولم يقدر أن يميل نيته عن مذهبه . فأمر أن تنزع ثيابه عنه وأن يشد فى الهنبازين ويضرب . فضربوه خمسمائة سوط على ذلك الجسم الناعم حتى تقطع لحمه وسال دمه مثل الماء . وكانت السياط من عروق البقر ما يحتمل جبار منها سوط .. ثم أمر بأن يضرب تمام الألف سوط . فلما ضرب ثلثمائة أخرى ، قال أنا عطشان . فبطلوا عنه الضرب وأعلموا الحاكم بذلك فقال اسقوه بعد أن تقولوا له يرجع لديننا ، فلما جاءوا إليه بالماء وقالوا له ماأمرهم به الملك . قال لهم عيدوا له ماءه فانى غير محتاج إليه لأن سيدى يسوع المسيح قد سقانى . وشهد قوم من الأعوان وغيرهم ممن كانوا هناك أنهم أبصروا الماء يسقط من لحيته . ولما قال هذا أسلم نفسه " .. طيروا الخبر للحاكم أنه توفى ، فأمر أن يضرب تمام الألف سوط وهو ميت . وهكذا تمت شهادته .

أما بقية العشرة " لما طالبهم بترك دينهم والانتقال عنه فلم يفعلوا ذلك ولا طاعوه ، فأمر بعذابهم ، فضربوا بالسياط . فلما تزايد عليهم الضرب أسلم منهم أربعة أما أحد هؤلاء الأربعة فانه مات في ليلته بعينها ، وأما الثلاثة الأخرين

---

(١) سيرة الانبا زخارياس البطريرك ٦٤ ، تاريخ البطاركة ، المجلد الثانى ، ج٢ الصفحة ١٢٣ .

فأنه إلى انقضاء زمان الهياج عادوا إلى مذهب النصرانية ، وأما بقية العشرة فقد ماتوا تحت العذاب ونالوا الحياة الدائمة " (١)

٢ – اضطهاد عام وهدم كنيسة القيامة بالقدس : –

وأخذ اضطهاد النصارى فى عهد الحاكم بأمر الله يزداد عنفا يوما بعد يوم ..وأول من استهدف له هم موظفو الدولة ، حيث فصل عددا كبيرا منهم ، ولم يترك إلا الذين اتضح له عدم إمكان الاستغناء عنهم لخدمتهم .. ثم أصبح الاضطهاد عاما سنة ١٠٠٤ م . وصب الحاكم غضبه على النصارى . فأمرهم أن يصنعوا ملابس تميزهم عن سواهم . كما صب جام غضبه على المسلمين السنيين ، وكتب على المساجد عبارات مهينة للنيل من أبى بكر وعمر وعثمان وعائشة . وفى سنة ١٠٠٨ م فرض الحاكم قيودا أخرى على الزى . ومنع أثرياء الأقباط من أمتلاك العبيد واستخدام المسلمين .. وأصدر فى نفس العام أمره بهدم كنائس القاهرة ونهب كل ما فيها .. ولما علم بأن النصارى يطوفون خارج أسوار كنيسة القيامة بالقدس اثناء الاحتفالات الدينية ، وخاصة يوم احد الشعانين وفى عيد الفصح ، أمر بهدم الكنيسة . وكان لهذا الاجراء الأخير دويا هائلا ، ووقعا سيئا جدا ، لا فى الشرق فحسب ، بل وفى الغرب أيضا .. وكما يقول أحد المؤمنين الغربيين تعليقا على ذلك " بكى المسيحيون جميعا " .. ونعتقد أن تصرف الحاكم بأمر الله فى هدم كنيسة القيامة ، كان أحد الأسباب الرئيسية لقيام الحروب الصليبية . وتقول الرواية أن الكاتب الذى نسخ هذا الأمر الخلص – بهدم الكنيسة – كان نصرانيا نسطوريا يعرف بابن شيرين وأنه من شدة الحزن مات كمدا بعد أيام قليلة (٢)

٣ – اعتناق الاسلام أو الخروج من مصر وهدم الكنائس : –

وفى عام ١٠٠٩ م صدرت أوامر مشددة تقضى بالغاء الأعياد المسيحية ومنع الاحتفال بها فى انحاء البلاد . وصودرت أوقاف الكنائس والأديرة لحساب بيت مال المسلمين (٣) . ومنع أيضا ضرب النواقيس كما نزعت الصلبان من قبلب ومنارات الكنائس . ووصل به الأمر إلى أنه طلب إلى المسيحين الأقباط أن يقوموا بمحو وشم الصليب من أيديهم .. وفى سنة ١٠١١ م صدر الأمر أن يعلق النصارى حول أعناقهم صلبانا من الخشب طول الصليب ذراع ووزنه

---

(١) سيرة الأنبا زخارياس البطريرك ٦٤ ، تاريخ البطاركة ، المجلد الثانى ، ج٢ ، ص ١٢٢ ، ١٢٣ .

(٢) كتاب أقباط ومسلمون (د. جاك تاجر) ص ١٢٩،١٣٠

(٣) دكتور قاسم عبده قاسم ، أهل الذمة فى مصر – العصور الوسطى ، الصفحة ٥٦ .

خمسة أرطالب .. وفى سنة ١٠١٣ م صدر أمر بهدم وسلب الكنائس والأديرة الموجودة فى الأراضى المصرية بدون استثناء . ويقال أن عدد ما هدم من الكنائس والأديرة فى ذلك الحين بلغ ٣٠٠٠٠ (ثلاثون ألفا) (٢) . وخير الحاكم الأقباط بين اعتناق الاسلام أو الخروج من مصر (١) .

ومما زاد الحالة سوء ووحشية ، الرعاع والسوقة – الذين فى حقد وشماته ، أخذوا ينفذون إرادة مولاهم الحاكم بأمر الله ، فلم يهدموا الكنائس فقط بل محوها محوا كاملا ، ووصلت بهم ثورة الانتقام إلى نبش قبور النصارى واستخراج عظام الموتى لاستخدامها وقودا للحمامات .

بعض انواع التحقير الادبى للأقباط : –

ومن قبيل التحقير الأدبى أصدر الحاكم أمرا إلى المكاريين والنوتية بأن يرفضوا نقل الذميين .. وأخيرا وضع الحاكم أهل الذمة للخيار بين أمرين : إما الموت وإما الارتداد عن دينهم .. وكانت النتيجة أن أسلم عدد كبير ، بينما هجر البعض دورهم سرا ولجأوا إلى المناطق التابعة للامبراطورية البيزنطية .. وهناك فريق ثالث أخفوا إيمانهم ، وكانوا يجتمعون فى أماكن خاصة أخفوا بها الأوانى المقدسة التى أفلتت من المصادرة والنهب والسلب (٢) .

يصف لنا المؤرخ يحيى بن سعيد الأنطاكى المتوفى سنة ١٠٦٦ م – وبدأ كتابة تاريخه بعد اختفاء الحاكم بأمر الله بفترة وجيزة – مشهدا وقع بالقاهرة سنة ١٠١٢ م . ويدل على مدى اليأس الذى ملك قلوب الأقباط إزاء اضطهادات الحاكم الوحشية الجنونية ، يقول :

" اجتمع سائر من بمصر من الكتاب والعمال والأطباء وغيرهم مع أساقفتهم وكهنتهم ، وتوجهوا إلى قصره (الحاكم) ، وكشفوا عن رؤوسهم فى باب القاهرة ومشوا حفاة ، باكين مستغيثين إليه ، يسألونه العفو والصفح . ولم يزالوا فى طريقهم يقبلون التراب إلى أن وصلوا إلى مقره وهم فى تلك الحال فانفذ إليهم أحد أصحابه ، وأخذ منهم ورقة كانوا قد كتبوها يلتمسون عفوه عنهم ، وإزالة سخطه ، فأعاد إليهم الرسول ورد عليهم ردا جميلا " (٣)

القاء البابا زخارياس للسباع :–

لم يتحمل اقباط مصر من الاضطهاد ، منذ دخول العرب مصر ، أكثر ولا أسوأ مما تحملوه فى عهد الحاكم بأمر الله ونحن نسجل هنا ما دونه المؤرخ المسلم المقريزى عن وحشية الحاكم فى معاملته للاقباط ، يقول :–

---

(١) دكتور قاسم عبده قاسم ، أهل الذمة فى مصر – العصور الوسطى ، الصفحة ٥٦ .

(٢) اقباط ومسلمون ، ص ١٢٩ ، ١٣٠ . ، (٣) اقباط ومسلمون ، ص ١٣٠ ، ١٣١ .

" قدم اليعاقبه (الاقباط) زخارياس بطريركا ، فأقام ثماني عشرين سـنه منها فى البلايا مع الحاكم بأمر الله تسع سنين، فأعتقله منها ثلاثة أشهر ، وأمـر به فألقى للسباع هو وسوسنه النوبى فلم تضـره .. وفـى بطريركيتـه نـزل بالنصارى شدائد لم يعهدوا مثلها ، وذلك أن كثيرا منهم كان قد تمكن فى اعمـال الدولة حتى صاروا كالوزراء . وتعاظموا لاتساع احوالهم وكـثرة اموالـهم ، فأشتد بأسهم وتزايد ضررهم ومكايدتهم للمسلمين ، فأغضب الحـاكم بـأمر الله ذلك ، وكان لا يملك نفسه إذا غضب " .

وبعد أن عدد المقريزى الوانا من أنواع الاضطهادات التى أشرنا إليـها سـابقا يقول :

" وأخذ (الحاكم بأمر الله) فى هدم الكنائس كلها وأباح مافيـها ، وهـو محبس عليها (موقوف عليها) للناس ، نهبا واقطاعا . فهدمت بأسرها ، ونـهب جميع امتعتها ، واقطع احباسها (أوقافها) ، وبنى فى مواضعها المساجد، واذن بالصلاة فى كنيسة شنودة بمصر ، وأحيط بكنيسة المعلقة فى قصر الشمع وكتب إلى ولاة الاعمال بتمكين المسلمين من هدم الكنائس والديارات (الاديرة) ،فعـم الهدم فيها من سنة ٤٠٣ هـ (سنة ١٠١٣ م) ذكر من يوثق به فى ذلـك أن الذى هدم إلى اخر سنة ٤٠٥ هـ (١٠١٥ م) بمصر والشام واعمالـهما مـن الهياكل نيف ثلاثون ألف بيعه ، ونهب مافيها من الات الذهب والفضة ، وقبض على أوقافها ، وكانت اوقافها جليلة .. فاجتمعوا بأسرهم تحت القصر من القاهرة ، واستغاثوا ولاذوا بعفو امير المؤمنين حتى أعفوا مـن النفـى . وفـى هـذه الحوادث أسلم كثير من النصارى (١) .

لقد استمر اضطهاد الحاكم للاقباط تسع سنين ، كانت الثلاثة الاخيرة منها أشـد هولا ، اذ أمر بابطال العبادة فى جميع الكنائس ماعدا الاديرة الكائنة فى الجبال

فكان الشعب يقدمون رشوة لحكام الاقاليم ليسمحوا لهم بممارسة شـعائر العبادة فى البيوت سرا ، ويقدسون ويتناولون الافخارستيا سرا .. وهال الحـاكم عدم تنفيذ أمره بالدقة الكاملة ، فاتجه إلى محو المسيحية من كل دولته . وضيق على الكهنة ، وهرب عددا كبيرا منهم إلى الاديرة النائية فتتبعهم وقتلهم .

٤ – مجاهرة بقيرة الرشيدى بايمانه المسيحى :-

وإن كان كثيرون قد اكرهوا على اعتناق الاسلام ، وبالفعل أسلم عدد كبير منهم ، لكن كثيرين أيضا جاهروا بايمانهم المسيحى ولم يخشوا بطش الحاكم ، ومن

---

(١) المقريزى ، الخطط ، ج ٤ ، الصفحات من ٣٩٨ إلى ٤٠٠

هؤلاء الشماس بقيرة الرشيدى أحد رؤساء كتاب الديوان ترك خدمـــة الديـــوان وحمل صليبه ومضى إلى قصر الحاكم ، وصاح على بابه " المسيح ابـــن الله " فلما سمع الحاكم صوته أمر باحضاره ، وطلب إليه أن يجحد إيمانه المســـيحى ويعتنق الاسلام ، فرفض ، وكان كالصخرة القوية التى لا تضطـــرب . وكـــان كلما خاطبه زاد صياحه وقال " المسيح ابن الله " . فأمر بأن يقيد بالقيود الحديدية ويلقى فى السجن . رغم هذه القيود الحديدية كان دائما قائما للصلاة ووجهه إلـــى الشرق يصلى " مع ثقل الحديد الذى هو مغلول به "..وزاره أنسان فى الســجن ، وقال له متنبئا أن يخبر أسرته أنه قبل مغيب شمس ذلك اليوم سيكون معهم فـــى المنزل ، وبالفعل أفرج عنه الحاكم فى ذات اليوم ، وكتب بأن لا يعترض أحـــد بقيرة الرشيدى فى بيع أو شراء ولا فى أمر من الامور .

صفات بقيره ومواهبه :-

فلما خرج من السجن طاف على النصارى الذين تملكهم الخوف وطمأنهم أنه بعد ثلاثة أيام تزول عنهم الشدة . وفى اليوم الرابع تم ما قالـــه ، وأصـــدر الحاكم أمرا بأن يتعامل المسلمون مع النصارى فى البيع والشراء ، وصرح لـــهم بمغادرة مصر إن ارادوا إلى بلاد الروم أو الحبشة أو النوبة أو غيرها . وكانوا قبل ذلك ممنوعين من ذلك . ترك بقيرة الديوان وتفرغ لافتقاد المحبوسين وحمل ما يحتاجون إليه . وكان يرعى الفقراء والمعوزين وكان رحيما جـــدا . وكـــان يصوم يوميا حتى المساء ، ويمضى معظم الليل فى الصلاة ومما يذكـــر عـــن محبته للرحمة أنه فى أحد الايام أشترى خبزا كعادته ووزعه على " المســتورين والفقراء حتى أنه لم يبق لنفسه سوى رغيفا واحدا . فجلس ليتناول إفطاره بـــهذا الرغيف فشكر ومد يده ليأكل فسمع الباب يدق . فقال لغلامه أبصـــر البـــاب ، فخرج الغلام فوجد إنسانا مستورا ، فقال له قل للشـــيخ بقـــيرة نســـيتنى اليـــوم وماعندى ما أفطر به ، فدخل الغلام إليه وأعلمه ماقاله الرجل ، فدفع له الرغيف وبات طاويا إلى الليل ثانى يوم .

وكيلا للـــــــه :-

وحدث أن إنسان جليل القدر فى قومه غنيا جدا وأضنى عليـــه الدهـــر وافتقر وفقد ماله حتى لم يبق له شئ إلا الثياب التى تستر جسده . وعلم الشماس بقيرة بظروف هذا الانسان فأنفذ إليه عشرة أرادب قمح مع غلامه . ولم يكـــن هذا الرجل موجودا فأفرغ الغلام القمح أمام زوجته وقال لها أنه مرسل من عنـــد بقيرة الرشيدى الكاتب . فلما عاد الرجل وسمع بذلك أنزعج جدا لافتضاح أمـــره وبدأ يبكى.فهدأت زوجته من خاطره وطلبت إليه أن يقوم ليصلى،وأن يرد القمح

لصاحبه فى اليوم التالى : " فلما نام تلك الليلة رأى فى منامه السيد المسيح قايم أمامه ، فقال له لماذا أنت وجع القلب . فقال له ياسيدى كيف لا يوجعنى قلبى وأنا من بعد ذاك الغنى والرحمة التى كانت لى .. وقد انتهى بى الامر إلى هذا الفقر حتى صرت أتصدق . والأصلح لى أن أموت بالجوع أفضل من هذا . فقال له لا تحزن فان هذا القمح ماهو لاحد بل هو لى . وأنا انفذته لك على يد وكيلى ، قال له ياسيد ماجائنى لك وكيل بل بقيرة الرشيدى أنفذه لى . فقال له الرب كأنك ماعلمت إلى الآن أن بقيرة وكيلى . فلما سمع هذا استيقظ وأعلم زوجته بالمنام وطاب قلبيهما " (١)

٥ - مجاهرة كثيرين علانية بطلب العودة الى مسيحيتهم :-

ولم يقتصر الامر على المجاهرة بالايمان المسيحى رغم بطش الحاكم وجبروته ، بل أن كثيرين جاهروا علانية بطلب العودة إلى مسيحيتهم .. يقول كاتب تاريخ البطاركة " بعد ذلك وقف له جماعة من النصارى الذين اسلموا ، فقال لهم ماذا تريدون قالوا له تعيدنا إلى ديننا . فقال لكل واحد منهم أين زنارك وصليبك وغيارك ، فأخرجهم له من تحت ثيابه ، فأمرهم بلباسهم بين يديه ، وانفذ مع كل واحد ركابى يكتب له سجل يكون بيده بأن لا يعترض . فعادوا كثيرين ممن أسلموا إلى دينهم (٢)

بناء دير شهران :-

وكان ممن أسلم راهب أسمه بيمين عاد إلى مسيحيته ، وأعطاه الله نعمة فى عينى الحاكم بأمر الله ، فسأل الحاكم أن يمكنه من عمارة دير خارج مصر على أسم الشهيد مرقوريوس وهو دير شهران (٣) (المعروف حاليا بأسم دير الانبا برسوم العريان ببلدة المعصرة القريبة من حلوان) . وصرح له الحاكم بذلك ، وبناه وسكنه مع رهبان آخرين ... وتطور الامر وصار للراهب بيمين هذا دالة عند الحاكم بأمر الله . وكان يتردد كثيرا على هذا الدير ، ويقيم هناك ، ويأكل من طعامهم الحقير . وكان كل من له حاجة عند الحاكم يمضى إلى بيمين الراهب يخاطبه عليها وقت حضوره عنده فيقضيها له " (٤) .. بل أن بيمن توسط بين البطريرك الأنبا زخارياس وبين الحاكم ، وكان البطريرك فى ذلك الوقت

---

(١) سيرة الانبا زخارياس البطريرك ٦٤ ، تاريخ البطاركة ، المجلد الثانى ، ج ٢ ، الصفحات من ١٢٨ إلى ١٢١ .

(٢) سيرة الانبا زخارياس البطريرك ٦٤ ، تاريخ البطاركة ، المجلد الثانى ، ج ٢ الصفحة ١٢٥ .

(٣) هى أسم البلدة التى كان بها الدير وكانت عامرة وأهله ثم تخربت .

(٤) سيرة الانبا زخارياس البطريرك ٦٤ ، تاريخ البطاركة ، المجلد الثانى ، ج ٢ ، الصفحة ١٢٥ .

فى دير أبى مقار بوادى النطرون ، وسنشير إلى ذلك فى سيرة هذا البطريرك ، وكان قد أمضى به تسع سنوات .

٦ - محنة اللغة القبطية فى عهده :-

ولا يمكن أن ننهى كلامنا عن الحاكم بأمر الله دون أن نشير إلى الضربة القاسمة التى تلقتها اللغة القبطية على يديه . فقد أصدر أوامر مشددة بابطال استخدام اللغة القبطية نهائيا (لا فى دواوين الدولة ، فهذا قد حدث منذ سنة ٧٠٥ أو سنة ٧٠٦ م فى خلافة الوليد بن عبدالملك الاموى ، وولاية واليه على مصر عبدالله بن عبد الملك الذى كان يمقت النصارى مقتا شديدا وأمر باستخدام اللغة العربية لغة رسمية فى الدواوين) .. لكن ما فعله الحاكم هو أنه أصدر أوامر مشددة بابطال استخدام اللغة القبطية نهائيا فى المنازل والطرقات العامة ، ومعاقبة كل من يستعملها بقطع لسانه ، وضيق على الاولاد والبنات والسيدات بالبيوت ، بالامر بقطع لسان كل سيدة تتكلم القبطية مع اولادها وأطفالها . وكان الحاكم فى موقفه من اللغة القبطية قدوة لبعض الحكام الطغاه الذين جاءوا بعده .

٧ - إصدار وثيقة أمان للاقباط :-

أخيرا بعد أن سفك دماء زكية كالانهار ، وبلغ عدد من قتلهم ثمانية عشر ألف إنسان (١) ، وبعد أن ادعى الالوهية ، عاد وأظهر سماحة نحو الاقباط ، وسمح لهم بالتعييد علانية ، بل حثهم على إعادة بناء كنائسهم وأديرتهم وزيادة رهبانهم ، وأصدر أمانا لهم جاء فيه " بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتاب من عبدالله ووليه المنصور أبى على الامام الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين ابن العزيز بالله .. لجماعة النصارى بمصر ، عندما أنهوا إليه الخوف الذى لحقهم والجزع الذى هالهم .. واجابتهم إلى ما سألوا فيه من كتب أمان لهم .. فأنتم جميعا آمنون بأمان الله وأمان نبيه وأمان أمير المؤمنين على بن أبى طالب ، هذا أمان على نفوسكم ودمائكم وأولادكم وأموالكم وأملاككم ، وما تحويه ايديكم أمانا صريحا ثابتا " (٢) .

د - الخليفه الظاهر : سنة (١٠٢٠ م - ١٠٣٥ م)

ومما يذكر عن الخليفة الفاطمى الظاهر " أنه كان على النقيض من أبيه الحاكم بأمر الله فى سياسته نحو أهل الذمة فلم يكد يتولى الخلافة حتى عمل على

---

(١) سيرة الانبا زخارياس البطريرك ٦٤ ، تاريخ البطاركة ، المجلد الثانى ، ج ٢ ، الصفحة ١٢١ .

(٢) سيرة الانبا زخارياس البطريرك ٦٤ ، تاريخ البطاركة ، المجلد الثانى ، ج ٢ الصفحة ١٢٥ .

أكتساب عطفهم بأن أصدر بيانا . أعلن فيه ، أنهم احرار فى عقائدهم وشعائرهم وأنه لا اكراه فى الدين ، وأن من آثر فيهم الدخول فى الاسلام اختيارا من قلبه وهداية من ربه ، فليدخل فيه مقبولا مبرا . ومن آثر البقاء على دينه من غير ارتداد ، كان عليه ذمته وحياته " (١) .. وبسبب موقف هذا الخليفة أخذ الشعور العدائى نحو الذميين يقل ويضعف .. ومعنى سياسة الخليفة الظاهر أنه منح الحرية الدينية لمن ارتدوا عن المسيحية فى عهد أبيه الحاكم أن يعودوا إلى دينهم المسيحى ثانية . كما سمح باعادة بناء الكنائس المتهدمة (٢)

+ وفى سنة ١٠٣٧ م وقع الظاهر معاهدة مع الامبراطور البيزنطى قسطنطين الثامن مؤداها أن يذكر أسم الخليفة الظاهر فى البلاد التابعة له فى المسلجد وأن يرمم المسجد الكائن بالقسطنطينية ، ومقابل ذلك تعهد الخليفة الظاهر بالسماح باعادة بناء كنيسة القيامة بمدينة القدس (أورشليم) (٣) وكان أبوه الحاكم بأمر الله قد هدمها ، وهكذا أعيد بناء كنيسة القيامة .

(هـ) المستنصر بالله (١٠٣٥ – ١٠٩٤ م)

حكم مصر مدة طويلة بلغت نحو ستين سنة ، اذ أرتقى الخلافة وهو بعد صبى فى السابعة من عمره . وفى زمانه حلت بمصر أيام سود عرفت فى التاريخ باسم " الشدة العظمى " ، استمرت سبع سنوات (١٠٦٦ – ١٠٧٢ م) بسبب انقطاع ماء النيل . فحدثت مجاعات وانتشرت الاوبئة ، وترتب على ذلك قيام الحروب الاهلية فى مصر نتيجة الغلاء الفاحش وندرة القوت وكانت اقصى أوقات الشدة بين سنتى ١٠٦٩ و ١٠٧٠ م .. وقيل أن الموت كان يحصد كل يوم عشرة الاف نفس . واكل الناس القطط والكلاب . وخطف الناس بعضهم بعضا . وبيع لحم الانسان عند القصابين .. واكل الناس الجيف . وحصد الطاعون الناس حصدا ذريعا . كما حدثت مصادمات بين الجند الاتراك والسودانيين الذين كانت تناصرهم أم الخليفة المستنصر ، والتى كانت جارية سوداء ابتعاها أبوه الخليفة الظاهر (١٠٢٠ – ١٠٣٦ م) من تاجر يهودى .. ولكن الغلبة كانت للجند الاتراك .. وقد نهب الجنود المرتزقة قصر الخليفة نفسه ، وجردوه من ثروته ، فاضطر الخليفة أن يفترش حصيرة فى قصره الذى أصبح خاليا من كل أثاث وضربت الفوضى اطنابها فى البلاد فكثر تغيير

---

(١) دكتور جمال سرور ، الدولة الفاطمية فى مصر ، ص ٨٨ ، ٨٩ – من تاريخ يحيى بن سعيد الانطاكى .

(٢) د. محمد جمال الدين سرور ، الدولة الفاطمية فى مصر ، الصفحة ٨٩ .

(٣) Stanley Lane-Poole; History of Egypt in the midolle Ages, p. 136

الوزراء واستبدالهم بغيرهم حتى تقلب على الوزاره نحو خمسة وثلاثون وزيـرا فى مدة أثنتى عشرة سنة ، ولم تكن هذه التقلبات تزيد الاعمال إلا ارتباكا والبلاد اختلالا (١)

١ - أضطهاد البابا خرستوذولوس فى أيام القاضى عبدالوهاب أبا الحسين قاضى الاسكندرية :

وكان للمستنصر وزير سئ التدبير يسمى محمد اليازورى ، كان شديد الكراهيـة للمسيحيين عامة وللاقباط خاصة . لميل الخليفة إليهم ، فكان يـترقب فرصـة للايقاع بهم وكان ذلك فى حبرية البابا خرستوذولوس ٦٦ .. وأتفق أن شـخصا يسمى عبدالوهاب أبا الحسين عين قاضيا على الاسكندرية ، وكان يتوقع أن ينال شيئا من الاقباط على يد بطريركهم على سبيل العطية ، فلما يأس من أن ينـال مراده ، وعلم مشاعر الكراهية التى كانت فى نفس الوزير اليازورى من نحـو الاقباط . وشى بالبطريرك عنده وادعى عليه أنه ظلم أناسا واغتصب اموالـهم وبنى بها قصرا شامخا وكنائس فى ناحية يقـال لـها دمـرو حتـى صـارت القسطنطينية الثانية (٢) ، وأنه يحتقر الاسلام .

فأرسل الوزير على الفور رجالا وأمرهم بهدم كنائس تلك الجهه ، وقيـل أنه كان بها سبعة عشرة كنيسة .. ومما يذكر أن البطريرك أنبا خرسـتوذولوس كان قد بنى له دارا لاقامته نقش على بابه البسملة المسيحية " بأسم الاب والابـن والروح القدس الاله الواحد " فكان أول مافعله مندوب الوزير اليـازورى أنـه كشط كلمات هذه البسملة التى على الباب ولما رأى البطريرك ذلك قال له فـى شجاعة وصراحة " إذا كشطته من على الباب فما تقدر أن تكشطه من قلبـى " (تاريخ البطاركة ، المجلد الثانى - ج ٣ ، الصفحة ١٧٦) .

---

(١) دكتور على ابراهيم حسن ، مصر فى العصور الوسطى ، الصفحة ١٢٠

(٢) اسمها الاصلى دمرو الكنائس وهى تتبع مركز المحلة الكبرى - محمد رمزى ، القاموس الجغرافى ، القسـم الثانى - ج ٢ ، الصفحة ١٩ . وقد اتخذ بعض البطاركة دمرو مركزا لرئاستهم بعد أن انتقـل الكرسـى مـن الاسكندرية . اخر بطريرط كان مقره الاسكندرية هو البابا شنوده الاول ٥٥ ، بعد ذلك أتخذ دمرو مقرا للكرسـى واقام دائمة أو مؤقته البطاركة : مكاريوس الاول ٥٩ ، وفيلوثاوس ٦٣ ، وزخارياس ٦٤ ، وشنوده الثانى ٦٥ ، وخرستوذولوس ٦٦ ، وهو اخر من أقام بها بعدها انتقل إلى االكنيسة المعلقة بمصر القديمة .

استمرار اضطهاد الوزير يازورى للأقباط ونهايته : -

وتعمد الوزير يازورى مضايقة النصارى فصـــار يثـير خواطـر المســلمين ويحرضهم على التحزب ضدهم ، ولكنه لم يجد منهم إلا الاعراض لأن النـــاس كانوا فى شغل شاغل بسبب الضيق الذى كانت تعانى منه البلاد نتيجـة القحـط والوباء .. ولما لم يجد - فائدة من هذه السياسة قبض على البطريرك وبعــض أساقفة الوجه البحرى واعتقلهم وأرسلهم إلى القاهرة مدعيا عليهم دعاوى باطلـة لا أساس لها .. أما الخليفة المستنصر فرغم تمويهات الوزير لم يجد عليهم مــا يوجب هذه الاهانة ، فأخلى سبيلهم وطيب خاطرهم وصرفهم إلى مراكزهــم ، فشق هذا على الوزير ولشدة غيظة أمر بقفل جميع الكنائس المسيحية فى أنحـاء البلاد وخلال هذه الفترة قامت فتنة فى الصعيد الاوسط أدت الى الفتك بجميــع رهبان دير أبانوب قرب الاشمونيين ولقد اندفع المسلمون العقلاء والمســيحيين ... جميعا على اختلاف مذاهبهم وتجمهروا ، وكادت تحدث فتنة لولا أن تدخـل الخليفة ، فقبض على هذا الوزير المستبد ونفاه إلى جهة تانيس . وبعد قليل قتلـه لأنه كان يهيج المسلمين عليه وينسب إليه أمورا كاذبة . وقيل أنه مــات ميتـة شنيعة بعد مرض عضال(١) وتولى بعده ناصر الدولة ، وأعقب ذلك أن أعيـدت كنيسة مارجرجس بمصر القديمة الى القبط فرمموها على الفور . إلا أن العامـة والغوغاء تذمروا لهذا الترميم فعادوا تخريبـــها ولكــن القبــط لــم يلبثــوا أن استرجعوها مرة أخرى وجددوا بناءها فدشنت من جديد .

٢ - أمثلة من مظالم اليازورى للأقباط : -

أ - ومن امثلة مظالم اليازورى للأقباط وانتهازه كل فرصة ليغتصب منهم المال ، اتهامه البطريرك ٦٦ خرستوذولوس بتحريض ملك النوبة المسيحى بعدم القيام بواجباته نحو الخليفة الفاطمى ، ومن ثم ألقى اليازورى القبض على البطريــرك دون أى تحقيق ، ووقع عليه غرامة مائة دينار . ولما جيء بــالبطريرك إلــى القاهرة أرسل ألى " عبد الله " محافظ منطقة مصر السفلى ، الذى اقتنع ببرائته ، فذهب إلى اليازورى وأخذ منه فى الحال تصريحا باطلاق سراحه (٢)

---

(١) يعقوب نخلة رفيلة ، تاريخ الأمة القبطية ، ص ١٣٢ ، ١٣٣ - تاريخ البطاركة ، المجلد الثـانى ، ج ٣ ، الصفحة ١٧٦ - سيرة أنبا خرستوذولوس .

(٢) أقباط ومسلمون ، الصفحة ١٣٨

ب - كان رأس القديس مرقس الانجيلى محفوظا فى الاسكندرية بمـــنزل أبــى يحيى بن زكريا . فلما مرض يحيى مرضه الأخير ، أجتمع عشرة من أراخنـــة الأقباط وأبدوا مخاوفهم فى حالة موت يحيى بن زكريـــا أن توضــع ممتلكاتــه وأمواله تحت الحراسة وأن يقع الذخيرة المقدسة - رأس ما مرقس - فى أيـــدى المسلمين . فاتفقوا على نقل الصندوق الذى كان يحوى الرأس المقدس إلى منزل أبى الفتح والد المؤرخ الذى أتم تاريخ البطاركة . ولما كان أبو الفتح قد ســـبق وذاق نير الاضطهاد والتغريم . فخشى أن يغضب عليه الخليفة ، ورفض حفــظ الذخيرة المقدسة لديه . وعنئذ نقل رأس مار مرقس إلـــى مـــنزل ســـرور بـــن مطروح الذى كان يقيم بمنزل مقابل أبو الفتح . ثم أتى القس سيمون الذى كـــان كاهنا لبيعه مار مرقس وطلب أن ياخذ الرأس المقدسة ويقوم على خدمتها هو وأخوه . فلما بلغ الوزير اليازورى هذه الأخبار أمر بالقبض على أبـــى الفتــح وعلى جميع النصارى الذين اشتركوا فى نقل الصندوق . وحتم " كوكب الدولة " محافظ الاسكندرية أن يعاد إليه رأس القديس مارمرقس ومعه مبلغ العشرة الاف دينار التى ادعى أنها كانت مع الرأس . ونجح المقبوض عليهم فى نيل الافـــواج عن أنفسهم ماعدا أبو الفتح الذى أرسل إلى الفسطاط حيث اعتقلتـــــه الســـلطات ليضطر إلى دفع المبلغ الذى حدده المحافظ . (وقال المحافظ أن الـــروم أبـــدوا الاستعداد لدفع عشرة الاف دينار مقابل الرأس) .. فظل أبو الفتح فى الحبـــس سبعة وثلاثين يوما . وكان يقول فى نفسه أن ما ناله من ضيق هو بسبب رفضه أخذ رأس مار مرقس ورده من باب داره . وكان حارس السجن رجلا مســـلما يدعى بركات فقال لأبى الفتح فى صبيحة اليوم السابع الثلاثين " يا شـــيخ ابـــو الفتح رأيت الساعة انسان شاب بلحية سوداء على جبينته ضربة ووقـــف علـــى الباب وهو يقول يا أبو الفتح بن مفرج أنا مرقس الانجيلى ، قد ربحـــت نفســك بصبرك . وكلام آخر غير هذا ما فهمته وخذ هذه تخلص .ورمى من يده اليمنى حصاة لها ثلاثة رؤوس وقال إلى ثلاثة أيام يفرج عنك.فقال له أبى الفتح أئتنـــى بضوء حتى أبصر ما قلت . فأتاه الضوء لأنه كان سجن مظلم ، فوجد الحصـــاة مطروحة قدامه . فأخذها وتأملها وقبلها وشدها على ذراعه..وبعد نظر الســـجان لهذا المنام بثلاثة أيام اصدر مضاد الدولة..قرار بالافراج عنـــه ووصـــل إلـــى الاسكندرية وأخذ الرأس وقبلها كأنه لم يصبه شىء(١)

---

(١) تاريخ البطاركة ، المجلد الثانى ، ج ٣ ، الصفحات من ١٧٤ إلى ١٧٦ - إقباط ومســـلمون ، ص ١٣٨ ، ١٣٩ .

جـ - قتل ابن أخى الانبا جورجى أسقف ابروشية ميسارة :

فقد ذكر عن ابن أخى الانبا جورجى اسقف ميسارة عندما كان شابا اعتنق الاسلام رغما عن نصائح خاله وإرشاداته الكثيرة ، ثم بعد حين ، بكته ضميره وإنطلق الى وادى النطرون وتاب على يد الرهبان ولكنه لم يجد راحة فى ذلك لتبكيت ضميره . فإنطلق ليعترف بالمسيح حيث أنكره فقبض عليه المحافظ وقتله . وتفصيل ذلك انه لما نزل الى القاهرة تزيا بزى النصارى ، وكان معروفا بين المسلمين فأمسكوه وقادوه الى المحافظ فطرحه فى السجن وكان لأبيه صداقة ومعرفه مع أحد موظفى الديوان ، فألتجأ إليه طالبا إنقاذ ولده فوعده بإنقاذه على شرط أن يتظاهر بالجنون ، فلما طلب الى الشاب أن يفعل ذلك ، اجاب قائلا إنى لا اقدر أن أهزأ باسم المسيح لئلا ينالنى أشر مما نالنى من تبكيت الضمير . وبعد أن مضى على سجنه بضعة أيام أحضره المحافظ الى مكان يدعى رأس الجسر والناس تتبعهما من مسلمين ونصارى ، ولما بلغ المكان نزل المحافظ عن جواده والتفت الى الشاب قائلا : أمنحك هذا الجواد وأعين لك راتبا تتقاضاه كل شهر من خزينة الحكومة ، إذا عدلت عن رأيك فأبى ذلك ، فجرد السياف سيفه الماضى ، وفى الحال سمع الشاب صوتا وسط الجميع يناديه باللغة القبطية قائلا " تقو ياجندى المسيح فإنى أرى ملاكا فوق رأسك وبيده أكليل ليضعه على هامتك متى أتممت جهادك ، فرسم علامة الصليب على وجهه وأحنى رأسه فقطعها السياف بأقل من لمح البصر ، فحمله المسيحيون حيث دفنوه بإكرام جزيل .

٣ - سماحة بعض الحكام المسلمين تجاه الاقباط :

حقيقة ينبغى أن تقال أنه قد مد بعض المسلمين يد المساعدة أحيانا إلى الاقباط ..وسبق أن أشرنا إلى ما قام به " عبد الدولة " مع البطريرك وكيف أفرج عنه بعد أن اقتنع ببراءته .

وهناك أيضا " حصن الدولة " الذى كان واليا على الاسكندرية ، وكان يحب النصارى . فلما أصدر الوزير اليازورى أمره باغلاق كنائس الاسكندرية ومصادرة كل ما فيها من نفائس وفرض غرامة على نصارى المدينة تبلغ عشرة آلاف دينار ، ما كان من هذا الوالى " حصن الدولة " إلا أن أرسل فى طلب " موهوب بن منصور " مؤرخ سير البطاركة وخاله " صدقة بن سرور " - وكانا يخدمانه - وقال لهما " هذا كتاب الوزير اليازورى قد وصل بغلق البيع والقبض على جميع مالها ومطالبة جميع النصارى بالاسكندرية بعشرة ألاف دينار . ويجب أن تمضوا الساعة وتنقلوا جميع ما فى بيعكم من ألات وكساوى وغيرها .. " وبالفعل أغلقت جميع الكنائس فى اليوم التالى .. وانتهى الأمر بأن دفعوا

ألفى دينار – ولما شكوا له بحرمانهم من الصلاة بسبب غلق الكنائس ، سلمهم مفتاح كنيسة مار جرجس التى كانت أصلا بيت انيانوس ثانى البطاركة . وقال لهم " امضوا وافتحوا هذه الكنيسة وصلوا فيها سرا وأدعو لى " ، أخذوا المفتاح ومضوا إلى الكنيسة وحاولوا فتح بابها لمدة ست ساعات من الساعة الثالثة حتى التاسعة دون جدوى " فبكينا وتضرعنا وقلنا يا رب قد عرفنا أنك أغلقتها لأجل خطايانا وأثامنا فارحمنا واعف عنا فانفتح لنا الباب فدخلنا وقدسنا وتقربنا "(١)

٤ – المظالم التى حاقت بالأقباط عن طريق قبيلة اللواته : –

عمت الفوضى البلاد بعد وفاة اليازورى . وانتهز رجال قبيلة البربر المعروفة باسم اللواتة " فرصة ضعف المستنصر وهزيمة جيشه أمام قوات القائد التركى " ناصر الدولة " ، فألقوا القبض على البطريرك خرستوذولوس . وبعد أن أذاقوه ألوان العذاب ، ونهبوا داره وأخذوا أموال كثيرة كانت برسم ما مرقس والقديس مقار . فأسرع أبو الطيب الزراوى أحد الأقباط إلى كاتم سر ناصر الدولة يرجوه أن يفاوض قبيلة اللواتة من أجل إطلاق سراح البطريرك . وبالفعل تمكن من إطلاق سراحه بعد ان دفع فدية قدرها ثلاثة ألاف دينار .. غير أن هذا الاتفاق لم يضع حدا لأعمال السلب التى كانت تقوم بها هذه القبيلة .

فقد اجتاحت الوجه البحرى ونهبت أديرة وادى النطرون ، وقتلت معظم رهبانها ، ومزقت شمل الباقين ، وارتكبوا فظائع بشعه فنهبوا البلاد " وقتلوا اهلها وهتكوا اعراض النساء ، وذبحوا الاولاد على بطون امهاتهم وعلى ظهور ابائهم ونهبوا الكنائس وخربوها ، وكشطوا وجوه صور القديسين (٢)

٥ – بدر الجمالى وقتله الامراء الاتراك :–

ومما زاد الامور سوءا وصعوبة انتشار المجاعة لمدة سبع سنوات (١٠٦٦ – ١٠٧٢ م) بسبب انقطاع ماء النيل كما اشرنا قبلا ، واخذ ناصر الدولة قائد القوات التركية يتحدى الخليفة . فلم يكن من الخليفة إلا أن استدعى بدر الجمالى (الذى كان عبدا ارمنيا ثم اسلم) من عند الامير السورى جمال الدولة بن عمار ، وقد اشتهر بدر الجمالى بقوة شكيمته وحدة ذكائه وحسن إدارته . وكان يعتمد على قوة من الارمن وبعض الفرق المحلية .. ولم يقبل بدر الجمالى الحضور إلى مصر إلا بعد أن أملى شروطه على الخليفة وتتلخص فى ضرورة استبدال الجنود الاتراك بجنود من سوريا حتى يضمن للبلاد الامن والسلام .. وافق

---

(١) تاريخ البطاركة ، المجلد الثانى ، ج ٣ ، ص ١٧٨ ، ١٧٩ – أقباط ومسلمون ، ص ١٣٩ ، ١٤٠ .

(٢) تاريخ البطاركة ، المجلد الثانى ، ج ٢ ، ص ١٨٣ ، ١٨٤ – أقباط ومسلمون الصفحة ١٤٠ .

الخليفة على هذه الشروط وسلمه الخليفة براءة مزينه بالالقاب الآتيـــة " **السـيد الاجل أمير الجيوش سيف الاسلام ناصر الامام كافل قضاه المســلمين وهــادى دعاة المؤمنين** " .

وبدأ بدر الجمالى عمله باغتيال أمراء الاتراك أثناء مأدبة أعدها لتكريمهم . فلمـا خلا الجو من المعارضين أخذ يعمل بكل ما أتى من نشاط لانماء موارد البـــلاد والمحافظة على الامن داخل البلاد وخارجها .

ومن الطبيعى أن تميل العلاقات بين المسلمين والنصارى إلى الاعتدال فى ظــل حكومة حكيمة . وكان النصارى ينظرون بعين الرضى إلى هذا الارمنى الــذى حكم البلاد حكما مطلقا ، ذلك لانهم كانوا يعتبرونه رغم اعتناقه الاسلام ، واحـدا منهم . كما كان هو أيضا يشملهم بعطفه ويفصل بالعدل فى الشــكاوى المقدمــة منهم . ولم يترددوا فى طلب تحكيمه فى منازعاتهم الدينية البحته .

لكن لا ينبغى فهم عطف الوزير بدر الجمالى على النصارى بأنه كان تحــيزا أو ممالاءة . فقد شكا له بعض التجار المسلمين أن بقطر أسقف النوبة هدم مسجدا . فما كان منه إلا ان أمر فى الحال بالقبض على البطريرك خرســـتودولوس ٦٦ وحمله مسئولية هذا العمل .. أضف إلى ذلك أن بدر الجمالى أصـــدر مرســوما سنة ٤٧٩ هـــ يأمر فيه النصارى واليهود أن يتمنطقوا بزنار أسود وأن يدفعــوا ضريبة استثنائية قدرها دينار وثلث عن كل فرد (١)

والذى نريد أن نؤكده أيضا أنه :

تحت حكم بدر الجمالى ويده القوية وسياسته الحكيمة عم السلام والرخاء أنحـــاء البلاد المصرية . واتجه نحو تنمية التجارة ، فاقرض التجار مبالغ كبيرة تســـدد على أقساط مريحة ، كما مكنهم من الاتجار مع البلاد الاخرى خارج مصر ثــم اتجه إلى الزراعة وأولاها عنايته ، فتنازل للزراع عن ضرائب ثـــلاث ســنين كانت متأخرة عليهم ، وهكذا تضاعفت المحاصيل نتيجة هذا التشجيع .. وكــانت النتيجة الطبيعية للرخاء المادى هى النشاط الفكرى فى الكتابة والابتكار .. وهكذا أزدهرت العلوم والفنون)

٦ – أواخر أيام بدر الجمالى وأشهر حوادث ابنه " شاهنشاه ":-

مرض بدر الجمالى بمرض الفالج لشيخوخته وتولى مكانه فى الـــوزارة ابنه الافضل ومنح لقب شاهنشاه وكان إنسانا فاضلا أمينا وعادلا ، ترفع عن

---

(١) أقباط ومسلمون ، ص ١٤١ ، ١٤٢ .

الظلم ، ورد للمظلومين ظلامتهم وانصفهم من خصومهم ويشهد تاريخ البطاركة أنه سلك فى جميع الافعال المرضية والطرق الحميدة مالم يسبقه إليه من كان قبله " .. وبعد تسعة شهور من استوزاره توفى الخليفة المستنصر بالله . وخلفه فى الخلافه أصغر ابنائه ولقب " المستعلى بالله " وكان هذا دافعا لاخوته الاكبر منه نزار وعبدالله واسماعيل إلى الخروج عليه وعدم مبايعته خليفة . ثم عاد وبايعه أخواه عبدالله واسماعيل . أما نزار وهو الاخ الاكبر فقد ذهب إلى الاسكندرية وتحالف مع واليها . وكان نتيجة ذلك أن سار الافضل فى جيش الى الاسكندرية وحاصرها . وبعد قتال شديد طلب إلى والى الاسكندرية ونزار الاستسلام وطلبا الامان . فقبض عليهما وسار بهما إلى القاهرة والقى بهما الخليفة المستعلى بالله فى السجن وظل يضيق عليهما حتى ماتا .

وفى هذه الاثناء توفى أمير الجيوش بدر الجمالى سنة ١٠٩٤ م كما توفى الخليفة المستنصر والخليفة المستعلى بالله بعد أن مرض وكان ذلك فى السنة العاشرة من بطريركيه الانبا ميخائيل . وتولى الخلافة أبنه المنصور وعمره يومئذ ست سنوات (ويقول ابو المكارم ان بدر الجمالى مات مسيحيا ودفن بجوار كنيسة الارمن بالبساتين وتولى ابو اليمن يوسف امانه خزائن الخليفة ثم نظارة الريف بالوجه البحرى ولقب امين الاقفال) .

وفى هذه الفترة نشبت أول حرب صليبية فى حكومة الافضل وشاهنشاه وسنتكلم عنها فيما بعد .

حقيقة ينبغى أن تقال : (عدد من القبط فى ديوان الخليفة)

وضح للجميع بعد سرد بعض الحوادث فى عصر الخليفة المستنصر أنه كان يستهدف العدالة لرعاياه كلهم مما جعل المصريين إذا ذاك يعيشون فى الفه وتفاهم . كذلك نال بعض القبط حظوة خاصة فى عينيه ، فعينهم فى ديوانه منهم أبو مسرور ويؤنس بن يوسف الابح الذى كان كاتم الخليفة والذى أتاح له منصبه أن يرمم كنيسة أبى سرجه حينما وجدها متهدمة (١)

٧ – نهاية الدولة الفاطمية :

بوفاة المستنصر بدأ عصر الضعف فى الدولة الفاطمية ، وتميز بازدياد نفوذ الوزراء الذين استعان بهم الخلفاء الضعاف مثل شاور وأسد الدين شيركوه وصلاح الدين فقد تولى الحكم الخليفة الآمر بأحكام الله (١١٠٢ م – ١١٣١ م) الذى رفض تعيين وزيرا خليفة للمأمون بل اكتفى بتعيين رئيسين هما جعفر بن عبدالمنعم ، وأبو يعقوب ابراهيم السامرى وكان يشرف على اعمالهما راهب

---

(١) (الدير المحرق) للانبا اغريغوريوس أسقف الدراسات العليا والبحث العلمى . هامش ص ٦٥ .

قبطى أسمه ابن ابى النجاح (١) وقد أشتهر الخليفة بميله إلى زيارة الاديرة . وكان يبنى بجوارها الحدائق ذات المناظر الجميلة ليمضى فيها ساعات طويلة (٢)

ثم تولى الحكم بعد ذلك الخليفة الحافظ لدين الله (١١٣١ م - ١١٤٩) الذى عين له وزيرا أرمنى يدعى " بهرام "

وقد أعترض على هذا التعيين الاقباط والمسلمون ولم يرتاحوا لذلك الامر ولكن مما يذكر عن بهرام أنه عندما أنتزع السلطة منه الوزير رضوان ازداد مركز بهرام سوءا واضطر أن يرحل الى أسوان حيث قضى بقية أيامه فى دير مجاور لهذه المدينة (دير الانبا هدرا بأسوان) .(٣)

الخليفة الفاطمى العاضد وحرق مدينة الفسطاط (١١٦٠ - ١١٧١)

وانتهى الحكم الفاطمى بالخليفة الفاطمى العاضد (١١٦٠ - ١١٧١ م) . وفى عهده حدثت كارثة شديدة للاقباط ، هذه الكارثة هى حرق مدينة الفسطاط القديمة - وكان أغلب سكانها من الاقباط ، وكان ذلك سنة ١١٦٨ م بواسطة شاور وزير العاضد ، وذلك لكى يحول دون وقوعها فى ايدى عمورى صاحب إمارة أورشليم اللاتينية الذى كان يهدف إلى استخدامها كقاعدة لغزو مصر كلها . وقرر شاور أن يقضى على تطلعات الغزو الصليبى بصب عشرين ألف برميل من المواد الملتهبة على مدينة الفسطاط ذات الموقع الاستراتيجى . واستخدام رجاله عشرة الاف مشعل ليشعلوا فيها النيران التى استمرت متوهجة لمدة خمسين يوما . وبين عشية وضحاها أصبح أقباط الفسطاط معدمين ، وخسروا كل شئ . ولا شك أن هذه كانت إحدى الكوارث الجانبية التى حلت بالاقباط نتيجة الحروب الصليبية ولم يسلم من الحريق من الكنائس سوى سته فقط كانت فى حصن بابليون ومن هذه الكنائس كنيسة العذراء المعلقة

ومن أشهر الحوادث فى فترة ضعف الدولة الفاطمية :

(أ) هدم كنيسة الملاك بالروضة واظلمت الشمس :

قد حدث فى أيام الخليفة الآمر وفى زمان البابا مكاريوس الثانى البطريرك الـ ٦٩ (١١٠٢ م - ١١٢٨ م) غرس الوزير الافضل بستانا فى الروضة بجوار بيعة الملاك ميخائيل المختار واحاطة ببناء بلغ أسوار الكنيسة . فطلب المهندس من كبار النصارى رشوة لكى يبعد قليلا عن أسوار الكنيسة ، فوعدوه بذلك ولكنهم لم يفوا بوعدهم . وفى هذه الفترة حدث أن السماء أظلمت حتى أصبح الواحد لا يرى أخاه فخاف الناس وهربوا من بيوتهم وبينما هم ينتشرون

---

(١) وهو غالب ابن النجاح الذى قتل فى عهد الحاكم .

(٢) الخطط للمقريزى ج ١٢ ص ٢٩١

(٣) كتاب أقباط ومسلمون (د. جاك تاجر) ص ١٤٥ ، ١٤٦

فى الازقة أحدثت زلزلة دمرت بعض المنازل فإنتهز ذلك المهندس هذه الفرصة وبادر برجاله الى كنيسة الملاك ودمرها .

(ب) الاستيلاء على بساتين الاقباط :

كان للبطريرك البابا غبريال الثانى بستانا عظيما فى منطقة العدوية بين مصر القديمة وطره واستمرارا لعملية النهب والنصب والعدوان فقد استولى عليه الامير جبريل بن الخليفة الحافظ (١١٣٠ م- ١١٤٩ م) ، ووسعه ووجعله متنزها خاصا به وبالخلفاء الفاطميين ، بعد أن كانوا يأتون إليه لمجرد الزيارة وينصرفون .. وبعد سقوط الفاطميين آل هذا البستان إلى أخو صلاح الدين الايوبى ويدعى طفتكين ، وضم إليه بساتين أخرى مجاورة وكذلك كل الجهة المعروفة بالعدوية وساحل البحر وكانت كلها ملكا للاقباط وكانت بها كنيسة تسمى كنيسة السودان استولى عليها أيضا وهدمها .

حياة الاقباط الاجتماعية فى عصر الدولة الفاطمية :

من المفيد ونحن نختم كلامنا عن الفاطميين الذين استمر حكمهم لمصر لمدة مائتى سنه أن نتكلم عن حياة الاقباط الاجتماعية واحتفالاتهم بأعيادهم .

خلف الفاطميون حضارة زاهرة من نواحى مختلفة . يكفى أن نذكر أن مدينة القاهرة عاصمة البلاد حتى اليوم أنشأها الفاطميون .. يقول الدكتور على ابراهيم حسن " يمكن القول أن تقدم الفنون فى العصر الفاطمى يرجع بوجه خاص إلى مهارة الصناع الاقباط . ويتبين ذلك بسهولة من الصور الجميلة والمجموعات الفنية فى دور الآثار ، فإن من بينها التحف العجيبة والآثاث والملابس وقطع البللور . وزادت أهمية القبط حين أتضحت قدرتهم فى الطب ، فقد اتخذ الخلفاء اطبائهم من بينهم . ومنهم سهل بن كيسال الذى تمتع بعطف الخليفة العزيز وكذلك أبو الفتح سهل بن مقشر الطبيب الخاص للعزيز والحاكم "(١)

لقد كانت معظم الصناعات والحرف بيد الاقباط ، فكان منهم الصناع المهرة كالصباغ والجواهرجية والنجارين وارباب الحياك والصباغة والبنائين والحدادين والمهندسين والنقاشين ، وصناع الورق .

ومازالت أثار صناعاتهم باقية فى الآثار القديمة بكنائس حارة زويلة وحارة الروم ومصر القديمة خاصة كنيستى المعلقة وأبو سيفين .

أما عن الاعياد القبطية فقد أسهب الكتاب والمؤرخون المسلمون فى الكلام عنها .. يقول الدكتور على ابراهيم حسن أن " الخلفاء الفاطميين احتفلوا بأعياد الاقباط

---

(١) دكتور على ابراهيم حسن ، مصر فى العصور الوسطى ، الصفحة ٤٨٠

بكثير من مظاهر الابهة والعظمة..مشاركة لهم فى شعورهم الدينى وأهمها ليلـــة الغطاس والنيروز وخميس العهد.وكانت ليلة الغطاس من أعظم الاحتفالات التـــى اشترك فى إحيائها المسلمون.فقد كان الناس يسهرون طـــول الليــل ، وتســـرج المشاعل وتدق الطبول وتقام الملاهى ، ويظهر الاهالى بأعظم مباهج الســـرور والغبطة..كذلك أحتفل الفاطميون بالنيروز بكثير من مظاهر الأبهة والعظمـــة ، وكان من المعتاد إذا حل عيد النيروز أن توزع على الناس الملابـــس والنقـــود وكذلك البطيخ والرمان والموز والتمر والسفرجن والهريسة المصنوعة من لحوم الدجاج والضأن والبقر .. وقيل أن الفاطميين أتخذوا أميرا سموه " أمير النـــيروز " مهمته الخروج فى موكب حافل فى ذلك العيد لتوزيع الهدايا على رجال الدولـــة على اختلاف درجاتهم . أما خميس العهد فهو أحد الاعياد التى بقيت فـــى عـــهد الفاطميين مشاركة منهم للنصارى فى شعورهم الدينى .. وكان الاحتفـــال بـــهذا العيد يمتاز بالهدايا التى ينالها كبار الموظفين ، غيرهم من الرجال المشـــهورين " (١) . ونضيف إلى ذلك أن الحكومة فى عهد الفاطميين كانت تســـك خمســـمائة دينار ذهب بمناسبة خميس العهد ، وكان هذا المبلغ يوزع على جميـــع أربـــاب الرسوم .

ومن الاعياد التى كان يحتفل بها احتفالا عظيما فى عهد الفاطميين عيد الميـــلاد ، ويذكر المؤرخ المقريزى أن الدولة كانت توزع الحلويات القاهرية وأنواع مختلفة من الاطعمة على أرباب الدولة أصحاب السيوف والاقلام .وكـــانت تبـــاع فيـــه الشموع المزهرة بالاصباغ والتماثيل البديعة فلا يبقى أحد من النـــاس أعلاهـــم وأدناهم حتى يشترى من ذلك لاولاده وأهله وكانوا يسمونها الفوانيـــس واحدهـــا فانوس ويعلقون منها فى الاسواق بالحوانيت شيئا يخرج عن الحد فى الكثرة والملاحة " (٢)

ومن الامور التى توضح علاقة المودة والمجاملة بين الخليفة والنصارى انه كان يزور دير نهيا بالجيزة ويقيم به اياما بين رهبانه ويتبرع فى كل مرة بـــ ١٠٠٠ درهم أو اكثر كما وهب لهم ٣٠ فدانا معفاه من الخراج

---

(١) دكتور على ابراهيم حسن ، مصر فى العصور الوسطى ، ص ٤٨٦ ، ٤٨٧ .

(٢) المقريزى ، الخطط عن اقباط ومسلمون ، الصفحة ١٤٩ .

" الفصل الثانى "
" الآباء البطاركة فى العصر الفاطمى "

عاصر الخلفاء الفاطميين فى مصر - الذى أمتد حكمهم إلى مائتى سنه - أثنا عشر أبا من الآباء البطاركة ، ابتداء من البابا البطريرك ابرام بن زرعه ٦٢ (٩٧٥ - ٩٧٨) الذى عاصر المعز لدين الله إلى البابا البطريرك الانبا مرقس الثالث الذى عاصر العاضد الفاطمى اخر الخلفاء وكذلك صلاح الدين الايوبى .. وسنتكلم عن بعض هؤلاء البطاركة الذين حدثت فى عهودهم احداث جسام أثرت فى الكنيسة وعلى الشعب القبطى .

الانبا ابرام بن زرعة السريانى البطريرك الـ ٦٢ (٩٧٥ م- ٩٧٨ م)
١ - الانبا ابرآم ورجال الدولة :

كانت تربطه بالخليفة المعز ورجال دولته صلات حبية ، كما كانت تربطه بأراخنة مصر أواصر المحبة ، وكان مكرما منهم وأعطاه الله نعمة فى عين الخليفة المعز " وكان المعز يحضره إليه فى كل وقت ، ويأخذ رأيه فيما يعن له ويتبارك به ، وسأله أن يسكن بمصر " (١)

٢ - من يكرمكم يكرمنى ومن يرزلكم يرزلنى :-

كان بعض الاراخنة فى ذلك الوقت يقتنون السرارى وينجبوا منهن أولادا فأصدر حرما على كل من يقتنى سرارى ، فأطاعه الجميع ماعدا أرخن واحد من أصحاب الدواوين ، كان عنده عدد من السرارى ، ورفض إطاعة البطريرك .. " ضرب له البطريرك عدة مطانيات فلم يطعه ، وبقى على سوء فعله " فقرر البطريرك زيارته فى بيته لعله يستحى منه .. لكن هذا الارخن ما أن ، علم بمقدم البطريرك لزيارته حتى أغلق باب داره . وكانت النتيجة أن البطريرك ظل واقفا لمدة ساعتين أمام الباب يطرقه دون أن يجيبه أحد .. حرمه البطريرك ونفض غبار نعليه على عتبة الدار وكان من حجر الصوان فانكسرت إلى أثنين . ورأى هذه الآية كثيرون وهاب الناس البطريرك .. وبعد أيام قليلة هلك ذلك الأرخن وكل ماله (١)

---

(٣٧) تاريخ البطاركة ، المجلد الثانى ، ج ٢ ، الصفحة ٩٢

٣ - حادثة نقل جبل المقطم سنة ٩٧٨: -
الخليفة يطالب البابا ابرام بنقل الجبل المقطم :

ولعل أعظم الآيات التى تمجد الرب بها على يد ذلك البطريرك وفى عهده كانت نقل جبل المقطم .. أوغر الوزير اليهودى الذى أسلم يعقوب بن كلس صدر الخليفة المعز ضد النصارى بقوله أنه مكتوب فى إنجليهم " من كان عنده ايمان مثل حبة الخردل فأنه يقول للجبل انتقل واسقط فى البحر فيفعل " وقال له إما أن يكون النصارى على صدق أو كذب فى إنجيلهم .. استدعى الخليفة البطريرك أنبا ابرام وسأله عن حقيقة ورود هذا القول فى الانجيل فاجاب بالايجاب .. فطلب إليه أن يرى هذه الآية وإلا أفنى النصارى بالسيف . كانت مفاجأة للبطريرك واعتراه خوف عظيم ولم يعرف بماذا يجيب ، لكنه طلب أن يمهله ثلاثة أيام .

- استدعى البطريرك الكهنة والأراخنة والشعب الأرثوذكسى فى بيعة المعلقة وأعلمهم بالأمر وهو يبكى . ووضع على الرهبان قانون صلاة وصوم بالخبز والملح والماء من المساء إلى المساء ، وأن يجتمعوا فى البيعة ليل نهار . أما البطريرك فظل صائما هذه الأيام الثلاثة . ومن فرط حزنه وإعيائه سقط فى صبيحة اليوم الثالث على الأرض وغفا غفوة يسيرة ، فرأى السيدة العذراء وقالت له بوجه فرح " ما الذى أصابك ؟ " .. أخبرها بالأمر ، فقالت له السيدة العذراء " لا تخف فانى ما أغفل عن الدموع التى سكبتها فى بيعتى هذه " وقالت له أن يقوم ويخرج من موضع معين يؤدى إلى السوق ، وسيجد إنسانا بعين واحدة ، يحمل جرة ماء ، وهذا الانسان هو الذى تتم على يديه الآية

نصيحة سمعان الدباغ للأنبا ابرام :

استيقظ البطريرك ونفذ ما قالته العذراء وتقابل مع الرجل الذى أشارت إليه العذراء . فأمسكه وضرب له مطانية وقال له " من جهة الرب إرحم هذا الشعب " . ثم أخبره عن الأمر الذى لأجله خرج للقائه . فقال له الرجل " اغفر لى يا أبى فانى خاطىء ولم أبلغ إلى هذا الحد " .. لكن البطريرك أخبره بما قالته العذراء .. أراد البطريرك أن يعرف شيئا عن هذا الرجل ، فكان جوابه " أنا رجل دباغ وهذه عينى التى تراها أنا قلعتها لأجل وصية الرب عندما نظرت ما ليس لى نظر شهوة .. وأنا فى هذا الموضع أجير لرجل دباغ " وأنه يأكل خبزا وينفق ما تبقى معه على المستورين المنقطعين من الأخوة نساء ورجال . وإنه يقوم باكرا ليحمل فى جرته ماء للفقراء " فنهارى كله أعمل فى المدبغة وليلى قايم أصلى وهذه قضية حالى"وطلب إليه ألا يظهره لأحد"فليس لى قدرة أن احتمل

مجد الناس " .. وطلب إليه أن يخرج ومعه الكهنة والشعب إلى الجبل الذى يحدده الخليفة ، ومعه الأناجيل والصلبان والمجامر والشموع..وليقف الخليفة وعسكره وجماعته فى جانب والأب البطريرك وشعبه فى جانب أخر ، ويقف هو خلفه دون أن يعرفه أحد ، ويصلوا ويصيحوا قائلين يارب ارحم فترة طويلة . ثم يأمرهم البطريرك بالسكوت والهدوء ويسجد ويسجد الجميع معه ، وأن ذلك يكون ثلاث دفعات وفى كل دفعة يسجد البطريرك ويقف ثم يصلب على الجبل وسيرى الجميع مجد الله .

الجبل ينخفض ويرتفع مع السجود والوقوف : -

أخبر البطريرك الخليفة باستعداده للخروج إلى الجبل ، وخرج الخليفة ووجوه دولته ووزيره ومعه اليهودى موسى .. وفعل البطريك كما قيل له من الرجل الدباغ ، وصرخوا يارب ارحم دفعات كثيرة ثم أمرهم بالسكوت وسجد على الأرض وسجد الجميع معه ثلاث دفعات ، وفى كل دفعة كان البطريرك يرفع وجهه ويصلب على الجبل فيرتفع عن الأرض ، فاذا سجدوا نزل الجبل إلى حده - فخاف المعز خوفا عظيما وصاح هو ومن معه من المسلمين " الله أكبر ، لا إله غيرك " . وبعد ثالث دفعة قال المعز للبطريرك : " حسبك يا بطرك قد عرفت دينكم " (١)

ازدياد تقدير المعز للأنبا ابرام : -

ثم طلب الخليفة المعز إلى البطريرك أن يسأل أى شىء ليفعله له . فقال له " ما اتمنى إلا أن يثبت الله دولتك ويعطيك النصر على اعدائك " .. وأعاد عليه الطلب ثلاث مرات . وأخيرا قال البطريرك " إذا كان ولابد فأنا اسأل مولانا أن يأمر إن أمكن من بناء بيعة أبو مرقورة (أبو سيفين) بمصر لتهدم حوائطها فتحولت إلى شونة للقصب . وكذلك الكنيسة المعلقة التى تهدمت بعض جدرانها . فأمر المعز للوقت أن يكتب سجل بتمكين البطريرك من ذلك على أن يكون الصرف على العمارة من بيت مال المسلمين .. فأخذ البطريرك السجل شاكرا ، وأعاد المال وقال للمعز أن بيت المال أحق بهذا المال .

- ونود أن نشير هنا إلى أن معجزة نقل جبل المقطم ورد ذكرها تفصيلا فى كتاب تاريخ البطاركة المعاصر فى كتابته لهذه المعجزة - كما ذكرها أبو المكارم فى القرن العاشر فى كتابه الكنائس والديارات والرحالة ماركو بولو الذى من البندقية فى القرن الثالث عشر - وليس ذكر هذه المعجزة حديثا كما يزعم

---

(١) تاريخ البطاركة ، المجلد الثانى ، ج ٢ ، الصفحات من ٩٤ إلى ٩٦ .

الدكتور على ابراهيم حسن فى كتابه " مصر فى العصور الوسطى " وقولـه أن أول من ذكرها هو صاحب كتاب الخريدة النفيسة . وعلى أية حال فهناك إثبات من زاوية أخرى على حقيقة حدوث هذه المعجزة ، ذلك هو التحول الذى طرأ على سلوك الخليفة المعز لدين الله تجاه الأقباط ومن بعده ابنه العزيز بالله الذى تزوج من مسيحية .

نهاية القديس سمعان الدباغ :

يسجل التاريخ نهاية القديس سمعان قائلا : (كان من الطبيعى ان تحدث هذه المعجزة شيئا من الاضطراب فى صفوف من شاهدوها جميعا . ولما هدأت نفوسهم واستعادوا طمأنينتهم بدأوا ينزلون من الجبل ليعودا الى منازلهم . التفت غبطة البطريرك يمينا وشمالا باحثا عن القديس سمعان الخراز ولكنه لم يجده ولم يعثر احد عليه بعد ذلك .(١) وذلك لانه هرب من المجد الباطل كما انه لم تكن فضائله مشهوره فى ذلك الحين حتى ان يهتم به الآخرون او يبحثوا عنه . كما انه لم يكن من الرجال المشهورين فى هذه الفترة بالاضافه الى ذلك كان انتقال الجبل جعل الناس يهتمون بالحادثه اكثر من الاشخاص ولكن الخلاصه ان اسم الرب تمجد على يديه . ولذلك اعلن الرب فى روح محبته عن جسد هذا القديس العظيم اذ قال الكتاب والمؤرخون انه مدفون فى مقابر الحبش بمصر القديمه وليس كما يدعى البعض انه القى بنفسه تحت جبل المقطم او داخله ليهرب من الكرامه (٢).

جسد القديس سمعان الدباغ :

تم العثور على جسد القديس سمعان فى ١٩٩١/٨/٤ ميلاديه فى مدافن الحبش بمصر القديمه بجوار سور كنيسة السيده العذراء ببابليون الدرج وتم توزيع الجسد ليكون على ثلاث كنائس فقط وهم

* كنيسة السيده العذراء ببابليون الدرج
* كنيسة السيده العذراء المعلقة
* كنيسة القديس سمعان الخراز بالمقطم (٣)

٤ - بناء كنيسة القديس مرقوريوس بمصر القديمة وما تبع ذلك : -

لما قرىء السجل الصادر من الخليفة عند بيعة أبو مرقورة . تجمع الغوغاء والأوباش وقالوا لو قتلنا كلنا بالسيف ما مكنا أحد من وضع حجر فى هذه البيعة . فعاد البطريرك إلى الخليفة وأخبره بذلك . فغضب المعز وركب لساعته ومعه

---

(١) قصة الكنيسة القبطية الجزء ٣ ص ٢٨

(٢) سنكسار يوم ١٩ ابيب — كتاب تاريخ البطاركة الانبا يوساب (سيرة البابا يونس العاشر) — كتاب القديس سمعان الخراز — طبعة ١٩٩٦

(٣) كتاب القديس سمعان الخراز طبعة ١٩٩٦

جنوده وأتى إلى المكان وأمر بحفر الأساس فحفر بسرعة ، وجمع له عددا كبيرا من البنائين ، وحملت إليه الحجارة من كل مكان بأمر الخليفة ، وبدأوا البناء .. فلم يجسر أحد أن ينطق بكلمة ما عدا شيخ واحد كان يؤم أولئك الغوغاء في الصلاة بالمسجد القريب من المكان . هذا ألقى بنفسه فى الأساس المحفور ، وقال أريد اليوم أن أموت على اسم الله ولا أدع أحد ويبنى هذه البيعة . وما أن علم المعز بذلك حتى أمر ان ترمى عليه الحجارة ويبنى فوقه فلما ألقوا عليه الجير والحجارة أراد أن ينهض ويقوم فلم يمكنه الأعوان لأن المعز أمر بدفنه فى الأساس الذى طرح نفسه فيه . فلما رأى البطريرك ذلك تطارح بين يدى المعز وسأله فيه إلى أن أمر باصعاده من الأساس .. وهكذا حتى كملت عمارة البيعة وكذلك بيعة المعلقة .. كما بنى هذا البطريرك كل البيع التى كانت تحتاج إلى عمارة ولم يعترضه أحد فى شيء . وامتدت العمارة إلى كنائس الاسكندرية التى كانت تداعت جدرانها .

الانبا زخارياس البطريرك الـ ٦٤ (١٠٠٤ م - ١٠٣٢ م)

معاصروه هذا البطريرك عاصر كل من الخليفة الحاكم بأمر الله والخليفة الظاهر ، وجرت له متاعب كثيرة وعاصر مظالم وإضطهادات جمة وسياسات متغيرة ومتضاربة.

١ - سجنه والقائه للأسود :

كما جرت له متاعب كثيرة بسبب الوشايات الكاذبة المضلله المغرضة التى بسببها وبدون فحص وتدقيق أمر الحاكم بأمر الله بأن يطرح البطريرك للسباع (أسود) لتأكله . لكن الذى حفظ دانيال فى جب الأسود حفظ البابا زخارياس ، فلم تقربه الأسود . وألقى الحاكم أيضا مع البطريرك راهب نوبى اسمه شبشية ، وكانت الأسود تخضع له وتلعق رجليه على نحو ما تفعل الكلاب بأصحابها .

ظن الحاكم بأمر الله - حينما بلغته هذه المعجزة - أن المسؤلين عن الاسود تطعم الأسود وتشبعها قبل أن تطلقها على البطريرك والراهب النوبى . فأمر بأن تجوع السباع ، وتذبح شاه وتنزع عن البطريرك ثيابه ويلطخ جسمه بدم الشاه . ففعلوا كما أمر الحاكم لكن الأسود ظلت مسالمة له وللراهب ولم تؤذهما

أخرجوا الأنبا زخارياس إلى السجن وظل معتقلا ثلاثة أشهر ، وحاولوا إرهابه بشتى الوسائل تارة بالحريق وأخرى بطرحه للأسود إن لم يدخل فى دين الاسلام . وإذ لم يفلح الارهاب كانوا يعرضون عليه الكرامة .. أخيرا دبر الرب أن يطلق الحاكم بأمر الله كل من بالحبس بعد شفاعة أحد مقدمى العرب ويدعى ماضى بن مقرب .

(٢) البابا زخارياس والراهب بيمن والحاكم بأمر الله : -

ذكرنا سابقا ونحن نتكلم عن الحاكم بأمر الله أن راهبا يدعى بيمين كان قد أسلم وعاد إلى المسيحية وأعطاه الله نعمة فى عين الخليفة فصار مقربا إليه . وقلنا أن الحاكم سمح له ببناء دير شهران يسكنه مع عدد من الرهبان . وكان الحاكم بأمرالله يتردد على هذا الدير ويقيم هناك ويؤاكل الرهبان . ولما أحس الراهب بيمين أن الله أعطاه نعمة فى عينى الحاكم بأمرالله تكلم فى شأن البطريرك الأنبا زخارياس وسأله الاذن فى بناء الكنائس فوعده بذلك . فانفذ الراهب بيمين من ، أخبر البطريرك بالحضور من دير أبو مقار . حضر البطريرك واخفاه بيمين عنده فى الدير .

فلما أتى الحاكم إلى الدير كعادته أخرج له البطريرك فسلم عليه وبارك عليه ودعا له .. فسأل الحاكم الراهب بيمين " من هذا " قال " هذا أبونا البطريرك أنفذت أحضرته كما أمرت " . فسلم عليه وكان معه جماعة من الأساقفة ، فقال الحاكم للراهب بيمين " من هؤلاء ؟ " فقال له " هؤلاء خلفاؤه فى البلاد وهم الأساقفة " . أخذ الحاكم يتأمل البطريرك وكان قصير القامة يرتدى ثيابا بسيطة ولم يكن وجيها فى هيئته ، بينما كان الأساقفة الذين معه ذوى مناظر حسنة وقامات فارعة . فسألهم الحاكم " هذا مقدمكم كلكم " قالوا نعم يامولانا يثبت ملكك " . فتعجب وقال لهم " إلى أين ينتهى حكمه " قالوا له " ينفذ حكمه فى ديار مصر والحبشة والنوبة والخمس مدن الغربية وافريقيا " فازداد عجبه وقال " كيف يطيعوه كلهم بلا عساكر ولا مال ينفقه فيهم " قالوا له " بصليب واحد تطيعه هذه القبائل كلها " سألهم " وأيش هو هذا الصليب " أجابوه " مثال الذى صلب عليه المسيح " فقال الحاكم " بالحقيقة ليس فى العالم دين ثابت مثل دين النصارى . هوذا نحن نسفك الدماء وننفق الأموال ونخرج الجيوش وما نطاع . وهذا الرجل الشيخ الحقير المنظر الدميم الخلقة تطيعه أهل هذه البلاد كلها بكلمة " (١) .

٣ - الخصب بعد الجدب : -

فى هذا اللقاء السابق قال الحاكم بأمر الله للبطريرك وللأساقفة الذين معه " أقيموا ههنا حتى أقضى حوائجكم " . وأصدر سجلا بفتح الكنائس كلها التى فى أنحاء البلاد وعمارتها وأن تعاد إليها ما نهب منها من أخشاب وأعمده وطوب - وكذا الأراضى والبساتين التى كانت تمتلكها الكنائس فى كل البلاد المصرية أمر أن تعاد إلى الكنائس .. كما أعفى المسيحيين من الزى الخاص وحمل الصليب على صدورهم . وصرح بضرب نواقيس الكنائس .

---

(١) تاريخ البطاركة ، المجلد الثانى ، ج ٢ ، ص ١٣٥ ، ١٣٦

٤ – معجزات الانبا زخارياس : –

أ – ومن معجزاته أن الانبا مرقورة تلبانه ضرب جسـده بـالبرص الشـديد ، فحضر إلى الأنبا زخارياس فقال له البطريرك بتواضع وقلب متوجع أنه يشاركه فى التوجع فيما أصابه . ولكنه أعلمه أنه ما يصح أن يكهن إلا بعد أن يشفى من البرص حسب شريعة العهد القديم . فبكى الأسقف وطلب إلـى البطريـرك أن يؤازره بصلاته ، وخرج من عنده وقصد إلى كنيسة فى ايبارشيته علـى اسـم السيدة العذراء ، وانقطع فى الكنيسة صائما ثلاثة أيـام بلياليـها وهـو يتشـفع بالعذراء من الصورة وكأنها قد مسحت جسمه فاستيقظ وقد عوفى من مرضـه . ثم توجه بعدها إلى البطريرك وأعلمه بما حدث وقال " يا أبى هذا بصلواتـك " . فأجابه "بل بأمانتك وصلاتك " (١)

ب – فرحا مع الفرحين وبكاء مع الباكين : –

حدث أن شماسا متزوجا وقع فى خطية زنا فضرب جسمه بالبرص فأخذ يبكـى بحرقة فقالت له زوجته وكانت امرأة تقية " قد أخطأت يا أخي وغلطت فبادر إلى الآب زخارياس القديس وأمسك بقدميه والزمهما حتى يسـأل الله فيـك فتـبرأ " فذهب إلى البطريرك وطرح نفسه بين يديه وبكى طويلا وتعلق بقدميه واعـترف له بكل شيء . فقال له البطريرك " يا ولدى فيك أن تثبت على بين يدى السـيد المسيح " فقال له " أحكم على بما شئت فانى فاعله بمعونة الله لى وبركة صلاتك " فأدخله إلى مكان مظلم عنده وقال له " يا ولدى واصـل الصـلاة والتضـرع والبكاء ، تائبا واعدا أن لاتعود إلى الخطية " . وكان يجعله يصوم ثلاثة أيام ، ثلاثة أيام ثم يطعمه بقليل من الخبز ويسير من الماء وكان يفتقده ويصلى عليـه بين الحين والآخر .

وبعد تمام أربعين يوما أتاه فوجده قد طهر من البرص ، فجعله يستحم ثم دهنـه بزيت وصلى عليه وقال له " يا ولدى قد عوفيت فاعرف ما ندرته على نفسـك ولا تعود إلى خطية . ولا تظن أننى صومتك ثلاثة أيام وثلاثة ليالى وافطرت أنا ، بل حى هو اسم المسيح ما تغذيت فى هذه الأربعين يوما إلا بمثل ما غذيتك به " . ثم بارك عليه وصرفه فعاد إلى زوجته المباركة فرحا مسرورا (٢)

---

(١) تاريخ البطاركة ، المجلد الثانى ، ج ٢ ، الصفحات من ١٤٨ إلى ١٥٠ .

(٢) تاريخ البطاركة ، المجلد الثانى ، ج ٢ ، الصفحات من ١٤٨ إلى ١٥٠ .

ج - الرب يقبل عطاياك : -

ومما يذكر عنه انه أتته يوما سيدة وقدمت له مبلغا من المال . فقال لـــها الأنبـا زكريا " الرب يقبل عطاياك " وصمت . وانتظرت هى دعوات أخرى فلم يقـل ، فخرجت وهى تشعر بالضيق . فأحس بها تلميذه فأسرع إليه وأخبره فطلـــب أن يستدعيها فلما مثلت أمامه أمر تلميذه باحضار ميزان . ثم وضع تقدمتها فى كفى الميزان وفى الكفة الأخرى وضع ورقة كتب عليها " الرب يقبــل عطايـاك " . وعندما رفع الميزان رجحت الكفة التى بها الورقة . فقال لها البابا " يـا ابنتـى خذى منهما ما أردت " . فخرجت أمامه باكية وأخذت الورقة واحتفظـــت بـها كبركة (١) .

الانبا شنودة الثانى البطريرك الـ ٦٥ (١٠٣٢ م - ١٠٤٦ م)

وقد عاصر هذا البطريرك من خلفاء الدولة الفاطمية كل من الخليفـــة الظـاهر والمستنصر

وقد نالته متاعب كثيرة جدا ومضايقات من الداخل والخارج ، كانت نتيجتـــها أن حاقت بالكنيسة مظالم كثيرة ونال الاقباط منها جانبا كبيرا من المتاعب والمظالم

ومما يذكر أن هذا البطريرك أصدر قرارا بأن تؤول مقتنيـات الاسـاقفة بعـد نياحتهم الى البطريركية ، وظل هذا النظام معمولا به حتى أبطله البابـا شـنودة الثالث بموجب قرار أصدره وأعلنه . (٢)

الانبا خرستوذولوس البطريرك الـ ٦٦ (١٠٤٦ م - ١٠٧٧ م)

كانت مدة حبرية هذا البطريرك فى خلافة الخليفة الفاطمى المستنصر . الذى سبق أن تحدثنا عنه وقد نالت هذا البطريرك متاعب كثـيرة علـى يـد محمـد البازورى وزير المستنصر . ولقد أشرنا فى حديثنـــا عــن الخليفـة الفـاطمى المستنصر . وكان ذلك الوزير شديد الكراهية للمسيحيين عامة وللأقباط خاصـــة .. كما نالته متاعب على يد رجال قبيلة " اللواته " الذين عاثوا فسادا فى الوجـــه البحرى وقبضوا على البطريرك أنبا خرستوذولوس ، وأذاقوه ألوان العذاب بعـد أن نهبوا داره ، واسره اللواتيون ولم يطلقوا سراحه إلا بعد أن دفع عنه ثلاثـــة الاف دينار على نحو ما أشرنا قبلا فيما كتبنا عن الخليفة المستنصر .

كما نالته متاعب كثيرة قام بها ستة من الاباء الاساقفة ومتاعب أخـــرى بسـبب راهب يدعى فلوطسى ومتاعب أيضا بسبب راهب يدعى أبو يعقوب بالاضافـــة الى متاعب جمة من إنسانا يدعى على القفطى .

---

(١) ايريس المصرى (قصة الكنيسة القبطية ج ١٣ الصفحة ٧٣

(٢) منسى يوحنا " تاريخ الكنيسة القبطية "(طبعة ١٩٢٤ م ص ٥١٠)

ومن أشهر المتاعب التى حاقت بالكنيسة فى أيامه :

١ - بسبب الحصول على مفاتيح كنيسة واحدة : -

لقد حاقت بالكنيسة متاعب كثيرة عندما أراد البابا خرستوذولوس فتح كنيسة للصلاة بعد أن أغلقت جميعها ، ففرض الوالى نظير ذلك ضريبة باهظة على أقباط الاسكندرية ودفعوها مقابل تسليم البطريرك مفاتيح كنيسة واحدة لإقامة العبادة فيها وتركوا له بيت إنيانوس البطريرك الثانى .

٢ - سرقة الاديرة وقتل الرهبان : -

فقد ذكر بعد مقتل الوزير يازورى أن عاود المسلمون ثانية وألقوا القبض على البطريرك وهجموا على البطرخانة بالاسكندرية ووجدوا فى الخزينة تسعة آلاف دينار أقتسموها ، ثم أطلقوا سراحه بتوسط ذوى النفوذ من موظفى الاقباط ، كما ذكر أن جرت العادة أن يزور البطاركة أديرة وادى النطرون ، وفى أحد السنين بينما كان البابا خرستوذولوس بوادى النطرون ، هجم أتباع ناصر الدولة زعيم الترك على الاديرة وإضطهدوا الرهبان وذبحوا كثيرين منهم ، وأخذوا البطريرك أسيرا معهم وأوسعوه إهانة وتعذيبا ولكن الله نجاه بواسطة رجل قبطى يدعى أبا الطيب ، كان رئيس كتبة ناصر الدولة فتوسل الى مولاه أن يطلقه ، ففعل إكراما لخاطره ودفع أبو الطيب فدية له مبلغ ثلاثة آلاف دينار . (١)

٣ - البابا خرستوذولوس ورأس مارمرقس الرسول : -

وفى عهد هذا البطريرك تمكن الأقباط من الاحتفاظ برأس ما مرقس كاروز بلادنا على الرغم من سعى الروم للحصول عليها مقابل عشرة ألاف دينار . وقد أشرنا أيضا إلى ذلك فى حديثنا عن الخليفة المستنصر . ونضيف هنا أن رأس مار مرقس كانت تظهر منها عجائب كثيرة .. ويروى تاريخ البطاركة أن شخصا شك فى قلبه وقال " أترى هذه رأس القديس مار مرقس أم لا " . ففى تلك الليلة ظهر ما مرقس لشقيقه وقال له " أخوك شك فى .. ففى الصباح أعلم أخاه بما رأه فى الحلم ، فلما سمع تعجب وارتعب واعترف بما خامره من شك ، ومضى إلى حيث رأس القديس وصلى بدموع طالبا الصفح عنه " (تاريخ البطاركة ، المجلد الثان ، ج ٣ ، الصفحة ١٨١ (٢)

البابا خرستوذولوس وطقوس الكنيسة : -

ومن الأمور الحسنة التى تذكر لهذا البطريرك اهتمامه بالنواحى الطقسية فى

---

(١) منسى يوحنا " تاريخ الكنيسة القبطية " ص ٤٤٧

(٢) تاريخ البطاركة (المجلد الثانى جـ٣ ص ١٨٠)

الكنسية والعبادة . ولقد وضع قوانين طقسية ، نسخة منها موجودة بمكتبة المتحف القبطى بمصر القديمة . وقد بدأ فى إصدار هذه القوانين فى ٨ مسرى سنة ٧٦٤ ش (أول أغسطس سنة ١٠٤٨ م) بعد أقل من سنتين من رسامته بطريركا . وكان أول هذه القوانين خاصا بالمعمودية . وتلاه بقوانين عن العبادة الكنسية وخشوع المؤمنين فى دخول الكنيسة . وتناول فى قوانينه أمور كثيرة تتعلق بطاعة الزوجات لأزواجهن – وتكلم عن الصوم الأربعينى وطقس أسبوع البصخة ابتداء من نهاية قداس أحد الشعانين – كما تكلم عن طقس الخماسين وصوم الرسل وصوم يومى الأربعاء والجمعة وصوم الميلاد والغطاس .

تأديبات الرب لشعبه : –

أ – سبق أن ذكرنا أنه فى زمان الخليفة الفاطمى المستنصر حلت بمصر أيام سود استمرت سبع سنوات بسبب انخفاض مياه النيل وحدثت مجاعات وانتشرت أوبئة وترتب على ذلك قيام حروب أهلية فى مصر نتيجة الغلاء الفاحش وندرة القوت .. وكان هذا بلا شك تأديبا من الرب لأولاده الذين انحرفوا وحادوا عن طريقه وأخذوا يتشبهون بغير المؤمنين فتكبروا وتصلفوا .. يقول كاتب البطاركه " ولما صار جميع مقدمى المملكة والناظرين فى دواوينها وتدبير أمرها كلهم نصارى وهم الملاك النافذ أمرهم بغوا وعتوا وبذخوا هم وجميع النصارى بديار مصر ، وتكبروا وعزت نفوسهم . ووقع بينهم البغضة والحسد وبين مقدميهم . وصار أكثر اهتمامهم بالأمور الدينياوية والتجمل والتفاخر والكبرياء على بعضهم بعض . فنزل الأدب من السماء من عند السيد المسيح على جميع النصارى حتى لحق غيرهم من الأمم لينتقم منهم عن جميع ذنوبهم فى هذه الدنيا ويخلصهم فى الأخرة قبل أن يصيروا إليه ... " (١) .

ومما قاله أيضا " ... كثرت خطايانا وذنوبنا .. حتى أن جماعة ثقات من المسلمين والنصارى أبصروا بأعينهم الدموع تجرى من أعين بعض الصور التى فى الكنائس " (٢) .

ب – ومن القصص المؤثرة فيما يختص بتأديبات الرب لشعبه ، أن إنسانا مسيحيا كان دائما يستشفع بالشهيد مرقوريوس (أبو السيفين) وكان يقضى حوائجه مقابل خدمته له .. وفى زمن تأديب الرب هذا استشفع هذا الرجل كعادته بالشهيد مرقوريوس فلم يقض له حوائجه كما اعتاد ، فدخله الشك من جهة هذا الشهيد .

---

(١) تاريخ البطاركة ، المجلد الثانى ، ج ٣ ، الصفحة ١٧٣ .

(٢) تاريخ البطاركة ، المجلد الثانى ، ج ٣ ، الصفحة ١٨٢ .

فظهر له الشهيد فى تلك الليلة " وأخرجه إلى موضع واسع ، وأوقفه على جـب فيه خيل وسلاح . وقال له هل تعرفنى ؟ أنا هو مرقورة فلا تشك . اعلم إنى انـا واخوتى الشهداء وغيرنا قد أمرنا بأن لا نشفع فى أحد فى هذا الزمان لأنه زمان أدب . وهذه خيلنا وسلاحنا قد تركناها هنا " (١)

البابا خرستوذولووس ومملكة النوبة المسيحية : -

حرص البطريرك الأنبا خرستوذلوس على الصلات الطيبة التـى تربـط بيـن الكنيسة فى مصر ومملكة النوبة المسيحية . فما أن وصلته رسالة جرجس ملـك النوبة يطلب فيها رسامة مطران لهم لنياحة مطرانهم حتى بادر باختيار راهـب تقى ورسمه وأرسله إليهم ، فرح به النوبيون لأنه دشن لهم كنيسة قد بناها سلفه

وكان ملك النوبة هذا قد قطع الجزية التى كان يرسلها إلى مصر لكنه عاد إلـى دفعها بعد أن أقنعه رسول من قبل البابا خرستوذولوس بذلك حفظا للسلام بيـن الدولتين . ولم ينس الرسول أن يؤكد للملك أنه يقدم له النصيحة رغم عدم رغبته فى التدخل فى شؤون الدولة السياسية . وهذا يؤكد أن كنيسـة الاسـكندرية قـد عرفت دائما - كما فعلت فى اثيوبيا - حدود رسالتها فلم تتعد دائرة الدين

ومما ينبغى ذكره فى هذه الفترة : -

انه فى عصر هذا البطريرك ساد الانحلال والجهل ومن اروع الادلة على ذلـك أن المكتبة التى وصفها المقريزى كأنها إسطورة من نسج الخيال التـى كـانت تحوى مئة الف مجلد الى جانب آيات الفن فى القصور والمتـاحف ، أصبحـت منهبا لكل ناهب وتبددت بأتفه الاثمان . (١)

الأنبا كيرلس الثانى البطريرك الـ ٦٧(١٠٧٨ م - ١٠٩٢ م)

كانت حبرية هذا البابا الفاضل فى خلافة الخليفة الفاطمى المستنصر الذى سـبق أن تحدثنا عن عهده . لكن المتصرف الفعلى فى شئون البلاد كـان هـو بـدر الجمالى الأرمنى الذى استحضره الخليفة من سوريا وخلع عليه عدة ألقاب منـها لقب " أمير الجيوش " وكان رجلا قوى الشكيمة ، حسن التصرف . وقد سبق أن أشرنا إلى ذلك .

على أن أعظم ما يميز هذه الفترة هو الفن المعمارى . فأقيمت الأبنية العظيمـة فى القاهرة وغيرها من المدن الكبيرة . وأحاط بدر الجمـالى مصـر القديمـة والقاهرة

---

(١) تاريخ البطاركة ، المجلد الثانى ، ج ٣ ، الصفحة ١٩٨ .

بأسوار منيعة . وكان المتولى عمارتها راهب قبطى يدعى يؤنس (يوحنا) ، وهو الذى أشرف على تصميمها (١) .

وفى ملاحظة هامشية للعالم المؤرخ الفريد بتلر على ما ذكره أبو المكارم عن الراهب القبطى يؤنس يقول " ليس هناك دليل اكبر من أن الأقباط كانوا هم مهندسى القاهرة " .. ويذكر أبو المكارم أن الراهب يؤنس هو الذى صمم أسوار القاهرة الجديدة فىعهد بدر الجمالى والخليفة الفاطمى المستنصر . وكانت الأسوار الأولى قد بناها جوهر الصقلى . وأقام بدر الجمالى الأسوار الجديدة بعد قرن من الزمان وكان ذلك فى سنة ١٠٨٧ م ولم تبن الأسوار الجديدة مكان الأولى ولكنها أقيمت فى مواضع أخرى أعطت المدينة مزيدا من الاتساع خاصة من ناحيتى الشمال والجنوب . وقد أقيمت الأسوار الجديدة من الطوب الأحمر أما أبواب المدينة فبنيت من الحجارة . وهذه الأبواب هى باب النصر وباب الفتوح وباب زويله .

ووسط استتباب الأمن والهدوء كلف بدر الجمالى الأقباط بتنظيم الدواوين وتشكيلها وبلغ مقدار ما جبى فى أيامه ضعفى ما كان يجبى قبلا (٨٧) .

العلاقة الطيبة بين البابا كيرلس وبدر الجمالى : -

- بعد أن تمت رسامة البابا كيرلس الثانى بالاسكندرية سار إلى مصر وقصد كنيسة رئيس الملائكة ميخائيل بجزيرة الروضة فى الموضع الذى يقال له المختارة (لذا ترد فى المخطوطات باسم كنيسة ميخائيل المختارة (أنظر تاريخ البطاركة ، المجلد الثانى ، ج ٣ ، الصفحة ٢١٠) ، فهب لاستقباله الانبا يعقوب أسقف مصر وأنفذ إلى الشيخ أبو الفضل يحيى بن ابراهيم متولى ديوان الأبواب (رئيس الشرطة) وديوان الصناعة ، يعلمه بوصول البابا البطريوك إلى كنيسة ميخائيل بجزيرة الروضة ، فسارع هذا الشيخ وأرسل حصانا أبيض ليركبه البابا . وكان بصحبته عدد من حفظة الأمن وعبر النيل إلى مصر وكان فى استقباله على الشاطىء جمهور كبير من الناس . وسار البابا إلى قصر الخليفة تتبعه جموع كثيرة ويتقدمه موكب من خدام الكنيسة . وهكذا حتى وصل إلى قصر الخليفة المستنصر . وخف لاستقباله مامون الدولة (وكان يسمى الأستاذ ، وكان من المقربين للخليفة) - ثم أخذ مأمون الدولة البابا بمفرده وأدخله إلى الخليفة المستنصر وكانت معه أمه وأخته جالستين " وبين أيديهم طيب كثير فضمخوه من

---

(١) قصة الكنيسة القبطية (د . ايريس حبيب المصرى) ب ٣ ص ٩٨)

ذلك الطيب . وقالوا بارك علينا وعلى قصرنا . فبارك عليهم ودعا لهم ففرحوا به وقالوا له جعلك الله مبارك علينا وعلى دولتنا ". ثم خرج ووقف على باب القاعة، وامر بطرس أسقف دقميرة(١)أن يقرأ الدعاء ، فقرأه ، وبارك هو أيضا ودعا(٢)

ثم أخرج البطريرك ومن معه إلى دار أمير الجيوش بدر الجمالى فاستقبل استقبالا حسنا فدعا له دعاء كثيرا ، وأمر بطرس أسقف دقميرة فقرأ الدعاء , وأمر بدر الجمالى والى مصر أن يخرج معه إلى حيث يريد " وأن يراعيه ويخدمه ويقضى حوائجه مادام بمصر . فخرج مبجلا ونزل إلى كنيسة السيدة العذراء المعلقة بمصر..ثم طلع بعد أيام إلى كنيسة السيدة بالقاهرة بحارة الروم "

البابا كيرلس والصوم الكبير : -

ولما حل الصوم الكبير خرج قاصدا دير أبو مقار وهناك حدث شيء عجيب فى يوم الخميس الكبير (خميس العهد) بينما كان وعاء الميرون موضوعا على المذبح فاض الميرون على يديه وعلى المذبح من تلقاء ذاته . وكان الأمر موضع دهشة الحاضرين .

البابا كيرلس وبطاركة وملوك الدول الاخرى المجاورة : -

أ - وتبادل البابا كيرلس الثانى والأنبا ديونسيوس البطريرك الأنطاكى رسالة السنوديقا (الايمان المشترك) - وبموجبها كان يذكر اسم كل بطرك فى الصلوات والقداسات فى كنائس الكرسى الآخر .

ب - وفى عهده اعتزل سلمون ملك النوبة شؤون المملكة وتنازل عنها لجورجيوس ابن اخته ، وانفرد هو بالعبادة والنسك (وكان ذلك فى السنة الثانية لبطريركية البابا كيرلس الثانى) فى بيعة على اسم القديس أبو نفر وكان هذا المكان يبعد عن أسوان مسيرة عشرة أيام . وكان والى أسوان يومئذ هو أسعد الدولة شاردكين القواسى . فأتاه أحد رجاله وقال له " يا مولاى أتريد أن أمضى وأحضر لك سلمون الذى كان ملكا على النوبة " قال له " نعم " فذهب فى صحبة عشرين رجلا وفاجأوا البيعة التى فيها سلمون . وأخذوه وسيره أسعد الدولة إلى القاهرة . فلما وصل القاهرة استقبل أحسن استقبال وأكرمه بدر الجمالى وأنزله فى دار حسنة . وأقام على هذه الحال نحو سنة ثم تنيح ودفن فى دير الخندق (أنبا رويس) الذى كان فى ذلك الوقت خارج مدينة القاهرة .

---

(١) هناك خلط بين دقميرة فى بعض الكتب - لكنها أسقفية أخرى وكرسى غير دميرة - وهى حاليا تعرف باسم كفر دميره الجديد ، تابع لمركز طلخا ، انظر Munier ; Liste Episcopales . PP . 27 , 28 وانظر أيضا محمد رمزى ، القاموس الجغرافى ، القسم الثانى ، الجزء الثانى ، الصفحة ٩٠ .

(٢) تاريخ البطاركة ، المجلد الثانى ، ج ٣ ، ص ٢٠٩ ، ٢١٠ .

وفى أثناء إقامة سلمون ملك النوبة بمصر ظهر بجلاء ما كان بين القبط والنوبيين من الرابطة الدينية . وتبادلت الزيارات بينه وبين البطريرك ووجهاء القوم ، الذين بالغوا فى إكرامه . فكان وجوده بينهم هذه المدة الوجيزة سببا فى تعزيز شأنهم وإعلاء مقامهم عند أكابر الدولة وعظمائها ولاسيما عند بدر الجمالى ، الذى لما علم بما بين الاقباط والنوبيين والاحباش من الرابطة الدينية ، كان يحاول إبرام معاهدات مع ملوك هاتين الدولتين لتسهيل طرق التجارة وامتدادها بين مصر وهذه البلاد ، كاشف وجهاء الاقباط بما فى قلبه ، وطلب منهم بذل المساعى لتنفيذ مقاصده . فلبوا طلبه وشرعوا فى فتح باب الاتصالات مع ملوك النوبة والحبشة بواسطة الاب البطريرك كيرلس الثانى .. وبعد تداول المحادثات والمكاتبات تم الاتفاق أخيرا

وأثنى عليهم . وأنعم على الاب البطريرك بمال يستعين به على إصلاح الديارات والكنائس التى خربت (١)

أنتقام الله من المغرضين واظهار كرامة خدامه الابرياء له

فقد ذكر أن خمسة أساقفة تعصبوا ضد الاب البطريرك ولجأوا الى شخص يدعى " يسيب "ناظر بساتين (خولى) بدر الجمالى وكان قريبا منه ، وتمكنوا من إثارة يسيب ضد البطريرك وشحنوه حتى قدم الشكاوى ضد البطريرك .

نعود إلى يسيب هذا الذى تعصب لخصوم البطريرك .. فبعد أن أنصرف الأباء الاساقفة من محضر بدر الجمالى عاتب بطرس أحد تلاميذ البطريرك يسيب على ما فعله . فما كان من يسيب إلا أن خاطبه بقبيح الكلام . وحاول أحد الاساقفة أن يهدئ من غضبه دون جدوى . وازداد غضبه على التلميذ . فلما خرج البطريرك من البستان حيث كان يعقد الاجتماع ورأى يسيب هائجا خاطبه بكلام لين فلم يهدأ. ودار كلام بينه وبين البطريرك . وأخيرا قال له البطريرك " يايسيب إذا كان لك سلطان الارض ، فأنا معى المسيح الذى له سلطان السماء والارض " . ونزل البطريرك عن دابته وضرب ليسيب مطانية . وإزاء ذلك بكى جماعة من النصارى كانوا حاضرين . ومع ذلك لم يرتدع يسيب .

وفى يوم السبت التالى مباشرة (فى مثل نفس اليوم الذى ضرب البطريرك المطانية ليسيب) ، نما إلى علم أمير الجيوش أمورا ضد يسيب فغضب منه ، وركب لوقته إلى البستان وأمر بضرب رقبته ، وضربت رقبته فى نفس المكان

---

(١) يعقوب نخله روفيله (تاريخ الامة القبطية ص ١٤٠ ، ١٤١)

الذى ضرب له فيه الاب البطريرك المطانية . وكان أيضا فى مثل تلك الساعة . فتعجب جميع الناس وازدادت كرامة الاب البطريرك عندهم ، وعند أمير الجيوش أيضا

غيوم الصيف بين البابا كيرلس وبدر الجمالى : -

١٠ - وحدثت أزمة بين بدر الجمالى والاب البطريرك وبعض الاساقفة بسبب هدية ارسلها مطران الحبشة مع أخيه ، لم تقع عند بدر الجمالى موقعا حسنا . وبسبب كلمة غير حكيمة قالها أسقف من حاشية البطريرك غضب أمير الجيوش . وقرر على كل أسقف كان حاضرا مع البطريرك (وكان عددهم عشرة) دينارين كل يوم حتى يكتبوا إلى ملك الحبشة ويسافر أسقفين برسالة إليه .. وانتهى ذلك اللقاء نهاية سيئة ، وأمر بالقبض على أخى مطران الحبشة الذى حمل الهدية .. وبسبب هدية حسنة وصلت من عند ملك النوبة ، طابت نفس أمير الجيوش وأرسل واستدعى البطريرك والاساقفة العشرة واكرمهم وطيب قلب البطريرك وكان أمير الجيوش قد طلب من مطران الحبشة ساويرس قبل سفره أن يبنى أربعة مساجد للمسلمين هناك . لكن المطران بنى سبعة مساجد ولكن الاحباش هدموها وأرادوا أن يقتلوا المطران ، بل أن ملك الحبشة قبض على المطران وأعتقله . ولما تأكد أمير الجيوش من ذلك هدأت ثورته (١)

حقيقة ينبغى أن تقال :

(أ) ومما هو جدير بالذكر أنه فى بطريركية الانبا كيرلس الثانى - وعلى وجه التحديد سنة ١٠٨٨ م / ٨٠٤ ش كان عدد الرهبان ببرية شيهيت أكثر من سبعمائة راهب كالآتى : أربعمائة بدير أبو مقار ،ومائة خمسة وستون بدير يحنس القصير ، وخمسة وعشرون بدير يحنس كاما (وهذين الديرين أندثرا فيما بعد) ، وعشرون بدير البرموس واربعون بدير الانبا بيشوى ، وستون بدير العذراء (السريان) ، وفى مغارة أبو موسى راهبين أحدهما سريانى والآخر قبطى - هذا عدا السواح الذين لا يعرفهم كاتب السيرة .

(ب) عندما تعصب خمسة أساقفة ضد البابا البطريرك اجتمع مجمع الكنيسة المقدس وكان عدد أعضاء المجمع ٤٧ أسقفا بخلاف الاب البطريرك . وكان منهم ٢٢ أسقفا من الوجه البحرى ٢٢ أسقفا من الوجه القبلى وأسقف نابليون وأسقفى الخندق والجيزه . وهذا يدل على أن عدد الاقباط فى ذلك الوقت مايزال كبيرا جدا .

---

(٩٢) تاريخ البطاركة ، المجلد الثانية ، ج ٣ ، الصفحات من ٢٢٠ إلى ٢٢٢

الانبا غبريال بن تريك البطريرك الـ ٧٠ (١١٣١ م - ١١٤٥ م)

هو أبو العلا صاعد بن تريك من مدينة مصر ، من عائلة قبطية عريقة ، كان والدة قسا وترمل . وكان كاهنا قديرا عالما متقشفا ، يعيش حياة طاهرة نسكية ، وكان ذا أموال كثيرة .

نشأ نشأة صالحة إذ رباه أبوه الكاهن تربية دينية وثقافية حسنة حتى صار رجلا عالما وكاتبا ملما بعلوم الكنيسة والكتب المقدسة ، فضلا عن أعمال الدواوين ، مقتدرا فى اللغتين القبطية والعربية . كما كان ناسخا ماهرا ، قام بنساخه عدة كتب قبطية وعربية ، الامر الذى ساعده على التبحر فى علوم الكنيسة وعقائدها.

وعلى الرغم من مسئولياته الحكومية ككاتب فى دواوينها فقد كان ملازما للبيعة . محبا للصلوات ، كثير الصدقات ، باذلا نفسه لخدمة الكنائس والغرباء والمرضى مفتقدا الارامل والايتام ومن فى السجون . كان ذا منزلة كبيرة لدى الوزير أحمد بن الافضل حفيد بدر الجمالى . ولعل ذلك يتضح من السماح له بتكريس نفسه شماسا للخدمة بكنيسة أبى سيفين مع الاحتفاظ بوظيفته فى الديوان . وكان ذلك بسبب استقامته وامانته ومقدرته على تصرف الامور .

أسباب تأخر رسامة البابا غبريال بن تريك :-

وبسبب ظروف الامن المضطربة فى البلاد وكثرة الوشايات ظل كرسى البطريركية شاغرا مدة أكثر من سنتين بعد نياح البطريرك مكاريوس الثانى .

ويمكن تلخيص اسباب تأخير رسامة بطريرك جديد خلفا للبطريرك مكاريوس الثانى فى سببين :

السبب الاول هو فقر الاقباط الشديد فى تلك الفترة نظرا للظروف المختلفة ، الامر الذى يجعلهم فى حالة عجز عن دفع مبلغ يتراوح من ثلاثة الاف إلى ستة الاف دينار لخزينة الدولة لاستصدار مرسوم التنصيب ، وذلك بسبب الضرائب الباهظة التى فرضت بسبب الحرب مع الفرنجة .. أما

السبب الثانى فهو خشية أراخنة الاقباط من رفض الوزير التصديق على أنتخاب مسيحى بسبب حالة الشئون الدولية .. وفضلا عن ذلك فقد ازداد الامر صعوبة بسبب أثنين من الرؤساء أضمرا كراهية شديدة لكل المسيحيين أحدهما مسلم هو ابن ابى قيراط والاخر سامرى ويدعى ابراهيم - هذان الشخصان ضللا الخليفة بالقول أن الاقباط جمعوا أموال الكنائس وارسلوها للفرنجة لمساعدتهم . وازاء ذلك أمر الخليفة بمصادرة اى أموال قبطية سواء كانت خاصة بالكنيسة أو بأفراد من الاقباط . وظل الحال كذلك حتى أغتيل كلاهما فى ظروف الفوضى التى

كانت تعم البلاد ، وتقلد مناصبهما بعد ذلك مسيحى ملكانى . وبواسطته سمح الوزير أحمد حفيد بدر الجمالى للاقباط برسامة بطريرك (١)
وكان وقوع الاختيار عليه بطريركا بسبب نبوات بعض القديسين والارشاد عنه دون أن يعرفوه .
قيل ان سلفه البابا مكاريوس الثانى تنبأ عنه ، كذا الراهب الحبيس بأبيار . كما أرشد الرهبان الاباء اليه أحد قديسى دير السريان فى ذلك الوقت يدعى يوسف دون أن يعرف مجرد أسمه ، وذكر أنه فى طفولته كان وهو يلعب مع اترابه من الاطفال يقول لهم أنا بطريرككم ويلبس ثيابا متشابهة لثياب البطاركة .
رسم بطريركا فى الخامس من شهر ابريل سنة ١٣١ م / ٩ أمشير سنة ٨٤٧ ش ودعى غبريال الثانى لكنه أشتهر باسم البابا غبريال بن تريك .

عبارة واحدا مع لاهوته : -

حدث وهو يقدس أول قداس له بعد رسامته بطريركا بدير أبو مقار أن قال فى الاعتراف الأخير عن جسد ربنا يسوع المسيح " وصار واحدا مع لاهوته " . فأنكر الرهبان عليه هذا التعبير . أما هو فقال لهم أنه يقولها لأنه هكذا استلمها من الآباء الأساقفة يوم رسامته الذين كانوا يلقنونه .. بعد مناقشات طويلة استقر منعا من اللبس أن يكون التعبير كالأتى " وصار واحدا مع لاهوته بغير افتراق ولا امتزاج ولا تغيير " . وقد وافقهم على ذلك وأصدر أمره إلى جميع الكنائس بتلاوة الاعتراف بالصيغة الجديدة .. هذه الحادثة إنما تدل على أكثر من مدلول . فهى تدل على يقظة الآباء الرهبان فى ذلك العصر وإتقانهم للعلوم اللاهوتية وتمسكهم بمعتقد الكنيسة . كما تدل على شجاعة أولئك الرهبان حينما تصدوا لبطريرك الكنيسة . وتدل كذلك من جهة البابا على اتضاعه وخضوعه للحق .

وفى بداية عهده تنيح الأنبا يؤنس بن سنهوت أسقف مصر ، ولم يرسم هذا البطريرك أسقفا خلفا له بل ضم كنائس هذا الكرسى له . وكان ذلك بطلب تقدم به شعب هذا الكرسى .

حالة البلاد فى أيامه : وإضطهاد الاقباط : -

وعلى مستوى الدولة تميزت الفترة التى قضاها هذا البطريرك على الكرسى المرقسى بعدم الاستقرار ، واضطراب الأمن وكثرة القلاقل ، وكثرة من قتل من الوزراء ورجال الدولة .. وتميزت هذه الفترة بالصراع بين المصريين المسلمين

---

(١) Aziz S, Atiya, History of Eastern Christianity, p. 93

تاريخ البطاركة ، المجلد الثالث ، ج ١ ، ص ٥٢ ، ٥٣

والجالية الأرمنية كبيرة العدد التى استجلبها بدر الجمالى الأرمنى . وكان نتيجة ذلك قتل بطريرك الأرمن وإحراق دير لهم وقتل من به من الرهبان . كما نهبت كنائس للأقباط .. وفى تلك الفترة كان فى الوزارة شخص يدعى رضوان بن ولحشى أصدر أمره بعدم استخدام النصارى فى الدواوين ولا يكونوا نظارا وأن يشدوا زنانيرهم فى أوساطهم ولا يركبوا الخيل وضاعف عليهم وعلى اليهود الجزية ، وغير ذلك من أنواع الضغوط والتحقير الأدبى .. وفى عهد هذا الوزير هجم المسلمون على كنيسة منية زفتى وكانت باسم مار جرجس ، واستولوا عليها وحولوها إلى مسجد . لكن الأنبا ميخائيل أسقف صهرجت الذى كانت تابعة له الكنيسة استغاث بالوزير رضوان ابن ولخشى وأوضح أنها بيعة قديمة فأمر باعادتها له .

وكان البابا غبريال بن تريك رجلا مصلحا وطقسيا وقانونيا وكنسيا .

(أ) اصدر أمره بمنع دفن الموتى بالكنائس وبلغ حماسه لذلك أنه أمر باغلاق كنيسة حارة الروم لأن شعبها خالف تعليماته ودفن بها قمص الكنيسة ، ولكنه عاد وفتحها بسؤال الأراخنة . ولم يقتصر الأمر على ذلك بل إنه حمل جسد الأنبا مكاريوس سلفه إلى دير أبو مقار ، وكان مدفونا بالكنيسة المعلقة .. كما أصدر أمره بمنع تقديم ذبيحة على اسم الملاك ميخائيل لأن الذبيحة لا تقدم إلا على اسم الله . كما منع الكهنة من شرب الخمر وحارب الشعوذة والتنجيم والتسرى .. وفيما يختص بهذه النقطة الأخيرة ، امتنع بعض الأغنياء عن تنفيذ تعليماته فى هذا الشأن فدعا عليهم ، فلم ينقض زمن حت بادوا جميعا .. كما حارب السيمونيه ورسم فى عهده ثلاثة وخمسين أسقفا للايبارشيات القبطية .. ولم يضع هذا البابا يده على شىء من أموال الكنائس وأوقاف الفقراء .

(ب) ومن أهم إنجازاته الطقسية ترتيبه لصلوات أسبوع الآلام . وكانت القوانين الرسولية حتى زمان هذا البابا تقضى بقراءة العهدين القديم والجديد مدة هذا الأسبوع بلا ترتيب معين ولذا فقد كان غالبية الشعب يقرأها لذاته وحده ، أى أنها لم تكن تقرأ على مسامع جميع الشعب . فجمع هذا البطريرك العلماء ورؤساء الكهنة وبعض رهبان دير أبو مقار ووضع ترتيبا وعمل كتابا لذلك أسماه البصخة المقدسة . ولعل من الأمور التى دفعته إلى ذلك أن أكثر من كانوا يعملون فى دواوين الدولة كانت لا تمكنهم ظروفهم من تكميل هذه الخدمات ومما هو جدير بالذكر أن كتاب البصخة نظمه بصورة أدق فيما بعد شخصية جليلة هو الأنبا بطرس أسقف كرسى البهنسا (بجوار بنى مزار) (انظر كامل صالح نخلة ، سيرة البابا غبريال بن تريك ص ٣٠ - ٣٢)

ومما هو جدير بالذكر أن البابا غبريال بن تريك هو أول من أصدر أمره إلـــى جميع الكنائس بقراءة الأناجيل والخطب الكنسية وما إليها باللغــة العربيـــة فـــى الكنائس وذلك بعد تلاوتها باللغة القبطية وذلك بعد أن وجد أن الأقباط يتكلمـــون العربية . ومن غير المعقول الا يفهم المصلى لغة الصلاة .

لذا فقد بادر بهذا القرار الخطير حتى يتمكن الأقبـــاط مـــن متابعـــة الصلـــوات والقراءات والعظات (١)

(ج) أما عن القوانين الكنسية التى وضعها هذا البطريرك ، فقد تضمنتها ثلاثـــة كتب :

الكتاب الأول : ٣٨ قانونا يختص بتنظيم أمور البيعة ، وعلاقة الشـــعب دينيـــا ومدنيا وواجب الأساقفة نحو رعيتهم وكذلك واجبات الكهنة ، ونهى عن ســـكنى الرهبان فى العالم بل عليهم أن يمضوا إلى دياراتهم . كما أمر بعدم التقديـس إلا بواحد من القداسات الثلاث (الباسيلى ، الغريغورى ، الكيرلسى) . كمـــا ذكـــر الآباء الأساقفة بانعقاد المجمع المقدس مرتين كل عام ، لكن حرصا على راحتهم أمر أن يحضر كل واحد من الأساقفة مرة واحدة فى كـــل ســـنة إلـــى القلايـــة البطريركية للمناقشة فى أحوال كرسيه .

والكتاب الثانى : يختص بتنظيم أمور الاكليروس .

أما الكتاب الثالث : فيختص بالمواريث .

ويقال أن لهذا البطريرك مؤلفات أخرى من بينها " علم الكنيسة " ومنـــه نســـخة محفوظة فى مكتبة الفاتيكان وله أيضا عدة كتب فى التفاسير (٢)

مرضه وظهور السيدة العذراء له :-

وحدث فى الأحد الثالث من الصوم الكبير لسنة ١١٤٤ م / ٨٦٠ ش أن مـــرض البابا غبريال من كثرة تقشفه وأصوامه ، وازدادت وطأة المرض عليه . وكـــانت جميع الكنائس ترفع صلوات عنه لكى يهبه الرب الشفاء . فـــأبصر البطريـــرك فىحلم السيدة العذراء مريم تقول له " الرب قد وهبك من أجلى أياما أخرى " فقام من مرضه معافى تماما .

---

(١) سليمان نسيم ، تاريخ التربية القبطية ، الصفحة ٩٧ .

(١) سيرة البابا غبريال بن بتريك لكامل صالح نخلة ،ص ٣٥

كما قيل أنه رأى فى منامه وكأن جماعة من الكهنة والرهبان ومعهم أناجيل وصلبان ومجامر وقالوا له إنا جئنا لافتقادك الآن ، ونحن نعود إليك فى العام المقبل فى مثل هذا الوقت ونأخذك معنا . ثم عوفى من المرض .

نياحته :-

وفى العام التالى ١١٤٥ م / ٨٦١ ش تنيح البابا غبريال بعد أن أكمل جهاده الحسن بعد مرض وصلوا عليه فى كنيسة أبى سيفين ودفن فى جانبها ثم نقل جسده إلى دير أبو مقارة بعد ذلك .

البابا يؤانس الخامس البطريرك ٧٢ (١١٤٧ - ١١٦٦ م)

جلس هذا الاب على الكرسى البطريركى ما يقرب من ١٩ سنه (١١٤٧ - ١١٦٦ م) وعاصر من الخلفاء الفاطميين الحافظ والظافر والفائز والعاضد وهو أخر الخلفاء الفاطميين .

كان راهبا من دير أنبا يحنس القصير ويدعى يؤنس بن أبى الفتح .. وكان أحد المرشحين الثلاثة للكرسى البطريركى فى المرة السابقة وعمل بينهم قرعة فكانت القرعة باسم البطريرك ميخائيل الثانى .. اجمعت الآراء على اختياره البطريرك الثانى والسبعين . فأرسل الاساقفة كهنة أحضروه من ديره إلى مصر ، ورسم قسا ثم قمصا بكنيسة المعلقة بمصر .

ومنذ رسامة البطريرك الانبا ميخائيل الثانى البطريرك الـ ٧١ وكان أحد رهبان دير أبو مقار ويدعى يؤنس بن كدران ينافس على الفوز بهذا المنصب . وفى هذه المرة أيضا كرر محاولاته ولجأ إلى السلطات الحكومية ، فأحال الخليفة الامر إلى مجلس يضم الاساقفة وقاضى القضاه وبعض رجال الدولة الكبار .
ويهمنا هنا أن نسجل رأى الآباء الاساقفة الذين أعلنوه فى هذا المجلس (١) .
" قال من حضر من الاساقفة والكهنة ليس لهم بطرك إلا من طلبوه ورغبوا فيه . ولا يكون هو (أى المرشح) طالب ولا راغب . وهذه سنة القوم من أول ماعبدوا الله بدين النصرانية وإلى هذا الوقت .. إذا صح عندهم أن الرجل الذى يريدوا يقدموه عليهم كامل أوصاف شريعتهم من القدس والدين والعلم والصلاح والعفاف والرحمة وبقية مايحتاجوه أن يكون فيه على حكم مذهبهم . أخذوه كرها من غير أختياره وقيدوه بالقيد الحديد لئلا يهرب منهم إلى البرية الجوانية فلا يقدروا عليه . لان قليل هم أهل هذه الصفة . وأن كانوا الكل أبائنا واخوتنا . فأهل هذه الطبقة لا يوجد منهم إلا من الالف واحد ، يكون قد توحد وقد تفرد

---

(١) تاريخ البطاركة ، المجلد الثالث ، ج ١ ، الصفحة ٤١ .

وترك العالم وهرب منهم وجعل حياته مع وحش الجبال وسباع البرية ، فنقل الله طبع السباع الكاسرة والوحوش الضارية إلى مسالمته . وإن الاسود إذا رأته تأتى إليه وتسجد عند رجليه فيبارك عليها ويستأنس بـها ولا تضره . لمثل ذلك الشخص يطلبوا النصارى أن يكون مقدم عليهم . فان لم يجدوه قدموا غيره من أهل الاتضاع والعلم والدين ، ومن يشهد له بالعفاف والطهر ، ولا يجوز لهم أن يقدموا عليهم من رغب فيهم ، ولا من يطلب بالسلطان " .

وكان الخليفة عادلا منصفا متزنا فأمر بأن يكتب سجل ويسير حاجب معهم الى الاسكندرية ليعقدوا هناك اجتماعا يضم اراخنة الاسكندرية وكهنتها ليختاروا واحدا من أثنين : إما يؤنس ابن ابو الفتح أو يؤنس بن كدران . وكان اجتماعا كبيرا ضم الاساقفة والاسكندريين والقاهريين والمصريين ، وسأل الوالى والقاضى والفقهاء والحاضرين عمن يختارون ، فصاح الجميع بفم واحد يؤنس بن أبو الفتح .. وما هو جدير بالذكر ، ومما يدل على قداسة يؤنس بن أبو الفتح أن أحد المسلمين الحاضرين سأله " ماتقول أنت فى هذا الرجل أعنى يؤنس بن كدران أهو مستحق لهذه الرتبة دونك " . فأجاب " نعم هو أصلح منى وأعلم بالشريعة " . وكان هذا إظهارا لفضيلته .. وانتهى الامر برسامته بطريركا بالاسكندرية ، وسافر منها إلى مصر حيث قوبل أحسن استقبال ، وساروا به الى كنيسة أبى سيفين التى جعلها مقر بطريركيته .

ومما يدل على طيبة قلب هذا البطريرك أنه أراد أن يطيب قلب يؤنس بن كدران برسامته أسقفا على سمنود فأمتنع ولم يطع . وعاش حياته بين الدير والريف حتى توفى .

المتاعب التى حاقت بالكنيسة فى ذلك الوقت :-

وتميزت فترة هذا البطريرك - فيما يختص بالدولة - باضطراب الامن وكثرة حوادث قتل الخلفاء والوزراء . وكان أمرا طبيعيا أن يكون من نصيب الاقباط شيئا من الاضطهاد والمتاعب . فقتل بعضهم وبيع بعضهم كعبيد بثمن بخس .. ومن الذين استشهدوا فى ذلك الوقت الراهب شنوفه من دير أبو مقار بعد أن أمسكوه وعرضوا عليه الاسلام أبى فقتلوه . وحاولوا حرق جسده فلم يحترق . فأخذ المسيحيون جسده ودفنوه بكنيسة أبى سرجه بمصر القديمة ، وكان ذلك فى يوم ٢٤ من بشنس .. وهدمت كنائس كثيرة فى ضواحى القاهرة بعد أن نهبوا مافيها ومنها كنيسة الحمرا بحارة الروم البرانية وكنيسة الزهرى .

وزاد الطين بله هجوم الصليبيين بقيادة عـــاموري Amalric علـــى مصـــر ، وهزيمة المصريين عند بلبيس (١)

(أ) ومن المظالم التى حاقت بالكنيسة فى أيام البابا يؤنس الخــــامس مــاحدث نتيجة مزاحمة ضرغام الوزير شاور على منصبه وقوى عليــه وأخرجــه مــن مصر فالتجأ الى نورالدين والى الشام فأنجده وامده بالقوة والرجال وســلم قيــادة الجند لشير كويه الملقب بأسد الدين فأرسل ضرغام أخاه ناصرالدين بجند ليمنــع دخوله إلى مصر ، و بعد معارك حصلت فى بلبيس أقهر جيش ضرغام ودخل شيركويه بجنده الظافر إلى القـــاهرة وقتــل ضرغـــام وأســـاء الجنــدى إلىالنصارى ونهبوا المنازل وهتكوا أعراض النساء وأرغمـــوا البعــض علـــى اعتناق الاسلام(٢).

ورغم هذه الظروف الصعبة ضد الاقباط كان واحد منهم هــو الشـيخ الأســعد صليب صاحب الديوان . قام بتعمير كنيستى الحمرا والزهرى وبعض الكنـــائس الاخرى حسبما أستطاع .

إيمان يهودى بالمسيحية :-

وفى زمان هذا البطريرك تنصر رجل من اليهود بمصر من كبار قومه ، وكـــان خبيرا عالما من أعيان قومه ويدعى أبو الفخر بن أزهر . قـــرأ كتــب الديانـــة المسيحية وتبحر فيها ، بل أتقن اللغة القبطية وتكلم بها . وكان يجـــادل اليـــهود باللغة العبرانية ، ويفسر للنصارى بالقبطية ، وعلى الرغـــم ممـــا قاساه هـــذا اليهودى المتنصر من المسلمين واليهود على السواء حتى بلغت إلى محـــــاولات القتل . لكنه ظل ثابتا على الايمان المسيحى لمدة أربعين سنه ومات مسيحيا

البابا يؤانس والانبا ميخائيل مطران الحبشة :-

وحدث فى زمان هذا البطريرك أن أغتصب عرش الحبشة دخيل بعـــد أن نفـــى الملك الشرعى فوبخه المطران القبطى الأنبا ميخائيل على مافعله ، فاغتاظ منـــه هذا المغتصب وبعث إلى وزير مصر فى ذلك الوقت العادل بن السلار يلتمـــس رسامة مطران لبلاد الحبشة كما كتب أيضا بهذا الشان للبطريـــرك وادعـــى أن المطران حدث له خلل فى عقله. ولما طلب الوزير من البطريرك رسامة مطران

(١) Stanley Lane-Poole, History of Egypt in the Middle Ages, p. 177

(٢) الخريدة النفيسة فى تاريخ الكنيسة ج ٢ ص ٣٧٥

اخر : قال له البابا " ما فى شريعتنا أن نولى إنسان رتبة الكــــهنوت ، ونرجــع نعزله منها ، فاذا مات ولينا غيره لان رتبة الكهنوت سمائية ماهى أرضيـــــة " . فغضب الوزير العادل من هذه الاجابة ورفض البطريرك رسامة مطران آخــر ، فأمر باعتقاله فى سجن دار الوزارة . وقد قاسى البطريرك من ضيـــق الســجن ونتانه رائحته الشئ الكثير . وظل معتقلا حتى قتل الوزير العادل فافرج عنه (١)

ومن الحوادث المؤسفة :-

أن هذا البطريرك حدثت له ضيقه شديدة بسبب عبارة لفظيـــة تخــص القــداس الالهى فقد كان بسمنود بعض رهبان من دير أبو مقار .. أضاف هؤلاء الرهبان الى الاعتراف الاخير كلمة المحيى كصفة لجسد المسيح " هذا هو الجسد المحيى" واختلف كثيرين أدى هذا إلى أن الوزير الصالح بن رزيق أمر باعتقـــال البابــا وكتب منشورات باعتقاله ، وكتب منشورات لتحصيل مبالغ من اســـاقفة الوجـــه البحرى .

وحدث أن البطريرك فى اعتقاله كان ملازما الصوم والصـــلاة كعادتـــه ، ورأى حلما قال بعده لمن معه فى السجن " تقووا بالله وافرحوا فان بعد أيام يسيرة يفرج الله عنى وعنكم " وتم دعاء البطريرك ضده وتحقق حلمه ، إذ بعد أربعة عشـــر يوما قتل هذا الوزير الظالم أحد أصاغر قومه .

نياحته :-

أخيرا تنيح هذا البطريرك فى يوم ٤ من شهر بشنس سنة ٨٨٢ ش / ٢٩ أبريـل ١١٦٦ ودفن بكنيسة أبو سيفين بمصر القديمة مع جسد الانبا غبريال بن تريـــك ونقلا فى عهد الانبا مرقس بن زرعه البطريرك التالى إلى دير أبو مقار .

البابا مرقس الثالث البطريرك الـ ٧٣ (١١٦٦ - ١١٨٩ م)

جلس هذا الاب البطريرك على الكرسى المرقسى نحو أثنيـــن وعشـــرين ســـنه ونصف وعاصر اخر الخلفاء الفاطميين العاضد وزوال الدولة الفاطميـــة ، كمـــا عاصر صلاح الدين الايوبى وبداية الدولة الايوبية .

كان قبل بطريركيته علمانيا باسم أبو الفرج بن أبى أسعد ويعرف بابن زرعـــه ، كان من أصل شريف سريانى الجنس على نحو ماكان البطريرك ٦٢ ابرام بـــن زرعه .. كان له شهادة حسنة ليس من المسيحيين وحدهم بل من المسلمين أيضا

---

(١) تاريخ البطاركة ، المجلد الثالث ، ج ١ ، ص ٥٣ ، ٥٤

.. كان تقيا عفيفا صائما مصليا كثير الصدقات وفعل الخير ، وكان بتولا " عالما فى دينه خبيرا بأمور الكهنوت " .. قيل أن البطريرك المتنيح الانبا يوانس الخامس تنبأ عنه أنه سيكون البطريرك الذى يأتى بعده .. ولذا فحينما خلا الكرسى البطريركى اجمع الجميع على رسامته . ولذا لم يظل الكرسى البطريركى شاغرا سوى شهر واحد واربعة عشر يوما . وجعل مركز بطريركيته فى الكنيسة المعلقة بمصر القديمة .

ومن أشهر المظالم والمتاعب التى حاقت بالكنيسة وبالاقباط فى أيامه ما ذكر عن أضطهاد الوزير يوسف صلاح الدين النصارى وأمره بنزع الصلبان من فوق الكنائس ويطلى قبابها وأسوارها باللون الاسود ، وبعدم دق النواقيس . وكان من عادتهم أن يزفوا الصليب يوم عيد أحد الشعانين فى الشوارع فأبطل هذه العادة وشجع ذلك رعاع المسلمين على إغتصاب عدة كنائس وتحويلها إلى مساجد وإرغام كثيرين على اعتناق الاسلام . وتجاسر شخص يدعى جالوش على الوشاية بحق الرهبان ، وكتب جملة عرايض إلى الوزير ، مدعيا أن الرهبان منجمون وسحرة ، وأنهم يعرفون الغيب ويحولون المعادن الى ذهب وفضة فأرسل جنودا إلى الاديرة وأهانوا الرهبان وأحضروا شيوخهم مقيدين فأختبرهم الوزير وتحقق من أمرهم ، ولما علم أنهم ابرياء لا يدرون مما اتهموا به فأخلى سبيلهم (١)



(١) الخريدة النفيسة فى تاريخ الكنيسة ج ٢ ص ٣١٢

" الفصل الثالث "

قديسوا الكنيسة وعلماؤها وأراخنتها في عصر الدولة الفاطمية

سبق أن تكلمنا عن فكرة مختصره عن بعض الأباء البطاركة وما حوت أيامهم من مظالم وضيقات واضطهادات كثيرة ، وكيف كانوا ابطالا فى الايمان والعقيدة ، وسوف نتكلم عن بعض الشهداء وأشهرهم فى هذا العصر بالاضافة الى بعض القديسين والاراخنة والعلماء .

١ - ايمان الواضح بن أبو الرجاء واستشهاده :-

من أشهر الشهداء فى عصر البابا فيلوثاوس البطريرك الـ ٦٣ (٩٧٩ م - ١٠٠٣ م) وهو شاب من المسلمين كان مقيما بمصر ، وكان من المتمسكين بدينه ، بينما كان يسير فى أحد الأيام رأى تجمعا من الناس حول إنسان مسلم أعتنق المسيحية يحيط به الجند وقد أعدوا له كمية هائلة من الحطب ليحرقوه بعد قتله .. أقترب ابن رجاء من ذلك الانسان المتنصر وقال له " يا إنسان ما الذى حملك على هلاك نفسك بسبب دين تكفر فيه بالله تعالى وتشرك به اخر ، فتستعجل بهذه النار فى الدنيا وفى الآخرة نار جهنم لانك تجعل الله ثالث ثلاثه ، وهو واحد لا يشبهه شئ وتقول أن الله ولد . والان فاسمع منى ودع عنك هذا الكفر . وعد إلى دينك ، وأنا اجعلك أخا ويكرمك كل واحد " فقال له الشاب المتنصر " لا تنسبنى الى الكفر والشرك بالله تعالى .. ونحن النصارى إنما نعبد إله واحد هو الآب والابن والروح القدس . وليس الابن غريب من الله الآب الذى هو كلمته وكذلك روحه . وسر ديننا عجيب مخفى عنكم لان عقولكم لا تحتمله .. وأنا أرى أنك بعد قليل يدنو منك النور ، ويضئ قلبك بنور المسيح وتجاهد عن الذى أنا أجاهد عنه ، وعلى أسمه أبذل نفسى وجسدى للالم والموت . وستقبل أنت أيضا هذه الالام التى أنا فيها " . فلما سمع ابن رجاء هذا الكلام حنق عليه ، وخلع نعله من رجله وأخذ يضربه على فمه ووجهه ورأسه وأخذ يلطمه بعنف وقال له " لا يكون هذا ابدا أن أكون مثلك أيها المرذول " . فقال له " سوف تذكر كلامى ، وتعرف صحة قولى " .. ثم ضربوا عنقه بالسيف وطرحوا عليه حطب وبوص كثير واشعلوا فيه النار .. وظلت النار مشتعلة ثلاثة ايام فى حراسة الجند ، وكان هذا كافيا لان يحول الجسد إلى رماد ، لكن " وجدوا جسده مثل الذهب لم يحترق منه شيئا " .

وعاد ابن رجاء الى بيته وامضى ليلته فى الم ووجع قلب مما سمعه من شهيد

المسيح وحاول أهله أن يسروا عنه فلم يقدروا . وعلم أن جماعة من أهل مصر مزمعين أن يذهبوا إلى الحج فى بلاد الحجاز فطلب إلى أبيه أن يذهب معهم للحج، رحب أبوه وسلمه لصديق له من المسافرين ، وأوصاه به .

وفى طريقهم إلى الحج – فى احدى الليالى – رأى حلما وفيه شيخ راهب منير جدا وقف به وقال له اتبعني تربح نفسك ، فلما استيقظ قص على صديق والده الذى هو فى صحبته ذلك الحلم فهدأ من روعه ، وقال أن الراهب هو الشيطان يريد أن يجربك فلا تفكر فى الامر ، وتكرر هذا الحلم ليلتين أخرتين ، أى أنه رأى الحلم ثلاث مرات على ثلاث ليال . فلما أتموا الحج ، وفى طريق العودة ،وبعد مسيرة ستة أو سبعة أيام ، توقفوا ليتبولوا ، ثم ركب صديق والده جمله ، أما هو فتأخر وانقطع عنه ، ولم يعد يرى أحد فصار يجرى ليلحق بهم دون جدوى – تاه فى الصحراء وجلس خائفا من الوحوش – واذا بشاب يركب فرسا بلباس بهى وقف أمامه وقال له " من أنت وكيف تهت فى هذه البرية وحدك " . فقص عليه قصته . فقال له ذلك الفارس أركب خلفى على الفرس " فلما ركب طار به الفرس فى الجو فلم يدر أنه فى سماء ولا فى أرض حتى صار بسرعة فى كنيسة الشهيد أبو مرقورة بمصر فانفتح له الباب وحده من غير أن يفتحه أحد " ثم اختفى عنه .

ظل مبهوتا وكأنه فى حلم ، لكنه كان يرى القناديل موقده والايقونات . وفى الصباح دخل قيم البيعة وظنه لصا وأراد أن يستغبث ، لكن أبا الرجاء أشار إليه بيده ليسكت ويتقدم نحوه ، فلما دنا منه سأله الشاب " ماهذا الموضع " . أجاب " كنيسة أبو مرقورة (أبى سيفين) بمصر " سأله " هل هذه مدينة مصر " أجابه " نعم . وهوذا أراك كأنك طائش العقل ، فعرفنى خبرك وما حالك " ، أجاب الشاب " كيف لا يضل عقلى وأنا فى هذه الليلة كنت فى الموضع الفلانى وما عرفت كيف وصلت إلى ههنا ، الله هو العالم بذلك " .

ودار حديث بينه وبين قيم البيعة روى فيه قصته ، لكن القيم شك فى كلامه وحسبه لصا وان الشهيد أبو سيفين ربطه فى الكنيسه ، سأله الشاب على شكل أبو سيفين وصورته ، فأخذه إلى ايقونته ، فلما راها قال " حقا هذه صورة الذى ظهر لى ورأيته فى البرية وحملنى على ظهر فرسه هذه إلى هنا " . ثم بدأ يكشف للقيم حقيقة أمره وأنه رجل مسلم " وقد رضيت لاجل هذه الاعجوبة أن أصير نصرانيا " ، وقال له " أنا ابن رجاء الشاهد وما أقدر اظهر لئلا أحرق بالنار وتحرق البيعة بسببى ، لكن أريد أن تصنع معى جميلا وتأخذ الاجرة من السيد المسيح ، وتخفينى فى موضع حتى لا يرانى فيه أحد حتى أدبر ما أفعل " ،

وطلب إليه أن يأتى له كاهنا ليشرح له المسيحية " ويثبتنى فى الايمان فان قلبى قد مال إلى هذا الدين " وبالفعل مضى به القيم إلى شيخ قس عالم تقى فاضل أخذ يشرح له الايمان ، وظل أياما يدرس .

فلما قوى قلب ابن رجاء سأل الكاهن الشيخ أن يعمده " فخاف لئلا تكون ضربة من الشيطان ، فأشار على الشاب المذكور بأن يمضى إلى وادى هبيب (برية شيهيت) فمن كثرة شهوته سأله سؤالا عظيما بمطانيات كثيرة ، وقال له ربما لا أعيش حتى أصل إلى هناك ، والزمه بكثرة تضرعه له وبكائه حتى عمده ، وسماه بولس ، فلما لبس نور حلة المعمودية التمس ثيابا زرية ابتاعها من السوق ولبسها وسأله ان يصلى عليه وخرج ولم يعرفه أحد لتغير زيه وشكله من كثرة صومه وصلاته واجتهاده وانتصابه لقراءة الكتب " .

وصل الحجاج الى مصر لكن ابن رجاء لم يكن بينهم . بحث عنه إخوته وسألوا صديق والدهم فبكى الرجل وعرفهم أن أخاهم تاه فى الصحراء ليلا " فلما سمعوا هذا منه شقوا ثيابهم وعادوا إلى أبيهم فأخبروه بذلك ، فأقام عليه مناحة وجنازه عظيمة ، فلما أنقضت أيام الجنازة كان شاب من أصدقائه ساكن بجوار بيعة الشهيد أبو مرقورة بمصر فأبصره يوما قد خرج من البيعة وعاد اليها وعليه ثياب صوف وعليه زنار صوف ، فقال بالحقيقة أن الناس يتشابهون ولو لم يكن ابن رجاء قد مات لقلت انه هذا " .. ثم قابل أبوه وإخوته وقص عليهم القصة .. أرادا إخوته أن يروا ذلك الشاب فتنكروا واختفيا فى موضع قرب البيعة ينظرون الداخلين وقت صلاة الغروب ، فلما أنقضت الصلاة خرج المصلون ومعهم ابن رجاء ، فتأملوه وعرفوه وأمسكوا به وقالوا له " ماهو الذى فعلته بنا يا أخونا ، فقال لهما الذى بى ماتعرفاه " . ثم مضيا إلى البيت برفق وقالوا له ما أنت ولدنا " قال لهم أنا بولس يعنى الاسم الذى سموه به وقت المعمودية . قال له أبوه فضحتنى ياولدى وفضحت شيخوختى بين القضاه والشهود " . ثم أخذوا يتناقشون معه طويلا وقالوا له " لا تفضحنا فى وسط الناس ولا تخزينا فى هذه المدينة " .. فلما لم يجدوا فيه حيله جعلوه فى بيت مظلم ثلاثة أيام بلا طعام ولا شراب دون جدوى .

ولما أعياهم أمره تشاوروا على قتله لئلا يفتضحوا ، ثم رقت قلوبهم وأخرجوه سرا ومضوا به إلى الجيزة ، وقالوا له " أبعد عنا نسترح من فضيحتك " أما هو فمضى إلى وادى النطرون وأقام هناك عند راهب تتلمذ على يديه ورهبنه .. وبعد أيام قليلة قال له أحد الرهبان " أن الرب لا يقبل نصرانيتك إلا أن تمضى إلى مصر حيث تعلن ايمانك " .. عاد الى مصر طاعة لهذا الكلام ومضى إلى منزل أبيه وقد وضع فى قلبه أن يموت على أسم المسيح . فلما راه أبوه بزى

الرهبان أغتاظ منه وقال له " ما هذه الفضيحة ؟ مضيت وعدت ألي بطرطور صوف – يعنى القلنسوه المقدسة – ثم أخذه وحبسه فى مطموره مظلمة يطرح فيها كناسه التراب والرماد ووسخ الدار وأطبق عليها طابقها ، وأقسم على كل من فى الدار لا يعطوه خبزا ولا ماء .. وامر غلمانه وجواريه أن يرموا عليه كل ما يكنسوه من تراب ورماد ووسخ الدار وغسالة القدور . وأقام كذلك ستة أيام ، وأمه باكية لا تفتر من البكاء بسببه وهى حزينة عليه جدا وكانت تدلى له الخبز والماء بحبل فلا يذوق منه شيئا .

وبعد الستة أيام ضعفت قوته وكان ملازما الصوم والصلاة ليلة ونهاره . وظهر له فى اليوم السابع الراهب الذى كان ظهر له أولا فى طريق مكه وفى يده خبز نقى ، فظن أنه خيال ، فلم يأكل منه شيئا حتى عرف أنه أمر ظهر له من عند الله ، فقال له الراهب تعرفنى ، قال له نعم أنت الذى رأيتك فى المنام ثلاث دفعات فى طريق مكه ، قال له نعم انا ذاك ، وانا مقاره أب وادى هبيب .. والآن فقد أرسلت اليك لاعزيك فتقوى وأصبر فان لك مجازاه عظيمة ، ثم غلب عنه ، فأخذ ذلك الخبز وأكل بعد أن صلب عليه فتقويت نفسه " .

واذا فشل أبوه فى كل محاوله لارجاعه ، حاول اخيرا إذلاله بأن أمر أخاه الاكبر أن يجامع سرية كان قد رزق منها بولد قبل ايمانه ، يجامعها أمامه ، واذ لم يفلح فىاثنائه أغرق ابنه الصغير ، أما هو فقال لابيه " أنا أحب ابنى وهو ولدى غير انى أحب الله اكثر منه " .

أخيرا قدم ضده شكوى للحاكم بأمر الله وكان هو الخليفة فى ذلك الزمان ، فأمر بحضوره مع أبيه عند قاضى القضاه والشهود ليناظروه .. والعجيب أنه لم يثبت لابيه عليه حجه ، فأمر الحاكم باطلاقه ليمضى حيث يشاء .

وكان ابن رجاء قد سمى نفسه الواضح ، واتصل بالعالم الانبا ساويرس بن المقفع أسقف الاشمونيين السابق الاشارة إليه ليستفيد من علمه ويتقوى إيمانه فنشأت بينهما صداقة قوية وكان يقرأ عليه كتب الآباء ويشرحها كما كان يفسر له الكتب المقدسة ويروى له الكثير من سير القديسين خاصة ما يناسبه من سيرهم وأقام الواضح (بولس) ابن رجاء فى برية شيهيت سنتين ، فلما رأوا ما عليه من تقوى وعلم أمسكوه قهرا وساموه قسا .. فلما نمى خبر رسامته قسا إلى أبيه لم يطق ذلك ، وأعطى بعض العربان دنانير ليقتلوه – فنصحه بعض الرهبان إزاء ما علموه من محاولة قتله – أن يذهب إلى الريف ويختفى فيه فأطاعهم وخرج

إلى بلدة تدعى صندفا (١) ، وأقام فيها سنتين فى كنيسة على اسم الشهيد تادرس

---

(١) كانت جزء من مدينة المحلة الكبرى – انظر القاموس الجغرافى لمحمد رمزى ، ج ١ ، الصفحة ١٨٥ .

ملازما لخدمتها ليلا ونهارا .. فدخل الشيطان فى قلب قوم من سكان تلك الجهة ، فأذاعوا خبر تنصره فى صندفا والمحلة ، وكان ذلك قبل وفاته بيومين . مرض خلالهما بحمى شديدة وبترتيب إلهى حضر شماس يدعى تيدر بن مينا من منوف إلى البيعة التى كان فيها ابن رجاء (بولس) فقال له " لا تفارقنى حتى توارينى التراب وتأخذ البركة ، فما بقى لى فى العالم إلا يومين . فاذا أنا قبضت (توفيت) فبادر بدفنى قبل أن يعلم المسلمون فيأخذوا جسدى فيحرقوه بالنار . وكان قوله روح نبوه .. فبعد يومين تنيح كما قال فأذاع الشيطان خبره فى المحلة وصندفا ، فتجمع أهلها وأحاطوا بالكنيسة حيث تنيح .. وهنا أرشد الله الشماس تيدر بن مينا أن يدفنه بمكان فى الكنيسة . ولما تم ذلك دخل المتجمهرون وطلبوا جسده ، فلم يجدوه .

وحكى عن الواضح بن رجاء أنه قال " كل ما جرى على من عذاب وما حل بى من ألوان لم يقلقنى غير ثلاثة أشياء وهى مجامعة أخى لسريرتى قدامى ، وتفريق ولدى منها قدامى وأنا أنظره ، وأعظم منهما كون البطريرك يبصرنى وتلاميذه يطالبون بالدنانير على قسمته لى قسيسا وهو ساكت لا يمنعهم ولا يردعهم " . وكان هؤلاء قد طلبوا منه مبلغا من المال عقب رسامته قسيسا ، ولما لم يكن معه شيئا " رآهم بعض الأراخنة يطالبوه وقد أزعجوه بالطلب فدفع لهم عنه ما طلبوه " . (١)

قصة الشهيد الهاشمى :-

ذكر أبن الرجاء فى كتاب له مفقود - إحدى القصص ، وهى قصة الشهيد الهاشمى ، ونسجلها حسبما وردت فى كتاب تاريخ البطاركة :

" كان ببغداد انسان يدعى مقدم ابن ملك ويعرف بالهاشمى ، وأنه لم يهتم قط بشيء من أمور المملكة .. سوى أنه كان يركب فى كل يوم ومعه الجند ويرصد بيع النصارى فى وقت القداس ، فيدخلها راكب ، ويأمر بأخذ القربان من على الهيكل ويكسروه ويخلطوه بالتراب ويقلب الكأس . وكل ما فعل فى بيعة مضى إلى أخرى وفعل فيها ذلك حتى كادت بغداد تخلو بيعها من القداسات .. وامتنع أكثر الكهنة عن القداس خوفا من هذا .. وكانت معونة الله تجذبه ولا يدرى .. فلما كان فى بعض الأيام دخل إلى بيعة من البيع كعادته ، ففتح الله عينيه فأبصر فى صينية القربان طفلا جميلا نبيلا ، وفى وقت القسمة أبصر االكاهن وقد ذبحه وصفى دمه فى الكأس ، وفصل لحمه قطعة قطعة فى الصينية . فبهت الهاشمى ولم يستطع الحركة . ثم خرج الكاهن يقرب الشعب باللحم وكذلك الشماس بكأس

(١) تاريخ البطاركة ، والمجلد الثانى ،ج ٢ ص ١٠١ الى ١١٣

الدم ، وهو ينظرهما ، فتعجب وقال لجنده ألا تروا هذا الفاعل الصانع يعنى الكاهن . قالوا له نحن نراه . قال لهم نصبر لهذا ، يأخذ طفلا يذبحه ويقسم لحمه على هذا الجمع العظيم ويسقيهم من دمه . قالوا له الله يوفقك يا سيدنا ما نرى نحن إلا خبزا وخمرا . فزاد خوفه وتعجبه . وبقى الشعب متعجبين لوقوفه باهتا ولم يفعل بالقربان ما جرت به عادته . فلما فرغ الكاهن وخرج الناس ، استدعى الكاهن وقال له ما رأه . فقال له يا سيدنا أعيذك بالله ما هو إلا خبز وخمر . فلما علم أن هذا السر ما ظهر إلا له فقط ، قال له " أريد أن تعرفنى سر هذا القربان وبدايته " .. فعرفه الكاهن كيف أسس المسيح سر الأفخارستيا ، ثم قال له إنما الله أظهر لك هذا السر الخفى الحقيقى المقدس خلاصا لنفسك .

" ثم إنه قرأ عليه كتب الكنيسة وبين له الأسرار حتى طاب قلبه لاعتناق المسيحية ، فأمر أصحابه بالانصراف وبات هناك مع الكاهن وعمده بالليل وسار نصرانيا .. فلما كان الغد أتاه أصحابه بالدابة فطردهم ولم يكلمهم . وإذ علموا الخبر مضوا إلى أبيه وأعلموه بما كان ، فأنفذ واحضره بالقوة ، وحاول معه باللين والتخويف كى يرجع فأبى " عند ذلك أسلمه للعذاب . فعذب عذابا شديدا فلم يرجع عن أمانته . فقطعت رأسه بالسيف على اسم السيد المسيح وتمت شهادته " .. وقد كرم مسيحيو بغداد جسده وبنوا عليه كنيسة عرفت باسم كنيسة الهاشمى " .

ايمان مارجرجس المزاحم وإستشهاده : -

كان استشهاده فى ١٩ بؤونه سنة ٦٩٥ ش الموافق ٢٦ يونيه سنة ٩٧٩ فى خلافة العزيز بالله الفاطمى وبطريركية الأنبا فيلوثاوس ٦٣ - وعلى الرغم من أن عهد العزيز اتسم بالتسامح مع النصارى كما سبق أن أوضحنا لكن الغوغاء والعامة كانوا يثيرون متاعب فى بعض المناطق .. ومن أمثلة ذلك ما حدث بمنطقة طلخا بسبب هذا الشهيد .

كان اسمه مزاحم ، وكان ابنا لرجل يدعى جمعة العطوى وهو مسلم متزوج مسيحية اسمها مريم ، تزوجها بالعنف دون إرادتها وإرادة والديها . وكان من قرية تعرف باسم الدروتين ، مركز طلخا ، دقهلية .. قضى الاثنا عشر سنة الأولى من عمره على دين أبيه ، على أن أمه كانت تواظب على الذهاب إلى الكنيسة وحين عودتها كان يسألها أن تعطيه جزء من القربان البركة الذى كان يستطعمه كالشهد فى فمه .. كانت هذه هى البداية التى حركته نحو التفكير فى اعتناق المسيحية .. وبدأ يتردد على الكنيسة مع أمه .. قصد الأنبا زخاريوس أسقف دمياط وهناك نال سر العماد المقدس على يد أحد كهنته وتناول من الأسرار المقدسة وعرف باسم جرجس المزاحم .

تزوج من فتاة تدعى سويلا أبنة كاهن كنيسة بساط النصارى (مركز طلخا) ويدعى القس ابانوب .

حرك الشيطان قوما ضده فمضوا وأخبروا متولى الحرب بدميره بقصة جرجس المزاحم .. وقف أمام متولى الحرب هذا واعترف - حينما سئل - أنه تنصر ، فأمر بتعذيبه حتى سال دمه على الأرض ، وبعد أن أمر بحبسه أطلق سراحه بمعجزة ، إذ ظهر ملاك الرب لمتولى الحرب فى صورة إنسان وسأله العفو عنه وخلصه من بين يديه . وتعتبر هذه الشهادة الأولى .. ولم يقتصر التعذيب على جرجس المزاحم وحده ، بل تعداه إلى زوجته التى نالتها شدائد كثيرة ، كانت تضرب ضربا مبرحا .. والعجيب فى سيرة هذا الشهيد أنه حيثما اتجه كان الشيطان يدخل فى احد الناس ويذيع خبر تنصره ووصوله إلى ذلك المكان .

ومن ألوان التعذيب التى احتملها أنهم فى إحدى المرات جعلوا فى عنقه حبلا وسحبوه فى شوارع تلك البلدة . فجاء رجل من المتجمعين حوله وضربه على رأسه بالسيف فشقها ، فوقع القديس على الأرض .. وكان فى تلك الفترة يعمل فى معصرة زيت . فبلغ صاحب المعصرة أن أحد رجاله قتل ، فذهب إلى حيث هو وخلصه من أيديهم وأخذه معه ، وكان فى نيته أن ينتظر حتى يوم صلاة الجمعة ، ويأخذ معه إلى المسجد فاذا رفض الصلاة مع المصلين أحرقه حيا .. علم بالأمر عامل مسيحى كان يعمل بمعصرة الزيت فأسرع إليه وأخبره فخرج من تلك الناحية قاصدا محله روح ومنها إلى سبرباى ثم إلى طنط الجزيرة ، قليوبية ، فأقاموا فيها مدة ثلاث سنوات ، ولكن عدو الخير دخل فى بعض الأشخاص وأذاعوا خبره ، فذهب إلى ناحية تسمى اخنا وأقام فيها ثلاث سنوات .. هناك مرض بمرض شديد جدا ثم انتقل هو وزوجته إلى جهة محلة خلف (بجوار المحلة الكبرى) - ومنها مضيا إلى ناحية الديجوية (حاليا جميانه) ، فأقاموا فيها مدة ثلاث سنوات .. هناك تعاهدا هو وزوجته أن يعيشا فى بتولية كأخ وأخت .. ومن جميانه مضيا إلى بلدة بساط النصارى وهى بلدة زوجته ، فأقاما فى بيت والدها .. وأخذ يجاهد فى الصلوات حتى أنه كان يضرب كل ليلة خمسمائة مطانية .

لكن الأفكار أخذت تقلقه من كثرة ما عانى من ألام فى كل موضع يذهب إليه ، ففكر فى الذهاب إلى دير أبو مقار للترهب هناك .. وبينما هو يفكر فى ذلك إذ رأى رؤية كأنه صاعد إلى السماء جالسا عن يمين السيد المسيح . وسمع صوتا يقول " يا جرجس تقو فى الشهادة . طوباك أنك استحققت أن تعد من الشهداء وتنال الاكليل السمائى مع الأبرار فى ملكوت الرب فلا تخف يا جرجس فالتعب

يسير والنعيم كثير " .. فلما سمع هذا الكلام تقوى وأعلم زوجتـــه بـــه ، فكـــان جوابها عليه " يا أخى ما رأيت فى هذه الرؤيا يشير إلى أن الـــرب لا يريـــد أن تترهب لكنه يريد أن تظهر اسمه القدوس وتنال إكليل الشهادة والفرح العظيـــم ، وأدعى أنا زوجة شهيد " .. وكانت تشجعه وتقويه على الجهاد والشهادة .

قصد قسا راهبا يدعى شيث وعرض عليه أفكاره من جهة الدير والشهادة ، وبعد أن نصحه قال له " لكن طوباك يا جرجس أن أنت صبرت على عقوبة واحـــدة فهى أخير لك من مقامك فى الدير سنة كاملة " . منذ ذلك الحين بدأ يهيىء نفســه للشهادة وإكليلها .. وكان يتشجع بواسطة الرؤى التى تعلن له .

أما شهادته الثانية فكانت فى دميره أمام أحد الحكام هناك ، بينما كان هو مقيمـــا ببساط النصارى . فحرك الشيطان عليه إنسانا شـــريرا وأخـــذ يذيـــع خـــبره ، وأحضروه إلى دميره ، وهناك أوثقوه وضربوه ضربا مبرحا ، وجعلوا فى عنقه حبلا وذهبوا به إلى دار النائب فأمر أن يطرح فى خزانة مظلمة . ثم أحضـــروه ثانية أمام النائب وعذبوه كثيرا ماديا ومعنويا . فمنهم من كان يبصق على وجهه ومنهم من يضربه على رأسه بغير رحمة ، ومنهم من ضربه على عنقه ومنكبيه بقطعة حديدية حتى تكسرت عظامه . وكانوا يضربونه وهوموثق ، أما هو فكان لا يفتر عن ذكر السيد المسيح بابتهاج .

استدعاه متولى الحرب بدميره للمثول أمامه وهناك قدم الشهادة الحسنة واعـترف بالسيد المسيح قائلا له " حى هو الرب إلهى ، مهما عذبتنى فاننى لن أجحد اســم سيدى ومخلصى يسوع المسيح " ، فعذبوه عذابا شديدا وقيدوه بالقيود الحديديـــة ، وضربه بعضهم بقطعة خشب على رأسه فشقوها ، ثم طرحوه فى السجن . وفى منتصف تلك الليلة ظهر له رئيس الملائكة ميخائيل وستره بجناحيه وأخذ يشجعه ، ومسح بيده على جسده ، فللوقت ضمدت جراحاته ، ثم صعد ميخـــائيل إلـــى السماء . وظهرت له السيدة والدة الاله فى شبه حمامة ونشرت جناحيـــها علـــى رأسه ، ووضعت فمها فى موضع الضرب ، وأيقظته من رقاده ، فرفع رأســـه وأمسك جناحها الأيمن فطارت من يده وامتلأ المكان نورا ، أما جراحاته فشـفيت وأحس بقوة فى جسده .. وفى السجن زارته زوجته القديســـة وأخـــذت تشـــجعه وروى لها كل ما حدث معه بواسطة الملاك ميخائيل والعذراء مريم .

ومرة ثانية ظهر له الملاك ميخائيل وأضاء كل السجن نور .. وفى مرة أخـــرى ظهر له السيد المسيح بنور عظيم لم يستطع أن يفتح عينيـــه فيـــه وكـــان معـــه ميخائيل رئيس الملائكة.وفى السجن عذب كثيرا وكانت زوجته تزوره وتشـــجعه وتقويه .. ومرة أخرى ظهر له ملاك الرب ميخائيل الذى كان يستغيث به .

وشجعه وقال له " إن لى اليوم أسبوعا أسأل الرب عنك فأرسلنى بـــهذا الــرداء ليكون لك به قوة ، تقدم الى لأعطيك به " فتقدم اليه القديس ونشر عليه الـــرداء فصار واحدا مع جسده ، ورشم عليه بعلامة الصليب المقدس فشفى لوقته .

قصده بعض المسيحيين فى السجن لينالوا بركته وطلبوا منه شيئا بركة يضعـــوه فى منازلهم ، أما هو فأعطاهم الخرق التى علـــى ســاقيه وســاعديه ورجليــه ومصبوغة بدمه . وما أن علمت زوجته بذلك حتى ذهبت إليــه تقويــه وتبكتــه لأنهاخافت عليه من المجد الباطل وقالت له " من أنت حتى استحققت هذه المنزلة وتعطى خرقا من جسدك للناس بركة ، ألعلك مثل بولس الذى كان الناس يأخذون الخرق التى يضعها على جسده .. وما أن سمع القديس هذا الكلام حتى بكى بكاء مرا وتعهد أنه ما يعود يفعل مثل ذلك .

أخذ الناس المملوءون حقدا وشرا يضغطون على متولى الحرب لكـــى يســلمهم القديس ليقتلوه حتى أن بعضهم قالوا له سنصير مسيحسيين إن لم تســلمنا هــذا الرجل .

وبعد أن نالته شدائد كثيرة – لا داعى لذكر تفاصيلها – أعلن له فـــى رؤيــا أن شهادته ستكمل فى ١٩ بؤونه – ومرة ثانية ظهر له السيد المسيح فى شبه رجــل أمير وبيده كتاب مفتوح وقال له " السلام لك يا حبيبى جرجس ذا الاسم الحلو فى فم كل إنسان . تقو وتعز فهوذا جميع ألامك وأتعابك التى تقبلتها علـــى اســمى مكتوبة فى هذا الكتاب فطوباك . لكن ارفع عينيك لتنظر ، فرفع عينيـــه نحــو السماء فرأى شابا حسن الصورة متمنطقا بلباس أبيض شبه ملاك عظيم يتبعـــه جمع كثير جميعهم بملابس بيضاء كالثلج . سجدوا جميعهم لمن بيده الكتـــاب . فقال له القديس من هو هذا الملك العظيم الذى يتبعه هذا الجمع ؟ فقال له الســيد المسيح بفمه الطاهر . هذا حبيبى جرجس الفلسطينى الذى سميت أنت باســمه . وأما هذا الجمع الذى يتبعه فهم كافة الشهداء والقديسين جاءوا جميعا ليطلبوا مــن أجلك لكى تكمل شهادتك " .. ولما فرغ المخلص من هذا الكلام أخفى نفسه عنه

وفى الغد ذهب متولى الحرب إلى السجن وقال للقديس جرجس المزاحــم " مــا فائدة انتظارك هنا . أذهب إلى زوجتك وأعلمها بأن تأخذ لك إنســانا يضمنــك ويعطينى عشرين دينارا . وأنا لا أسلمك إلى أهل دميره " . فأجابه القديس " ليس معى مال لأعطيك ، ولا لى أحد يضمنى لك ، فان أرادوا أن يحرقونى بالنــار ، وإن أرادوا أن يغرقونى فى البحر فليفعلوا ما يريدون بى " .

وفى اليوم التالى (١٧ بؤونه) شاع خبر أن خطاب الوالى الذى يقضى بـاطلاق سراح القديس قد ورد من مصر . جماعة من الشعب وخرجوا قائلين ولو نمـوت كلنا لا نطلقه ، لكن نخرجه ونحرقه حيا . وظل الناس يضغطون على المتولـى الحرب فوعد أن يسلمه لهم فى اليوم التالى .. فأسرع الناس إلى السـجن حيث القديس وتطلعوا فرأوا قوما يصلون معه فظنوا أنهم جماعة من النصارى ، فبقى بعضهم عند السجن وذهب البعض إلى الوالى يخبرونه ، فأمر أن يذهبـوا إلـى السجن ويذبحوا بالسيف من يجدوه هناك من النصارى . لما عادوا إلى السجن لم يجدوا سوى القديس فتعجبوا ، ولم يكن هؤلاء الذين شوهدوا يصلوا معه سـوى أرواح الشهداء والقديسين الذين أتوا إليه فى هذه الساعة الحاسمة ليعضدوه .

أراد الناس أن يأخذوه ولا يبقوه للغد لئلا يهرب . فقال لهم " لا أقدر أن أهـرب من خدمة مخلصى التى أنا مستعد لها " ، فلم يصدقوه ولكنهم أسلموه إلى راهـب اسمه مينا ليضمنه ، وهو الذى كتب سيرته . فضمنه ولم يتركهم يعذبونه

وفى لقائه الاخير مع زوجته طلب اليها أن تبتعد عنه لئلا يقتلوها ، فأجابته " يـا أخى وسيدى أسألك أن لا تتسانى عند لقائك بالسيد المسيح " . فرشم القديس ذاتـه بعلامة الصليب وقال لها " يعوضك المسيح يا أختى عن تعبك معـى فـى هـذا الزمان كله . الان أسألك وأودعك بان تذكرينى فى صلواتك لكى يعيننى الـرب الى النهاية " . ثم قبلت قدميه وقالت له " تعز وتقو وانظر إلى الرب ولا تخـف من الموت فيضيع جميع تعبك " .

وحتى اللحظات الاخيرة كانوا يجاهدون معه لكى ينكر ايمانه لكنه ثبت . ورغـم الاغراءات الكثيرة ثبت معلنا إيمانه .. نزعوا ثيابه وجلدوه بالسياط حتى سـال دمه على الأرض ثم أخذوه إلى موضع الشهادة وأخذوا يضربونه بلا شـفقة ولا رحمة – البعض بالعصى والبعض بقطع من حديد . وتم ما قاله المسيح " ستأتى ساعة يظن فيها كل من يقتلكم أنه قد قدم قربانا لله " .

تجمع حوله نحو ألف وخمسمائة من الغوغاء بالعصى والحراب والسيوف ولـم يهدأوا من تعذيبه . أما هو فلم يفتر عن ترديد اسم السيد المسـيح فـى فمـه . وانقضوا عليه بالحراب والسيوف وقطع الحديد يضربونه . ولما لم يمت قـالوا كل هذا الذى فعلناه به ولم يمت ولم يفتر عن ذكر إلهه . وأخيرا قال واحد منـهم أن الاسم الذى يردده بفمه هوالذى يجعله لا يموت ، فوثب واحد وأخذ طوبة مـن الخزف الحاد ووضعها فى فم القديس لكى لا يستطيع ذكر اسم المسيح . أما هـو فكان يردده فى قلبه .

أخيرا تقدم نحوه غلام راكبا حصانا وفى يده حربة وطعنه فى صدره فبرزت من ظهره ، فرشم القديس ذاته بعلامة الصليب دون أن يموت . وأخيرا تقدم واحد وضربه ثلاث ضربات بالسيف فلم يقطع السيف فيه شيئا فبهت الجميع لهذا الأمر . وتقدم أخر وضربه بالسيف على رأسه فشقت إلى نصفين . ورغم ذلك أخذوا حجرا يضربونه على رأسه . ومازال الضرب ينهال على رأسه حتى تحطم وتهشم وللوقت أسلم الروح فى يد الرب . وكانت الساعة الثالثة من يوم الخميس ١٩ بؤونه .(١)

كما عاصر البابا خرستوذولوس قديسون وأبرارا كثيرين نذكر منهم :-

الانبا باسيليوس أسقف أرمنت :-

(أ) من المعاصرين للبابا خرستوزولوس ، الانبا باسيليوس أسقف أرمنت وكان قديس روحانى . ذكر عنه أنه فى زمن المجاعة والغلاء أنه كان يتصدق بكل ماعنده ، وفى ليلة من الليالى طرق رجل مستور (هذا هو التعبير فى المخطوطات القديمة الذى يقصد به الفقراء) ، باب أسقفيته ، فقال لتلميذه - وكان يدعى مينا - أعطه خبزا . ولم يكن لديه سوى رغيفان من الخبز ، فدفع له منهما رغيف ، ثم قرع الباب اخر فأعطاه جزء من الرغيف الباقى ، ولم يتبق سوى جزء من الرغيف لوجبة الافطار . فلما جلس ليفطر قرع الباب ثالث ، فضجر التلميذ مينا ، فألزمه الاسقف أن يدفع بقية الرغيف له . ولم يتبق شيئا لافطاره . وفى المساء قرع إنسان الباب فقال لتلميذه أن يفتح لمن يقرع الباب . فقال التلميذ بضيق " مابقى عندنا شئ ندفعه لمن يقرع . كيف أكلمه وليس عندنا شئ نعطيه فألزمه باجابته " . كان التلميذ يظن أن القارع سائل من السائلين ، وما أكثر دهشته حينما وجد إنسانا جاء بطعام (٢) .

٢ - **انبا إيليا أسقف طموه** (قبلى الجزيرة وعلى مقربة منها) - وكان شيخا كبيرا جدا ، حدثت معه عجائب كثيرة سمعها كاتب السيرة منه وحضرها وشاهدها بنفسه ، ومنها أن الانبا إيليا كان يصلى القداس يوم عيد مار بقطر الشهيد بكنيسته بالجيزه . وفى منتصف القداس راى الاسقف نورا عظيما على صورة السيدة العذراء التى فى الهيكل . وظل النور مدة طويلة . وشاهد جميع الشعب الحاضرين هذا النور .

---

(١) عن المخطط الذى نشرته كنيسة دمياط سنة ١٩٦٩

(٢) تاريخ البطاركة ، المجلد الثانى ، ج ٣ ، ص ١٨٤ ، ١٨٥

٣ - ومن المعاصرين أيضا لهذا البابا الانبا ميخائيل أسقف تنيس Tinnis(١) .

٤ - الراهب بيسوس (Bessus) :-

الذى ترهب بدير أنبا يحنس كاما بوادى النطرون (وقد أندثر الآن)
ويعتبر الراهب القديس بيسوس من الشخصيات العجيبة حقا . ويبدو أنه كان من السواح ، كما كانت له موهبة النبوة ومعرفة المستقبل ، كما كان مقتدرا فى صلواته وبركته ..
ونورد هنا بعض قصص عن ذلك :-

أنتقاله بالجسد :-

+ زاره أحد عشر شخصا من الاسكندرية للتبرك منه ، واستضافهم وقدم لهم طعاما ثم أتاهم بجره صغيرة من الماء بارك عليها ، وشربوا منها جميعا حتى امتلأوا ، ولم تنقص الجرة إلا إلى مقدار نصفها .. وفى الصباح سألهم ألا يدعوا احدا من أراخنة مصر ممن يخرجون إلى البرية فى عيد الغطاس يأتى إليه ، وإلا ترك الدير وذهب إلى مغارة .

وكان موجود بدير أبو مقار أرخن يدعى أبو البدر بن مينا الزرادى والح فى ضرورة مقابلته للاعتراف بذنوبه .. فلما علم بذلك قال أنه سيذهب لدير أبو مقار حتى لا يدع الجموع الكبيرة من الاراخنة يذهب إليه ، وبالفعل ذهب إلى دير أبو مقار وتقابل مع هذا الارخن ، ولما عزم على الانصراف الحوا عليه بالمبيت بدير أبو مقار حتى ينالوا بركة أكثر . وإزاء إلحاحهم قبل المبيت ، ثم طلب منهم الانفراد للصلاة ، فحبسوه فى خزانة وأغلقوا عليه ، وباتوا أمام بابها ليتباركوا منها ، ويسمعوا صلواته ويصلون معه .. وما أكثر دهشتهم حين فتحوا الخزانة التى حبسوا فيها الراهب بيسوس فى الصباح ، فلم يجدوه .. وبالاستعلام من دير أنبا يحنس كاما علم أنه غادر إلى دير أبو مقار بعد غروب الشمس وعاد قبل صلاة منتصف الليل كل هذه المفارقات فى وقت خروجه من دير أبو مقار والعودة اليه فى مدة أقل بكثير جدا من الوقت الذى تستغرقه هذه الرحلة ، بالاضافة الى حبسه فى خزانة وخروجه منها وبابها مغلق .. كل ذلك جعل كاتب سيرته يسأله عن متى ذهب ومتى عاد فكان جوابه " مالك إلى هذا حاجة " (٢)

---

(١) مدينة مصرية قديمة أندثرت ، وكانت تقع بجزيرة فى بحيرة المنزلة - ومازالت الجزيرة موجودة حتى اليوم وتعرف باسم جزيرة تنيس - وتقع على بعد تسعة كيلومترات جنوب غربى مدينة بورسعيد .

(٢) تاريخ البطاركة ، المجلد الثانى ، ج ٢ ، الصفحات من ١٨٧ الى ١٨٩

إستجابة الله لصلواته :-

+ حدث فى سنة ٩٧٨ ش / سنة ١٠٨٢ م أن عرقا تصبب من أعمدة دير أنبا موسى ، وكذا من عدة صور فى كنيسة الشهيد تادرس بمصر ببنى وائل . حتى أن عرقها كان ينحدر منها بغزارة كالماء . وحدث فى تلك السنة أن مرض الجدرى أنتشر بصورة وبائية ، ومات بسببه فى أقل من شهر واحد وعشرون ألف صبى فكتب كاتب سيرة القديس بيسوس إليه أن يصلى من أجل أن يرفع الله هذا الوباء ، كما طلب إليه أن يوصى رهبان شيهيت - وكان عددهم سبعمائة راهب - بأن يصلوا من أجل هذا الموضوع أيضا .. وحمل الرسالة إليه راهب فاضل من دير نهيا (اندثر) كان القديس بيسوس يحبه .. وفى صباح عيد الميلاد وكان يوافق ٢٨ كيهك فى ذلك العام ، طلب راهب دير نهيا من القديس بيسوس أن يعطيه ردا على الرسالة حتى يعود إلى ديره . فقال له بيسوس " الجواب أنهم قد تخلصوا وانعم عليهم السيد المسيح " . وكتب رسالة جاء فيها " أن السيد المسيح قد خلصهم فى هذا اليوم " وحدث أن الوباء رفع فى اليوم الذى حدده (١)

إيليا الثانى :-

+ ومن أمثلة بركة القديس بيسوس تلك القصة التى رواها الشماس أبو حبيب ميخائيل بن بدير الدمنهورى وهو أحد الذين جمعوا سير البطاركة .. قال أنه كان مختفيا عند القديس بيسوس بالدير ومعه جماعة من الاخوة النصارى مختفين كذلك . ورآه يضع زيتا فى المسرجة وبارك عليه ، وأوقدها لهم . واقلم الشماس أبو حبيب عنده خمسة عشرة ليلة ينسخ الكتب كل ليلة إلى منتصف الليل . ولم ينقص الزيت الذى فى المسرجة (٢) .

ملابسة تشفى المرضى :-

وفى ذات مرة حضر اليه راهبان متخاصمان من أحد الاديرة . فاجتهد أن يصلح بينهما فقبل الصلح واحد وابى الثانى ومضى ولم يطعه .. عاد إليه هذا الراهب غير المطيع بعد ثلاثة أيام وقد ضرب جسمه بالبرص .. وتوصل إليه أن يلبسه شيئا من ثيابه فألبسه ثوبا ومضى . وعاد فى اليوم التالى ليعيد الثوب بعد أن شفى (٣) .

---

(١) تاريخ البطاركة ، المجلد الثانى ، ج ٢ ، ص ١٨٩ ، ١٩٠

(٢) تاريخ البطاركة ، المجلد الثانى ، ج ٢ ، الصفحة ١٩١

(٢) تاريخ البطاركة ، المجلد الثانى ، ج ٢ ، الصفحة ١٩١

شفاعته :

+ ومن معجزات القديس بيسوس أن راهبا شابا ببرية أبو مقار أصيب بمـــرض الفالج (الشلل) وفقد النطق ، فحملوه إلى القديس بيسوس بدير أنبا يحنس كامـــا فوضعه فى كنيسة العذراء التى بالجوسق لمدة ثلاثة أيام . وذكر الراهب بعد ذلك أنه أبصر ثلاثة أشخاص خارجين من الهيكل ، فقال إثنان منهما للثـــالث وهـــو يتقدمهم " أقضى حاجة بيسوس فى هذا الشاب " . فدفعه برجليه وقال له قم ، فقام صحيحا تماما ، وللوقت ناداه بيسوس من أسفل دون أن يراه وقال له " يـــافلان أنزل " . فنزل الراهب الشاب وقد برئ وسجد على قدميـــه وتحـــدث بمـــا راه وسمعه .

شفائة للمرضى بصلواته :-

+ ومن معجزاته أيضا أن واحدا من النصارى فى محله ابن على أصيب بمرض الفالج والخرس فحملوه على دابة إلى القديس بيسوس بديره ، وصلى عليه ثلاثـة أيام بلياليها فخرج من عنده معافى تماما ، وعاد إلى بلدته وهو يمجد الله (١)

صعب عليك أن ترفس مناخس

+ وروى الشماس يؤنس الراهب - وهو تلميذ له - أن أباه القديس بيسوس صعد إلى الجوسق (القصر) ليصلى ، فدخل الدير ثمانية عشـــر رجـــلا ســـودانيا ، فاستولوا على الدير ، وأمسكوا بواحد من الرهبان وأخـــذوا يعذبونـــه . فـــنزل بيسوس من الجوسق وأمسك رقبة مقدمهم بيده وأخرجه من باب الدير . وفعـــل ذلك مع الباقين حتى أخرجهم جميعا من الدير ، وأغلق الرهبان بـــاب الديـــر .. وحلف أولئك السودانيين أن ابصارهم عميت ، وان يد بيسوس كانت على رقابهم مثل حجر ثقيل (٢) .

ملقين كل همكم عليه لانه هو يعتنى بكم :-

+ وفى مدة المجاعة التى عمت البلاد المصرية فى حكـــم الخليفـــة المســـتنصر وحبرية البابا خرستوذولوس ، كان البدو يترددون على دير أنبا يحنس كاما ، ليأخذوا طعاما من الخبز والقمح . وكان القديس بيسوس لا يرد سائلا .. وظـــل الامر على هذا المنوال حتى أنه لم يتبق لرهبان الدير إلا قوت يوم واحـــد فقـــط يأكلونه ثم يخرجوا من الدير ويهيموا على وجوههم .. فأتاهم قوم يطلبون طعاما

---

(١) تاريخ البطاركة ، المجلد الثانى ، ج ٢ ، الصفحة ٢٢٨ .

(٢) تاريخ البطاركة ، المجلد الثانى ، ج ٢ ، الصفحة ١٩٢ .

. فقال بيسوس للرهبان أن يعطوهم ماعندهم . فتذمر الرهبان وأغتاظوا ، لكن القديس بيسوس قال لهم فى هدوء " فى آخر النهار يصلك من عند المسيح مايكفيكم لايام عديدة ، فلا تضيق صدوركم " .. فدفعوا كل ما عندهم من قمح لهؤلاء القوم . ثم عادوا وقالوا إن ما عندهم طاحونه ولم يكن بالدير سوى طاحونه واحدة فأعطاها لهم .. فتذمر الرهبان على بيسوس وقالوا له " قلت أن القمح يجيئنا عشية وأخذت الطاحونة التى ليس عندنا غيرها ودفعتها لهؤلاء القوم ، فهل إذا جاء القمح نقرقشة أو نسلقه " . قال لهم بيسوس " لا تقنطوا فان الرب يأتينا بما نحتاجه ، فإنه جل اسمه لا يعوزه علم شئ ، فطيبوا نفوسكم " . وفى وقت الغروب وصل جملان قمحا ، وعلى ظهر أحدهما طاحونة جديدة أكبر من التى اعطوها ، فسبح الرهبان الله ومجدوه (١) .

بركة الرب تغنى ولا يزيد معها تعب :-

+ وذكر عن الراهب القديس بيسوس انه صعد مرة الى الجوسق (القصر) ليصلى صلاة الساعة الثالثة ، واصعدوا معه قفه مملوءة خبزا ، فجاء إلى الدير قوم يطلبون طعاما . فقال بيسوس لتلميذه أعطهم ما فى القفة .وبالفعل أعطوهم كل ما فيها .. فلما فرغ من الصلاة جاء قوم أخرين يطلبون طعاما ، فقال بيسوس لتلميذه أن يعطى هؤلاء القوم الذى يصيحون شيئا من الخبز .. قال تلميذه يؤنس - الذى روى هذه القصة - لمعلمه بيسوس أما دفعت الخبز لاولئك الذين أتوا قبلا ، فاجابه بيسوس أما رجعت وملائها . فقال التلميذ له " منذ صعدت إلى ههنا وانت قائم تصلى مكانك ما برحته ، فمتى ملأتها ؟

فقال بيسوس " قد ملأتها . وهوذا هى مملوءة خبزا فانزل بعضه للجائعين " .. وأشهد يؤنس التلميذ الله على نفسه أن بيسوس " لم يمسكها بيده منذ فرغت وكانت فارغة . وكان هو قائم يصلى . وأنا صليت معه الثالثة " (٢) .

شفاءه للعميان :-

وكان أحد الرهبان ويدعى يسطس قد فقد بصره ، فصلى عليه بيسوس لمدة شهر كامل إلى أن رد إليه البصر ثانية (٣) .

---

(١) تاريخ البطاركة ، المجلد الثانى ، ج ٢ ، الصفحة ١٩٢ .

(٢) تاريخ البطاركة ، المجلد الثانى ، ج ٢ ، ص ١٩٢ ، ١٩٣ .

(٣) هو أب راهب قديس كان معاصرا للقديس بيسوس ولما طلبوه ليرسموه بطريركا بعد الانبا خرستوذولوس هرب واختفى فى بعض البلاد حتى رسم البابا كيرلس الثانى .

آخر أيامه :-

وبعد نياحة خرستوذولوس أتجهت أفكار الآباء الاساقفة إلـــى القديـــس بيســـوس ليجعلوه بطريركا ، فلما هموا ان يمسكوه صاح عليهم وأخذ حجارة يضرب بـــها صدره حتى كاد يؤذى نفسه . وقال لهم " أنا ابن مملوك تجعلونـــى بطـــرك . لا تطلبونى أنا ولا مقار الامنوت (١) (البواب بدير ابو مقار) الذى قد هرب منكـم واختفى . ولا تتعبوا فان بطركهم هوذا عندهم فى الاسكنا بدير أبو مقار " .

وفيما يختص بهذا القديس فان كتاب تاريخ البطاركة يورد تنبؤات كثيرة له تمـت كما تنبأ بها .

٥ - بطرس الحبيس فى صومعة سنجار (٤) :-

كان له عجائب كثيرة منها أنه ذات مرة بينما كان يصلى القــداس الالـــهى فـــى كنيسة دمرو ، وأثناء تقديس القرابين ، وضع أصبعه على حافة الكأس . وفيمـــا يقول " وهذه الكأس أيضا يجعلها دما كريما للعهد الجديد الذى له " ، أمتلا الكأس حتى نهايته وأنصبغ أصبعه بلون الدم القانى . غشى عليه ولحقه رعب شـــديد . ومن ذلك اليوم - ولمدة خمسة عشر عاما - ظل يربط أصبعه هذا بخرقه حتـــى لا يراه أحد . وامتنع عن صلاة القداس (٢) .

٦ - الراهب شنوده بجهة نوسا :-

وكان راهبا شيخا قديسا يعيش فى صومعة بجهة نوسا (١) ، وكان فـــاقد الســـمع فأرسل إليه كاتب سيرته بتاريخ البطاركة رسالة للصلاة من أجله هو ومن أجـــل أخيه فهد وكان كلاهما مقبوض عليه بامر أمير الجيوش بدر الجمالى . فأرســـل إليه ردا قائلا قد خلصكم السيد المسيح اليوم .. وتم الافراج عنهما فى نفس هـــذا التوقيت .

٧ - الراهب كييل بدير أنبا يحنس القصير :-

- كشفه مافى قلوب الناس :-

وهو راهب قديس يسمى كييل ابن الجندى ، كان يكشف مافى قلوب الناس قبـــل أن يفصحوا عنها .. قصده جماعة وكان ضمنهم رجل نصرانى من أهل فوه ..

---

(١) هى الآن كوم سنجار فى جزيرة واقعة فى بحيرة البرلس على بعد ١٠ كيلو متر جنوب غربى قرية البرج الواقعة على البحر المتوسط باقليم البرلس التابع لمدينة بيلا بشمال الدلتا .

(٢) تاريخ البطاركة ، المجلد الثانى ، ج ٢ ، ص ١٩٣ ، ١٩٤

وكان الراهب كييل قلما يفتح لمن يقرع بابه - فلما فتح لهم قال للرجل الذى من فوه " يا فلان وسماه باسمه ما خفت من السيد المسيح ربنا لما زنيت ليلة الأحد فى الطاحونة بفوه " .. فلما سمع الرجل هذا الكلام سقط على الأرض وتعلق برجل كييل وبكى وساله أن يستغفر له فضمنه وقال له إن أنت تبت فأنا أضمن لك الغفران فتاب لوقته . فقال له طب نفسا فأن الرب قد غفر لك " .. ثم أخذ يحدث الباقين كل واحد باسمه ويذكر له ما أتى لأجله قبل أن يحدثه .

سلطانه على الشيطان : -

وحدث أن الراهب كييل هذا وقف يصلى ليلة أحد بين يدى صورة السيدة العذراء حتى الصباح ، فكلمه أبليس من خلف الصورة وقال له " قد تعبت يا كييل يكفيك . فزجره كييل كعادته معه .. وصلب عليه فصار زوبعة سوداء ومضى عنه .

معرفة وقت نياحته : -

عرف كييل وقت نياحته وخروجه من هذا العالم ، وطلب إلى الرهبان أن يأتوه يوم الجمعة وقت الساعة التاسعة ليودعهم فانه راحل عنهم فى ذلك اليوم .. فذهب إليه الرهبان وكان هو بغاية الصحة وكان يخدمهم . ثم قام واستحم ولبس ثيابا نظيفة واضجع قدامهم وقال اقرأوا على المزامير ثم ودعهم وتنيح (٢) .

٨ - الشهيد بقام بن بقورة الصواف : -

هو أبن أخت أنبا جرجه أسقف ميساره . كان يبلغ من العمر ٢٢ سنة ويقيم بمصر .. تعرض لتجربة شديدة حينما ارتد عن المسيحية . فرفضه أبوه وأمه وأبعدوه عنهم .. لكن الله لم يتركه إذ ندم على فعلته ، وقرر العودة ثانية إلى المسيحية .

مضى إلى كنيسة رئيس الملائكة ميخائيل المختارة (وكانت بجزيرة الروضة وتدعى وقتذاك جزيرة مصر) ، وأقام بها أياما .. وعول على التوجه إلى دير أبو مقار صحبة بعض الرهبان والاقامة فيه .. وكان ذلك بناء على مشورتهم . فلما حان وقت المسير غير فكره وقال لهم " ما منفعتى إذا مضيت معكن إلى تلك البرية ، ولم اعترف بالمسيح فى الموضع الذى أنكرته فيه " . وتركهم وشد زناره (علامة نصرانيته) - وأخذ يمشى فى أسواق مصر .

---

(١) تابعة لمركز اجا بمحافظة الدقهلية .

(٢) تاريخ البطاركة ، المجلد الثانى ، ج ٣ ، ص ١٩٥ ، ١٩٦ .

كان أبوه على صلة طيبة بأحد كبار موظفى الدولة ويدعى " عدة الدولة رفق " . فلما رأى المسلمون زناره فى وسطه بعد إسلامه ، أمسكوا بـه واقتـادوه إلـى الشرطة ، فاعتقله الوالى وضيق عليه . فمضى أبوه إلى صاحبه عدة الدولة رفق ، ووعده بمبلغ كبير من المال إن هو خلص ابنه .. فقال له عدة الدولـة أنـه لا يستطيع أن يفعل شيئا " إلا إذا تظاهر بالجنون . وأنفذ أنا الشهود إلـى الحبـس ينظروه ويسمعوا كلامه ,اخلصه وهو نصرانى " .

كان معه فى الحبس راهب سريانى الجنس أخذ يعظه فأنار قلبه وأبان له طريـق الشهادة حتى حبب إلى نفسه الشهادة على اسم المسيح . وصار الاستشهاد عنـده أحلى من الشهد حتى صار يشتهيه ويؤثره على الحياة . فلما دخل إليه الشـهود فى السجن كلمهم بعقل واتزان واعترف بالايمان المسيحى .. فقالوا له إنما قيـل لنا أنك فعلت هذا عن جنون أصابك .. فقال لهم " لو كنت مجنونا مـا حفظـت دينى وإيمانى . وأنا بحمد الله عاقل مؤمن بالسيد المسيح له المجد " .. ثم مضـى الوالى بالشهود إلى الوزير وشرحوا له ما كان بحضوره عدة الدولة رفق فـأمر الوزير بقتله .

أبلغوه فى السجن الأمر الذى يقضى بقتله بقصد إرهابه ، لكنه ثبت على إيمانه . فأخرجوه من سجن الشرطة وتبعه خلق كثير يحملون العصى وآلات التعذيـب .. وفى المكان المعد للقتل ، أخذ نائب الوالى يغريه باغراءات كثيرة ، ويقـدم لـه الوعود حتى يرجع عن رأيه ، فقال له الشاب " لو دفعت إلى ملك مصـر مـا التفت إليه " فرفع يده ولطمه . وكان فى أصبعه خاتم كبير من الذهـب أصـاب عينيه فتورمت . وإمعانا فى إرهابه قال نائب الوالى للسياف " جـرد السـيف " فجرده . وقال للشاب " انظره أنه قاطع " وأرادوا أن يعصبوا عينيه ، لكنـه قطع جزء من كم ثوبه وعصب عينيه بيده .. وبرك على الأرض وحول وجهـه نحو الشرق ، رشم جبينه بعلامة الصليب ، ومد عنقه . والتمس أن يشرب فلـم يطعمه أحد .. وضربت عنقه فوقع بطنه على الأرض ، وأما رأسه ووجهه فكان منتصبا نحو الشرق ، مما أثار عجب جميع الحاضرين .

أقاموا أربعة لحراسته فى تلك الليلة فرأوا نورا عظيما حل على جسده حتى أنـهم فزعوا منه .. وبعد ذلك أمر الخليفة المستنصر أن يسلم جثمانه لذويـه ليدفنـوه حيثما شاءوا .. فحمله أبوه إلى كنيسة ميخائيل المختارة ، ودفنه خارج الباب .

وفى اليوم الثالث وصل البابا خرستوذولوس إلى هذه البيعة ، ولما علم أنهم دفنوه خارج الباب استنكر هذا التصرف . وقال " لا يدفن الشهيد خارج البيعة . وأمـر بهدم القبر وأخرج جسده ودخل به إلى الكنيسة ، وكشف عنه الكفن وقبله وتبارك

منه . ووجد عليه دما سائلا كأنه نزف منه لوقته . فأخذ البطريرك من الدم وصلب على ثيابه . وبنى مذبحا هناك على اسمه ، وكرزه ودفنه مقابله على سطح الأرض حتى يتبارك منه الناس (١)

مشاهير الأقباط فى عهد الفاطميين (٢)

تقلد كثير من الأقباط فى عهد الفاطميين الوظائف العالية فى دواوين الحكومة ، لاسيما المتعلقة بالأعمال الحسابية التى استقلوا بها تماما . وامتازوا عن غيرهم بوضع قواعد دقيقة . فلم يتمكن غيرهم من تسييرها مثلهم .. وكانوا قد اتقنوا اللغة العربية وألفوا بها مؤلفات كثيرة تشهد لهم بغزارة العلم وطول الباع ونقلوا إليها جملة مؤلفات من اللغتين اليونانية والقبطية . فعرفت الدولة فضلهم وكفاءتهم ، فقدرتهم حق تقدير ، ومنحتهم الألقاب السامية مثل :
الرئيس – هبة الله – الأمجد – الأسعد – الشيخ – نجيب الدولة – تاج الدولة – فخر الدولة ... ألخ . ونسوق هنا أسماء بعض مشاهير الأقباط وأفاضلهم فى زمن الفاطميين .

المعلم سرور الجلال – كان ضامنا (ملتزما) فى خلافة المستنصر ، فكون ثروة طائلة . وكان محسنا فطنا ، مدبرا ، فنال بذلك نعمة لدى الخليفة ، واكتسب ثقته لصدقه واستقامته ، فلم يرد له كلمة ولم يرفض له طلبا .. ومع كل ذلك يذكر عنه أنه كان متواضعا كريما جوادا عالى الهمة حسن الأخلاق محبا لعمل الخير لجميع الناس على السواء دون تمييز بين مسيحى ومسلم .. ولذا أحبه الجميع .

الشيخ السعيد أبو الفخر المعروف بأبن صاعد كان كاتب الرواتب فى خلافة الحافظ (١١٣٠ – ١١٤٩ م) . ثم ترقى الى رئاسة المجلس ولما توفى تعين مكانه فى وظيفته الاولى ولده الشيخ السعيد شديد الملك . وكان له ولد أخر يسمى السعيد أبو البركات .

الشيخ الوجيه أبو الحسن الأمح كان كاتب سير الخليفة الحافظ .

الأسعد أبو الخير جرجة بن أبى وهب الشهير بأبن الميقاط . كان من اكابر الأقباط وأغنيائهم فى زمن الخليفة العاضد (١١٦٠ – ١١٧١ م) أخر الخلفاء الفاطميين . أدعى عليه شاور الوزير أنه يتخابر مع جنود الصليبيين الفرنجة

---

(١) تاريخ البطاركة ، المجلد الثانى ، ج ٣ ، ص ١٧٠ ، ١٧١

(٢) يعقوب نخلة رفيلة ، تاريخ الامة القبطية ، ص ١٤٢ ، ١٦٣ – ١٦٨

سرا . فقبض عليه وصار يعذبه حتى مات .. وهو أصل عائلة كبيرة اشـــتهرت فيما بعد بعائلة " النشو " ومنها أبو الفتوح بن الميقاط الذى تقلد رئاســـة ديـــوان الجيش فى أيام الملك العادل الأيوبى .

السيدة ترفة كانت غنية بمصر القديمة . واشتهرت بـــالتقوى والغـــيرة الدينيـــة واعمال الخير . شيدت كنيسة على أسم ابن نفر من مالها الخاص وشيدت اعلاها مكانا فسيحا ليكون ديرا لعذارى الراهبات . واستنسخت جملة كتـــب مخطوطـــة واوقفتها على الدير المذكور .

أبو اليمن يوسف مكراو بن زنبور الشهير بأمين الأمناء . كان امينا على خزائن الخليفة . ثم تولى نظارة الريف بالوجه البحرى .. ومن مآثره العديدة انشاء ديـــو أبى السيفين بطموه المطل على النيل قبلى الجيزة على البر الغربى ، واحاطـــه ببساتين فسيحة كانت غاية فى البهجة والرونق ، فكان من اعظم المتنزهات حتى أن الوزير الأفضل بن بدر الجمالى كان يتردد عليه كثيرا ويقيم فيه أيام ترويحـــا عن النفس .. وهو أصل عائلة كبيرة أشتهرت بـــالمجد . والكرامـــة والغنـــى . استمرت زمنا طويلا . وكان أخر أعضائها ابن القسيس ابن زنبور الذى أسلم فى أيام دولة المماليك وسمى بعلم الدين .

أبو سعد منصور بن أبى اليمن – كان كاتبا بليغـــا ، وبطـــلا شـــجاعا . تولـــى الوزارة فى أيام الخليفة المستنصر ثم تنازل عنها حين أدرك حرج مركزه لمـــا طالبه الجند الأتراك برواتبهم ، ولم يكن فى الخزينة ما يفى مطامعهم .

الشيخ صفى الدولة ابن أبى ياسر بن علوان الكاتب . ومن مآثره بنـــاء كنيســـة على اسم أجيا صوفيا قرب أهرام الجيزة . وقد زالت معالمها . ويغلـــب علـــى الظن أنه كان ملكانيا (من كنيسة الروم) .

الشيخ أبو الفضل المعروف بابن الأسقف . كان كاتب سر الأفضـــل بـــن بـــدر الجمالى .

المعلم زوين ملتزما بمصر فى خلافة الحافظ .

أبو الطيب – كان كاتب سر ناصر الدولة زعيم الأتـــراك فـــى أيـــام الخليفـــة المستنصر . وحدث فى أيامه أن أتباع ناصر الدولة بينما كانوا يعبثون فسادا فـــى الوجه البحرى ، هجموا على ديـــارات الرهبـــان ونـــهبوها . وأســـروا البابـــا خرستوذولوس وكان بأحد هذه الأديرة واحتجزوه عندهم حتى يدفع الأقباط عنـــه دية يفتدوه بها . فخلصه أبو الطيب من أيديهم .

الشيخ الأحزم – كان كاتب ديوان النظر وهو ديوان المراجعة على دواوين الأموال . وكان لمن يتولى نظارته حق العزل والولاية .
أبو البركات بن أبى الليث – كان رئيس ديوان المجلس . حسده البعض فرفعوا للخليفة تقريرا ضده مدعين أنه يختلس أموال الدولة . كما اتهموه أنه يستخدم أقاربه ويقدمهم على غيرهم ، فلم يلتفت الخليفة لأقوالهم لأنه اكتشف تحامل كاتبيها عليه .

أبو المليح الشهير بمماتى – كان فى خلافة المستنصر ووزارة بدر الجمالى . اشتهر بالغنى وعمل الخير والاحسان ، عرف عنه إحسانه وصدقاته الكثيرة للجميع – مسلمين ومسيحيين – بدون تمييز خاصة فى أيام المجاعة والغلاء الشديد . وهو جد أسعد بن مهذب بن زكريا الذى أسلم فى وزارة شيركوه أيام العضد .

وغير هؤلاء كثيرون خلعت عليهم ألقاب الشرف والتبجيل مثل :
الشيخ الأكرم أبى الفضائل بن أبى سعيد – وأبو غالب بن أبى المكارم البلبيسى – والشيخ أبو زكرى الصيرفى – والشيخ أبى البركات بن أبى سعيد هيلان الكاتب المجيد – والشيخ ابن أمين الملك بن المهذب – والشيخ أبى اليمن البزاز – والشيخ المهذب أبى أسحق ابراهيم بن أبى سهل الفيومى المعروف بالزقزوق – وفخر الدولة أبو المكارم بن الفتح الاسكندرانى وغيرهم مما لا يسعنا إحصاء أسمائهم والأعمال التى عملوها ، والخدمات التى قدموها للكنيسة والأديرة .

ومن الأراخنة الأقباط فى عصر العاضد الأسعد صليب بن ميخائيل المعروف بابن الايغومانس – كان عالما فاضلا كلفا بالعلم ، محبا للعلماء . ولما أحرق شاور الوزير الفسطاط قام هو بتجديد دير مار مينا بها ، وأنشأ بها مدرسة ومنتدى علميا كان محط رجال أهل العلم والأدب فى زمانه . له رسالة فى أسرار الكنيسة بخط يده ، كانت محفوظة بدار الكتب بمدينة لننجراد بروسيا(١)

---

(١) تاريخ البطاركة ، المجلد الثالث ، ج ١ ، الصفحة ١٤ .

الباب العاشر

تاريخ الكنيسة القبطية فى عصر الدولة الأيوبية
ابتداء من سنة (١١٧١ م - ١٢٥٠ م)

" الفصل الأول "

لايمكن الحديث عن الدولة الايوبية دون أن نتكلم عن الصليبيون "

كان أول عهد منطقة الشرق الأوسط بالحروب الصليبية سنة ١٠٩٦ م ، واخر عهدها بها سنة ١٢٩٢ م . أى أنها استمرت نحو قرنين من الزمان .. كانت البداية حينما غزت الشواطىء السورية حملة أوروبية اشترك فيها الفاتيكان وانجلترا وفرنسا وألمانيا . وتمكنت تلك الحملة من تأسيس أربع إمارات صليبية هى بيت المقدس وانطاكية وطرابلس والرها . ساعد تلك الحملات الصليبة على تثبيت أقدامها فى تلك الامارات ، النزاع الذى كان قائما بين السلاجقة السنيين فى العراق والفاطميين الشيعيين فى مصر .. يضاف إلى ذلك الشقاق بين الامارات الاسلامية نفسها فى المنطقة .

ظهرت فى ذلك الوقت بعض القوى الاسلامية الفتية التى أخذت على عاتقها توحيد المسلمين تحت رايتها ، وتوسيع أملاكها على حساب الامارات الصليبية ، حتى ينتهى الأمر بطردها نهائيا ، على نحو ما حدث فى استيلاء عماد الدين زنكى على إمارة الرها الصليبية منها وفشل الأوروبيون فى استعادتها ثانية .. وبسقوط الرها فى أيدى المسلمين ، ظلت إمارات بيت المقدس وأنطاكية وطرابلس هى مراكز الصليبيين فى المنطقة التى يهاجمون منها .

ويمكن تلخيص الحملات الصليبية على البلاد المصرية كالآتى : -

١ - ومما يذكر عن أولى الحملات الصليبية للبلاد المصرية هذه أنها كانت فى أيام الخليفة الآمر بأحكام الله وفى أيام البابا مكاريوس الثانى (١١٠٢ م - ١١٢٨ م) وفيها اتجه بولدوين Boldwin ملك مملكة بيت المقدس اللاتينية إلى البلاد المصرية لغزوها وكان ذلك سنة ١١١٧ ووصل إلى الفرما وفتك بأهلها بلا أدنى تمييز بين مسلم ومسيحى وأشعل النار فيها . واستمر فى زحفه حتى وصل إلى تنيس . لكنه اضطر إلى العودة بعد أن مرض مرض الموت ولم يحاول المصريون الانتقام من ذلك الهجوم ووقفوا موقفا سلبيا حتى نهاية الخلافة الفاطمية . وكانت سياسة وزرائهم هى الموقف السلبى والوقوف موقف الدفاع(١).

+ ومما يذكر أن الوزير الأفضل لقى حتفه أواخر سنة ١١٢١ مقتولا بتدبير الخليفة الفاطمى الآمر . ولا شك أن الأفضل كان إنسانا حكيما أحسن معاملة

Stanley Lane - Poole , History of Egypt in the Middle Ages , P ,165 (١)

الأقباط . لكن غيرة الخليفة من نفوذ وزيره قادته إلى هذه الجريمة الشنعاء .

+ ويذكر عن الخليفة الأمر بأحكام الله أنه كان يتردد على دير نــــهيا (بجــوار الجيزة) ويقضي فيه بضعة ايام . وكان في كل مرة يزور فيـــها الديـــر يمنـــح رهبانه ألف درهم . أما في زيارته الأولى فقد أوقف عليه ثلاثين فدانا لا يدفعون عنها مالا . وبلغ جملة ما قدمه للدير أكثر من ثلاثين ألف درهم .

٢ – الحملة الصليبية الثانية جاءت الى مصر سنة ١١٦٦ م وإتفق وصولها مـــع حملة شيركوه وابن أخيه صلاح الدين وإنتهت بإنتصار شيركوه ...

وعقدت معاهدة كان من أهم شروطها أن يكون للفرنجة بالقاهرة حاميـــة . كمـــا إتفق الطرفان على أن يكون للفرنجة مائة ألف دينار سنويا من دخل مصر .
٣ – الحملة الصليبية الثالثة جاءت الى مصر سنة ١١٦٨ م وإنتـــهت بإنتصـــار شيركوه ودخوله القاهرة دخول المنتصر ، وقابله أهلها بالترحـــاب ، وأســـتقبله الخليفة الفاطمي العاضد بأحسن مظاهر الاستقبال ، إذ قدر لـــه تخليصـــه مـــن الوقوع فريسة لحكم الفرنجة .

وعلى الرغم من اتحاد شاور مع شيركوه في قتال الفرنجة ، فان شيركوه كـــان واثقا من أن فرصة امتلاك مصر لن تتاح له مادام شاور فيها . فـــأمر بـــالقبض عليه ، وعهد إلى صلاح الدين بأمر قتله . وبالفعل قام صلاح الدين بما عهد إليه . واسندت الوزارة إلى شيركوه وظل بها مدة شهرين تقريبا مات بعدها ، فتولاها من بعده صلاح الدين . ومن هنا تبدأ مأساة سقوط الفاطميين . فقد كانت سياســـة نور الدين السنى المذهب تدور حول القضاء على الخلافة الفاطمية الشيعية (١)
٤ – الحملة الصليبية الرابعة جاءت الى مصر سنة ١١٦٩ م : –

فقد شرع صلاح الدين في استماله قلوب الناس إليه ، وأخـــذت ســـلطة الخليفـــة العاضد في الضعف . أثار ذلك حاشية العاضد فدبروا المكـــايد للتخلـــص مـــن صلاح الدين . ومنها أنهم كاتبوا الفرنجة ودعوهم إلى مصـــر للتخلـــص مـــن صلاح الدين . وهنا دارت معركة بين جنود الخليفة وقوات صلاح الدين انتـــهت بفوز صلاح الدين .. وفي نفس الوقت جاءت حملة من الفرنجـــة إلـــى دميـــاط يعاونهم أسطول كان ذلك سنة ١١٦٩ م وحاصروا المدينة . لكنهم اضطروا إلى فك الحصار عنها والانسحاب إلى بلادهم . وهكذا فشـــلت فـــي غـــزو دميـــاط والاستيلاء على مصر (٢) .

---

(١) دكتور على ابراهيم حسن ، مصر في العصور الوسطى ، الصفحة ٢٥٢ .

(٢) دكتور جمال الدين سرور الدولة الفاطمية في مصر ، الصفحات من ١٣٤ إلى ١٣٦ .

استقرار صلاح الدين ونهاية الدولة الفاطمية : -

كان لانتصار صلاح الدين وفشل الفرنجة من غزوهم لمدينة دمياط أثر في ارتفاع نجم صلاح الدين .. ولما أيقن صلاح الدين أن سلطته استقرت وجه اهتمامه إلى القضاء على المذهب الشيعى بمصر .. وأنتهى الأمر باسقاط اسم العاضد من خطبة الجمعة ، وذكر اسم الخليفة العباسى بدلا منه . وكان العاضد فى ذلك الوقت مريضا ، فلم يعلم بما كان يجرى . وبوفاة العاضد سقطت الدولة الفاطمية الشيعية سنة ١١٧١ م (٢) .

وجدير بالذكر أن صلاح الدين بدأ حكمه كوزير باتخاذ سياسة عدائية تجاه الأقباط كما سنوضح فيما بعد .

مصر والصليبيون :

فى زمان الحملات الصليبية على منطقة الشرق الأوسط (١٠٩٦ - ١٠٩٩) وتأسيس إمارة القدس اللاتينية ، كان يحكم مصر من الناحية الرسمية الفاطميون ، لكن حكامها الفعليون كانوا هم الوزراء ، وأولهم بدر الجمالى وخلفه فى الوزارة ابنه الأفضل شاهنشاه ثم غيرهما على نحو ما أشرنا إلى ذلك قبلا .

كان أمرا طبيعيا عندما بدأت الحروب الصليبية أن يشك الحكام المسلمون فى الأقباط من جهة تعاطفهم مع هؤلاء الصليبيين القادمين من الغرب إلى الأراضى المقدسة .. كانوا لا يعرفون مسألة الخلاف المذهبى بين أقباط مصر وبين الكنيسة فى الغرب التى تفجرت منذ مجمع خلقيدونية سنة ٤٥١ بسبب موضوع شخص المسيح وطبيعته ، أهو فى طبيعة واحدة أم طبيعتين .. فالكل فى نظرهم مسيحيون .. لذا كان على الحكام المسلمين فى مصر أن يراقبوا الأقباط وأن يزيدوا الضرائب عليهم . وكان هذا الاتجاه الذى تبنيه الدوائر الرسمية الحاكمة طوال هذه الفترة المشؤومة للحروب الصليبية .

وبالنسبة للأقباط ، كانت الحروب الصليبية من أكبر الكوارث التى حلت بهم وبالمسيحيين الشرقيين .. حقا أنهم لم ينعموا بالراحة طوال العصور الاسلامية ، ولم يتوقعوا أبدا أن ينعموا بالمساواة مع جيرانهم المسلمين .. لقد أدرك الأقباط أن عليهم أن يتخلوا عن . الكثير من المتع المادية لكى يحتفظوا بتراثهم الروحى . وكان عليهم - حتى قبل الحروب الصليبية - أن يتعايشوا مع نظم الحكم الاسلامى دون أن يضلوا الطريق .. وكان الخلفاء المسلمون يقدرونهم تقديرا

---

(٢) دكتور جمال الدين سرور الدولة الفاطمية فى مصر ، الصفحات من ١٣٤ الى ١٣٦

عظيما . ويثقون فيهم ، فكان منهم كتبه الدواوين وجامعو الضرائب ، وأمناء خزائن الخلفاء .

لكن الحروب الصليبية – بما كانت تحمل من معنى حروب الصليب المقدسة – جعلت المسلمين يعادون كل اتباع الصليب ، سواء كانوا من اللاتين أو اليونانيين أو الاقباط .. ومن ثم فقد بدأت مرحلة جديدة من مراحل تعذيب الاقباط واضطهادهم .. ومن الناحية الاخرى فان الكارثة كانت مضاعفة بالنسبة للمسيحيين الشرقيين ، فالمسلمون أضطهدوهم على نحو ما قلنا ، واللاتين الغربيين نظروا إلى المسيحيين الشرقيين – ومنهم الاقباط على وجه الخصوص ، اتباع عقيدة الطبيعة الوحدة فى المسيح – كمنشقين وهراطقه وكفرة وأنهم اشر من الوثنيين .

موقف الاقباط من الحروب الصليبية :-

حاول الصليبيون الاستيلاء على مصر فى خلافة الآمر بن المستعلى الخليفة الفاطمى (١١٠١ – ١١٣٠) ولكنهم فشلوا ، ولشدة غيظهم من عدم تعاون اقباط مصر معهم ، منعوهم من زيارة الاراضى المقدسة .. كتب مؤرخ قبطى يعبر عن ألمه من هذه المعاملة وهذه النظرة يقول " لم يكن حزن اليعاقبه (الاقباط) بأقل من المسلمين .. بأى حق يمنع النصارى الاقباط من الحج إلى القدس أو الاقتراب من المدينة ؟ أن الصليبيين يكرهوننا ، كما لو كنا ضللنا عن الايمان القويم " (١) .

والامر الذى لاشك فيه أن الحملات الصليبية أنشأت موقفا صعبا بالنسبة للاقباط .. فقد تحالف الجهل مع التعصب فى اتهام بعض الاقباط بتهمة مساعدة الصليبيين أو التخابر معهم .. ويهمنا هنا أن نسجل شهادة عالم مسلم فى العصر الحديث هو أحمد زكى باشا الذى كتب فى مقال له فى مجلة المجمع العلمى المصرى سنة ١٩٦١ أن اليعاقبه (الاقباط) فى مصر كانوا يتجسسون لصالح صلاح الدين (٢) . ويقول دكتور على ابراهيم حسن " فى العصور الوسطى ، ظهر الاقباط فى مصر كطائفة محايدة ، وخاصة فى الحروب التى قامت بين المسلمين والصليبيين ، إذ لم يثبت أنهم مدوا يد المساعدة للمحاربيين من الجانبين(٣) .

---

(١) جاك تاجر ، أقباط ومسلمون ، الصفحة ١٦٢ ، عن رينودر ، تاريخ بطاركة الاسكندرية اليعاقبه .

(٢) جاك تاجر ، أقباط ومسلمون ، الصفحة ١٦٢ .

(٣) د. على ابراهيم حسن ، مصر فى العصور الوسطى ، الصفحة ٤٩٧ .

" الفصل الثانى "

صلاح الدين والاقباط :-

كان صلاح الدين مسلما متدينا ، وما أن تولى السلطة حتى أمر بطرد الاقباط من الدواوين ، لكنه أضطر إلى إلغاء هذا الاجراء فيما بعد ، بعد أن أستقرت له الامور من أجل صالح إدارة البلاد .. لكنه أذل الاقباط علانية بفرض زى خاص لهم ، ومنعهم من ركوب الخيل ، وهى من وسائل التحقير الادبى . كما فرض عليهم غرامات باهظة ، مما أضطرهم إلى بيع معظم ممتلكاتهم ليدفعوا مافرض عليهم .. وسلم كثير من الاقباط أراضيهم وحرياتهم للعرب ليكونوا تحت حمايتهم ، واخرون أعلنوا إسلامهم لينقذوا أنفسهم . وكان من هؤلاء بعض من كانوا يتولون وظائف هامة فى الدولة . وكان كل همهم الاحتفاظ بوظائفهم ومراكزهم والنجاة بانفسهم .. واحد الامثلة البارزة على ذلك عائلة قبطية كبيرة عريقة فى أسيوط . كان رب هذه العائلة يدعى زكريا بن أبى المليح بن مماتى ، ألح فى أن يعفى من الضرائب الباهظة وكذلك من مظاهر الاذلال الادبى . لكن دون جدوى .. مما أضطره أن يغير أسمه الاول وصار مسلما مع كل أفراد أسرته .

وهكذا أستطاع أن يحتفظ بوظائفه كمسئول عن شؤون الحرب والخزانة ، وأن يعين أبنه ليحل محله .. وكان هذا الرجل معاصرا لاخر الخلفاء الفاطميين وللسلطان صلاح الدين .. وكان شاعرا وكاتبا ، أشتهر بكتابته ، ومات فى مدينة حلب سنة ١٢٠٩ . وقد سبق أن أشرنا إليه قبلا .

هدم كنيسة مارمرقس بالاسكندرية :-

وفى الاسكندرية عزم الايوبييون على هدم كاتدرائية مار مرقس التى تطل على مينائى الاسكندرية بحجة أنها بحكم موقعها هذا تعتبر حصنا عظيما يمكن أن يستفيد منه الصليبيون فيما لو هاجموا الاسكندرية . وحاول النصارى عبثا دفع ألفى دينار لانقاذ الكنيسة ولكنها خربت عن أخرها .

حملات التأديب والتخريب بصعيد مصر والنوبة :-

كما أرسل صلاح الدين حمله لتأديب مملكة النوبة المسيحية ، وللقضاء على العناصر القبطية القوية فى صعيد مصر الاعلى .

ولقد شاهد عام ١١٧٣ م أول غزو إسلامى خطير ومخرب لبلاد النوبة المسيحية ، دمر خلاله دير القديس سمعان الحصين قرب اسوان ، ودير آخر عند بلده أبريم ، وقبض على عدد كبير من السكان من ضمنهم الاسقف القبطى ، وزج

بهم فى غياهب السجون ، ثم بيعوا عبيدا فى سوق النخاسة .. أما مدينة قفط القبطية العظيمة المزدهرة ، فقد خربها الايوبيون ، وهدمت بيوتها وكل ابنيتها ومنشآتها حتى سويت بالارض . ولم تقم لتلك المدينة قائمة من ذلك التخريب بل أصبحت قرية فقيرة .

سماحة صلاح الدين نحو الاقباط :

وبانتصارات صلاح الدين المتكررة على الصليبيين ، والتى بلغت الضرورة بسقوط القدس سنة ١١٨٧ م . تغيرت نفسية الايوبيين ، واصبحوا أكثر تسامحا من جهة أقباط مصر . ومنحهم السلطان صلاح الدين ديرا ملاصقا للقبر المقدس بالقدس ، هو المعروف باسم " دير السلطان " ودير السلطان هذا هو الدير الوحيد الذى لا يحمل أسم قديس من القديسين ، كما هو الحال فى بقية الاديرة القبطية .

كما أعاد صلاح الدين الكثير من الاقباط إلى وظائفهم العليا فى الدولة كما أسترد أخرون أموالهم وممتلكاتهم التى كانوا قد فقدوها بطريقة أو بأخرى .. واختار صلاح الدين قبطيا هو صفى الدولة ابن ابى المعالى الملقب بابن شرقى كسكرتير خاص له .

نحن لا نعرف على وجه اليقين ما إذا كان صلاح الدين فى الاجراءات المتعسفة التى اتخذها ضد الاقباط فى بداية حكمة كان مدفوعا بروح التعصب البغيض أم أن ذلك كان لدواعى سياسية .. إن الروح التى سادت تلك الفترة كانت روحا غير سمحة نحو المسيحيين ، زادها مجئ الصليبيين إلى شرقنا الاوسط ، حتى أن نور الدين صاحب حلب ودمشق كتب يوما إلى الخليفة العباسى يقول له " ان المسلمين حكموا خمسمائة عام ولم يسيئوا الى النصارى ، اما الآن . وقد انصرمت هذه الاعوام ، يجب الا يبقى هؤلاء النصارى فى الامبراطورية الاسلامية ، ومن لا يسلم منهم يقتل " .. لكن الخليفة كان مسلما تقيا عارفا بدينه ، فكتب له يقول " انك لم تفهم تماما أقوال النبى . وإن الله لا يأمرنا أن نقتل من لم يرتكب سوءا " (١) .

وهناك موقف لصلاح الدين مع نصارى القدس بعد أن فتح المدينة المذكورة ، يظهره بمظهر الانسان المعتدل .. فلقد نصت شروط التسليم على أن المسيحيين الفرنجة يعتبرون وحدهم أسرى حرب . وعليهم إن أرادوا فك هذا الأسر أن يدفعوا الدية الحربية .. أما النصارى من أهل القدس – الذين ليسوا من الفرنج – فقد طلبوا من صلاح الدين أن يمكنهم من الاقامة فى مساكنهم على أن يدفعوا الجزية . فأجابهم إلى طلبهم هذا . فاستقروا واشتروا من الفرنج مالم يستطيعوا

---

(١) جاك تاجر ، اقباط ومسلمون ، الصفحة ١٦٣ عن تاريخ ميخائيل السورى .

حمله معهم الى بلادهم فى عودتهم (١) .

ومما يذكر فى هذا المقام أن قلعة القاهرة ، وهى من أهم اثار صلاح الدين ، بناها له مهندسان قبطيان هما أبو منصور ، وأبو مشكور .

خلفاء صلاح الدين والاقباط :

بعد وفاة صلاح الدين الايوبى واجهت مصر حملتين صليبيتين خطرتين : حملة جان دى بريين Brienne ، وحملة الملك لويس التاسع ... نزل جان دى بريين على ساحل دمياط وإحتل المدينة فحدث رد فعل بين المسلمين تجاه النصارى : هل يستقبلوا الفرنج بحفاوة على نحو ما فعل النصارى الارمن والسورويون خارج مصر .. وتساءلوا ماذا عساه يحدث لو حدث تعاون بين الفريقيين ، الامر الذى يؤدى الى عواقب خطيرة بالنسبة للمسلمين وكان يوجد بدمياط عدد كبير من النصارى الملكانيين .. مثل هذا القلق وهذه الهواجس كانت كافية لبعث الاضطرابات فى القاهرة على وجهة الخصوص " وقد شمل الذهول والفزع جميع السكان ، وراحت الاشاعات حول موقف النصارى فأصبحوا موضع الريبة ، وثار ضدهم عدد كبير من الناس .. واصدر السلطان أمره بتعبئة نصف سكان مصر والقاهرة مختارين أو مكرهين لمقاتلة الصليبيين .. اما النصارى القاطنين فى القاهرة فقد فرضت عليهم ضريبة وكذلك سائر الاغنياء (٢) .

استغلال الحرب فى ابتزاز اموال النصارى :

هكذا انتهزت الحكومة فرصة الفزع الذى حل فى البلاد لتملأ خزائنها التى تأثرت من الحرب القائمة . وما يجب الاشارة اليه هى الطريقة التى استخدمها رجال الحكم ليبتزوا من النصارى اكبر قدر من المال دون استخدام العنف ويورد رينودو فى تاريخ بطاركة الاسكندرية اليعاقبة المنشور بالفرنسية بعض التفاصيل المسيرة .. يقول " ارسل حاكم مصر – بعد أن استشار رجال القانون – فى طلب قساوسة الاقباط اليعاقبه والملكانيين وقال لهم : سافروا مع المسلمين . وامعانا فى تخويفهم قال : لأجل الحرب اخرجوا مع المسلمين . غير انكم لم تصلوا إلى باب المدينة حتى يقتلونكم وما من احد يستطيع ان يلومهم فى الظروف التى نحن فيها " .. وكان يقصد بكلامه هذا الملكانيين ، اذ كان المسلمون يأخذون عليهم حبهم للفرنجة ومحاولة التشبه بهم ومحاكاة عوائدهم . فخاف القسوس من هذا الكلام خوفا شديدا ، فأسرع أحدهم إلى القول " لدينا مبلغ

---

(١) جاك تاجر ، اقباط ومسلمون ، ص ١٦٤ ، ١٦٥ – عن الكامل فى التاريخ لابن الاثير

(٢) جاك تاجر ، اقباط ومسلمون ، الصفحة ١١٦ – عن الانطاكى ، الصفحة ٢٣٧

ألفى دينار " . فأجاب الحاكم " حسنا أذهبوا واحضروا هذا المبلغ " . ثـــم قيـل للقسوس الأقباط الذين كانوا حاضرين " أن هؤلاء القوم ليسوا بمرتبتكم . أنكـــم تساون أربعة وعشرين واحدا منهم . ولكن إذا فرضنا أنكم لا تساون إلا عشـــرة فقط ، فعليكم أن تدفعوا لنا عشرة آلاف دينار " . وأخيرا تم الاتفاق علـــى دفـع ثلاثة آلاف دينار فقط . ووضعت الأختام على كنيسة المعلقة وكنيسة الملكـــانيين ومعبد اليهود " (١) .

نهب الكنائس واضطهاد النصارى :

وحدث أن جنود القاهرة ، وهم فى طريقهم إلى دمياط ، نــهبوا الكنـــائس التـــى صادفتهم .. ويبدو أن الاضطهاد كان عنيفا إذ يذكر المؤرخين الذين كتبوا عـــن تاريخ الحبشة ، أن النجاشى لابيليلا Labilela صرح ســـنة ١٢١٨ بدخـــول عشرة آلاف قبطى فروا من أعمال المسلمين الانتقامية .. ولم يكن هناك مـــبرر لهذا الاضطهاد بدليل أنه لا يوجد مستند عربى واحد يتكلم عن مساعدة النصارى للصليبيين . ولكن كان ظهور الصليبيين كافيا وحده لاثاره الشـــك فـــى قلـــوب المسلمين . وهذا هو عين ما حدث فى جميع البلدان التى ظهر فيها الصليبيـــون فى الشرق (٢)

لويس التاسع والملك الصالح :

أما الحملة الصليبية التى قام بها الملك لويس التاسع ملك فرنســـا زمـــن الملـــك الصالح أيوب (١٢٤٠ – ١٢٤٩ م) (زوج شجرة الدر الأرمنيـــة) فكـــانت حرب إبادة .. وقد أرسل لويس التاسع للملك الصالح رسالة تهديد كلها غطرســـة وتبجح – وإن كان الملك الصالح قد رد عليه برسالة لا تقل غطرســـة ، إلا أن الجو تلبد بخصوص الأقباط . ولنا صورة واقعية لما حدث فى مدينة دمياط ذاتها

قتل نصارى دمياط :

فبينما كان لويس يستعد لمحاصرة مدينة دمياط ، قام المســـلمون بقتـــل جميـــع النصارى القاطنين بالمدينة بلا شفقة ولا رحمـــة . وفـــى اليـــوم التـــالى وجـــد الصليبيون مدينة دمياط خاوية .. بعد ذلك حلت بجيوش لويس التاســـع هزيمـــة ساحقة وأبيدت عن بكرة أبيها ، وأسر لويس التاسع نفسه فى المنصورة . أربـــك الفزع عددا من الصليبيين وبلبل أفكارهم ، فأخذوا يشكون فى إيمانهم ولما خيروا بين القتل واعتناق الاسلام ، لم يترددوا فى اعتناق الاسلام

---

(٢) جاك تاجر ، أقباط ومسلمون ، ص ١٦٦ ، ١٦٧ .

(١) جاك تاجر ، أقباط ومسلمون ، ص ١٦٧ ، ١٦٨ .

وفى مدة الملك الكامل الايوبى :

تقدم اليه راهب يدعى يوحنا كان قد أسلم وبيده قماش وقال له هذا كفنى اقتلنى أو ردنى ، فرده وكتب له فرماناً بذلك فإقتدى به راهب آخر كان أسلم ، فلم يسمح له الخليفة بل سلمه لمحافظ الاسكندرية ليعذبه وأرسل فى طلب الراهب يوحنا من دير أبى مقار الذى لما حضر أمام الخليفة ولكى يهرب من التعذيب أدعى زورا وبهتانا أن الرهبان حفروا جبا وعثروا فيه على نقود وآنية رومانية أثرية وذهبية ، فأرسل جنودا الى الدير ليتحققوا من الامر ، فإذا بهم يجدوها أوانى كنسية فأحضروها ومعها بعض الشيوخ فلما وجدها وتأكد من ذلك بواسطة الكتابة التى عليها والتى توضح انها نذور من صنع المسيحيين المتآمرين دفعها للرهبان وصرفهم بسلام (١)

ومن سماحة الملك الكامل أيضا :

انه ركن الى الاقباط أعمال الدواوين . ورفع مقامهم وعمل على ما فيه راحتهم ، ومن أعظم الادلة على ذلك أن أحد الامراء قبض على بعض الرهبان ، وسلب منهم مبلغا من المال بحجة أنهم تأخروا فى دفع الجزية السنوية وكان هذا المبلغ هو كل ما يملكه الرهبان ، فشكوه للملك الكامل ، الذى لما نظر فى دعواهم ، أمر بإرجاع المال اليهم ومن حسنات الملك الكامل أنه اعفى الرهبان من الجزية الشخصية وزار بنفسه دير وادى النطرون وتفقد أحوال الرهبان وزار أيضا دير القديس مكاريوس ، فوجد أحد الموظفين المسلمين ساكنا به ، فأمره بالرحيل محافظة على شعور الرهبان . وبالجملة فقد منع الملك الكامل التعرض للأقباط فى أى شأن من شئوون دينهم وأذن لهم ببناء كنائسهم التى خربها المسلمون وأباح لهم فتح ما أغلق منها وإقامة شعائرهم الدينية فيها جهارا بدون مانع ، ولذا تراهم يذكرون للأن فى صلواتهم اليومية هذه العبارة " وحنن الله قلوب المتولين علينا "

وعلى كل حال كانت أحوال الأقباط فى أيام الدولة الأيوبية رغم ما تخللها من صعوبات أفضل من غيرها كما قام الاقباط فى هذه الفترة بخدمة الحكومة بكل أمانة حتى أن الحكام والامراء إئتمنوهم على خزائنهم وأموالهم فحافظوا عليها وسلموهم مصالحهم ، فسيرّوها على أحسن حال وتأكد للكل استحالة الاستغناء عنهم أو عدم إمكان تسيير الاعمال بدونهم . (٢)

---

(١) الخريدة النفيسة فى تاريخ الكنيسة ج ٢ ص ٣٧٥

(٢) تاريخ البطاركة " المجلد الثالث " ج ٢١ الصفحة ١٢٢

قديسوا الكنيسة وعلماؤها وأراخنتها
فى عصر الدولة الايوبية

" الفصل الثالث "

عاصر الايوبين فى مصر إثنان من الأباء البطاركة هما
(١) البابا يوأنس السادس البطريرك الـ ٧٤ (١١٨٩ م - ١٢١٦ م)
كان محبا ومجتهدا فى ضيافة الغرباء وإفتقاد المرضى والمحبوسين ... كثير المودة لكل أحد ، ويفعل الخير مع كل أحد وكانت رسامته فى عهد سلطنة صلاح الدين الايوبى

ومما هو جدير بالذكر أنه منذ أيام هذا البطريرك بطل إرسال إساقفة الى الخمس مدن الغربية وذلك نتيجة إرتداد أهلها عن المسيحية وإعتناقهم الإسلام وذلك بعد أن ذاقوا إضطهادا مريرا على يد الملوك البيزنطيين الملكانيين ثم الحكام المسلمين ، وقد عاصر كل من الملك الغزيز والمنصور والعادل الاول والكامل

(٢) البابا كيرلس الثالث البطريرك الـ ٧٥ (١٢٣٥ م - ١٢٤٣ م)
الشهير بأبى لقلق :-
وقد عاصر هذا البطريرك كل من الملك الكامل والعادل الثانى والملك الصالح والمعظم . ويقول كاتب سير البطاركة عن البابا يوأنس البطريرك الـ ٧٤ أنه فى اليوم السابق لنياحته " غشى عليه نحو ثلاث ساعات ، ثم فتح عينيه وتحدث مع الحاضرين عنده ، وسألهم عن منصور تلميذه وكان مريضا . فقالوا له مات . فقال كفنوه وأدفنوه فأنا غدا أكون عنده ثم غشى عليه دفعة ثانية . ثم فتح عينيه وقال للحاضرين عنده ، يكون بينكم بعدى خلاف عظيم فيمن تقيموه . ويكون الكرسى بلا بطريرك زمانا طويلا حتى يقيم لكم المسيح رجل يأتى به من حيث لا تعرفون ، وبالفعل تنيح فى اليوم التالى ، كما ظل الكرسى البطريركى شاغرا مدة عشرين سنة تقريبا بسبب الظروف التى واجهتها البلاد بسبب الحملات الصليبية . (١)
وقد حاقت بالكنيسة مظالم وإضطهادات كثيرة بسبب الانقامسات الداخلية والفتن الخارجية نذكر منها :
(١) حدوث بعض المشاكل والاحتكاكات من جانب عامة الناس بسبب مسجد كان ملاصقا للكنيسة المعلقة وتعمد مؤذن المسجد مضايقة البطريرك ، بل كسروا القلاية البطريركية وسرقت منها بعض الأوانى الفضية . المهم أنه بسبب

---

(١) كامل صالح نخلة " البابا كيرلس بن لقلق " طبعة دير السريان ص ٢٠ ، ٢١

ذلك ذهب جمع غفير من المسلمين إلى الأمير جمال الديـــن بـــن يغمـــر نـــائب السلطان وشكوا إليه وقالوا " يا مولانا هل تغلق المساجد وتفتح الكنائس " فأجابهم " هذا حديث لا يسمع ، بل أن الجميع تفتح أبوابها . ومن أراد المسجد يطلع إليـه إلا أنه لا يؤذى أحد ، ولا يتعرض أحد لآخر . أما هؤلاء النصارى فهم رعيـــة السلطان وأنتم أدرى بذلك . وإن هذا المسجد فقير وأنا أقوم به ، إلا أن التعدى لا يمكن أحد منه " .. وكان النصارى مع اخوانهم المسلمين فى ســـلام وأنصـــاف واحترام متبادل (١)

(٢) - وحدثت أواخر أيام البطريرك كيرلس بن لقلق مشاحنات بسبب تجـــاور مسجد وكنيسة المعلقة واعتدى المسلمون على حائط الكنيسة المجاور للمســـجد ، وحدثت بلبلة كبيرة بسبب ذلك . وكان المسلمون يطلعون علـــى ســـطح قلايـــة البطريرك ويؤذنون ويكبرون ، وحدث ما حدث نيتجة ذلك . وعلى الرغم مـــن أن الأمير أحضر قوما منهم وضربهم بشدة كما حبس والى مصر جماعة منـــهم لكنهم لم يهدأوا (١٤٨) .

شفاء الملك الكامل :-

وقد ذكر فى أيام هذا البطريرك أن تصادف أن الملك الكامل خرج من القـــاهرة فى نزهة قاصدا الاسكندرية ، فعبر بحر ابيار ورأى صومعة راهب حبيس هناك فوقف تحتها وصاح عليه فكلمه ودعا له . فشكى الملك له من وجع فى فـــؤاده ، فصلى له الراهب الحبيس على قليل من الزيت الطيب ودفعه له وقال " إذا دهنت موضع الوجع والله الشافى " فدهن به موضع الوجع فبرىء لوقته(٢)

واخيرا من المؤلفات التى حفظت له كتاب المعلم والتلميذ .. ولما تنيح اســـتولى السلطان على جميع مخلفاته . وظل الكرسى البطريركى بعده شاغرا نحو ســـبع سنوات ونصف .

" مشاهير الأقباط فى عصر الأيوبيين "

فى مدة حكم الأيوبيين الذى امتد نحو ثمانين سنة (١١٧١ م - ١٢٥٠ م) بـــرز كثير من مشاهير الأقباط من أهل العلم والذين تقلدوا وظـــائف عاليـــة بالدولـــة وحازوا ألقاب الشرف مما يدل على تسامح الأيوبيين مع الأقباط .. سنذكر بعض أسماء هؤلاء الأقباط (١) ، ثم نتكلم باسهاب عن بعض الشخصيات الهامة :

---

(١) يعقوب نخلة روفيلة ، تاريخ الأمة القبطية ، ص ١٨٣ ، ١٨٤ .

(٢) تاريخ البطاركة ، المجلد الثالث ، ج ١ ، الصفحة ١٢٣

+ **الشيخ الرئيس صفى الدولة** ابن أبى المعالى المعروف بابن شرافى كاتب سر السلطان صلاح الدين ، وقد بقى فى خدمته حتى مات وكان محبوبا عند السلطان
+ **الشيخ نشىء (نشو)** الدولة أبو الفتوح المعروف بابن الميقاط . كان رئيس ديوان الجيوش فى أيام الملك العادل . وقد لعب دورا هاما فى رسامة البابا كيرلس الثالث بطريركا كما سبق أن ذكرنا .
" **الأسعد بن صدقة** ، كاتب دار التفاح ، وزعيم الفريق الذى قاوم رسامة الراهب داود ابن لقلق بطريركا .
+ **الشيخ أبو سعيد بن أندونة** . كان مستوفيا بالديوان الخاص العادلى فى أيام الملك العادل .
+ **الشيخ الثقة جبريل** . كان من كبار الأقباط فى أيام الدولة الأيوبية ، وعرف عنه اهتمامه بتجديد الكنائس التى كانت تخرب .
+ **الشيخ شرف الرئاسة** ابن هيلان ، كاتب الجيش .
+ **الشيخ الأسعد أبو الفرج** صليب بن ميخائيل ، كان صاحب ديوان الملك الصالح .
+ **الشيخ السديد أبو الفضائل** المعروف بابن ستمائة . كان كاتب الأمير على بن أحمد الكردى ، وأمينا على خزائنه وأمواله . ومما يذكر عنه أنه جدد عمارة مشيدة بدير أبى سيفين بمصر القديمة ، وجعلها مقرا للبطريركية .
+ **الشيخ ابن أمين** الملك ابن المهذب أبو سعيد يوحنا الاسكندرانى ، كان كاتبا مجيدا وشاعرا عظيما .
+ **الشيخ المكين** أبو البركات المعروف بابن كتامية .
+ **أمين الدولة** ابن المصوف . كان أمينا على أموال الحكومة فى أيام السلطان صلاح الدين .
+ **الشيخ أبو المكارم بن حنا** ، والشيخ صنيعة الملك أبو الفرج بن الوزير ، والشيخ علم السعداء أبو اليمن ، والشيخ أبو الفرج . وجميعهم من عائلة أبو اليمن بن زنبور الذى برز فى عهد الدولة الفاطمية .
+ **الشيخ الصفى بطرس بن مهنا .**
+ **الأسعد صليب** بن ميخائيل ويعرف بابن الايغومانس . كان عالما فاضلا كلفا بالعلم . ولما أحرق شاور الوزير مصر القديمة على نحو ماذكرنا سابقا ، قام هو بتجديد دير مار مينا ، وعمل مدرسة ومنتدى علمى .
+ **أبو سعيد بن الزيات** أحد أثرياء الأقباط . والشيخ يحيى بن هبة الله ويلقب بصنيعة الخلافة . والشيخ مصطفى الملك ابن أبى يوسف . والشيخ علم الرئاسة ابن الصفر . والشيخ فخر السعد بن زيتون .

+ **الشيخ أبو المكارم** . كان كاتبا ، ولما توفيت زوجته استقال من خدمة الديوان وترهب بأحد الأديرة ثم رسم أسقفا

+ **بطرس بن التعبان** الراهب ويلقب بالشيخ السنى ، وهو أستاذ أولاد العسال . كان كاتبا ثم أثر العزلة فترهب وبقى بدير المعلقة بمصر القديمة إلى أن مات فى شيخوخة كبيرة (يبدو أنه تزوج أولا وترمل بعد ووفاة زوجته لأنه الوالد الجسدى لبطرس أبو شاكر أبن الراهب) .

ومن مشاهير الشخصيات القبطية فى العصر الايوبى

١ – اولاد العسال

٢ – الانبا بولس البوشى اسقف مصر

٣ – الانبا يوساب اسقف فوة

٤ – جرجس بن العميد

٥ – معانى ابو المكارم بن بركات

٦ – بطرس ابو شاكر بن الراهب

٧ – علم الرئاسة بن كاتب قيصر

٨ – القس بطرس السدمنتى

٩ – المكين سمعان بن كليل

١٠ – انبا يوحنا نعمة الله اسقف البرلس

١١ – الانبا ميخائيل الاتربى الشهير بالجميل اسقف مليج .

١٢ – يوحنا بن زكريا بن سباع .



الباب الحادى عشر

مواضيع متنوعة ينبغى التعرض لها
قبل الدخول فى عصر المماليك

(أولا) محنة اللغة القبطية

اللغة القبطية هى اللهجة الدارجة للغة المصرية القديمة فى أخر مراحلها (الديموطيقية) مكتوبة بحروف يونانية ، بعد إضافة سبعة حروف يونانية تمثل الأصوات التى ليس لها مقابل فى اللغة اليونانية .. ومن غزوة الاسكندر الأكبر لمصر فى الثلث الأخير من القرن الرابع قبل الميلاد ، غدت اللغة اليونانية هى اللغة الرسمية ، وظلت إلى ما بعد الفتح العربى لمصر سنة ٦٤٠ م .

كانت اليونانية هى لغة الثقافة فى العالم كله وقتذاك . وكانت هى اللغة المستعملة فى مدرسة الاسكندرية الذائعة الصيت . على أن اللغة القبطية ظلت اللغة السائدة بين المصريين الوطنيين (الأقباط) فى أنحاء القطر المصرى . وظلت القبطية لغة رسمية فى الدواوين حتى بعد الفتح العربى لمصر .

فى خلافة الوليد بن عبد الملك الأموى ، وولاية واليه على مصر عبد الله بن عبد الملك فى سنة ٧٠٥ أو ٧٠٦ م (٨٧ هـ) أعلنت اللغة العربية لغة رسمية فى البلاد المصرية بدلا من اللغة القبطية .. كان الوالى عبد الله بن عبد الملك يكره النصارى جدا ، فاشتد عليهم وعمل على نزع الكتابة فى الدواوين من أيديهم ، ونقلها إلى العربية .. وكانت اللغة القبطية حتى ذلك الوقت هى اللغة المستخدمة فى دواوين الدولة ، وكان الأقباط هم القائمون بسائر الأعمال الادارية والحسابية فى دواوين الدولة تحت إشراف رئيس منهم يسمى اثناس وكان قبلها أمينا على بيت المال فعزله الوالى عبد الله بن عبد الملك وولى مكانه شخصا يسمى بن يربوع القزاوى من حمص .

ولما رأى القبط أن هذا التغيير فى لغة الدواوين يفقدهم وضعهم فى الدولة ، عولوا على تعلم اللغة العربية فظهر ما عرف باسم السلالم ، وهى كتب تحوى الكلمات العربية مكتوبة بحروف قبطية ، على مثال الكتب التى توضع حاليا للأجانب لتعلم اللغة العربية أو العكس . كما نقلت أسماء البلاد إلى العربية فتحرفت عن أصلها .

تقول دكتورة سيدة كاشف فى كتابها مصر فى عصر الولاة ص ١١٩ ، ١٢٠ " بدأ العرب بعد فتح مصر بأقل من نصف قرن يتجهون إلى تعريب البلاد ، وإلى جعل اللغة العربية لغة رسمية ، وذلك لعدم معرفتهم باللغة القبطية . بل إننا نرى

الأصبغ بن عبد العزيز بن مروان الذى كان يعى كثيرا من أمور مصر ولاية أبيه (٦٥ – ٨٦ هـ) ، يأمر بترجمة الانجيل وعدة كتب دينية مسيحية إلى اللغة العربية ، وذلك ليعرف المسلمون إذا كان فى هذه الكتب ما يمس الدين الاسلامى بسوء . وقد حدث فعلا أن عربت دواوين الدولة الاسلامية فى ذلك الحين ، إذ كانت الدواوين فى البلاد المفتوحة حتى مجيء عبد الملك بن مروان تكتب بلغات البلاد المحلية ، فكانت تكتب باليونانية فى الشام ، وبالبهلوية فى العراق والأمصار الشرقية ، وبالقبطية واليونانية فى مصر . وكان ذلك طبيعيا لقلة خبرة العرب بأمور الادارة ، ولأن الكتابة فن خاص . ولكن توسع خبرة العرب واستقرار الدولة واتجاهها نحو الوحدة المركزية أدى إلى وجوب التعديل ، فضلا عن السياسة العربية التى سار عليها بنو أمية .. وقد شرع فى هذا التعريب أيام عبد الملك بن مروان ، وبدىء بتعريب دواوين الشام والعراق . وكان الحجاج بن يوسف الثقفى صاحب اليد الطولى فى الأخذ بهذا التعريب فى العراق وما يتبعها شرقا . أما فى مصر فقد بدىء فى تعريب دواوينها فى خلافة الوليد بن عبد الملك وذلك فى سنة ٧٠٦ م (٨٧ هـ) فى ولاية عبد الله بن عبد الملك .. وهكذا أصبحت الدولة من الناحية السياسية عربية بمعنى أكمل . وقد ساعد التعريب على شيوع اللغة العربيية وانتشارها بين الموالى والأقباط ، فأصبحت اللغة العربية لغة الدواوين ، كما بدأت تظهر طبقة الكتاب ، كذلك أصبحت اللغة العربية لغة الادارة ، فضلا على أنها لغة الثقافة ، بالاضافة إلى كونها لغة السياسة والدين " .

وما لبثت اللغة القبطية أن تلقت ضربة قاصمة على يد الخليفة الفاطمى الحاكم بأمر الله (٩٩٦ – ١٠٢١ م) ، الذى أصدر اوامر مشدده بابطال استخدامها نهائيا فى المنازل والطرقات العامة أيضا ، ومعاقبة كل من يستعملها بقطع لسانه ,, كما ضيق على الاولاد والبنات والسيدات بالبيوت ، بالامر بقطع لسان كل سيده تتكلم بها مع اولادها واطفالها . واقتدى بالحاكم الطاغية فى محاربة اللغة القبطية كثيرون ممن جاءوا بعده . وهكذا باتت اللغة القبطية محصورة داخل جدران الكنائس والاديرة .

وقد أتت أيام أشتد فيها الرعب على الكنيسة ، فأضطروا الآباء إلى وضع ستائر على احجبة الهياكل وقت التقديم وإجراء الخدمة الالهية ، خوفا من الحكام الغاشمين الذين كانوا إذا سمعوا الصلاة باللغة القبطية ، يهجمون على الكنائس ويفتكون بالذين فيها بدون شفقة ولا رحمة .

كان البطريرك غبريال بن تريك (١١٣١ – ١٤٦ م) هو أول من صرح بقراءة

الاناجيل والخطب وما إليها باللغة العربية في الكنائس . وذلك بعد تلاوتها باللغة القبطية .

ومما يدل على أن اللغة العربية بدات تناهض اللغة القبطية فى القرن التاسع ، تلك الرؤيا المنسوبة خطأ للأنبا صموئيل القلمونى . والتى يرجح إلى أنها ترجع إلى القرن العاشر ، وهى تحتوى على حث مؤثر على الاهتمام باللغة القبطية ، ومنها نعرف أن اللغة العربية بدأت تحل محل القبطية حتى فى جهات كثيرة بالوجه البحرى .. وظل نجاح اللغة العربية مضطردا ، حتى انه فى القرن الثالث عشر كانت اللغة العربية هى السائدة ، واخذ علماء الأقباط يصيغون مؤلفاتهم بالعربية ، ومن أمثلتهم أولاد العسال الذين وضعوا مؤلفات دينية ولغوية كثيرة ، ومنهم أيضا جرجس بن العميد المعروف بابن المكين وأبو شاكر بن الراهب شماس الكنيسة المعلقة وشمس الرئاسة أبو البركات بن كبر والقس بطرس السدمنتى وعلم الرئاسة بن كاتب قيصر . ولهذا فقد عمد هؤلاء العلماء إلى وضع قواعد مختصرة للغة وتدوين مفرداتها لحفظها من الضياع والاندثار .

وأول من ألف كتابا باللغة العربية من الاقباط هو ساويرس بن المقفع أسقف الاشمونين الذى كان معاصرا للبطريرك أفرام بن زرعة السريانى ٦٢ (٩٧٥ - ٩٧٩ م) وهو الذى ترجم سير الآباء البطاركة مما وجده من مخطوطات بدير الانبا مقار ودير نهيا ، وما وجد بحوزة بعض النصارى باللغة القبطية واليونانية إلى اللغة العربية التى كانت شائعة أنئذ . وساعده فى تصحيح وتنقيح العبارات العربية الواضح بولس بن رجاء الوارد خبرة فى سيرة أنبا فيلوثاوس البطريرك ٦٣ (٩٧٨ - ١٠٠٣ م)

وعلى الرغم من انتشار العربية فان اللغة القبطية بقيت لغة التخاطب فى الوجه البحرى حتى القرن السابع عشر . ويقول العلامة ماسبيرو فى محاضرة له عن " صلة المصريين الاقدمين بالمصريين الحاليين " ألقاها سنة ١٩٠٨ من المؤكد أن سكان صعيد مصر كانوا يتكلمون ويكتبون باللغة القبطية فى السنين الاولى من القرن السادس عشر ، فى أوائل حكم الاتراك " .. وقال المقريزى من القرن الخامس عشر فى كلامه عن دير موشه " والأغلب على نصارى هذه .

الاديرة معرفة القبطى الصعيدى .. ونساء نصارى الصعيد وأولادهم لا يكادون يتكلمون ألا القبطية الصعيدية " .

وفي القرن الثامن عشر لما قاربت اللغة القبطية على الزوال - كلغة التخاطب بدأ الأقباط يكتبونها بحروف عربية .. لكنها ومع كل هذه الظروف بقيت لغة الكنيسة

(ثانيا) أثر الاسلام فى دين الاقباط وعاداتهم

لم يتأثر مسلموا هذا القطر بالاقباط كثيرا بينما تأثر القبطى بمواطنه المسلم دون أن يشعر بذلك . ويمكن توضيح ذلك باختصار على النحوالتالى :-

ما أخذه الاقباط عن المسلمين :-

١ - موضوع الطلاق : -

فقد ذكر د. جاك تاجر ، أن الطلاق الذى كان تحرمه الكنيسة المصرية بصفة رسمية ، كان يعمل به علانية ، بل كانت تعترف به الكنيسة وخاصة فى فترات الضعف والفتور الروحى وعندما اضمحل الاقباط فى عهد العثمانيين . ويكتب الرحالة الفرنسى " دومينيك جونا " عام ١٧٩٥ م " إن عاده الطلاق ليست خاصة يالمسلمين فقط ، بل إنها شائعة أيضا عند المسيحيين الاقباط الذين لم يهتموا بالاسباب التى نص عليها الانجيل " (١)

٢ - عادة إقتناء العبيد :

لقد حرمت المسيحية حق إقتناء العبيد لكن لا نعلم على وجه التحقيق متى إتبع مسيحيو مصر عادة إقتناء العبيد . وإذا رجعنا إلى ماكتبه المؤرخون فى هذا الصدد ، تبين لنا أنهم إتبعوها باكرا . ففى عهد البطريرك البابا ابرام بن زرعه السريانى وخلافه العزيز الفاطمى ، كان معظم الاعيان يملكون الجوارى وفى عام ٨٥٦ هـ (١٤٦٠ م - ١٤٦١ م) أمر صاحب الخراج الاقباط بتسليم جواريهم المسلمات لكثرة عددهم (٢) ، ويذكر " ستوكوف " الذى هبط مصر سنة ١٦٦٢ م أن النصارى إكتسبوا حق شراء الجوارى بكل حرية ، كما يذكر رحاله آخرون هذه الواقعة كما أننا نعرف من القصص التى نقلها لنا الجبرتى عن تصرفات القبطان حسن باشا أن الاقباط أسرفوا فى استعمال حق لإقتناء الجوارى

ويدلى لنا علماء الحملة الفرنسية بالبيان الآتى " للنصارى فى مصر حق إقتناء العبيد ... ويسرح لهم بإقتناء عدد غير محدود من النساء . لذلك نجد لدى كل أسرة جارية أو إثنتين على الاقل للاعمال المنزلية " (٣) .

(٣) ختان الاطفال :

من العادات التى أخذها الاقباط عن المسلمين ختان الاطفال الذى ألغته المسيحية أو لم يكن معمولا به فىمصر قبل دخول العرب ، ولكن حدث بعد ذلك أن أحد

---

(١) د. جاك تاجر (أقباط ومسلمون) ص ٢٦٦

(٢) السخارى التبر المسيرك ، ص ٣٨٥

(٣) كتاب اقباط ومسلمون (د. جاك تاجر) ص ٢٦٧

البطاركة أرغم رعيته على ممارسة الختان ، وفى عـــام ١١٢٠ م نظـــم البابـــا مكاريوس الثانى البطريرك الـــ ٦٩ هذه العادة وأمر بختان الاطفال قبل العماد(١)

وذهب البابا يوحنا السادس البطريرك الـــ ٧٤ (ســنة ١٢٠٨ م) الـــى أبعد من ذلك حيث أصدر تعليماته المشددة بشأن جعل ختان الاطفال إجباريا (٢)

(٤) استعمال الحجاب فى حريم النصارى :

فقد ذكر د. جاك تاجر أن الاقباط لم يسمحوا لزوجاتهم بأن يظهرن أمام الرجـــال بدون حجاب . وكانت الطقوس الدينية بمناسبة الزواج تشبه تقاليد المسلمين .

كما كانت الفتاة تحتجب عندما تصل إلى سن البلوغ ، وكان الشاب الـــذى يريـــد الزواج يكلف إحدى قريباته للبحث عن عروس . وإذا تم الاتفاق . حرر الكـــاهن عقدا وقام بمراسيم الزواج .وإذا تعهد العريس بدفع مهر . كان عليـــه أن يقـــدم نصفه مقدما كما يفعل المسلمون (٣)

(٥) تعلق الاقباط بالحج إلى كنيسة القيامة بالقدس :-

يوجد وجه آخر بين المسلمين والاقباط ، وهو تعلق الاقباط بالحج إلـــى كنيســـة القيامة بالقدس كى ينالوا لقب " حاج " ولا يفوتهم أن يحيطوا سفرهم ألى القـــدس بنفس المظاهر التى كان يحيط بها المسلمون سفرهم . فكانوا يذهبون على هيئـــة قوافل كبيرة العدد . وينقل إلينا الجبرتى فى هذا العدد حدثا طريفا بمناسبة حـــج النصارى . ونحن نعلم أن الولاه المتسامحين صرحوا للنصارى بزيارة القـــدس ، على أن المماليك حرموهم أحيانا من ذلك ، ومن أشهر الحوادث ماكتبة الجـــبرتى فى حادثة سنة ١١٦٦ هـــ (١٧٠٤ م – ١٧٠٥ م) وقد ذكرت بالتفصيل فـــى عصر الدولة العثمانية . (٤) .

(٦) ومن العادات التى اخذها الاقباط من المسلمون ما ذكره الدكتور كلوت بك حيث قال إن الاقباط يخلعون أحزيتهم قبل أن يدخلوا كنائسهم كما يفعل المسلمون ، وأذا كان الرهبان الاقباط يخلعون احزيتهم عندما يصلـــون ، طبقـــا لتعـــاليم التوراه ، ولكن فى تلك الفترة كان الاقباط يقصدون تقليد المسلمين إذ لم يفعلوا هذا فى الوقت الحاضر . (٥)

---

(١) ابن الراهب ص ١٣٩ (٢) ابن الراهب ص ١٤١

(٣) د. جاك تاجر (كتاب اقباط ومسلمون) ص ٢٧١

(٤) د. جاك تاجر (كتاب أقباط ومسلمون) ص ٢٦٩ ، ٢٧٠

(٥) د. جاك تاجر (كتاب أقباط ومسلمون) ص ٢٦٩ ، ٢٧١

كما ذهب بعض الاقباط الى حد الامتناع عن أكل لحم الخنزير (١)

أما ما أخذه المسلمون عن الاقباط :-

أهم هذه العادات التى أخذها المسلمون عن الاقباط ، وهى قائمة الى يومنا هذا - جلب النادبات فى المآتم . ولم تخرج هذه العادة التى ورثها الاقباط عن الفراعنة عن حدود مصر . وقد لاحظ الفرنسيون عند احتلالهم مصر ان الاقباط كانوا يبالغون فى إظهار شعور الحزن اكثر من المسلمين (٢)

(ثالثا) هل كان الاقباط متساوين بالمسلمين أمام القانون ؟

من المرجح أن العدالة فى أوائل الفتح العربى لم تشوبها أية شائبه . وكانت تبحث شكاوى الاقباط بدقة وعناية . ويذكر التاريخ قصة جنود جيش الاحتلال العربى الذين إدعوا أحقيتهم فى تحصيل أموال من بعض القرى المسيحية فطلب الوالى قره بن شريك الى رئيس المديرية أن يقوم بالتحقيق فى مكان الحادث وأن يرسل إليه تقريره ليبت فى أمر هذا الخلاف على ضوء المعلومات الاكيده - ولما كانت القضايا تنظر فى المساجد لم يكن يسمح للنصارى واليهود بدخولها . ويذكر لنا الكندى أن القاضى خير بن نعيم كان يفصل فى قضايا المسلمين داخل المسجد ، ثم يجلس على الباب الخارجى ليفصل فى قضايا أهل الذمة (٣)
وبعد مدة ، أى فى عام (١٧٧ - ١٨٤ هـ) (٧٩٣ - ٨٠٠ م) سمح القاضى محمد بن نصرون بدخول النصارى ، إلا أن هذا الاجراء كان يعتبر إستثنائيا(٤)
ومن ناحية أخرى ، لم يستطع أى مسيحى أن يدلى بشهادته إذا كان أحد طرفى القضية مسلما . وكان القاضى خير بن نعيم يسمح بأن يشهد المسيحى للمسيحى واليهودى لليهودى . وقد ظل هذا النظام معمولا به إلى القرن التاسع عشر .
ويقص علينا كلوت بك فى مذكراته أنه تعرض لاعتداء أحد الطلبة . فتألفت محكمة برئاسة ناظر الحربية لمعاقبة المعتدى . وقد استمعت المحكمة إلى أقوال الطالب وزملائه ولكنها رفضت سماع رواية كلوت بك لانه كان مسيحيا ولا يستطيع أن يشهد ضد مسلم (٥) .

---

(١) كتاب أقباط ومسلمون (د. جاك تاجر) ص ٢٧١

(٢) الكندى ، ص ٣٥١ (٣) الكندى ، ص ٣٩٠

(٤) مطبوعات المكتبة الخاصة لجلالة الملك . نشرها وعلق عليها د. جاك تاجر ، ص ٧٥

(٥) الكندى ، ص ٣٥١

الباب الثانى عشر

الأقباط فى عهد المماليك
(١٢٥٠ م - ١٥١٧ م)

" الفصل الأول "

بموت الملك (الصالح أيوب) انتهت الدولة الأيوبية وقامت دولة المماليك الأولى وكانوا يسمون بالمماليك البحرية (١٢٥٠ م - ١٣٨١ م) لإقامتهم وتحصنهم بجزيرة الروضة الواقعة فى وسط النيل الذى كانوا يسمونه بالبحر الأعظم - وتمييزا لهم عن دولة أخرى إستولت على مصر بعدهم تدعى دولة المماليك الشراكسة (١٣٨٢ م - ١٥١٧ م) (أو المماليك البرجية) الذين سكنوا فى ابراج فوق جبل المقطم .

من هم المماليك

كلمة مماليك جمع مملوك يعنى عبارة عن أرقاء ، وهم كانوا عبيدا بيض يشترون بالمال من السلبة (أسواق النخاسة أو الرقيق) ، أو يؤسرون فى الحروب أو ممن يختطفونهم بأساليب الخداع تجار الرقيق الذين يقطنون الأقاليم الجبلية الكائنة فى شمال وشرق أوربا ، ومعظمهم من أصل تركى . والمعروف عن حكمهم أنه أبشع حكم شهده العالم ، فيذكر عنهم أنهم فى أواخر الحرب العالمية الأولى ذبحوا من الأرمن مليون شخص . ولا يوجد لديهم مبادئ أو قيم إنما إشتياق الى سفك الدماء .

والمماليك لا ينتمون الى جنس واحد فمعظمهم من أصل تركى والبعض منهم من بحر القلزم والبعض الآخر من القوقاز فى آسيا الصغرى كما كان من بينهم عدد قليل من بلاد فارس وبلاد ما وراء النهر (نهر دجلة) .

والمماليك لم يشاركوا الشعب المصرى آماله . ولغته العربية يجهلونها أيضا . وتدربوا على الديانة الإسلامية إلا أن إيمانهم بالإسلام جاء سطحيا وكان كل ما تطبعوا عليه هو الطاعة للقائد الذى يتولى قيادتهم .

وكان الملك الصالح نجم الدين الأيوبى قد أكثر من شراء المماليك الترك وإتخذهم حرسا خاصا له فجعل منهم ألفا لخدمته (١٠٠٠ جندى) وكان من مماليكه أمراء الدولة والحجاب ، فلما كثر عددهم فى البلاد المصرية أصبحت مصالح الدولة فى أيدى الأمراء منهم فقويت شوكتهم وتألف منهم جيش مخصوص عظيم تسبب عنه قلاقل عظيمة فى سائر المملكة المصرية (١)

---

(١) تاريخ الأمة القبطية (يعقوب نخلة روفيلة)
تاريخ الأمة القبطية (أ . ل . بتشر)

وذلك بسبب الصراع الدائم مع بعضهم البعض . وعلى الرغم من أن المماليك كانوا عبيدا لكنهم كانوا يشعرون أنهم أرقى من المصريين والشعوب المفتوحة ولذلك ظلوا منفصلين عن المصريين عامة والأقباط خاصة على الرغم أن بعض المماليك قد تزوجوا فى بعض الأوقات من بنات النصارى ولكن هذه العلاقة لم توحد بين المماليك والمصريين لكنهم ظلوا محتفظين بشخصيتهم وما تميزت به من عنجهية.وعلى الرغم من أنهم كانوا دائمى الصراع والقتل مع بعضهم البعض إلا أنهم عند الخطر يكونون كلهم كرجل واحد – وبكل أسف تعاطف معهم المصريون ضد أقباط مصر لا لشيء سوى إدعاء رابطة الدين وحده .

حالة الأقباط فى ذلك العصر

بعد أن عرفنا أصل المماليك نستطيع أن نتصور مدى الفوضى التى وصلت اليها البلاد فى ظل هذا الحكم الذى كان أقرب الى الإقطاع الذى يمثله هؤلاء المماليك حيث لا قانون ولا ديموقراطية ولا ضمان لإنسان يعيش فى هذه البلاد على حياته أو أهله أو على ماله وبلا أدنى مبالغة نستطيع أن نقول أن عصر المماليك كان كارثة عظمى على أقباط مصر .

ونظرا لتعاطف المصريين المسلمين مع المماليك ضد أقباط مصر لرابطة الدين فقد عانى الأقباط فى ظل حكم المماليك معاناة بلغت حدا زائدا ربما فاق التصور ولم يكن من داع للمتاعب التى حاقت بالأقباط سوى مشاعر الحقد التى امتلأت بها نفوس فريق من المواطنين ضد الأقباط ، الذين أثبت التاريخ كفائتهم فى شتى المجالات الأمر الذى جعل الاستغناء عنهم فى الدواوين والمصالح الحكومية ضربا من المستحيل فقد كان الحكام فى كثير من الفترات يستغنون عن الأقباط حينا ولكن سرعان ما يردونهم إلى أعمالهم ووظائفهم لحدوث خلل بسبب طردهم

مما سبق يتضح أن أمراء المماليك والديوان السلطانى أقبلوا على إستخدام الأقباط فى أعمال الحكومة لمهارتهم وأمانتهم فى العمل ولأنهم كونوا الطبقة المتعلمة المستنيرة مما أدى الى تمتعهم بالجاه والسلطان كما تمتع بعضهم بالثروة .

وهكذا إستطاع بعض الأقباط فى عهد السلاطين المماليك أن يشغلوا بعض المراكز الكبيرة فى الدولة ولكن الحاقدين من عامة الشعب كان يظهر غضبه بمجرد ما يرى قبطيا له نفوذ لأنه لم يعد يقبل أن يكون لأقلية دينية صغيرة حقوق عليه ، وتمكن القبطى وسط هذه الإعتبارات كلها فى كثير من الفترات أن يسير قدما لأن أخيه المسلم لم يحوز الصفات اللازمة للقيام بجباية الضرائب وفى ما خلا هذه الوظيفة شعر القبطى أنه غير مرغوب فيه وبهذا

أصبحت الأمة القبطية جماعة مهمتها تدريب الأخصائيين فى شئون الضرائب والمال (١) .

وكان سلاطين المماليك لا يأبهون مطلقا بهذه الأقلية القبطية بل كانوا يعتبرون الأقباط جزءا لا يتجزأ من الأمة لأنهم كانوا يقدمون لهم خدمات قيمة فيما يختص بجباية الضرائب أضف الى ذلك أن الحكام كان يمكنهم إبتزاز أموال الأقلية بسهولة دون أن يخشوا من قيامتهم بأى حركة ثورية جديدة فرتبوا مصير الأقباط حسب هواهم أو هواء الشعب . وكان المسيحيون يدفعون الضرائب أكثر مما يدفع المسلمون كضريبة الجوالى التى كانت تفرض على الرؤوس وهى تضاهى الجزية وكان يعفى منها الصبيان والشيوخ ولكن أمر تقدير من هم الصبية أو الشيوخ متروك إلى جامعها (٢) .

ويقول الدكتور على إبراهيم حسن فى كتابه (مصر فى العصور الوسطى) شاهدا ومؤكدا للكلام السابق قائلا " فى عصر المماليك قاسى الأقباط كثيرا تحت حكمهم وإن لم يتعرض المماليك لآرائهم ومعتقداتهم الدينية ولكن لم تكن سياسة المماليك فى معاملاتهم واحدة والحق أن الأقباط كانوا ذوى نشاط ظاهر فى دواوين الحكومة وكانت خدمتهم ضرورية لحسن سير الأمور المملوكية فى البلاد فى حين أن الحكومة كانت تقصيهم عن الوظائف من حين لأخر تجنبا للشغب ،وتحببا للشعب وإرضاء لروح التعصب ولكن هذا الإقصاء كان قصير الأمد لأن وجودهم فى تلك الوظائف كان ضروريا كما تقدم وكان حكام مصر من المماليك يشعرون بخلل فى الإدارة الحكومية بعد طرد الأقباط منها .

وكان شعور المماليك يثور على رعاياهم الأقباط بسبب العداء بين المماليك والصليبيين (٣) فعندما قامت الحرب بين مصر والصليبيين كان المسلمون يعتبرونها دائما حربا بين المسلمين والكفار وكانت الحكومة تحرضهم على هؤلاء الكفار ويظهر هذا فى شكل اضطهاد لسكان مصر من المسيحيين فكثيرا ما هاجم المسلمين المسيحيين واعتدوا على نسائهم وأولادهم كما كانت الأعياد الإسلامية الكبيرة فرصة لهجوم الجنود على أحياء الأقباط بحجة البحث عن الجنود .

---

(١) كتاب أقباط ومسلمون (د . جاك تاجر ص ١٧٢)

(٢) كتاب أقباط ومصريون بين الماضى والحاضر (القس داوود عزيز)

(٣) مصر فى العصور الوسطى (د . على ابراهيم حسن)

وقد إستمر حكم السلاطين المماليك والعثمانيين بمصر مدة ما يقرب من خمسة قرون ونصف أى منذ (١٢٥٠ - ١٧٩٨) وإمتد نفوذهم أيضا إلى خارج مصر فوضعوا أيديهم على بلاد أخرى كالشام والحجاز لكنهم احتفظوا بشخصيتهم فى مدة حكمهم فى مصر .

وقد بدأ حكم السلاطين المماليك البحرية (١٢٥٠ م) عندما إستقالت الملكة شجرة الدر عن الحكم إلى عز الدين أيبك الذى كان نائبا لها بمملكة مصر ولقب بالملك المعز وتزوج بها .

وعموما كان عصر المماليك كارثة عظمى على أقباط مصر بإصدار مرسوم (٧٠٠ هـ) يحرم إستخدام أحد من الأقباط فى دواوين الحكومة إلا من أسلم منهم (١) ونودى بالقاهرة أن من يخالف هذه القيود كان جزاؤه القتل وأعلن الفقهاء عن تزمرهم من التراخى مع المسيحيين وحاولت عامة الشعب القيام على النصارى مما أثار شعور المسيحيين (٢) .

وسنقتصر فى هذه الفترة الطويلة على ذكر بعض الأحداث المتفرقة فى عصر المماليك ومشاهير الإعلام والأقباط فى هذه الفترة بالإضافة الى فكرة مختصرة عن الآباء البطاركة فى هذه العصور والأبرار المعاصرين لكل منهم كما سنذكر لمحة تاريخية عن سيرة قديسى الكنيسة وعلمائها وأراختنها فى تلك العصور مع ذكر بعض التفاصيل عن الأحداث القليلة التى لها بعض الأهمية فى سيرة كل منهم .

أشهر الحوادث المؤسفة فى عصر المماليك البحرية (١٢٥٠ - ١٣٨٢ م)

١ - فى عهد الأمير عز الدين أيبك أول سلاطين المماليك (١٢٥٠ م)

حادثة شرف الدين أبو القاسم هبة الله إبن صاعد

كانت أول مصيبة حاقت بالأقباط على يد شرف الدين أبو القاسم هبة الله إبن صاعد الذى كان طبيبا قبطيا ويدعى ثيئودور (تادرس) ولكنه أسلم فى أيام الملك الكامل وخدم عند الملك الفائز إبراهيم إبن الملك العادل فنسب اليه ودعى بالأسعد شرف الدين أبى القاسم هبة الله بن صاعد الفائزى ولما آلت المملكة للملك نجم الدين الأيوبى ولاه نظارة الدواوين جميعها وبعد قليل غضب عليه فسافر إلى دمشق وبقى بها حتى تولى عز الدين أيبك كرسى السلطنة فعاد من دمشق وتعلق بخدمة الأمير عز الدين أيبك أول سلاطين المماليك.

---

(١) مصر فى العصور الوسطى (د . على ابراهيم حسن)

(٢) مصر فى العصور الوسطى (د . على ابراهيم حسن)

وبقى فى خدمته إلى أن تسلطن ولقب بالملك المعز فولاه الوزارة وتمكن من الدولة تمكنا زائدا وحينئذ أظهر خسة ودنائه فأحدث مظالم كثيرة بين الناس وأول مظلمة بدأ بها أنه تصدى للأقباط فحصل منهم الجزية مضاعفة وقرر على التجار الأثرياء منهم أموال يدفعونها فى كل عام (١) .

ويقول المقريزى أن هذا الوزير أسرع فى وضع ضرائب جديدة أسماها (بالحقوق السلطانية والمعاملات الديوانية) فحصل عن طريقها من الناس مالا وفيرا (٢) .

ويحق لنا أن نتعجب فبعد ما أحدثته جيوش الإفرنج من فوضى وإضرابات فى البلاد وبعد الإضطهادات التى تحملها النصارى من أجل ذلك أن يفكر أصحاب السلطات فى تعيين قبطى وزيرا على مصر ولكن يزول العجب عندما نعرف بأن السلطان لما رأى ان خزانته خالية من المال ولما أراد أن يزيد دخله وأن ينظم أحوال البلاد الداخلية لم يتوانى لحظة فى طلب أحد الفنيين فى المسائل المالية حتى ولو كان هذا الفنى قبطى (الذى هو شرف الدين أبو سعيد) (٣) الذى سرعان ما حلت به النقمة لأن الكتاب المقدس يقول " ما يفعله الإنسان إياه يحصد أيضا " (غلا ٦ : ٧)

إذ بعد ما قتل المعز أيبك قام من بعده إبنه الملك المنصور فسعى الأمراء ضده واتهموه بأنه يستخف بالسلطان نظرا لصغر سنه (لأن السلطان منصور لما تولى الحكم كان عمره خمسة عشر عاما) فخافت شجرة الدر (والدة السلطان) من الوزير شرف الدين وقبضت عليه وحبسته فى الجبل وأخذت منه صك بمائة الف دينار ثم قتلوه بعد ان صودرت جميع اموالهُ وأملاكه (٤) .

٢ - فى عهد الظاهر بيبرس البندقدارى وإبنه بركة خان(١٢٦٠م - ١٢٩٠م)
حادثة الراهب الحبيس (١٢٦٥ م)

لقد أبتلى الأقباط بكارثة كبيرة المت بهم وكانت أشد وقعا وأكثر تأثيرا فيهم من المصيبة التى نالتهم على يد شرف الدين الوزير القبطى المرتد عن دينه ويرويها المؤرخ القبطى النصرانى المفضل (إبن أبا الفضائل) الذى كتب عنها

---

(١) تاريخ الأمة القبطية (يعقوب نخلة روفيلة ص ٢٥)

(٢) الخطط للمقريزى ج ٢ ص ٢٣٧

(٣) أقباط ومسلمون (د . جاك تاجر ص ١٧٤)

(٤) تاريخ الأمة القبطية (يعقوب نخلة روفيلة)

قائلا لما قدم السلطان من الشام أمر بالقبض على النصارى واليهود وقبض عليهم (جميعا) وأوقد لهم النار بالأحطاب فى جورة كانت بالقلعة (التـــى بنيــت دارا للملك) وأراد إحراقهم فإشتراهم (فداهم) الحبيس الراهب بخمسمائة الف دينـار يقدم منها فى كل سنة خمسين الف دينار .

وكان هذا الحبيس فى بادئ أمره كاتبا ثم ترهب وتوحد فى جبل حلوان فى إحدى مغارات جبل المقطم ويقال أنه وجد فى إحدى المغارات مالا كثيرا (كــنزا) ولما حصل على هذا المال أخذ يساعد به الفقراء والصعاليك وكل متضايق مــن سائر الأديان ووصل خبره للسلطان بيبرس الذى أحضره وطلب منه المـــال ... فقال له الراهب الحبيس إن طلب السلطان منى شيئا أدفعه من يدى ولكــن هــذا المال سوف يصل اليك من جهة أخرى وذلك عن طريق من تصـــادره ويجـبر على دفع مبلغ من المال وهو لا يقدر على ما يطلب منه فأنى أعطيه وأســـاعده على خلاص نفسه منك فلا تتعجل فلما حدثت هذه الواقعــــة ضمنـــهم الراهـب الحبيس عند السلطان بذلك المال على النصارى .

ويذكر أيضا عن الراهب الحبيس أنه كان يدخل السجن (الحجز) ويطلق منـــه من كان عليه دين وهو عاجز عن وفائه (دفعه) ثقيلا كان أو خفيفا وكذلك لمـا طلب من أهل الصعيد دفع الأموال المقررة على أهل الذمة ســـافر إليـــهم وأدى عنهم ما طلب منهم وكذلك سافر إلى الإسكندرية وفعل نفس الشىء من أعمـــال الخير والرحمة بالفقراء والمساجين والمعوزين والمتضايقين ورأى أهلـــها مــن الكرم والسخاء فى العطاء وقيل أنه أحصى ما وصل إلى بيت المال من جهتـــه بهذه الطريقة فى مدة سنتين فكان ستمائة ألف دينار مصرى بالإضافة الـــى مـا كان يعطيه من يده سرا للناس وما خلص به من السجن إنـــاس كثـيرين كـانوا محجوزين (١)

وتختلف رواية **المقريزى** التى ذكرها بخصوص الراهب الحبيس بعــض الشىء عن تلك التى قصها علينا المفضل حيث قال كان قد شبت فـــى القـاهرة حرائق كثيرة فى مدة سفر السلطان اتخذها العامة والغوغاء والمنتفعون وســـيلة للايقاع بالنصارى واليهود واتهمهم بإفتعال هذه الامور التى تفسخ عهدهم (عـهد عمر أو العهد العمرى) وأمر بإحراقهم بعد القائهم فى حفـــرة خـارج المدينـــة بجوار القلعة وإشعالها نارا فجمع منهم عددا كبيرا فى القلعة وفى ذلـــك الوقـت برز رجل يهودى يسمى بن الكازرونى كان صرافا فى أحـــد الدواويـــن وقــال للسلطان

---

(١) تاريخ أبى الفضائل (جـــ ١٢ ص ٤٧٧)

بحق الله لا تحرقنى مع هؤلاء الملاعين فضحك السلطان والامراء ثم تقدم الأمير فارس الدين أقطاى اتابك العساكر (رئيس العسكر) فشفع فيهم على أن يلزموا بدفع اموالا عوض (بدل) ما تسببت عنه الحرائق وأن يحملوا الى بيت المال خمسين الف دينار فأفرج عنهم السلطان وتولى البطريرك البابا يؤنس السابع تسديد المال المطلوب (١) . وهذا هو الهدف من أمثال هذه الحوادث الحصول على المال بأى وسيلة وبأكبر سرعة - ونستنتج من الروايتين السابقتين ان السلطان الظاهر بيبرس افتعل حادثة القلعة بتهديد النصارى لكى يستولى على المال " الكنز " الذى وجده الراهب الحبيس بعد ما وصلت أخباره له .

وفى أيام إبنه بركة خان (١٢٧٧ م)

كان الاقباط يتظلمون من قساوة الأحكام والمعاملة الغير عادلة وحدث أنه تقرر فى أيام هذا الوالى رفت كل الموظفين الأقباط من ديوان الحربية وأتفق أنه يوم صدور هذا الامر سقط بناء دير الخندق فى ضواحى القاهرة فخرج خلق كثير من رعاع المسلمين ليكملوا هدمه .

٣ - فى أيام الملك المنصور قلاوون (٦٨٢ هـ - ١٢٨٤ م)

(عهد إنشاء وبناء التكايا - ورسم إشارة الصليب المقدس)

تولى الملك المنصور بن قلاوون سنة ١٢٧٩ م ومع أنه عدل الضرائب وسلوى فى فرضها بين المسلمين والمسيحيين إلا أن الأقباط لم يسلموا من قساوته ومن قساوة المسلمين أثناء تغيبه فى الحروب ويذكر التاريخ أنه كان قاسيا جدا خاليا من الرحمة.

والدليل على ذلك أنه دفن نصرانيا حيا لتزوجه من إمرأة مسلمة وفى نفس الوقت أمر بنزع أنف المرأة (٢) . ويذكر التاريخ أنه فى سنة ٦٨٣ هـ تمرد المماليك على الملك المنصور وهموا إلى نبذ طاعته فغضب لذلك غضبا شديدا أعمى بصيرته وأفقده صوابه فلم يميز بين المذنب والبرئ والصالح والمتمرد وساق جميع الرعية بعصا واحدة وعمل السيف بينهم ثلاثة أيام متوالية حتى غصت الشوارع والطرقات بجثث القتلى رجالا ونساء وأطفالا فجاء إليه العلماء متوسلين أن يرحم الناس ويرفع عنهم البلاء فأنتبه من غفلته وندم على ما فرط منه وأراد أن يكفر عن ذلك فبنى تكايا للمساكين ومستشفيات لمعالجة ذوى الاسقام وأضاف إلى هذه الحسنات ما ظنه من مقتضيات التكفير بأن ضيق على النصارى وإشتد

---

(١) كتاب السلوك لمعرفة الملوك طبعة دار الكتاب المصرية جـ ١ ص ٥٣٥

(٢) (٢) تاريخ الأمة القبطية (يعقوب نخله روفيلة) ص ٢٠٨

عليهم فأمر بأن لا يركبوا خيولا ولا بغالا وألزمهم بأن يركبوا الحمير ويشـــدوا الزنانير على أوساطهم وألا يتحدث نصرانى مع مسلماً وهو راكب ، ولا يلبسـوا ثياباً مصقولة غير ذلك من أنواع الذل والهوان (١) وظلت هذه القوانين ســارية عليهم حتى خلفه صلاح الدين خليل الملقب بالاشراف فبدأ بإضطهادهم إضطهاداً شديداً ولكنهم ثبتوا أمامه ثباتاً مدهشاً ، ولكى يعلنوا أن الإضطهاد لا يقوى علـى زعزعة إيمانهم صاروا يرسمون على أيديهم إشارة الصليب المقدس ومن ذلـــك الحين صارت هذه العادة مستمرة حتى الآن .

٤ – فى عهد الملك الأشرف خليل (١٢٩٠ م)

حادثة عين الغزال والسمسار :

كان بعد موت السلطان قلاوون أن تولى بعده إبنه الملك الأشرف فظن النصارى أن أيام ذلهم قد إنقضت فعادوا إلى ركوب الخيل والبغال وأخـــذوا فـى تغيـير هيئاتهم وملابسهم وعمل كثير منهم كاتباً عند الأمراء وكان لهم الكلمة المسموعة عندهم لمحافظتهم على أموالهم وضبط حساباتهم وتسيير أعمالهم بكل أمانة علـى أحسن حال (٢) .

ويقول المقريزى " إن هؤلاء النصارى أصبحوا يعاملون المسلمين بأنفـة وأرادوا أن يظهروا أهميتهم بإرتداء الأزياء (الملابس) الثمينة وإن كانوا فعلـــوا هـذا لانهم كانوا معتمدين على مكانة الأمراء مخدوميهم وحماية الأمراء لهم (٣) "

ثم يروى المقريزى إن أحد النصارى الذى يدعى إسمه (عين الغـزال) الـذى كان يعمل كاتبا عند الامراء المماليك كان فى طريقه إلى مصر (مصر القديمة) وهو ذاهب إلى دار مخدومه (مولاه) صادف سمسار شونه مخدومه الذى كـان مديناً لمخدومه بمبلغ كبير من المال ثمن غلة إشتراها من شونه مـولاه فطـالب الوكيل بما عليه ولكنه إعتذر وطلب إليه أن يترفق به ويمهله أياماً فلم يقبل منـه وأصر أن يدفع له ما هو مطلوب من النقود وأخذ الكاتب يتوعده ويـــهدده أمـا بالدفع أو بالذهاب إلى بيت الامير ، وعندما إمتنع السمسار عن ذلك أمر الكـاتب (عين الغزال) غلمانه " الحرس الخاص به " أن يقبضوا عليه ويأخذوه رغمـاً عنـــه (عنوة) ومضى به فى إتجاه بيت الامير فإجتمع حوله أناس كثيرون حتى سار فى طريقه إلى ميدان " جامع بـن طولـون ".ورأى المسـلمون فـى الشوارع

---

(١) راجع تاريخ المماليك فى مصر ترجمة عن الانجليزية إلى العربية محمود عابدين وسليم حسن ص ٦٠ .

(٢) تاريخ الأمة القبطية (يعقوب نخله روفيله) ص ٢١٠

(٣) تاريخ الأمة القبطية (يعقوب نخله روفيله)

الوكيل القبطى (عين الغزال) راكباً وقابضاً على يد المسلم الذى كان يجرى وراءه وإندهشوا عندما رأوا المسلم أسيراً فى يد القبطى وإلتفوا حولهم كل منهم يسأله أن يخلى سبيله وهو يمتنع رافضا فتكاثروا عليه والقوه عن حماره وأطلقوا السمسار وكان قد إقترب من بيت الأمير فبعث الكاتب غلمانه إلى الأمير لينجده مما فيه فأرسل إليه الأمير مجموعة من غلمانه (رجال الأمير وحراسه) فخلصوه من الناس وشرعوا فى القبض عليهم ليفتكوا بهم فصاحوا عليهم (ما يحل هذا فى شرع الإسلام) هذا ليس فى شرع الاسلام وفروا مسرعين إلى أن وقفوا تحت القلعة واستغاثوا هاتفين (نصر الله السلطان) فأرسل السلطان يكشف الخبر فعرفوه ما كان من استطالة الكاتب النصرانى على السمسار وما جرى لهم وزادوا القول بأن النصارى تعاظموا على المسلمين وتكبروا عليهم فأرسل السلطان إلى الأمير يقول له كيف تسمح لرجالك بأن يعاملوا المسلمين هكذا إكراماً لرجل نصرانى فاعتذر الأمير بعدم علمه بما جرى وخشى السلطان سوء العاقبة من تجمهر المسلمين فغضب وطالب بإحضار (عين الغزال) ورسم للعامة بإحضار النصارى إليه وطلب من الامير بدر الدين النائب والامير سنجر الشجاعى بإحضار جميع النصارى بين يديه ليقتلهم فتشفعا الأميران عن الاقباط وعفا عنهم وظلا معه حتى إستقر الحال على أن ينادى فى القاهرة ومصر القديمة أن لا يخدم أحد من النصارى أو اليهود عند الامراء وأمر الامراء أن يعرضوا على من عندهم من الكتاب النصارى الإسلام فمن إمتنع منهم ضربت عنقه (قطعت رأسه) ومن أسلم منهم أستخدم عند الامراء (أى عمل كاتب عنده) ورسم للنائب العام (الامير بدر الدين بيدار) بعرض جميع مباشرى ديوان السلطان ليفعل معهم ذلك – فنزل ولكنهم عندما علموا الامر اختفوا وهربوا فغارت العامة (الغوغاء أو رعاع المسلمين المتطرفين) تسبق إلى بيوتهم وتنهبها حتى عم النهب بيوت النصارى واليهود بأجمعهم وأخرجوا نسائهم مسبيات وقتلوا جماعة بأيديهم فقام الامير بيدار النائب وتكلم مع السلطان بخصوص الفوضى التى يحدثها العامة فى بيوت النصارى وتلطف به حتى أصدر السلطان أمراً إلى والى القاهرة أن يركب حصاناً وينادى فى شوارع القاهرة ومصر القديمة من ينهب بيت نصرانى شنق وقبض على طائفة من العامة وعنفهم بعد ما ضربهم فكفوا عن النهب بعد أن نهبوا كنيسة المعلقة بمصر القديمة وقتلوا فيها جماعة كبيرة ثم جمع النائب كثيرا من النصارى كتاب السلطان (ديوانه) وأمر بإحراقهم فى حفرة كبيرة بسوق الخيل تحت القلعة قائلاً إنى لا أريُد فى دولتى ديواناً نصرانياً فتقدم الامير بيدر ليشفع فيهم ومازال بالسلطان حتى سمح بأن من أسلم منهم يستقر فى خدمته ومن إمتنع ضربت عنقه

(قطعت رأسه) فخرج إليهم الامير وأعلمهم بذلك فآثروا الاسلام عن القتل وكتبت شهادات عليهم بذلك (١) .

ويقول د. جاك تاجر إن كل هذا حدث والعامة مستمرون على الهجوم على جميع بيوت النصارى ونهبها حتى أن اليهود لم يسلموا من أيديهم ولم تمنعهم تحذيرات والى القاهرة أو إشهار إسلام كثير من الكتاب لم تمنع هذه الإعتبارات المسلمين من إستعمال القسوة فى معاملتهم (معاملة الذميين) بل كانوا ينتقمون لانفسهم من النصارى كلما غزا بعض قراصنة البحر الاوربيين سواحلهم (٢)

بالاضافة الى ذلك لم يستحسن عقلاء المسلمين إكراه النصارى على الاسلام فقالوا إن إسلامهم موجب لإذلال المسلمين والتسلط عليهم بالظلم الذى كانت تمنعهم نصرانيتهم من إظهاره وربما كانوا صائبين فى هذا الفكر لشدة ما لاقوه من شرف الدين بن صاعد الذى تقدم خبره (٣)

نلاحظ من هذه الحادثة أنه قبض على النصارى دون أى تهمة ودون تحقيق معهم وأجبروا على الاسلام على الرغم من أن الاسلام صرح مراراً " لا إكراه فى الدين " ولكن المماليك كانوا بلا مبادئ وبلا قيم وبلا ضمير سليم وكان هدفهم هو الحصول على المال وإرضاء الأغلبية المسلمة والعامة .

ولم ينته القرن الثالث عشر إلا بمصائب عظيمة فعم الجوع والوباء بسبب قلة زيادة النيل فضلا عن الحروب والفتن والقلاقل وكان الاقباط مع كل هذه المصائب الضحية الوحيدة فكثرت عليهم الضرائب وزادت الفتنة وزادت الجزية فمنهم من مات ومنهم من أسلم إما تخلصاً من المظالم أو خشية أن يصيروا إلى ما صار إليه من شاهدوهم من أقرانهم المسيحيين يقتلون ويستولى على جميع أملاكهم وربما كان البعض طمعاً فى الوصول الى المراكز الرفيعة .

٥ - عهد الملك الناصر محمد بن قلاوون (١٢٩٩ م - ١٣٠٨ م)

فى أول ملك الناصر بن قلاوون تفشت الأمراض وفتكت بالانسان والحيوان فأفهمه قاضى الاسلام أن ذلك حدث بسبب وجود المسيحيين فى الدولة وكان هذا القاضى إبناً لاحد المسيحيين وإعتنق الاسلام فأرتقى لهذا المنصب وأصبح كارها لديانته الاولى ساعياً جهده على إرغام تابعيها على تركها فكان

---

(١) الخطط للمقريزى جـ ٢ ص ٤٩٧

(٢) كتاب أقباط ومسلمون (د. جاك تاجر ص ١٧٨)

(٣) تاريخ الأمة القبطية (يعقوب نخله روفيله)

يوقع بهم كلما أتيحت له الفرصة وكان فى هذه الايام يجبى من كل فرد من الاقباط دينار فى كل سنة علاوة على الجزية المفروضة عليه برسم نفقة الجنود وغير ما كان يجبى منهم بالاشتراك مع المسلمين مما يسمونه زكاه الدولة ونفقات الاحتفال بوفاء النيل وغير ذلك من الإضطهادات التى فرضت على الاقباط والتى عرفت بمرسوم رجب " ٧٠٠ هـ " والتى حتم على الاقباط فيها لبس ملابس خاصة كما أمر بعدم ركوب الخيل وعدم استخدام المسلمين فى بيوتهم وعدم رفع أصواتهم على أصوات المسلمين وأن لا تعلوا مبانيهم على مبانى المسلمين وان لا تضرب نواقيس الكنائس وحتى فى الحمامات العامة كان المسيحى يميز بجرس فى عنقه(١)

وكانت الإضطهادات التى وقعت على هؤلاء البائسين فى أول هذا الجيل من أهول الويلات التى حلت بهم وأنزلتهم فى شدة الهوان ونالهم منها كل ذلك من فقر وقلة عدد مما لانزال نشاهدها للآن وقد يميل بعض المؤرخون إلى إتهام الأقباط بأن ما حل عليهم من الكوارث كان نتيجة تصرفهم السيئ .

وقد إدعى المقريزى المؤرخ المسلم أن سبب هذه البلايا التى ابتلوا بها تكبر بعضهم فعوقبوا بلبس العمائم الزرقاء وشد الزنانير فى أوساطهم ومنعهم من ركوب الخيل والبغال .

والحقيقة أن سبب تراكم البلايا على هؤلاء المساكين هو كثرة تذمرهم من الظلم الذى كان يقع بهم ونزوعهم إلى الإعتراض على الاوامر القاسية التى كانوا يجبرون عليها حتى وقعت الحمية من كثيرين إلى التجرؤ على مخالفة هذه الاوامر فلبسوا العمائم البيضاء بدل السوداء التى حُكم عليهم بلبسها وتأنق بعضهم وتجملوا بلبس الثياب المصقولة وتجاسر بعض الموظفين فظهروا فى الشوارع راكبين خيولا فساء هذا بعض المتعصبين الذين كانوا يفرحون لاذلال النصارى فكانوا يهزأون بهم وينظرون إليهم شذراً وغير ذلك مما جرأ العامة على إهانتهم والاستخفاف بهم وصاروا يفكرون فى طريقة بها يلقون ذلاً لا يقوون بعده على رفع أنوفهم فأقر كبارهم على هدم كل كنائس الأقباط وضرورة تنفيذ كل ما صدر عليهم من القوانين حرفياً.

١ - حادثة وزير ملك المغرب (٧٠٠ هـ - ١٣٠١ م)

فى وزارة بيبرس الجاشنكير والأمير سيلار يذكر المقريزى أنه فى فى وزارة بيبرس الجاشنكير والأمير سيلار يذكر المقريزى أنه فى اخر شهر رجب من

---

(١) أقباط مصر بين الماضى والحاضر (القس داود عزيز)

عام (٧٠٠ هـ - ١٣٠١ م) قدم إلى مصر وزير ملك المغرب وأقيم بالقاهرة حتى القيام بتأدية فريضة الحج .. ويذكر إنه ذات يوم عندما كان يسوق الخيل تحت القلعة إذ أبصر رجلاً راكباً على فرس (حصان) وعليه عمامة بيضاء فرجيه مصقولة وجماعة يمشون فى ركابه يسألونه ويتضرعون إليه ويقبلون رجليه وهو معرض عنهم وينتهرهم ويصيح بغلمانه أن يطردوهم عنه فقال بعضهم مستنجداً وطالباً المعونة والمساعدة قائلاً " يا مولانا الشيخ بحياة ولدك أنظر فى حالنا " فلم يزده إلا عجرفة وغطرسة وقساوة (هذا الكلام بحسب ما يروى المقريزى) .

يقول المقريزى أن الوزير المغربى رق لحالتهم وهم بمخاطبته فى امرهم وعندما علم أنه نصرانى غضب لذلك جدا وكاد أن يبطش به ولكنه كف عنه وطلع إلى القلعة.

وإجتمع مع الملك الناصر محمد بن قلاوون الذى كان عهده عهد شؤم وكارثة كبرى على الاقباط ونائبه الأمير بيبرس وتحدث معهما فى أمر اليهود والنصارى وهو يبكى رحمته للمسلمين ومانالهم من قسوة النصارى (وهم بالعكس مضطهدون ومكسوروا الجناح) ثم وعظ الأمراء وحذرهم نقمة الله وتسلط أعدائهم عليهم وذلك بسبب تمكينهم النصارى ركوب الخيل وتسلطهم على المسلمين وإذلالهم إياهم موضحاً لهم إن عهد ذمتهم قد إنقضى من سنة ٦٠٠ هجرية ، وأنهم فى المغرب فى غاية الذل والهوان ولا يمكن لاحد منهم ركوب الخيل أو يعمل كاتباً فى الجهات الديوانية وأنكر حال نصارى الديار المصرية وتهديهم بسبب لبسهم أفخر الملابس وركوبهم الخيل والبغال وإستخدامهم فى أجلّ المناصب وتحكمهم فى رقاب المسلمين فأثر كلامه عليهم ولاسيما الامير بيبرس فأمر بجمع النصارى واليهود ورسم ألا يستخدم أحداً منهم فى الجهات السلطانية ولا عند الأمراء وأن تغير عمائمهم فيلبس النصارى العمائم الزرقاء وتشدد فى أوساطهم الزنانير ويلبس اليهود العمائم الصفر والتزام العهد العمرى(١) أما الوزير المغربى فلم يرضى بذلك بل حرض العامة على هدم الكنائس فقاومه تقى الدين القاضى الأعظم وجاهر بأنه لا ينبغى أن تهدم الكنائس المستخدمة فنشأ عن ذلك إغلاق عدة كنائس وهدم الأخرى وحاول النصارى أن يفتحوا كنيسة منها ولما فتحت تهيج عليهم الرعاع واشتكوهم للأمراء ووقفوا فى طريق الوزير والامير وتوسلوا إليهما أن يرحما الاسلام من تكبر النصارى الذين ينقضون أوامر الحكومة ويفتحون الكنائس بدون تصريح منها وصدر الامر ثانياً

---

(١) الخطط للمقريزى ص ٤٩٨

بضرورة تطبيق ما صدر من القوانين عليهم ومن خالف أمراً ينهب ماله وتقطع رأسه فطلب المسلمون من البطريرك أن يغلق جانباً من الكنائس ولما رأوه رفض تنفيذ أمرهم فقاموا بهدم وتخريب كل الكنائس.

بعد ذلك عهد الحكام المسلمون ثانياً إلى رفت كل قبطى موظف بدفاتر الحكومة يأبى أن يسلم وكان الغوغاء والرعاع يداومون فى الاستهزاء بهم ورجم المارين منهم فى الشوارع بالحجارة ويتقدمون نحو ما يشاهدونه راكبٌ صغيراً كان أو كبيراً ويجذبونه إلى الارض ويضربونه بالنعال على عنقه حتى يشرف على الهلاك ووقع ضيق عظيم خصوصاً على أقباط مدينتى الاسكندرية والفيوم واشتد المتعصبون فى إضطهادهم حتى لم تكن فى طاقة الحكومة مقاومتهم فتظاهر كثيرون من الاقباط بالاسلام وتغيير زيهم خوفاً من قطع عيشهم (مصدر رزقهم)

وقال المقريزى

وقد أكثر شعراء العصر فى ذكر تغيير الدين لاهل الذمة فقال علاء الدين على بن مظفر الوداعى

لقد الزم الكفار شاشات ذلة ... تزيدهم من لعنة الله تشويشا
فقلت لهم ما ألبسوكم عمائما ... ولكنهم قد الزموكم براطيشا

وقال شمس الدين الطيبى

تعجبوا للنصارى واليهود معاً ... والسامريين لما عمموا الخرقا
كأنما بات بالاصباغ متسهلا ... فر السماء فأضحى فوقهم رزقا

وحدث فى سنة ١٣٠١ م أن تمرد على السلطان معظم مسلمى الصعيد فأرسل إليهم قوة لإخضاعهم فذبحت الالوف من الاقباط والمسلمين على السواء وفى السنة التالية حدثت زلزلة دمرت بلاد كثيرة فشعر السلطان أن ذلك كله نتيجة جوره على الاقباط المساكين . حيث يقول الكتاب (لى النقمة أنا أجازى يقول الرب) (١)

ب - حادثة عيد الشهيد (١٣٠٣ م)

ففى عام ٧٠٢ هـ (١٣٠٣ م) كان للنصارى عادة أن يقيموا احتفالا سنويا يستمر ثلاثة أيام يبتدئ فى اليوم الثامن من شهر بشنس

---

(١) تاريخ الكنيسة منسى يوحنا ص ٥٠٧

فى ناحية شبرا الخيمة(١) يسمونه عيد الشهيد (٨ بشنس - ١٥ مايو) وهو عيد الشهيد يوحنا (يحنس السنهوتى)

وكانوا يزعمون أن النيل لا يفى بمائة إذا لم يلق فيه تابوت من الخشب فيه إصبع من أصابع أحد الشهداء وكانوا يحتفلون بعيد الشهيد منذ دخول الإسلام مصر وقبل ذلك أيضا حتى سنة ٧٠٢ هـ

وكان ذلك أيام السلطان الناصر محمد بن قلاوون والقائم بتدبير الدولة ركن الدين بيبرس الذى أمره بإبطال هذا الاحتفال لاسباب أمنية واجتماعية خاصة واحتجاجاً لما يحدث فيه من الأمور المغايرة للآداب والنظام وكان ذلك سنة ١٣٠٣ م وظل ممنوعاً الاحتفال به لمدة ٣٦ عاماً أى إلى سنة ٧٣٨هـ حيث أعيد الاحتفال به وإستمر هكذا حتى ٧٥٥ هـ حيث تحرك المسلمون على النصارى وقاموا بعمل حصر على الاوقاف القبطية الموقوفة على الاديرة والكنائس التى بلغت ما يقرب من ٢٥ ألف فدان فأستولى عليها الملك الصالح وأمر ان يُوزع جزء منها على المماليك والامراء زيادة على إقطاعاتهم وهدمت عدة كنائس وفى الأيام العشرة الأخيرة من رجب قام الحاجب والأمير علاء الدين على بن الكوارفى والى القاهرة إلى ناحية شبرا الخيمة وهدم كنيسة النصارى وأخذ منها إصبع (ذخيرة) الشهيد التى كانت فى الصندوق وأحضره إلى الملك الصالح فأحرق بين يديه فى الميدان وذرى رماده فى البحر حتى لا يأخذه النصارى فبطل عيد الشهيد من ذلك اليوم إلى هذا العهد (٢) .

---

(١) بالقبطية (شوبرى) وهى مركبة من كلمتين (شوب) مدينة ، (برى) شمس

ملحوظة : اليوم الثامن من شهر بشنس المبارك شهادة القديس يحنس السنهوتى .

فى مثل هذا اليوم إستشهد اقديس يحنس السنهوتى وقد ولد هذا القديس بسنهوت وهى قرية صغيرة بجوار منيا القمح من أب إسمه مقار وأم إسمها حنة وحدث وهو يرعى غنم أبيه أن ظهر له ملاك الرب وأراه إكليلا من نور وقال له لماذا أنت جالس هنا والجهاد قائم قم إمضى الى أتريب (بنها) فودع والديه ومضى إلى الوالى وإعترف بالمسيح فسلمه الوالى إلى أحد الجنود ليلاطفه عساه يذعن إلى قوله ولما تسلمه الجندى أجرى القديس أمامه آيات جعلت الجندى يؤمن ايضا بالسيد المسيح وينال إكليل الشهادة على يد الوالى فغضب الوالى وعذب القديس بكل أنواع العذاب ولكن الرب كان يقويه ويصبره ثم أرسله إلى إنصنا فهناك أيضا صنع الله معه آيات عجيبة وفى الآخر .قطع رأسه بالسيف وأخذ يوليوس الاقفهصى جسده وكفنه وأرسله إلى بلدة سنهوت فتلقاه أهلها بالتسبيح والترتيل ووضعوه فى الكنيسة وجسده الآن فى شبرا الخيمة .

(٢) تاريخ الأمة القبطية (يعقوب نخله روفيله) ص ٢١٨

جـ - واقعة هدم الكنائس ورد فعل الاقباط على ذلك

مما تقدم يوضح للقارئ أن مصر كانت فى عهد دولة المماليك هذه أسوأ حال لعدم معرفة ملوكها كيف تساس البلاد ولا الطرق المؤدية إلى راحة الشعب (العباد) فأصبحت مصر فى أيامهم ميدان قتال وفتن وحروب داخلية فضعف الأمن واستولى الفشل وتعطلت الأعمال وحل بالناس الويل والبلاء والفقر خصوصاً وان المماليك كانوا منقسمين إلى أقسام وأحزاب شتى يحاول كل حزب منهم الإستيلاء على عرش المملكة فكثرت المنازعات والمخاصمات والإقتتال ، إذا تغلب حزب على آخر وظفر به وإستولى زعيمه على السلطنه لا يكون فى مأمن إلا إذا أذل الحزب الخاصم له وأضعف شوكته وإستولى على مالرجاله من الاقطاعات وإعطائها لمعاونيه أما معاملتهم للرعية (الشعب) فكانت بالجور والعنف والقساوة ظنا منهم أن الاشتداد على الاهالى وقتل الكثير منهم على أقل سبب يزيد فى هيبتهم ويوقع الرعب والخوف فى قلوب الناس من جهتهم وهكذا يكونون فى مأمن على مراكزهم من جهة الرعايا الوطنيين وعلى حذر من سائر الامراء والمماليك الذين من غير الحزب الحاكم .

وبسبب السياسة العقيمة وتعطيل الأعمال لاسيما الزراعة لان معظم الاراضى وأجودها كانت قد نزعت من يد أصحابها وأعطيت للأمراء فقلست فى وجوه الناس أبواب الرزق وإستولى على كثير منهم الفقر والاحتياج فإزداد عدد العامة والاوباش ولاسيما فى مدينة القاهرة .

ولما كثر إقبال الاقباط على الإسلام ليحفظوا بذلك مراكزهم أساؤوا معاملة المسلمين بأن شددوا عليهم فى الاحكام وجمع الأموال والضرائب فأشتكى المسلمون من النصارى الذين أسلموا والنصارى الباقين أيضا على دينهم فأصدر السلطان أمرا ألا يبقى منهم أحد فى دواوين الحكومة حتى ولو أسلم وألا يكرهوا على الاسلام منعا للانتقام لانفسهم بواسطة إسلامهم وتوليهم الوظائف العالية وإذا أسلم أحد منهم من تلقاء نفسه فلا يبرح باب أحد الجوامع بل يعيش من إحسان المسلمين أهل الخير وقد كان هذا الحكم الصارم موجبا لطمع عامة المسلمين فى النصارى فهجموا على بيوت الموسرين منهم الذين فقدوا جاههم بطردهم من خدمة الحكومة ونهبوها ولكن لم يمض زمن حتى دعت الضرورة إلى إعادتهم للخدمة ولا يستبعد أن يكونوا أساؤوا معاملة أصاغر المسلمين تشفيا لهم على مكايد غيرهم بالتظاهر بالابهة والافتخار والظلم كما يقال " كمين فى النفس القوة تخرجه والضعف يخفيه " .

حادثة هدم الكنائس

فكانت فى أيام الملك الناصر قلاوون يذكر التاريخ أن الناصر قلاوون خلع من كرسيه وجلس على كرسى السلطة عوضه بيبرس الجاشنكير ولكن الملك الناصر عاد فقتل بيبرس وإسترد عرشه وقد تأكد أن كل ما حل به كان بسبب ظلمه للنصارى البائسين فصار يحميهم بكل قوة من نهب وإستبداد المماليك وتعصب مواطنيهم المسلمين ومع أن هذا الملك (١) لم يستطع إطفاء نار الفتنة وسيل التعصب الذى كان يملأ قلوب المسلمين رغم كل الاحتياطات التى إتخذها لمنع إمتدادها فكان يقسو على المسلمين تارة والمسلمين والنصارى تارة أخرى حتى إضطره إحتدام المسلمين بنار الغضب والهياج الذى أخذ منهم كل ما أخذ إلى التسليم لهم فى نهب بيوت النصارى وقتلهم وسلب أموالهم ولقد طالت مدة حكم هذا السلطان نحو ثلاثين سنة نذكر منها عام ٧٢٠ هـ (٢) أو (١٣٢٠ م) الذى كان خرابا على الاقباط فى جميع أنحاء البلاد مما يجعلنا نعتقد أن هذه الحركة قد دبرت منذ أمد بعيد ولم يدرك محمد بن قلاوون فى بادئ الامر خطورة هذه الحركة التى كانت تدبر فى الخفاء ولما طغت عليه بكل أسف إضطر مرغماً أن يساير الجماهير ويقوم هو أيضاً بإضطهاد النصارى (٣) .

حادثة كنيسة الزهرى (١٣١٢ م)

ويذكر المقريزى هذه الإضطهادات بتفاصيلها قائلا

" أن الملك الناصر محمد بن قلاوون لما شرع فى بناء ميداناً فسيحاً بالجهة المعروفة الآن بالناصرية فى آخر شهر ربيع الأول (٧٢١ هـ) ولما إنتهى الحفر الى جانب كنيسة الزهرى وهى كنيسة واسعة الأطراف محكمة البناء وكان بها عدد كثير من النصارى لايزالون يقيمون فيها وبجانبها أيضاً عدة كنائس فى الموقع الذى يعرف بحكر أغا (هذه المنطقة تحوى الازهر وزويلة وحارة الروم والغورية حتى منطقة الأنبا رويس بالعباسية) فأشار عليه المغرضون المتعصبون بهدمها لإنه لا يصح أن تكون للنصارى كنيسة ظاهرة بهذه الكيفية أما هو فلم يرد أن يهدمها بل أمر أن تحفر حول جدرانها حتى تنهار من نفسها ولما كانت على جانب عظيم من المتانة إستمرت واقفة ولم تسقط فإغتاظ المسلمون ونقموا على الأقباط لما رأوا السلطان يدافع عنهم وكثرت فى

---

(١) منسى يوحنا (كتاب تاريخ الكنيسة) ص ٥٠٧

(١) تاريخ الأمة القبطية (يعقوب نخلة روفيلة)

(٢) كتاب أقباط ومسلمون (د. جاك تاجر ص ١٨٠)

هذه الفترة العمارات بالعاصمة فتواطأ المسلمون مع بعض الأمراء على هدم الكنائس لينتقموا من النصارى من جهة وليستخدموا انقاضها وأدواتها في العمارات التى كلفوا ببنائها من جهة أخرى .

ويقول المقريزى أخذ الفعلة فى الحفر حول الكنيسة (الزهرى) حتى بقيت قائمة وسط الموقع الذى عينه السلطان ليحفر وهو اليوم بركة الناصرية وزاد الحفر حتى تعلقت الكنيسة وكان القصد من ذلك أن تسقط من غير قصد لخرابها وصارت العامة من غلمان الامراء العاملين فى الحفر وغيرهم من الغوغاء المتعصبين يصرخون على الامراء فى طلب هدمها وهم يتغافلون عنهم إلى أن كان يوم الجمعة التاسع من شهر ربيع الأول من هذه السنة وقت إشتغال الناس بصلاة الجمعة والعمل فى الحفر متوقف فتجمع عدد من غوغاء العامة بغير مرسوم السلطان وقالوا بصوت عال (الله أكبر) وإمتدت أيديهم نحو كنيسة الزهرى وهدموها حتى بقيت كوما وقتلوا كل من كان فيها من النصارى وأخذوا جميع ماكان فيها وهدموا كنيسة (مارمينا) التى كانت بالحمراء وكانت معظمه عند النصارى من قديم الزمان وموضع إعتبارهم وبها عدد من النصارى قد إنقطعوا فيها (أى أقام حولها كثير من الرهبان والراهبات) ويحمل إليها نصارى مصر سائر ما يحتاج إليه الشعب ويبعث إليها بالنذور الجليلة والصدقات الكثيرة فوجد فيها مال كثير مابين نقد ومصاغ وغيره وتسلق العامة الى اعلاها وفتحوا أبوابها وأخذوا منها مالا وقماشا وخربوا وأهلكوا كل من فيها فكان أمرا مهولا ثم مضوا الى كنيسة الحمراء بعد ما هدموها الى كنيستين بجوار السبع سقايات تعرف إحداها بكنيسة البنات (دير الراهبات) كان يسكنها بنات النصارى وعدد من الرهبان فكسروا أبواب الكنيستين وسبوا البنات وكن زيادة على ستين بنتا (راهبة) ونزعوا ثيابهن وسلبوا كل ما وجدوه معهن ونهبوا سائر ما ظفروا به وحرقوا وهدموا تلك الكنائس كلها بعد ذلك أطلقوا النار في بيوت النصارى القائمة حول كنيسة مارمينا وحرقوا الكنائس الثلاث هذا والناس فى صلاة الجمعة – فعندما خرج الناس من الجوامع شاهدوا هولا كبيرا من كثرة الغبار ودخان الحريق ومرج الناس وشدة حركاتهم ومعهم مانهبوه مما شبه الناس الحال لهوله بيوم القيامة . وكانت أخبار تلك التعديات قد وصلت إلى مسامع السلطان وقيل له إن لم تسرع فى إنقاذ أقباط بابليون لهلكوا عن آخرهم وذلك لأن الغوغاء لم يكفهم ماحدث بل قاموا إلى بابليون التى يسكنها أكثر الأقباط وأعيانهم قاصدين الفتك بهم ولكن هؤلاء شعروا بهم قبل وصولهم وأغلقوا باب الحصن القديم وكان داخل سورة ستة كنائس وإستعد الأقباط للدفاع عن أنفسهم .

كما بلغ السلطان وجود عصابة أخرى تسعى إلى هدم كنائس الموسكى وحارة زويلة . وفى قلعة الجبل سمع السلطان ضجة عظيمة ورجسه منكره أفزعته فبعث لكشف الخبر فلما بلغه ما وقع إنزعج إنزعاجا عظيما وتعجب من جرأة العامة وإقدامهم على ذلك بغير أمره .

وأمر الامير ايدغمش أمير آخور أن يركب بجماعة الأشاقية ويتدارك هذا الخلل ويقبض على من فعله ، فأخذ أيدغمش يتهيأ للركوب وإذا بخبر قد ورد من القاهرة أن العامة ثارت فى القاهرة وخربت كنيسة بحارة الروم وكنيسة بحارة زويلة وجاء الخبر من مدينة مصر أيضا بأن العامة قامت بمصر فى جمع كثير وزحفت إلى كنيسة المعلقة بقصر الشمع فأغلقها النصارى وهم محاصرون بها وهى على وشك أن تؤخذ فتزايد غضب السلطان وهم أن يركب بنفسه ويبطش بالعامة ثم تأخر لما راجعه الامير أيدغمش ونزل من القلعة مع أربعة من الامراء إلى مصر وركب الأمير بيبرس الحاجب والامير الماسى الحاجب إلى موقع الحفر وركب الامير طينال إلى القاهرة وكل منهم معه عدد وافر من الرجال وقد أمر السلطان بقتل من قدروا عليه من العامة بحيث لا يعفو عن أحد فقامت القاهرة ومصر القديمة على ساق وهرب الغوغاء الناهبون فلم يظفر الأمراء منهم إلا بمن عجز عن الحركة لما غلبه من السكر بالخمر الذى نهبه من الكنائس

ولحق الامير أيدغمش بمصر القديمة وركب الوالى الى المعلقة قبل وصوله ليخرج من زقاق المعلقة من حضر للنهب فأخذه الرجم حتى فر منهم ولم يبق إلا أن يحرق باب الكنيسة فجرد أيدغمش ومن معه السيوف يريدون الفتك بالعامة فوجدوا عالما لا يقع عليه حصر وخاف سوء العاقبة فأمسك عن القتل وأمر أصحابه بإرهاب العامة من غير إهراق دم ونادى مناديه من بقى من العامة حل دمه ففر سائر من اجتمع من العامه ثم مضى وألزم والى مصر أن يبيت بأعوانه هناك وترك معه خمسين من الاوشاقية وأما الامير الماسى فإنه وصل إلى كنائس الحمراء وكنائس الزهرى ليتداركها فإذا بها هدمت عن آخرها وتحولت إلى أكواما من تراب وليس بها جدار قائم وينهب الناس مابها وعاد الامراء فردوا الخبر على السلطان وهو لا يزداد إلا حنقا فما زالوا معه حتى سكن غضبه وهكذا هدمت كنائس مصر والفسطاط جميعها أو معظمها وشمل الخوف جميع الأقباط الساكنين بمصر والفسطاط فلم يجسروا على الخروج من بيتهم وبقوا محبوسين فيها أياما وبعضهم تركها وسكن بابليون لحصانتها وعدم إمكان الهجوم والتغلب عليها بسهولة .

ويقول المقريزى .

وكان الامر فى هدم هذه الكنائس ضربا من العجب وهو ان الناس كـــانوا فـــى صلاة الجمعة من هذا اليوم بجامع قلعة الجبل فعندما فرغوا من الصلاة قام رجل من الاولياء وهو يصيح من وسط الجامع " إهدموا الكنيسة التـــى فـــى القلعـــة إهدموها واكثر من الهياج المزعج حتى خرج عـــن الحـــد فتعجـــب الســـلطان والأمراء من قوله ورسم لنقيب الحراس والحاجب بالفحص عن ذلك فإذا به يرى أنه قد هدمت الكنيسة ولم يفرغوا من هدمها حتى وصل الخبر بواقعة كنائـــس (مارمينا بالزاوية الحمراء) والقاهرة فكثر تعجب السلطان من شأن ذلك الفقـير وطلب القبض عليه فلم يوقف له على خبر .

وإتفق ايضا بالجامع الازهر أن الناس لما إجتمعوا فى هذا اليوم لصلاة الجمعـــة أخذ شخصا من الفقراء فى الاستعداد للقيام بعدما اذن وقبل ان يخرج الخطيـــب صرخ قائلا وإهدموا كنائس الطغيان والكفرة نعم الله اكبر وفتح لله ونصر وصار يزعج نفسه من الاساس الى الاساس فحدق الناس بالنظر إليه ولم يدروا ما خبره وإختلفوا فى أمره فقال احدهم هذا مجنون وقال آخر هذه إشارة لشئ فلما خـــرج الخطيب أمسك عن الصياح وطلب مقابلة هذا الرجل بعد إنقضاء الصـــلاة فلـم يوجد وخرج الناس الى باب الجامع فرأوا الناس ومعهم أخشاب الكنائس وثيـــاب النصارى وغير ذلك من النهب فسألوا عن الخبر فقيل قد نادى الســـلطان بـــهدم الكنائس فظن الناس الامر كما قيل حتى تبين بعد قليل ان هذا الامر كان من غير امر السلطان وكان الذى هدم فى هذا اليوم من الكنائس كنيســـة بحـــارة الـــروم وكنيسة بالبندقانيين وكنيستيين بحارة زويلة .

(ومن يوم الاحد ثالث يوم الجمعة الذى حدث فيه هدم كنائس القاهرة ومصـــر القديمة) ورد الخبر من الامير بدر الدين بيلبك المنسى والى الاسكندرية بأنه فى يوم الجمعة تاسع ربيع الاخر بعد صلاة الجمعة وقع فى النـــاس هـــرج ومـــرج وخرجوا من الجامع وقد وقع صياح هدمت الكنائس فركب المملوك مـــن فـــوره فوجد الكنائس قد صارت كوما من التراب وهدمت عـــن آخرهـــا وكـــان عـــدد الكنائس التى هدمت أربعة فى الاسكندرية واثنين فى البحيرة وفى نفـــس اليـــوم ذكر عن مدينة قوص ان الناس لما فرغوا من صلاة الجمعة قام رجل من الفقراء وقال ايها الفقراء إخرجوا اهدموا الكنائس وخرجوا من الجامع فوجدوا الهدم قـــد وقع فى الكنائس فهدمت ستة كنائس كانت ما بين قوص وماحولها فـــى ســـاعة واحدة وتواتر الخبر من الوجه القبلى والوجه البحرى بكثرة ماهدم فى هذا اليـــوم – وقت صلاة الجمعة وما بعده – من الكنائس والاديرة فى جميع اقليم مصر كله

ما بين قوص والاسكندرية ودمياط والغربية والشـــرقية ودمنـــهور والبهنســا وأسوان ومنفلوط والمنيا فإشتد ضيق السلطان على العامة خوفا من فساد الحـــال وأدرك ان هذه الحوادث دبرت قبل حدوثها وأراد ان يقـــاضى مدبريـــها فـــامر السلطان بالبحث عن رؤساء العصابة التى تســـببت فـــى هـــذا الفعـــل الذميـــم واحضارهم لديه ليجازيهم بما يستحقون على هذا الاعتـــداء والافـــتراء فخـــاف بعضهم إفتضاح الامر إذ كانت لهم يد فيها فقاموا فى تسكين غضبه وقالوا هـــذا الامر ليس من قدرة البشر فعله ولو أراد السلطان وقوع ذلك على هذه الصـــورة لما إستطاع وما هذا إلا بأمر الله سبحانه وتعالى وبقدرته لما علم من كثرة فســـاد النصارى وزيادة طغيانهم ليكون ماوقع نقمة وعذابا لهم اما الطرق والشوارع فى ذلك اليوم كانت مريعة جدا لانها كانت غاصة بالنـــهابين الحـــاملين منـــهوبات الكنائس وبيوت النصارى (١) .

ويذكر المرحوم جرجس فيلوثاوس عوض فى مجلته " المجلة القبطيـــة " العـــدد السابع سنة ١٩٠٧ م صفحة ٣٨٦ عن مسجد السيد البدوى بطنطا انه كـــان اولا هيكلا وثنيا (من البرابى المصرية) ثم تحول الى كنيسة كغيره ثم تحولت هـــذه الكنيسة الى جامع وهو يحتوى على نحو ٦٠ عمودا من الرخام الابيض ويغلـــب الظن ان تحويل الكنيسة الى جامع كان فى عهد تخريب الكنائس فى أيام السلطان الناصر بن قلاوون فى يوم الجمعة ٦ ربيع الاخر سنة ٧٢٠ هـ (٢١ بشـــنس ١٠٣٦ ش) (١٣٢٠ م) .

وكانت هذه الكنيسة الوحيدة فى طنطا وبتحويلها الى مسجد حرم أقباط طنطا مـــن تأدية شعائرهم الدينية بمدينتهم فاضطروا إلى الإلتجاء إلى بلدة تدعى ســـبرباى للصلاة فى كنيستها (٢)

د - حوادث حريق القاهرة

ويقول المقريزى (٣) لم تمض ثلاثون سنه على حادثة هدم الكنائس حتى وقعـــت حادثة كانت أعظم هولا من التى قبلها ذلك ان ظهر بمصر فجأة حريـــق هـــائل وصار يمتد بسرعة حتى كاد يلتهم جميع المدينة وكان رجال الحكومة يعملـــون على إطفاء النار ولكنه كان كل يوم يظهر حريق جديد وظن بعضـــهم مـــن اول وهله ان هذه الحرائق لابد ان تكون من فعل الاقبـــاط نظـــير هـــدم كنائســـهم

---

(١) المقريزى

(٢) اقباط مصر بين الماضى والحاضر (القس داود عزيز)

(٣) منسى يوحنا ص ٥١٠

وإضطربت البلاد إضطرابا عظيما وقام المتعصبون من العامة ينادون في الشوارع إن النصارى هم الذين أشعلوا النار .

وقد افاض المقريزى المؤرخ المسلم فى سرد هذه الحادثة وعنه استقى باقى المؤرخين إلا ان روح تعصبه ظاهره فيما كتب فهو يروى انه فى يوم جمعة من شهر يوليه من تلك السنة قبض على راهبين وجدا خارجين من مدرسة فتحقق ظن المتعصبون وسلموهما الى السلطان فأمر بتعذيبهما ولم يكد ينطق بالحكم حتى اتوه براهب آخر وجدوه فى جامع الازهر ومعه عدة أكياس فيها نفط وقطران وبتعذيبهم إعترفوا بأنهم رهبان دير يعرف بدير البغل (١) بجهة طرا وأنهم اربعة عشر وقد تعاهدوا على إحراق مصر والفسطاط إنتقاما من المسلمين على هدم كنائسهم وإنهم إقتسموا القاهرة ومصر القديمة فجعلوا للقاهرة ثمانية ولمصر القديمة ستة .

وفى أثناء ذلك ظهرت النار بدار القاضى كريم وهو من عائلة قبطية الاصل واسلمت من مدة فأستدعى إليه بطريرك الاقباط الذى أكد له انه لا يعلم شيئا عن هذه الحوادث كما تأسف له قائلا انما هذه الحوادث فعل سفهاء المسلمين والنصارى ولا لوم على الحكومة إذا أدبت مرتكبيها فسر كريم الدين بهذا الجواب الذى أزال الشك من جهة تواطئ النصارى عموما على إيقاع الاذى بالمسلمين وأمر باعداد بغلة يركبها البطريرك فى العودة إلى داره .

وفى صباح الغد بينما كان كريم الدين سائرا الى الديوان حسب عادته سخط عليه العامة وإتهموه بالكفر واجتمع حوله المسلمون واحاطوا به واوسعوه سبا وشتما لاخذه يناصر النصارى بعد أن ثبت له ادانتهم على احراق بيوت المؤمنين فلم يعبأ بهذه المظاهرة ولا بهذه التهديدات وظل سائرا فى طريقه حتى وصل الى دار السلطان واعلمه بما تحقق من أن هذه الحرائق لم يكن إلا من بعض سفهاء النصارى الذين أرادوا الانتقام من المسلمين على ما ارتكبوه ضدهم من الفظائع . فأمر السلطان بإستمرار تعذيب الرهبان حتى يعترفوا بأسماء الاغنياء من الاقباط الذين حرضوهم على هذا الفعل ولكن الرهبان إستمروا يحتملون العذاب بصبر . ولما لم يتحولوا عن كلامهم ارسل السلطان وهجم على دير البغل واتى بكل من فيه من الرهبان وامر بحرق اربعة منهم امام ذلك الجمع

---

(١) كان هذا الدير باسم القديس ارسانيوس وعرف باسم البغل نسبة الى ارسال المؤن والماء والاحتياجات الخاصة به من القاهرة عن طريق بغل او على ظهر بغل وتنيح القديس ارسانيوس بهذا الدير وله فيه مغارة كبيرة . وكان رهبانه ملكانيين اصحاب االطبيعتين للسيد المسيح (أى ليس ديرا قبطيا) .

المحتشد وانفجر بركان غيظ المسلمين على أثر هذه الحادثة وجالوا يبحثون عن الأقباط فى كل مكان ليوردوهم موارد العذاب دون أن يراعوا أوامر الحكومة فهجموا على بيوتهم ونهبوها وقتلوا من بها بغير رحمة ومن هرب منهم قتلوه فى الطريق . وكانوا إذا عثروا على واحد قبطى فى الشوارع يسلبونه ماله ويذبحونه . وقد أدت بهم الجرأة إلى أن إجتمع منهم كثيرون تحت قصر السلطان وإحتجوا لمعاملته النصارى بالرفق . فرآهم حينما كان نازلا من القلعة إلى الميدان وسمعهم يصيحون " نصر الله الاسلام " ويطلبون من السلطان أن يساعدهم على نصرتهم فلم يهتم بهم وسار إلى الميدان وقبل وصوله أخبر أن أثنين من الاقباط قبض عليهما وهما يحرقان منزلا فإحتدم غيظا وأمر بحرقهما أحياء أمام الجموع وبينما هم يحرقونهما إذا بكاتب ديوان الأمير بكتمر الساقى قد مر يريد بيت مولاه وكان نصرانيا فعندما عاينه العامة ألقوه عن دابته إلى الأرض وجردوه من جميع ما عليه من الثياب وحملوه ليلقوه فى النار فصاح بالشهادتين وأظهر الإسلام وأطلق واتفق حينئذ مرور القاضى كريم الدين بملابسه الرسمية فرجمه الرعاع بالحجارة وقذفوه بكلمات السباب المهينة فأراد أن يتوارى عنهم فلم يتمكن وظلوا يتبعونه حتى دخلوا خلفه ميدان السلطان الذى لما شاهد هذه الحماقة الزائدة أمر بإجراء التحقيق فأخبره الأميران سيف الدين وجمال الدين بأن القوم ثائرون ويلزم أن يسألوا عما يطلبونه والاوفق تهدئة لخواطرهم أن يأمر السلطان بطرد جميع الموظفين الأقباط من دواوين الحكومة . فإستهزأ السلطان بكلامهما وطلب من قائد جيشه أن يأخذ قوة عسكرية يجول بها فى كل شوارع القاهرة مبددا شمل دعاة الفتنة وحلف برأسه أنه أن لم يحضر له كل من رجم القاضى كريم الدين بالحجارة يعرض رأسه للقطع وأرسل مع القاضى أربعة أمراء كانوا يميلون سرا إلى جماعة الأوباش فأخطروهم بالامر قبل وصولهم إليهم فتفرقوا جميعهم وألقى القائد القبض على بعض الشحاذين وكل من شاهده فى الشوارع فإرتعب الاهالى وصاروا يطرحون أنفسهم فى نهر النيل . ولما أحضر المقبوض عليهم أمام السلطان وكان عددهم مائتى رجل أمر بالشنق على بعضهم وبالقتل على غيرهم وبقطع أيدى الباقين فبكوا بكاءا مرا وأقسموا أنهم لم يرجموا القاضى فلم يلتفت السلطان إليهم وأصر على مجازاتهم بما أمر فشنق بعضهم فى اليوم الاول وفى اليوم الثانى قطعت أيدى وأرجل ثلاثة منهم بحضرته وأمر أن يبقى المشنوقون معلقين حتى يراهم الجميع فإرتعدت فرائض الامراء وأخذتهم الشفقة ولكنهم لم يجسروا على طلب العفو منه وكان القاضى غائبا فلما حضر وشاهد جثث هؤلاء المنكوبين الحظ طرح نفسه أمام السلطان وإستعطفه ومازال به حتى عفى عن الباقين .

ولكن لم يبرح السلطان مكانه حتى وفاه خبر بأن النار علقت بجامع إبن طولون والقلعة وقبض على ثلاثة من الأقباط وقال المقريزى أيضا " أنه بإستنطاقهم إعترفوا جهارا أنهم من العصابة التى ألت على نفسها إحراق مصر والفسطاط " وسواء كان هذا الخبر صحيحا أم تذرع به المتعصبون ليشفوا غليلهم من الاقباط فإن الإشاعات هيجت الخواطر على أولئك المساكين . ودام الحريق سبعة أيام والناس يشنعون على السلطان لأنه لم يجب طلبهم ويطرد الاقباط من الحكومة فإغتاظ السلطان وصار يقتل كل من يجده نصرانيا كان أو مسلما.وإشتد السهياج على الاقباط حتى إختفى هؤلاء من الموت المحقق الذى كان يتهددهم وتحصنوا داخل بيوتهم لا يجسرون على الخروج منها ، لان من كانت الحاجة تدعوه إلى الخروج يقبض عليه ويقدم للمحاكمة بأنه شوهد يحرق بيتا أو جامعا .

وذات يوم حمل الرعاع قطعة قماش زرقاء رسم عليها صليب أبيض وجالوا يصيحون بنصرة الاسلام دون كل الاديان ولانريد فى البلاد دينا غير الاسلام أعنا ياأمير المؤمنين على النصارى ولا ينبغى أن تناصرهم علينا أنصرنا على أهل الكفر . ورأى السلطان أن نفوسهم مازالت متعطشة لشرب دماء الأقباط وأن ما أتاه من إحراق النصارى أحياء ليس كافيا لتسكين غضب المسلمين وإذ كان يعلم أيضا أن معظم هذه الفتنة مبنى على الطمع فى مابين أيديهم وسلب أموالهم فخشى معارضتهم وأرسل مناديا ينادى فى الناس أن من يجد نصرانيا ويقدر عليه ويقتله فله ماله فركض الاوباش يفتشون على الاقباط وياللهول ذلك الكرب الذى لحق بهم فكنت تراهم يجرون الوفا إلى المذابح والذين لم يهلكوا منهم ميزوهم بلبس خاص فأمروهم بأن لا يتزينوا بزى المسلمين وحكموا عليهم بلبس العمائم الزرقاء وبتعليق أجراس فى أعناقهم خوفا من أن يتدنس مسلم بلبسهم وحرموهم من التوظف بدوائر الحكومة أو الامراء وكان من الجائز ذبح كل قبطى يرى لابسا عمامة بيضاء أو راكبا فرسا أو بغلا وأمروا من يريد منهم أن يركب حمار بأن يركبه مقلوبا وإستمر القتل والنهب مدة أسلم فيها جماعة كثيرة حتى مل الفاتكون رؤية الدماء البشرية تسيل على الأرض فكفوا من تتبع أثر النصارى ولم يظل هذا السكون بل حدث فى الليلة التالية حريق هائل إنذوى بعده الأقباط فى كل مخبأ رأوه صالحا لإخفائهم من أمام عيون مضطهديهم وإستمروا مختبئين سنة ونصف أغلقت فى أثنائها كل الكنائس ولكن السلطان إستعمل الحكمة بأن أصدر أمرا يمنع إضطهاد النصارى وإشتغل بوضع قانون محكم يسيرون بموجبه (١) .

---

(١) كتاب تاريخ الكنيسة القبطية (للقس منسى يوحنا) ص ٥١٢.

ويحصى المقريزى المؤرخ المسلم الكنائس التى خربت قائلا :

كنيسة فى خرائب التتر بقلعة الجبل وكنيسة الزهرى فى الموقعع الذى فيه بركة الناصرية وكنيسة الحمراء وكنيسة السبع سقايات وكنيسة بحارة الروم وكنيسة البندقانيين وكنيستان بحارة زويلة وكنيسة بخزائن التتر وكنيسة بالخندق وأربعة كنائس بثغر الاسكندرية وكنيستان بدمنهور وأربع كنائس بالغربية وثلاثة كنائس بالشرقية وستة كنائس بالبهنسا وبأسيوط ومنفلوط ومنية الخصيب ، ثمان كنائس وبقوص وأسوان إحدى عشر كنيسة وبأطفيح مركز الجيزة كنيسة وبقصر الشمع ومصر القديمة ثمان كنائس . وضرب من الديارات شئ كثير وظل دير شهران ودير البغل مدة ليس فيهما أحد من الرهبان وقد حدث هذا الخراب وتلك المصائب فى وقت قصير جدا بالقياس على التحولات التاريخية الأخرى إذ لم يقع مثلها عبر التاريخ البشرى أو الثورات العالمية فى مثل هذا الوقت القصير وقد هلك فيها من الانفس وتلف فيها من الاموال وخرب فيها من الاماكن ما لا يمكن وصفه لكثرته بالإضافة الى ذلك وخاصة بعد حالة الهدوء النسبى التى أعقبت فترة الحرائق العامة أصدرت الاوامر بمنع النصارى بالتظاهر بالأبهة وركوب الخيل والتجمل بلبس الثياب المصقولة والعمائم البيضاء (١)

وساطة ملك برشلونه وملك القسطنطينية

يذكر المقريزى أن الملك الناصر قلاوون أمر بغلق جميع كنائس النصارى وبقيت مغلقة أكثر من سنة ونصف وفى هذه الفترة جاء إلى مصر وفد من ملك برشلونه (أسبانيا) يحمل فدية لأسير كان قد أسره السلطان ، فلما شاهد رجال هذا الوفد ما يقع على رؤوس الاقباط من الظلم والبلاء إنذهلوا وجزعوا جدا ولم يطيقوا رؤية هذا الجو الفظيع والذل ودفعتهم حميتهم أن يطلبوا من السلطان فتح الكنائس مقابل مبلغ من المال يدفعونه له وقد توسط ملك القسطنطينية وملك أسبانيا وقاموا بإرسال وفد فأذن السلطان بفتح كنيستين أحدهما للاقباط والثانية للروم الارثوذكس (٢)

---

(١) تاريخ الأمة القبطية (يعقوب نخله روفيله) ص ٢٣٥

(٢) تاريخ الكنيسة القبطية (منسى يوحنا) ص ٥٠٧

ويقول المقريزى أيضا

أن السلطان لم يجب طلب هذين الملكين إلا لكونهما بعثا إليه بهدايا عظيمة على يد مندوبين من قبلهما (١) .

ومما يؤسف له أن السلطان مثل بالوفد تمثيلا شنيعا وهكذا إنتهت هذه الحادثة المؤسفة المشؤمة التى أخذت كثيرا من المسلمين والنصارى (٢)

كما أن الاعمال الانتقامية التى قام بها الاقباط قد دبرتها سرا رؤوس جماعة كانت تعتقد انها بعملها هذا تستطيع ان تقنع الاغلبية بالعدول إلى التعقل والإعتدال فى معاملة الاقباط .وإستنكار البطريرك لهذه الاعمال الإنتقامية كان دليلا على ان هذه الأعمال غير مرغوبة لدى الاقباط عامة .

وعلى أى حال فإن تدخل السلطان أنقذ الأقباط مرة اخرى من استفحال الكارثة على الرغم ان بعض المؤرخين ينسبون هذه الحوادث إلى دسائس المماليك الذين كانوا يحسدون الأقباط على نفوذهم فى الدواوين .

هـ - حادثة هدم كنيسة الست بربارة سنة ٧٢٨ هـ :

حدث فى سنة ١٣٢٩ م لما علم ملك الاحباش بما حل بنصارى مصر ارسل رسولا بكتاب منه الى السلطان يعاتبه فيه على هدم الكنائس وقتل الابرياء ويذكره بالمعاهدات التى بين سلفائه ملوك مصر السابقين وطلب منه ان يعيد بناء الكنائس التى خربت وإلا سوف يقوم بهدم كل جوامع المسلمين التى ببلاده وإذ كانت الحادثة التى شرحناها قد خمدت ولم يرد ان يحرك فيها ساكنا خوفا من إعادة إشتعال نارها صرف الرسول بغير جواب غير أنه لما هدأت الحال وعاد النظام لم يفت السلطان مصالحة النصارى بأن صرح لهم ببناء بعض الكنائس التى هدمت بناء على طلبهم ذلك منه على شرط ان لا يتوسعوا فيها أو يزيدوا عليها شيئا مما كانت عليه قبل الهدم غير ان بعضها هدم بعد تمام عمارتها بدعوة انها لم تبن على حالها القديمة او انهم زادوا فى زخرفتها وإعلاء بناءها(٣) . ومنها كنيسة للست بربارة حيث رفع النصارى طلبا الى السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون يسألون الإذن فى إعادة بناء كنيسة الست بربارة فأذن لهم فى ذلك فعمروها أحسن مما كانت فغضبت طائفة المسلمين ورفعوا قضية الى

---

(١) الخطط (للمقريزى)

(٢) تاريخ الأمة القبطية (يعقوب نخله روفيلة) ص ٢٣٥

(٣) الخطط للمقريزى جـ ٢ ص ٥١١

السلطان بأن النصارى أحدثوا بجانب هذه الكنيسة بناء لم يكن فيها فرسم للامير علم الدين سنجر والى القاهرة بهدم ما احدثوه فركب وقد إجتمع خلق كثير فبادروا وهدموا الكنيسة كلها فى أسرع وقت وأقاموا فى موقعها محرابا اذنوا وصلوا وقرأوا القرآن كل ذلك بأيديهم فلم يتمكن الاقباط من معارضتهم خشية الفتنة فإشتد الامر على النصارى ولم يكن أمامهم إلا انهم شكوا أمرهم للقاضى كريم الدين فقام وقعد غضبا لدين إسلامه ومازال بالسلطان حتى رسم بهدم المحراب فهدم وصار موقعه كوم تراب وبقى على هذا الحال (١) .

ومما يدل على حطة الحال التى انتهى إليها الاقباط التعساء أيضا هو أنه حدث أن قبطيا من موظفى الحكومة كان يداين رجلا يهوديا بمبلغ من المال فلما طرد من وظيفته واصبح محتاجا لماله ، فتوجه لمنزل اليهودى وطالبه بماله عنده فتظاهر اليهودى بأن القبطى كان عازما على الفتك به فصرخ وإستنجد بالعامة فتجمهر حوله كثيرون من المسلمين بقصد الإيقاع بالقبطى ولكن هذا دخل الدار واحتمى بزوجة اليهودى ووافقت على العفو عنه بشرط أن يتنازل عن الدين فقبل ليفوز بحياته (٢) .

وهكذا أنتهت هذه الحوادث المشئومة التى أضرت كثيرا بالمسلمين والنصارى إذ مما تقدم يتضح أنه لم يخل الحال من وجود تواطئ وإتفاق سرى على إيقاع الضرر بالنصارى والمسلمين وبعضهم ينسب هذا إلى دسائس المماليك الذين كانوا يحسدونهم على ما بين أيديهم ومالهم من النفوذ فى الدواوين فإستعانوا على تنفيذ مآربهم بالاوباش الذين كانوا فى ضنك بسبب المظالم التى تقدم وصفها ووافقهم على ذلك بعض جهلاء المسلمين أما عقلاءهم فكانوا فى كدر من جراء ذلك ولاسيما لعلمهم أن هذا الاضطهاد يجر الاقباط إلى الاقبال على الاسلام فيبقون فى مراكزهم ويزداد نفوذهم فينتقمن لانفسهم بغير مبالاه ولكن كانت هذه الافكار السليمة قاصرة على بعض الافراد ولما أشتد الهياج لم يتجرأوا على إظهارها لئلا يصيبهم أكثر مما أصاب كريم الدين ومانجم عنه من الاذى الذى حل بالذين لا يستبعد أنهم كانوا أبرياء (٣) .

(١) تاريخ الكنيسة القبطية (منسى يوحنا) ص ٥١٢

(٢) تاريخ الكنيسة القبطية (منسى يوحنا) ص ٥١٣

(٣) تاريخ الكنيسة القبطية (يعقوب نخله روفيله) ص ٢٣٦

الخطط للمقريزى جـ ٢ ص ٥١١

ومع أن هذا السلطان منع النصارى من التظاهر بالأبهة وركوب الخيل والتجمل بلبس الثياب المصقولة والعمائم البيضاء إلا أنه من جهة أخرى لم يخل منهم دواوين الحكومة بالمرة لعدم إمكان تسيير أعمالها بدونهم ولاسيما الحسابية ولكن يظهر أنه جردهم من الرئاسة والوظائف الإدارية ومن ثم إقتصروا على الحسابية منها فتفننوا فيها وجعلوا لها قواعد وروابط دقيقة لم يتسنى لغيرهم إتقان معرفتها فصاروا يمارسونها للآن وبذا حفظوا لانفسهم مراكز هامة فى الحكومة

٦ - عهد الملك الصالح وأعماله ضد النصارى سنة ١٣٥٢ م وتولى المعتضد بالله سنة ١٣٥٣ م

كان عهده عهد شؤم وكارثة كبرى على الاقباط فذكر المقريزى أن للقبط قبل حكمة كان لهم مركزا مختارا لدى أمراء الدولة وكانوا يرتدون الملابس الجليلة الفاخرة ويركبون الخيل والبغال المطعمة مما كان يغيظ عوام المسلمين (العامة) من تعاظم النصارى وإعتبروا أن ذلك خروجا منهم عن الحد فى الجرأة واللياقة إلى أن أتفق أيام الملك الصالح مرور أحد كتاب النصارى على الجامع الازهر بالقاهرة وهو راكب جواده وقدامه طرادون يمنعن الناس من مزاحمته وخلفه عدد من العبيد بثياب مهلهله فشق ذلك على جماعة من المسلمين فثاروا عليه وأنزلوه من فرسه وقصدوا قتله بلا ذنب ولا جريمة لولا تدخل البعض فى أمره وتمكنهم من أنقاذه (١)

ومن أشهر الحوادث فى أيامه :-

حادثة الرجل الذى أجبر على دخول الإسلام

أتهم أحد النصارى أنه حفيد رجل كان قد أعتنق الاسلام فحكم القاضى على هذا النصرانى بأن يدخل الاسلام وألقاه فى السجن ليجبره على ذلك فذهب النصارى جميعا لمقابلة الحاكم وتمكنوا من إطلاق صراح الرجل فى حلكة الليل وفى اليوم التالى توجهت الجماهير إلى منزل القاضى وكان الحاكم قد إستدعاه ولامه لوما شديدا على ما إتخذ من إجراء غير أن الجماهير لم يروق لها الافراج عن النصرانى فأغلقت الحوانيت وأخذت تقذف الحاكم بالحجارة فإضطر إلى مغادرة المدينة ثم توجهت الجماهير نحو الكنيسة التى بجوار هذه المنطقة فخربتها وأحرقت الصلبان والصور التى بها ونشبت القبور وأحرقت الجثث وألقتها فى النيران وبعد ذلك قرروا مهاجمة النصارى القاطنين فى تلك المنطقة (٢)

---

(١) الخطط للمقريزى ص ٤٠٥

(٢) أقباط ومسلمون (د.جاك تاجر)

ولما أرتبكت أحوال البلدة قدم الحاكم تقريرا الى السلطان يشكو فيه من تصرف قاضى البلدة وتبعه الاقباط بشكوى أخرى إلى الامير حسام بالقاهرة يطلبون فيها إعادة بناء كنيستهم فلما تقدم القاضى ليحاكم أمام حاكم القاهرة وبخهم أحد المشايخ لمحاكمتهم لقاضى مسلم من أجل إضطهاده للنصارى غير أن الحكام أصروا على ضرورة عزل القاضى فعزل .

حادثة حفيد عائلة زينور (علم الدين)

إدعى العامة على رجل نصرانى من عائلة زينور بأن جده كان قد أسلم وهو لا يزال باقيا على نصرانيته فحكم عليه بالقتل وكان باقيا من هذه العائلة رجل كان قد أسلم وسمى بعلم الدين حصلت بينه وبين أحد الافراد منافسه فإدعى عليه بشهادة بعض الشهود الكاذبين أنه يدعى الاسلام وهو لايزال باقيا على نصرانيته وزوجته باقية على دين النصارى لم يتركها أو يكرهها على الاسلام وإستفتى العلماء فأفتوا بأن إذا كانت هذه حالة فأنه يستحق الحرق لا محاله فقبضوا عليه وصاروا يعزبونه حتى مات وكان ذو ثروة طائلة فإستولوا على كل ماله ونهبوا داره وأحضروا زوجته وصاروا يضربونها بالسياط حتى ماتت وقتلوا أبنه أيضا قبل موته (١) .

وبعد ذلك أمر أن تمنع النصارى من المباشرة ويستثنى من ذلك ديوان السلطان ودواوين الامراء وأن لا يكره أحد منهم على إظهار الاسلام فتسلطت العامة عليهم نتيجة لذلك وتتبعوا أثارهم وأخذوهم فى الطرقات وقطعوا ماعليهم من الثياب وأوجعوهم ضربا ولم يتركوهم حتى يسلموا (كرها) وصاروا يشعلون لهم النار ليلقوهم فيها فإختفوا فى بيوتهم ولم يتجاسروا على السير وسط الناس وإشتد الامر على النصارى حتى أنهم إختفوا من الطرقات فلم ير منهم ولا من اليهود أحد ولم يكتف المسلمون بهذا الجحود فى المعاملة بل قدموا طلبا جديدا إلى الحكومة إدعوا فيه أن الاقباط بدءوا ينهضون لتجديد كنائسهم وتوسيع مساحتها وطلبوا من السلطان أن يسمح لهم بإضطهادهم فأمر والى القاهرة أن يبحث هذا الامر ولكن العامة أبوا الانتظار وشرعوا فى هدم الكنائس فهدموا كنيسة بجوار قناطر السباع وكنيسة بطريق مصر القديمة الغمارين بالجوانية (٢) بالقاهرة.ودير نهيا بالجيزة (٣) وكنيسة بولاق الدكرور ونهبوا حواصل ما خربوه

---

(١) تاريخ الامة القبطية (يعقوب نخله روفيله)

(٢) كنيسة الملاك ميخائيل

(٣) دير بأبوا رواش كان به كنيستان الاولى بإسم القديسة العذراء مريم والثانية بإسم مريم ومرثا أختا ليعازر .

من ذلك وكانت كثيرة جدا وأخذوا أخشابها ورخامها وهجموا على كنائس مصر القديمة وأيضا كنيسة البندقانيين بالقاهرة .

كما يذكر المقريزى أنه فى أيام الملك الصالح سنة ١٣٥٢ م أن الرعاع والغوغاء والعامة هدموا كنيسة شبرا الخيمة كما نهب العامة من الكنيسة قبل هدمها أكثر من ٤٠ ألف جرة نبيذ (١) . **وبعد ذلك أصدر الملك الصالح الاحكام التالية :**

إلى جميع أعمال مصر وبلاد الشام أن لا يستخدم يهودى ولا نصرانى فى الدواوين وغيره حتى ولو اسلم وأن من أسلم منهم لا يمكن من العبور إلى بيته ولا من معاشرة أهله وأن يلزم بملازمة المساجد والجوامع وأن من مات من أهل الذمة يتولى المسلمون قسمة تركته على ورثته إن كان له وارث وإلا فهى لبيت المال . وكان من قبل يتلقى البطريرك ذلك (أى ترث الكنيسة أو البطريرك تركة من يموت من النصارى إذا مات ولم يكن له وارث شرعى) .

وقد تناقلت الأخبار بسرعة من الاقاليم البحرية والقبلية لكثرة وطأة الإضطهاد وهدم الكنائس والمعابد والاديرة .

ويذكر المقريزى أنه ما أن تسلم حكام الأقاليم أوامر السلطان السابقة حتى سمع أن الاقباط فى كل مكان يقبلون بكثرة على إعتناق الديانة الاسلامية وتعلم القرآن وحولت كنائسهم إلى مساجد وأنه قد أسلم فى بلدة قليوب فى يوم واحد أكثر من ٤٥٠ قبطيا كما قدم إلى السلطان الصالح تقريرا يدفع بما للكنيسة من أملاك موقوفة فأحيل على ديوان الأوقاف لخطة ومعرفة ماتضمنه ووجد مقدار الأطيان الموقوفة ٢٥ ألف فدان فقرر السلطان بأن ينعم بها على الامراء فإغتصبت من المسيحيين وأعطيت لهم وكان ذلك داعيا لهدم كنائس أخرى ولكن الله المنتقم الجبار لعبيده الابرار لم يمهل الملك الصالح بل أسرع فى مجازاته على أعماله فسلط عليه أخاه حتى قام عليه وخلعه وتولى الحكم بعده فكان خير عقاب على ما إقترفته يداه ضد شعب الله المسيحى .

٧ - الملك الناصر حسن (١٣٥٥ م - ١٣٨١ م)

كان الحاكم المتصرف فى أيامه هو الامير يلبغا وكان محبا للاقباط ولكن بعض الرعاع قبضوا على قبطى فى سنة ١٣٦٩ م وعذبوه عذابا أليما حتى مات بحجة أنهم إشتبهوا فيه بأنه ساحر وأنه تسبب فى وفاة زوجة الملك الشاب وهى إبنة الامير تاج الدين .

---

(١) تاريخ الكنيسة القبطية للقس منسى يوحنا الخطط للمقريزى (ص ٢٩٢)

أما أمر الموظفين الاقباط المطرودين فأنه لم يمض زمن حتى دعت الضـــرورة إلى إعادتهم للخدمة وفى تلك الايام وفد على مصر سائح إنجليزى كتب يقـول أن ملك مصر عرض عليه أن يسلم ويزوجه بنته ثم أضاف قائلا أن السلطان قال له أن النصارى بسبب معاصيهم خسروا مصر وسوريا ولو عبـدوا الله حقـا لمـا إستطاع أحد أن يقهرهم وان المسلمين يعتقدون أنه يجئ زمن عندمـــا يخلــص النصارى النية نحو الخالق سبحانه وتعالى يسودوا على أرض مصر كلها.

ولما هدأت الحال وزال الشقاق والخصام من بين المسلمين والنصارى ، حـــول السلطان نظره إلى تحسين حال الحكومة ، ولكى لا يحول دون تنفيذ مأربه حائل أشغل عامة الناس الذين لاشغل لهم ولا عمل فى إقامة المبانى المشيدة فبنى عـدة مدارس وجوامع ومارستانات ومستشفيات وقناطر وأعاد ايضا فحت الخليج الذى كان يصل الاسكندرية بنهر النيل وقد تهدم بسبب إختلال الاحوال وأقام الجســور والسدود فراجت الحال وإنفتح باب الرزق فى اوجه الناس ولم يبق احــد بغـير عمل وتوفرت أسباب المعايش فلم يشك احد من الجوع او الم الفقر إلا من كـــان الكسل طبعه ولكن لم يرض هذا بعض المماليك والامراء الذيـن ألفـوا السـلب والنهب وإثارة الفتن والقتال فأشغلهم السلطان عن التمكن مـن مقـاصدهم بـأن ارسل الكثير منهم الى الاقطار السودانية وبلاد النوبة لغزوهـا وتـأييد سـلطة المملكة المصرية عليها وبذا تمكن السلطان الناصر من تنفيذ أغراضه وبقى بغير منازعة أو مقاوم باقى أيام حياته (١) .

٨ – الملك المنصور سنة ١٣٨١ م

ولما مات السلطان الناصر تولى المملكة بعده ولده الاكبر ولكن لم تمض أربعون يوما حتى عاد أشرار المماليك وأمرائهم من الاقطار السودانية وعزلـوه ونفـوه وهتكوا أعراض نساء أبيه ونهبوا كل ماله . وكان للناصر ثمانية أولاد فصـاروا يتولون المملكة واحد بعد الآخر ولم يكن لهم فيها غير الإسم فقط فوقعت البـلاد فى الفوضى بسبب قتال المماليك مع بعضهم ومحاولة كل فريق منهم الاسـتيلاء على البلاد والإستقلال بها أما اعمال الحكومة ودواوينها فكانت فى قبضـة يـد الموظفين المصريين من النصارى الذين أسلموا والباقين على دينهم فقاموا بـها أحسن قيام ولذا راجت حال النصارى وتمتعوا بما لهم مـن الحقـوق الوطنيـة بمساواتهم بالمسلمين فعادوا الى التظاهر والتجمل باللباس والتأنق فى المأكل

---

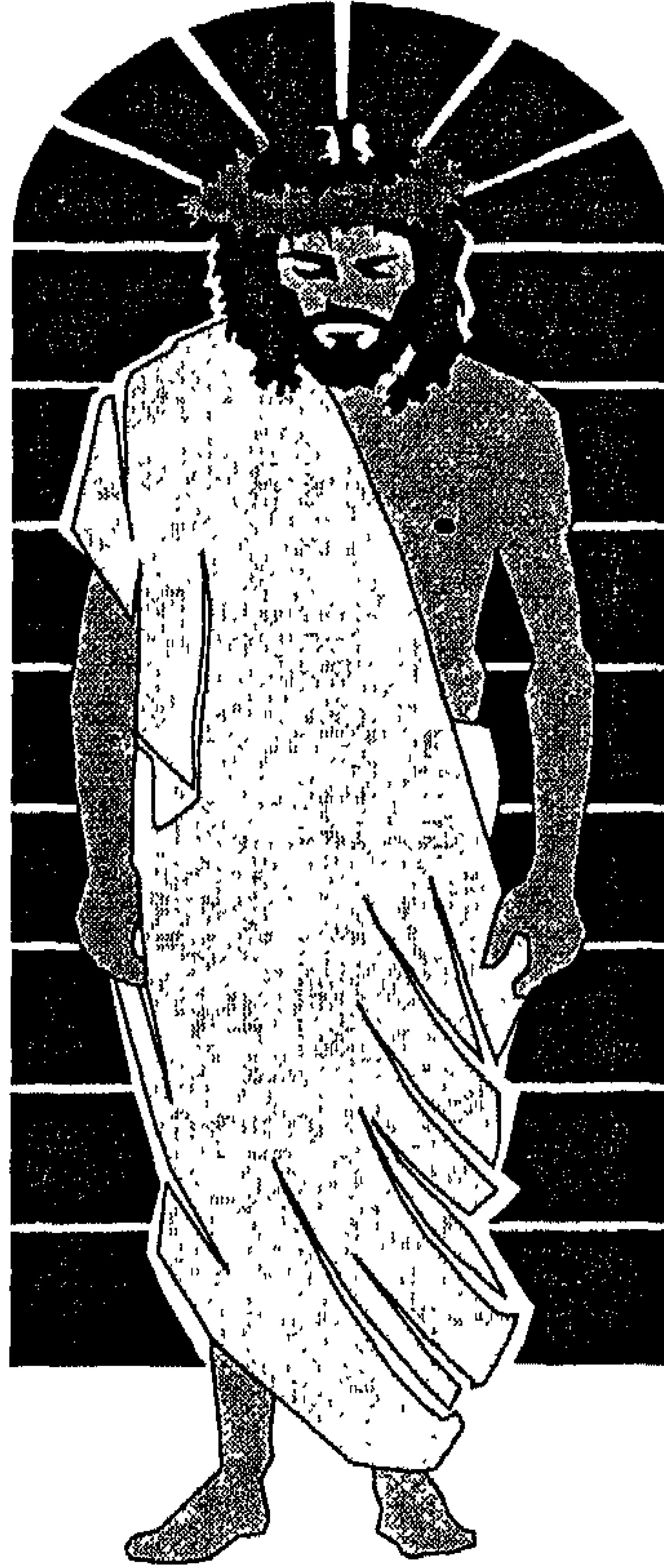
(١) تاريخ الكنيسة القبطية للاستاذة إيريس حبيب المصرى

وركوب جياد الخيل وإتخاذ الخدم وشراء العبيد والجوارى (١) .

وإنتشرت فى أيامه ثورات ضد الاقباط رغم منع الحكومة إضطهادهم فقد حـدث أن قبطيا يدعى ميخائيل أعلن إسلامه فتهلل به المسلمون وألبسوه حلـة فـاخرة وأركبوه بغلا للسلطان وطافوا به المدينة بموكب عظيم ورقوه الى مركزسام فـى الحكومة وبعد إرتداده بثلاث سنوات لقب بالجاحد شعبان وفى نهاية حكم الملـك المنصور إختل النظام وفشل حال الرعية

حقيقة ينبغى أن تقال :

ومن مظاهر وطنيه الاقباط فى القدس وفى طنيسة القيامه بالذات جعلوا أن يقـوم على حراسة ابواب كنيسة القيامة عائلتان إسلاميتان هما عائله آل جوده وعائلـة آل نسيبه وقد اتفق ان آل جوده هم الذين يحتفظون بمفاتيح الكنيسة وان آل نسيبة هم الذين يفتحون الكنيسة فى مواعيدها المقررة ومتى فتح هؤلاء الباب اعـادوا المفاتيح الى اولئك وهكذا دواليك.



(١) كتاب تاريخ الكنيسة القبطية (للقس منسى يوحنا)

" الفصل الثانى "

قديسوا الكنيسة وعلماؤها وأراخنتها
فى عصر المماليك البحرية

ما أغنى الكنيسة القبطية بقديسيها وعلمائها فى كل الاجيال حتى أنه من المستحيل أن يحصى الانسان كل القديسين فى فترة تمتد نحو ١٣٠ سنة لكن نقدم بعض النماذج

أولا : الآباء البطاركة فى عصر المماليك البحرية (١٢٥٠ م - ١٣٨٢م)

عاصر حكم المماليك البحرية الذى إستمر حكمهم ما يقرب من (١٣٢) عاما ١١ من الآباء البطاركة إبتداء من البابا أثناسيوس الثالث (الـ ٧٦) إلى البابا غبريال الرابع البطريرك (الـ ٨٦) وسوف نتكلم قليلا عن هؤلاء البطاركة وعن الاحداث الجسام التى حدثت فى عهودهم والتى أثرت فى الكنيسة والشعب القبطى وما عاصره من مشاهير وقديسى الكنيسه وعلمائها وأساقفتها وأراخنتها فى هذه الفترة .

البابا أثناسيوس الثالث (الـ ٧٦) (١٢٥٠ م - ١٢٢٨ م)

كان شماسا وسيم قسا بإسم بولس ولقب بـ " ولد القس مكارم بن كليل " وكان مركز رئاسته بكنيسة المعلقة .

وعاصر كثير من الولاه منهم شجرة الدر والملك المعز وموسى الاشرف والمنصور والمظفر والملك الظاهر بيبرس .

ويذكر أنه عندما جلس البابا أثناسيوس على الكرسى بذل ما فى وسعه لاصلاح ما أفسده سلفه (البابا كيرلس الثالث الشهير بن لقلق) فضغط على الاساقفة الذين إرتقوا لتلك الوظيفة الكهنوتية بواسطة المال (السيمونية) الإسلوب الذى تميز به البابا كيرلس بن لقلق . فعاملهم بقساوة عظيمة فمن الاقباط من إستصوب بتلك الصرامة ومنهم من إستهجنها فكانت سببا فى أن ترك كثير من الاساقفة الاقباط الايمان الارثوذكسى وفى أيام هذا البطريرك حدثت عدة حوادث نذكر منها حادثة شرف الدين أبو القاسم هبه بن صاعد . التى ذكرت فى عهد الامير عز الدين أيبك أول سلاطين المماليك وكان عهده كارثة على الاقباط .

وتنيح هذا الاب فى اليوم الاول من شهر كيهك المبارك سنة ٩٧٨ ش الموافق ٢٧ نوفمبر سنة ١٢٦١ م ودفن فى كنيسة القديس مرقوريوس أبو سيفين (١) .

---

(١) تاريخ البطاركة الجزء الثانى ص ١٥ (كامل صالح نخله) .

البابا يؤانس السابع البطريرك (الـ ٧٨) (١٢٦٢ م - ١٢٦٨م) ، (١٢٧١ م -١٢٩٣م)

كان راهبا بأسم يوحنا وبعدما سيم بطريركا كان يدعى إبن أبى سعيد السكرى . وقد عاصر كثير من الملوك والولاه منهم الملك الظاهر ونصر الدين والملك العادل والسلطان قلاوون والاشراف خليل والملك الناصر وذلك لانه ظل على الكرسى البطريركى ما يقرب من ٢٩ عاما ونظرا لطول المدة التى قضاها على الكرسى البطريركى جرت على النصارى فى أيامه شدائد كثيرة يطول شرحها وقاسى الاساقفة من الضيق والظلم والاستبداد ما لايمكن حصره .

ومن أشهر الحوادث فى عصره

١) حادثة الراهب الحبيس التى كانت فى أيامه وفى عهد الظاهر بيبرس وقد ذكرت من قبل ص ٢٧٤.

٢) حادثة إنتشار التكايا التى كانت أيام الملك المنصور قلاوون ٦٨٢ هـ وذكرت من قبل فى عهده ص ٢٤٩.

٣) حادثة عين الغزال والسمسار التى كانت أيام الملك الاشرف وذكرت من قبل ص ٢٧٨

٤) ويذكر أن فى أيامه سنة (٦٧٨ هـ) وفى عهد الملك المنصور قلاوون أنه بمجرد ما إستقل بالملك وإستلم زمام الحكم كان أول شئ عمله هو أنه أصدر أمرا بطرد جميع الكتاب النصارى من ديوان الجيش وإستخدم بدلهم من المسلمين(١)

وفى نفس اليوم الذى قامت السلطة بتنفيذ هذا القرار هدم دير الخندق (دير أو أرض الانبا رويس بالعباسية) ولم يترك فيه حجر على حجر وإشترك جمع غفير فى أعمال التخريب وكانت هذه الحادثة تقريبا سنة ١٢٨٠ م (٢) وتنيح البابا يؤانس فى ٢٦ برموده سنة ١٠٠٩ ش الموافق ٢١ أبريل سنة ١٢٩٣ م ودفن فى دير النسطور بالبساتين فى أيام السلطان الملك الناصر (٣) .

البابا ثيئودوسيوس الثانى البطريرك (الـ ٧٩) (١٢٩٤ م - ١٣٠٠ م)

تخرج من دير أبو فانه وكان يدعى قبل البطريركية بأبن زويل الافرنجية نظرا لان إرتقاءه على الكرسى البطريركى يخالف الناموس والشريعة لانه فرض عليه

---

(١) تاريخ الامة القبطية (يعقوب نخله روفيله) ص ٢٠٨

(٢) أقباط ومسلمون (د. جاك تاجر) ص ١٧٦

(٣) تاريخ البطاركة الجزء الثانى من ص ٢٢ (كامل صالح نخله)

فرضا ولانه كان محبا للرشوة وقد أظهر الله غضبه فحدث فى أيامه فناء عظيم فى البلاد وغلاء فاحش وإنتشار مرض الطاعون بسبب قلة زيادة المياه وإضطر الناس إلى أكل الميتة (١)

ويذكر التاريخ قائلا أنه حدث فى أيام هذا البطريرك (قبل نهاية القرن السابع الهجرى) مصائب عظيمة وويلات كثيرة بسبب إنقسام المماليك إلى احزاب فكان القبط أعظم ضحية لهذه المصائب والبلايا واضطهاد الحكام لهم والزامهم فى هذه الأيام الصعبة بدفع غرامات طائله وزيادة الجزية فمات خلق كثير واسلم كثير منهم بعضهم املا فى التخلص من المظالم وبعضهم طمعا فى التقدم فى الدواوين والمناصب العالية رغما عما كانوا يشاهدونه من الغدر بالمتقدمين فى الحكومة ونهب أموالهم وقتلهم والاستيلاء على جميع ممتلكاتهم ومقتنياتهم ولكن الانسان ميال بالطبع إلى حب التقدم والطمع فى الارتقاء إلى المناصب وقل من يعتبر بغيره (٢) .

وقد عاصر هذا البطريرك الملك العادل والملك الناصر محمد بن قلاوون والذى تنيح فى ايامه فى أول يناير سنة ١٣٠٠ م ودفن فى دير النسطور بالبساتين .

البابا يؤانس الثامن البطريرك (الـ ٨٠)

كان راهبا بدير شهران (الانبا برسوم العريان حاليا) وكان رئيسا له ويدعى يوحنا بن إبسال وعندما أختير للبطريركية كان يلقب بابن القديس والمؤتمن . وقد سيم فى أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون الذى كان عهده عهد شؤم وكارثة كبرى على الاقباط كما حدث فى أيام رئاسة هذا البابا إضطهادات شديدة على الاقباط حتى ضجروا مما فرض عليهم من العوايد العديدة وسوء المعاملة وشدة الاضطهاد بزعامة أحد وزراء المغرب الذى أتى الى مصر بقصد إتمام فريضة الحج فلم يرق له أن القبط يتولون أمور البلاد المالية فحرض الامراء على إذلال المسيحيين فى البلاد بكافة الوسائل المؤدية إلى إضطهادهم بطرق تأباها الانسانية

---

(١) كتاب تاريخ البطاركة الحلقة الثانية ص ٢٤

(٢) تاريخ الامة القبطية (يعقوب نخله روفيله) ص ٢١٤

ومن أشهر ما حدث فى أيامه ما يأتى : -

١) حادثة وزير ملك المغرب التى ذكرت سابقا .ص ٢٥٣
٢) حادثة إلغاء عيد الشهيد التى ذكرت سابقا .ص ٢٥٥
٣) كما ذكر الرواه المسلمون أن كنائس القاهرة أقفلت عدة أيـــام ويقــول أبــو الفضائل أن هذه الكنائس ظلت مغلقة لمدة قصيرة وأن الاديرة الموجــودة فـــى الضواحى وغيرها لم تمس بسوء فضلا عن كنائس الاقاليم ولكن إذا إنتقلنا إلـــى الاسكندرية وجدنا أنه حين وصلت الاوامر إليها بدأت فى هدم الكنائس ومنـــازل النصارى (١)

وقضى البابا يؤنس على الكرسى الرسولى مايقرب من ٢٠ ســنه كــانت كلــها مفعمة بالاحزان وشديدة الوطأة عليه وعلى أبنائه المسيحيين حتى أراحه الله مــن متاعب هذه الحياة ومشقات الاضطهاد وإنتقل فى ٢٩ مايو سنة ١٣٢٠ م ودفــن بدير شهران فى أيام الملك محمد بن قلاوون (٢) .

البابا يؤنس التاسع البطريرك (الـ ٨١)

كان يدعى الراهب يؤنس النقادى وقدم بطريركا بإسم البابا يؤنس التاسع فـى ٢٨ سبتمبر سنة ١٣٢٠ م . وفى أول عهد رئاسة البابا يؤنس التاسع جــرت علــى النصارى شدائد كثيرة فقتل منهم من قتل (٣) وحرق من حــرق وأسـلم منــهم الكثيرون وأشهروهم على الجمال وألبسوهم العمائم الزرقاء وهدمـــوا الكنـــائس ونهبوها .
وقد أجمع المقريزى هذه الحوادث فى جملة واحدة حيث قال فى يوم الجمعـة ١٩ من ربيع الآخر سنة ٧٢١ هـــ هدت كنائس مصر فى ساعة واحدة كما ذكر فـــى أخبار كنيسة الزهرى (٤) وقد أتى بتفاصيل هذه الحوادث كما ذكرنا من قبل حيث ذكر الهجوم على الكنائس فى الوجهين البحرى والقبلى وحريق مصر والقـــاهرة وبراءة اقباط مصر من جريمة الحرق وآثار الحريق والخــراب والرمــاد فـــى القاهرة ومصر وذكرت تفاصيلها سابقا . كما ذكر انه وقع اخيرا الحريـــق فـــى بيت الماسى الحاجب من القلعة وكانت الريح شديدة فقويت النار وصارت الـــى بيت الامير ايدغمش فأنزعج اهل القلعة وأهل القاهرة وحسبوا أن.القلعة جميعــها

---

(١) اقباط ومسلمون (د. جاك تاجر) ص ١٧٩

(٢) تاريخ فوه ص ١٦٤ وكتاب تاريخ ص ٣٧١ أ

(٣) تاريخ البطاركة (كامل صالح نخله) الجزء الثانى صفحة ٣٥

(٤) الخطط للمقريزى (الجزء الرابع) ص ٤٠٥

قد أحرقت ولم يسمع بأشنع من هذه الحرائق (١) ولم تكن هذه الحرائـــق بفعــل فاعل بل أراد الله أن ينذر الباغى على ما إرتكبته يداه من الظلم بالقبط الابرياء .

وأخيرا بعد أن ذاق البابا يؤنس من هذه الشدائد والكروب تنيح فى ٢٩ مـــارس سنة ١٣٢٧ م ودفن فى دير النسطور فى أيام السلطان محمد بن قلاوون (٢)

البابا بنيامين الثانى البطريرك (الـ ٨٢) (١٣٢٧ م - ١٣٣٩ م)

كان راهبا بدير جبل طرا وكان يدعى الراهب بنيامين المصور وسيم بطريركـــا فى ١٠ مايو سنة ١٣٢٧ م بإسم البابا بنيامين الثانى البطريرك (الـ ٨٢)

إضطهاد النصارى فى عهده

فى أيام هذا البابا أقيم والى يدعى شرف الدين النشئ بن تاج وكان رجلا ســيئا أثار الاضطهاد الجبار على المسيحيين وتعذبت على يديه الاســاقفة والرهبــان والراهبات ورجال الاكليروس والاراخنة فقاسوا على يديــه العذابــات الشــديدة وقاسو مرارة الاضطهاد الشنيع ، كما هدمت كنيسة الست بربارة عــن آخرهــا وذكرت تفاصيلها سابقا ولكن الله عز وجل لم يترك شعبه فنال هذا الوالى أشــر مما جنى به على المسيحيين حتى مات وخلصت الامة من سوء تصرفاته وردائه أعماله ببركة صلوات البابا بنيامين الرجل القديس الطاهر وحل إنتقام رب العدالة على جميع فاعلى الإثم الذين كانت لهم اليد الطولى فى هذه الاعمال الشــريرة (٣) وفى أيامه تدخل ملك الحبشة لرفع إضطهاد القبط .

وهكذا قضى هذا البطريرك كل أيامه جهاد وإضطهاد وتخريب فى أيـــام الملـــك محمد بن قلاوون وبعد جهاد عظيم وتوالى المصائب على شعبه تنيح فى ٦ يناير سنة ١٩٣٩ م ودفن فى دير شهران (٤) .

---

(١) الخطط للمقريزى (الجزء الرابع) ص ٤٣٣

(٢) كتاب ١٥ تاريخ ص ٢٧١ ، فوه ص ١٦٤ ، كتاب تاريخ بطاركة الاسكندرية ص ٩٢ .

(٣) كتاب ١٥ تاريخ ص ٢٧٣

(٤) تاريخ البطاركة الجزء الثانى (كامل صالح نخله)

البابا بطرس الخامس البطريرك (الـ ٨٣) (١٣٤٠ م - ١٣٤٨)

كان راهبا بدير أبو مقار ويدعى بطرس بن داود وأختير بطريركا بإسم بطرس الخامس فى يناير سنة ١٣٤٠ م فى أيام الملك الناصر بن قلاوون (١)

وفى أيامه حدث إثارة اضطهاد القبط فى الريف وحادثة الرجل الذى أجبر على دخول الاسلام التى ذكرت تفاصيلها من قبل ص ٢٦٩

وفى أيامه حدث إضطهاد للنصارى فى القاهرة إذ ما كان البابا بطرس الخامس يعود من رحلته فى الاديرة حتى إندلعت نيران الاضطهاد على شعبه الوديع الهادئ فابتدأ المسلمون بعد ذلك فى التسلط على القبط فهدموا مساكنهم الكائنة أمام مساكن المسلمين وصاروا يتعقبونهم فى الطرقات ويتعرضون لهم فى الشوارع ويمزقون ثيابهم ويضربونهم بكل قسوة ويلقون عليهم النار المشتعلة حتى إضطر القبط أن يختبئوا عن الانظار وأصبحوا فى حال يرثى له وظلوا ملازمين منازلهم فترة من الزمن كان يخيل للرائى أنهم إنقرضوا .

آخر أيام البابا بطرس الخامس

بعد كل المصائب التى حلت بالشعب المسيحى اسلم روحه الطاهرة فى ٨ يوليو سنة ١٣٤٨ م ودفن بكرامة فى دير الحبش .

عاصر البابا بطرس كل من الناصر بن قلاوون - وأبو بكر المنصور - وعلاء الدين الاشرف واحمد الناصر - واسماعيل الصالح وشعبان الكامل - إبن نصر المظفر والسلطان حسنى (٢) .

البابا مرقس الرابع البطريرك (الـ ٨٤) (١٣٤٨ م - ١٣٦٣ م)

بعد نياحة البابا بطرس الخامس تم إختيار الراهب غبريال من دير شهران وكان ذلك فى ٥ سبتمبر سنة ١٣٤٨ م ولقب يالقليوبى .

وأهم الاحداث فى عهده كالآتى :-

١) ظهور وباء الطاعون فى مصر وكان وباء عظيم مهلك إنتشر حتى عم البلاد بلا رحمة وفى مدة الوباء الذى حل بالبلاد أتى رجل قبطى من الريف إلى القاهرة يطوف الشوارع منذرا الناس بالويل إن لم يقلعوا عن شرورهم فقبض عليه وأحضروه أمام قاض الإسلام وصرخ القبطى أمامه بلا خوف أنه أتى ليقنع

---

(١) كتاب ١٥ تاريخ ص ٢٧٣ ، فوه ص ١٦٤ أ

(٢) تاريخ البطاركة (الجزء الثانى) (كامل صالح نخله) ص ٥٣

المسلمين بخطيئتهم فى ترك الديانة المسيحية وأظهر إستعداده للاستشهاد فقضى عليه بالعذاب مدة أسبوع وبعد ذلك قُطعت رأسه وأحرقت جثته .

٢) وفى أيامه صودرت أملاك الكنيسة والاديرة القبطية وقد ذكر تفاصيلها سابقاً وكانت تبلغ ٢٥ ألف فدان كلها موقوفه للكنائس والاديرة . قرر أمراء المماليك أن تُوزع وينعم بهذه الاملاك على الامراء زيادة فىإقطاعاتهم (١)

٣) وفى أيامه هُدمت كنيسة الشهيد بشبرا الخيمة وأخذ الصندوق الذى به ذخائر (أصبع) القديس وأحرق وذرّى رماده فى البحر وذكرت تفاصيلها سابقا .

٤) وفى أيامه حسد المسلمون النصارى على تقدم مركزهم فى الدولة وإنتقام الشهيد من الملك الصالح إذ كان من المرشحين للوزارة وزيران قبطيان مرتدان هما موفق الدين وعلم الدين فتنازعا عليها وإنضم لكل منهما أحزاب فأنتهى الخصام بخلع الملك الصالح وكان منشأ هذا النزاع دسيسه من أخيه الملك الناصر حسن بالاتفاق مع الامير تاج الدين وكان الناصر مسجوناً ففاز بجدارة وخلع أخاه فأخرج من السجن وبُويع (وهكذا إنتقم الشهيد سريعاً من الملك الصالح بسبب هدم بيعته وحرق إصبعه سريعاً وقيامه بإضطهاد النصار وإذلالهم) وهذا الملك ذكرت حوادث مفصلة عن عهده الذى كان كارثة كبرى على الاقباط .

٥) وفى أيام هذا البطريرك حدث فناء عظيم فى القرى أتى على خراب معظم قرى الديار المصرية .

إنتقال البابا من هذا العالم

وبعد جهاد عظيم وصبر على الشدة التى حدثت أيام البابا مرقس الرابع فكانت نياحته فى يوم ٣١ يناير سنة ١٣٦٣ م فى أيام السلطان محمد المنصور ودفن بدير شهران وعاصر كل من السلطان حسن والصالح حسن بن ناصر والناصر ومحمد المنصور (٢)

---

(١) خطط المقريزى جزء رابع ص ٤٠٥

(٢) تاريخ البطاركة الجزء الثانى (كامل صالح نخله) ص ٦٣

البابا يؤانس العاشر البطريرك (الـ ٨٥) (١٣٦٣ م - ١٣٦٩ م)

كان راهباً من دمشق (الشام) ويدعى يوحنا وسيم بطريركاً فى ٧ مايو سنة ١٣٦٣ م فى أيام السلطان شعبان ولقب بإسم المؤتمن الشامى .

فى السنة الثانية من تولى هذا البابا على الكرسى المرقسى أصيبت مصر وسوريا بقحط ضيق على الناس حتى أكلوا الكلاب والقطط وأكل بعضهم أولاده من شدة الجوع واستمر الامر كذلك فى بعض الاماكن ثلاث سنوات .

وقد عاصر هذا البطريرك كل من السلطان شعبان وحسن الأشرف وتنيح فى عصر السلطان على بن شعبان المنصور فى ١٣ يوليو سنة ١٣٦٩ م ودُفن فى مقبرة الحبش .

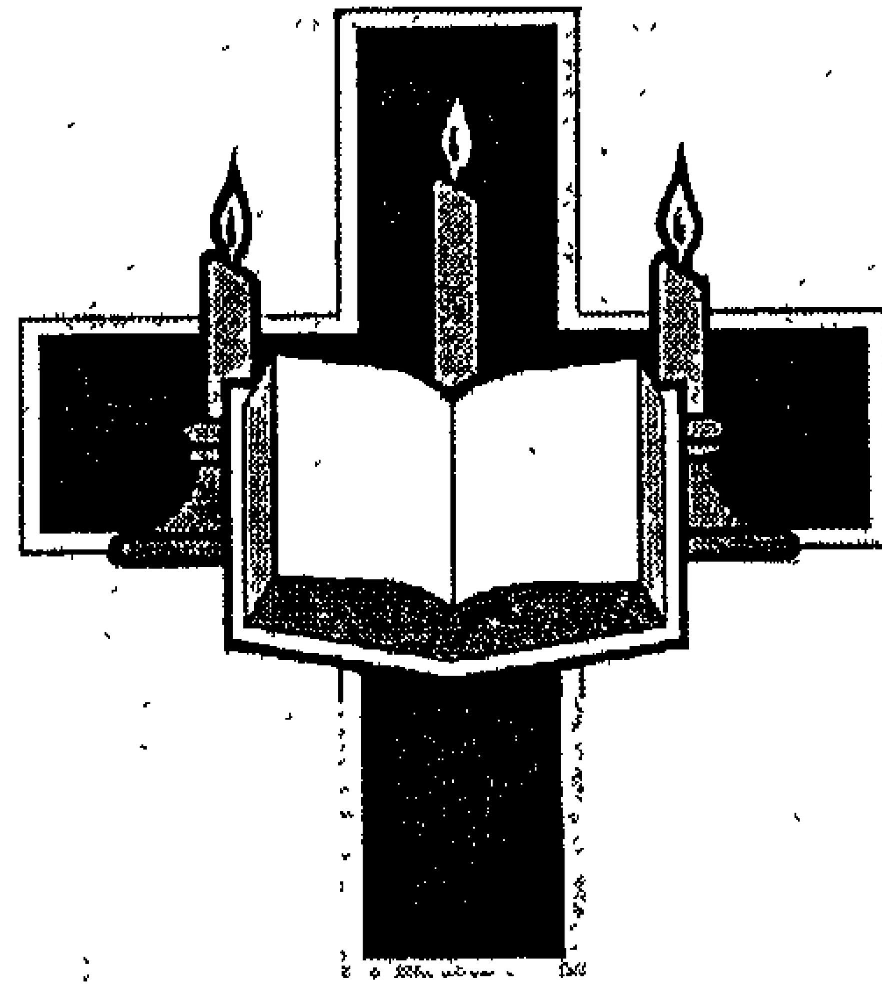
البابا غبريال الرابع البطريرك (الـ ٨٦) ١٣٧٠ م - ١٣٧٨ م)

كان راهباً بدير المحرق ويُدعى الراهب غبريال وأختير للبطريركية فى ٦ يناير سنة ١٣٧٠ م فى أيام السلطان شعبان بن حسن .

وقد حدث فى عهده أن أصاب البلاد حروب أهلية كانت أشد وطأة من الجوع كما حدث فى أيامه حريق هائل فى القاهرة إحترق بسببه نحو الخمسمائة دار ولولا سور القاهرة لاحترق نصفها .

نياحته

ولما أكمل سعيه أراد الله الذى لا ينس تعب المحبة أن يريحه من أتعاب هذا العالم الفانى فنقله اليه فى ٢٨ ابريل سنة ١٣٧٨ م فى أيام سلطة الملك على بن شعبان المنصور ودفن فى مقبرة الحبش .



ثانيا :الأباء الأساقفة والأراخنة فى عصر المماليك البحرية :

١ - الانبا بطرس الجميل أسقف مليج

كان الانبا بطرس الجميل أسقف مليج من كبار كتبة وأمراء الكنيسة القبطية فى الجيل الرابع عشر للميلاد فى بابوية البابا بطرس الخامس وقد ذكر إبن كبر أنه جمع كتاب السنكسار غير أن النسخ التى عُثر عليها تدل أن جامعة أنبا ميخائيل أسقف أتريب ومليج وربما يكون تمم السير التى نقصت منه خاصة بالشهداء القديسين المتنيحين فى الجيلين الثالث عشر والرابع عشر وجمعها فى سنكسار واحد فنسب إليه .

من مؤلفات الأنبا بطرس

كتاب البيان : فى خمسة فصول يرد فيه على جمال الدين بن محمد المصرى إثباتاً لدين النصرانية . وكتاب فى بدع الطوائف يدافع فيه عن معتقدات القبط الارثوذكسيين . وكتاب الاشراق الذى رد فيه على الارمن (١) وقد أشترك مع البابا بطرس الخامس فى تأدية شعائر الميرون .

٢ - شمس الرئاسة أبو البركات

كان الشيخ المؤتمن شمس الرئاسة إبن الشيخ الأكمل قساً لكنيسة المعلقة وكان عالماً فاضلاً ولاهوتياً ضليعاً ومؤرخاً كنسياً من المتضلعين فى التاريخ الكنسى والطقوس وغيرها من العلوم الدينية وكان كاتباً للسلطان البندقدارى وعاش فى أيام الملك المظفر .

لم تقتصر خدمته الكهنوتية على ما أداه من خدمات روحية لاولاده الذين عاشوا تحت رعايته بل إمتدت لتشمل الاجيال الآتية من بعده - فقد وضع عدداً غير قليل من الكتب التى مازالت تعتبر مراجع أساية للباحثين وأول ماكتب هو كتاب الميرون وصف فيه المواد التى يتألف منها وكيفية طبخة بدقة متناهية .

وقد قام المؤرخ العلامة واللاهوتى الكبير بتأليف أكبر موسوعة لاهوتية للكنيسة وهى معروفة بأسمه " كتاب مصباح الظلمة وإيضاح الخدمة " ويتضمن هذا السفر العظيم جملة قوانين البيعة والمجامع وأخبار الرسل والتلاميذ وقواعد دينية وطقسية وتاريخية وأدبية وتعد من أهم وأكبر الموسوعات الدينية .

---

(١) المخطوطات العربية ص ٦٢

كما ألف أيضاً خطباً تتلى فى الكنائس والأعياد والمواسم كما وضع كتاب " جلاء العقول فى علم الأصول الملقب بكهف الاسرار الخفية فى اسباب المسيحية .

ويتضمن هذا الكتاب ثمانية عشر فصلاً فى وحدانية الله وتثليث أقانيمه وتجسد إبنه الإلهى .

وله كتاب " البيان الاظهر فى الرد على من يقول بالقضاء والقدر " . وهى رسالة تبين لنا إستمرار الاهتمام بموضوع الحرية الانسانية مقابل من ينادون بالقضاء والقدر وقد إستهدف الاباء فى كتاباتهم فى هذا الموضوع على توضيح المسئولية الملقاه على الانسان عما يعمل فهو بلا عذر فى إقتراف الشر ولا يستطيع تبرير أخطائه بحجة أنها " قسمه ونصيب " . وكتاب الرد على المسلمين واليهود .

على أن إبن كبر لم يكتف بالكتابة فى الموضوعات الروحية والادبية فقط بل وجه إهتمامه إلى اللغة القبطية فقد كان عالماً فى اللغة القبطية وله فيها معجماً معروف بإسم " السلم الكبير " (١)

وقد إشتغل هذا الرجل كاتباً للملك حتى وهو بعد أمير واخلص له وقد عاونه على تأليف كتاب نفيس لايزال مخطوطاً مع انه معروف فى أوروبا وهو كتاب " زبدة الفكرة فى تاريخ الهجرة " .

ويظن بعض الناس أنه كان طبيباً أيضاً لما بدأ فى كتاباته من دقة عن العقاقير والعطور على أن هذا الرجل وخدماته للعالم تتضاءل أمام خدماته الروحية إذ لم يلبس أن ترك الخدمة فى ديوان الملك لينال كرامة الكهنوت ويصبح كاهنا لكنيسة العذراء الشهيرة (بالمعلقة) بإسم القس بن كبر .

كذلك وضع ابن كبر قائمة بأسماء المدن والقرى المصرية كما وضع فهرس خاص لجميع الكلمات العبرية التى إقتبسها القبط من أسفار العهد القديم .

وابن كبر كان رجلاً متضعاً عرف كيف يسلك بجرأة فى عصر طغت عليه ظلومات الاحقاد والقسوة وظلمات القلوب جبناً وتخاذلاً فهو بطل إنضم فى سلسلة الاباء الذين أستعذبوا الجهاد .

---

(١) المخطوطات العربية ص ١٨ ، ١٩

٣ - الشهيد بسطوروس

عاش فى أيام البابا بنيامين الثانى (الـ ٨٢) الذى كان فى أيام السلطان قلاوون وقد كان من بين المعروفين من شهداء هذا العصر وقد حدث أن جحـــدت أمــه الايمان المسيحى ولكن بسطوروس ظل مع أبيه على ولائهما للسيد المسيح وبعد سنين طويلة قام رجل قاس وإشتكى بسطوروس إلى الوالى بحجة أن من كـــان أحد والديه مسلماً يجب أن يكون هو أيضاً مســلماً فإســتدعاه الوالــى وحــاول إستمالته إلى إنكار الايمان فلم يفلح فأمر بتكبيله وإلقائه فى الســجن بينمـا هــو مسجون جاءت حمامه بيضاء وقفت على رأسه وسمع حارس الســجن بـالامر فأبلغ الوالى بما حدث وعندما أستحضره الوالى أمامه وهدده بالحرق إن أســتمر على التمسك بإيمانه قال له بسطوروس إفعل بى ما شئت سلطانك على جســدى فقط فأخذه الى ساحة عامة حيث سمحوا لمن يشاء أن يضربه ويشتمه فتحمل كل ما أذيق من عذاب بصبر وهدوء وفى النهاية قطعوا رأسه بالسيف وهكــذا نــال الشهادة وقد شاء الله تعالى أن يكرم شهيده فجرت آيات وعجائب عــن طريــق جسده الذى ذاق أشكال العذاب

٤ - الانبا برسوم (١) العريان (١٢٥٧ م - ١٣١٧ م)

كان أبوه يدعى الوجيه (مفضل) ويعمل كاتباً متقدماً على صفوف المســئولين فى الديوان أيام شجرة الدر وهى المرأة الاولى التى حكمت مصر منــذ ظــهور الاسلام

والقديس العظيم الانبا برسوم العريان علامة واضحة لطالبى الملكـــوت ونموذج حى للذين يحبون حياة الجهاد الروحى والقديس لم يكن كاهناً راهبـاً ولا شماساً ولكنه كان مثالاً رائعا لحياة الجهاد والسعى الى خلاص النفس عاش فـترة فى المغارة الموجودة بجوار دير القديس أبى سيفين وهناك أستطاع بقوة الصليب أن يُخضع الثعبان المفترس له ويصير أليفا يستأنس بالقديس ويعيش معه .

القديس وإضطهادات البيعة

بعد أن قطع الانبا برسوم العريان فى النسك والعبادة شوطا كبيرا وكانت الكنيسة تنعم بمزيد من العدالة والحرية ، حسدها الشيطان ، فوسوس فى قلــوب الــولاه المتسلطين ليعملا على تكدير صفوفها ويلهبوا ظهور أبنائــها بالســياط فتنكــر المسئولون لمواطنيهم وحرموهم من حقوقهم الوطنية وفرضوا عليهم الغرامـــات المالية الباهظة ولم يقفوا عند هذا الحد بل تجاوزوه إلى الزى والملابس فألزموا

---

(١) (برسوما) كلمة سريانية الأصل تترجم بإبن الصوم

النصارى بلبس الزنانير والعمائم السوداء كما منعوهم من ركوب الخيل وإستعمال السرج ، وضايقوهم بشتى الطرق والوسائل فلما وقف الانبا برسوم على هذه المساوئ ، خرج من عزلته وطاف يشجع المسيحيين ويقوى عزائمهم ويعزيهم بكلمات الرب يسوع القائل " فى العالم سيكون لكم ضيق " ، ويناشدهم ألا يستسلموا للحزن والكآبه ، فلما وقف الحاكم على نشاطه التبشيرى ، قبض عيه وأوسعه ضرباً ولكماً ثم أودعه فى أعماق السجن ، فقبل ذلك بفرح وبشاشه وأخذ يقوم بين المعتقلين برساله روحية قوية ، وعندما أفرج عنه إنتقل من كنيسة القديس مرقريوس إلى دير شهران (دير الانبا برسوم العريان حالياً)

معاصروه

شجرة الدر والامير عز الدين أيبك أول سلاطين المماليك ، كما عاصر الظاهر بيبرس البندقدارى وإبنه بركة خان ، بالاضافة إلى الملك المنصور قلاوون والملك الاشرف خليل ، ونظراً لطول المدة التى عاشها ، فقد إمتد عمره إلى أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون .كما عاصر كثير من البطاركه منهم البابا غبريال الثالث (٧٧) والبابا يؤانس السابع الـ (٧٨) والبابا ثيئوديسيوس الثانى والبابا يؤانس الثامن .

من أشهر معجزاته

شفاء الشيخ زين الدين مخلوف المالكى : -

أصيب الشيخ زين الدين أحد قضاه مصر المشهورين أنذاك بألم فى رجليه لازمه الفراش تسعة شهور وذات ليلة رأى فى منامه رجلاً يرتدى ثوب بالى من الصوف يسأله عن علته فقال إننى أشكو من ضعف ساقى وقد عجز الاطباء عن علاجى ثم سأل الشيخ محدثه فقال له أسمى برسوم الملقب بالعريان فأجابه الشيخ أرجوك أن تطلب من الله أن يتحنن على ويمنحنى الشفاء ولكنه لم يتلقى جواباً لان الرجل غاب عن الابصار .

ولما أستيقظ الشيخ القاضى من نومه طلب أبنه الذى يعمل أيضا بالقضاء وأمره أن يمضى إلى دير شهران ويحمل معه هدية من الكمثرى ويقدمها إلى القديس برسوم العريان ويخبره بكل أحواله ويطلب منه الدعاء بالشفاء بنعمة المسيح الشافى الذى أقام لعازر من الاموات بعد أربعة أيام فذهب الابن وصنع كما أوصاه والده إلى الانبا برسوم العريان الذى أخذ حبه من الكمثرى وبارك عليها وأعطاها للقاضى الذى أوصاه قائلا خذ هذه إعطها لوالدك ليأكلها وسينال الشفاء.فصار القاضى إلى والده وأخبره بما حدث وأعطاه حبة الكمثرى .وتناولها ليأكلها وقبل أن ينهمها وقف على رجليه معافى تمام الشفاء فما كان منه إلا أنه

خرج قائلا بركاتك ياشيخ النصارى بركاتك ياسيدى برسوم العريان .

القديس يزرع البركة

كان يوجد فى تلك الايام أمير يدعى شمس الدين وكان يتردد على القديس برسوم العريان لسماع كلماته ومشاهدة عجائبه وذات يوم نظر اليـــه القديـــس برســوم وقـــال له " هل زرعتم قثاء " أجاب الامير " وكيف وأنا لست فلاحا ؟ " قـــال القديس " إن إخوتك زرعوا الارض وتركوا قطعة أرض بـــدون زراعـــة فأنـــا مستعد أن أزرعها فذهب الامير إلى أخوته فوجدهم زرعوا الارض وتركوا جزء بدون زراعة حقا فأخبرهم بما قاله القديس فوافقوا ثم عاد إلى القديس وطلب منه زراعة هذا الجزء الذى لم يزرع فذهب معه القديس ووضع البذور علـــى إســم الانجيليين الاطهار ثم قال للامير أنا زرعت الارض ولن يحدث فى المستقبل مـــا يضر هذه القطعة فحفظ الامير هذا الكلام ولم يفهم معناه .

ولكن بعد قليل هجمت الفئران على الارض المجاورة وكانت الفئران تشتغل فـــى الارض المجاورة وكل هذا لم يقترب إلى القطعة التى زرعها القديس بـــل أتـــت بثمر لم يسبق له مثيل من زراعة القثاء وكان القديس يقول " نزرع بالبركة لكـــى نحصد بالبركة " (٢ كو ٩ : ٦)

ملاحظـــــه :

كان الانبا برسوم العريان من ضمن من قبض عليهم من النصارى نتيجة الفتنـــه التى أثارها بين الرعاع مغربى كان مارا بمصر فى طريقه الى الحج وقد ذكـــر عن الانبا برسوم العريان عندما كان داخل السجن أنه أخذ يتضرع إلى الله لكـــى يرفع عن شعبه ما حل به من غلاء فإستجاب الاب السماوى إذ صـــدر الامـــر بالافراج عنه وعن المسجونين من القبط كما صدر أمر بالكف عن مضايقة القبط وتأمينهم على أعمالهم

٥ - تاريخ القديس مرقس الانطونى

من أشهر الرجال القديسين فى أيام البابا القديس متاؤس الاول البطريـــرك(الـــ ٨٧) وهو من أشهر القديسين فى عصر المماليك .

ميلاده ونشأته

ولد هذا القديس فى نهاية القرن الثالث عشر الميلادى فى منشأة النصـــارى فـــى صعيد مصر من أب أسمه مخلوف وأم مباركه إسمها إودكسيه .

لمحه من فضائله

كان ناسكا منذ صغره صديقا للملائكه والشهداء والقديسين وإرتوى بالفضائل المسيحية منذ صغره من أمه البارة وأحب السكون والصمت والصوم والسهر منذ نعومة أظافره ودربته أمه كيف يكون شريكا للقوات السمائية فى الصلاة والتسبيح شهيدا بدون سفك دم ، فأحب حياة البتولية فى زمن مبكر من عمره وأصبح الانبا مرقس الانطونى سراجا ساطعا فوق منارة يشع فى جبل مظلم ملئ بالشر والفساد وصار حديثا للسمائيين وهو على الارض .

وكان القديس مرقس كثير البكاء والدموع محبا لقراءة اسفار العهد القديم وخاصة مراثى أرميا .

كما كان محبا للصوم متدرجا فيهِ حتى أنه كان يطوى الاسبوع صائما وكان متواضعا محبا للجميع ولا يحزن احدا ، كما كان ايضا محبا للصمت والسكون ، مجاهدا ضد الاحلام الشريرة ، مشجعا المؤمنين على الإستشهاد ، يرحم الضعفاء ويستر عيوبهم ولا يدين احدا كما كان رحيما حتى على الوحوش والحيوانات .

وكان القديس مرقس يعلم اولاده فى كل وقت وبكل الوسائل ، ولذلك وهبه الله مواهب كثيرة وعمل على يديه معجزات كثيرة وحباه الله أيضا شفافية ، فكان يرى أرواح القديسين ، وكان فى شركة واضحة مع القوات السمائية فى القداسات وفى الصلوات ، حتى أنه أبصر أو تراءى له السيد المسيح نفسه .

حياته الديرية :

فى الثالث والعشرين من عمره مضى إلى دير القديس الانبا أنطونيوس ودبر له العلى أن يكون فى رعاية القمص روفائيل النعناعى .

معاصروه

عاصر كثيرا من البطاركة والحكام . ومن أشهر الحكام فى تلك الفترة : —

١) الملك الناصر بن قلاوون ٢) الملك الصالح

٣) الملك المنصور . ٤) دولة المماليك الثانية (برقوق حاكم الديار)

كما عاصر القديس الانبا فريج الشهير بالانبا رويس

مواقف من حياته :

١) عندما كان القديس فى فترة ترهبه فى دير الانبا بولا طلب من احد الاخوة ان يصنع له أطعمة متعددة ومتنوعة وعندما سأله الاخوة عن هذه فقال للضيوف ، فتعجب الاخوة لانه لا يوجد فى الدير ضيوف ، وليس هناك وسيلة لمعرفة

حضور ضيوف أو زائرين فى تلك الفترة ، ولكن زال العجب عندما دق نـاقوس باب الدير فى تلك الساعة أمير عربى يسمى ظيمون وبصحبته جمع كبير أرسله السلطان الملك الناصر إلى الدير للبحث عن هارب وتعجب الاخـوة مـن علـم القديس وشفافيته إذ أبصر بالروح مجئ الامير .

٢) هجم الفرنجة علىالاسكندرية ، ونهبوا أموالهم لذا نزل بالنصارى فى مصـر ضيق عظيم بسببهم وأرسل الامير يلبغا جنودا إلى جميع الاديـرة التـى تحـت سلطانه يطلب الاستيلاء والحصول على أموالهم تعويضا لما فقد مع الفرنجة فلما وصل الجنود والرسل إلى دير الانبا أنطونيوس فقبض الامير الذى كان معـهم على القس متى (البابا متاؤس الاول) رئيس الدير فى تلك الايام وأهانه كثـيرا من اجل الحصول على المال فتقدم اليه الانبا مرقس متوسلا إلى الامير ليكـف عن إيذاء الاب متى فلم يقبل شفاعته وقد إنتهر القديس الامير بغضب لانـه لـم يقبل أن يرحم الاب متى وإندفع الامير بحنق وأمر الجند أن تطلـق الاب متـى وتضرب هذا الشيخ عوضا عنه .. فنفذوا أمره ثم أن الامير بعـد فراغـه مـن الضرب قبض على الانبا مرقس والقس متى وجماعة من الاخوة وسار بهم الـى مصر فقاسوا من الجوع والعطش والمشى حفاه فى البرية وكان القديـس يسـأل الامير ان يسقيهم قليلا من الماء ويكرر الطلب فلا يظفر بشئ وبمشـقة أعطـى لهذا الاب قليلا من الماء وحده دون رفقائه فإمتنع الانبا مرقس ولم يشرب أمـام الامير وإنتهره قائلا هوذا الرب إلهنا يسقينا لانه كثير المراحم ثم رفع عينيه نحو السماء وصلى فأمطرت فى الحال مطرا كثيرا حتى أن الامير ومن معه وقفـوا مكانهم ولم تقدر خيولهم على السير لكثرة المياه وجلـس الاخـوة واسـتراحوا وشربوا جميعا وهم فرحون على الرغم من الضيق الذى عانوه وسأل أحد الاخوة القديس أن يصلى لاجلهم لكى يصلوا مصر بسلام ولكن القديس مرقس أخبر هذا الاب قائلا ان الله لم يدعهم يدخلون مصر بل يعودون الى ديرهم سالمين وقد تـم ذلك فعندما رحلوا الى أطفيح جاءت رساله للامير بأن يترك الرهبـان يعـودون إلى ديرهم ويعود هو ورجاله الى مصر فشكروا الرب ممجدين هذا القديـس إذ بصلاته رحمهم الرب .

٣) كان الصاحب كريم الدين بن مكانس يقاسى كثيرا فى عهد السلطان الظـاهر برقوق ومن شدة الضيق الذى حل به تخفى فى زى " خولى " وهرب إلـى الاب المبارك مرقس فلما رآه الاب بهذه الحالة قال له أتعرف الصاحب الكريـم بـن مكانس ؟ أجاب الصاحب المذكور قائلا ها أنا ياأبى القديس قد أتيت إلى هنا مـن كثرة الضيق الذى وضعه على السلطان حينئذ أجاب القديس قائلا تقو يـاإبنى ولا تخف فإنه من الان بصلوات القديسين الذين إلتجأت إليهم لن يؤذيك السلطان بعد

فإذهب إلى السلطان وبركة ومعونة السيدة العذراء أم النور ترافقك وتؤازرك وقد كان . فعندما إلتقى بالسلطان قابله بالترحاب والمودة والعطف الشديد فتعجب الجميع لما حدث لان السلطان لشدة قسوته عليه سابقا كان قد قبض على إخوته وسلمهم للموت بسببه وعلقهم فى التابوت - فلم يكن يتوقع الجميع أن يظفر الصاحب بهذه المقابلة لولا صلاة القديس مرقس ولذلك تعجب الجميع ومجدوا الله فى قديسيه .

٤) لا تخافوا من الذين يقتلون الجسد (لو ١٢ : ٤)

ذكر عن تاج الدين بن كاتب طوغام أنه جاء الى القديس مرقس الانطونى يشكو له بعد أن إختلف مع إمرته لامر ماوقد سعت المراة لدى المقدم سيف لتنتقم من زوجها فنهب المقدم سيف جميع اموال تاج الدين وأراد قتله فطمأنه القديس مرقس وهدأ من روعة قائلا له " لا تخف ولا تضطرب فإن الله الذى رافق يعقوب أثناء هروبه من عيسوا وأعاده سالما يكون معك ويعيدك إلى بيتك آمنا سليما وكل مافقد منك يرده لك عشرة أضعاف فلما سمع الرجل كلام القديس تعزى ولكنه كان قلقا ومضطربا من بطش المقدم .

ولما علم القديس مرقس بالروح حزنه وإضطرابه اخذ كأسا من الفضة ولكنه مكسور وقال له قلت ما من أحد يلتجئ إلى الله ويرده خاسرا فلا تخف وخذ هذا الكأس الخاص بالمذبح وأعيده سالما صحيحا وإشكر الله على عنايته بك وحفظه لك فعند ذهابك إلى مصر سترى عمل الله وصنيعه وإستجابته لطالبيه ولقد تحقق ذلك فعند نزوله إلى أرض مصر علم أن أمرأته قد ماتت شر ميته وقتل المقدم من بعض أعدائه وصودرت أملاكه وعاد تاج الدين بن كاتب طوغام إلى الامير قرط وفاضت خيراته وأصلح الكأس وأعاده سليما وقدم للدير كؤوسا كثيرة ، وأكثر من تقدماته وقرابينه وعطاياه للفقراء والمحتاجين ، ومساهماته فى تعمير الكنائس والاديرة وتعاون مع القديس مرقس كثيرا وباركه الله فى كل أعماله .

إنتقالـــــــــــــه

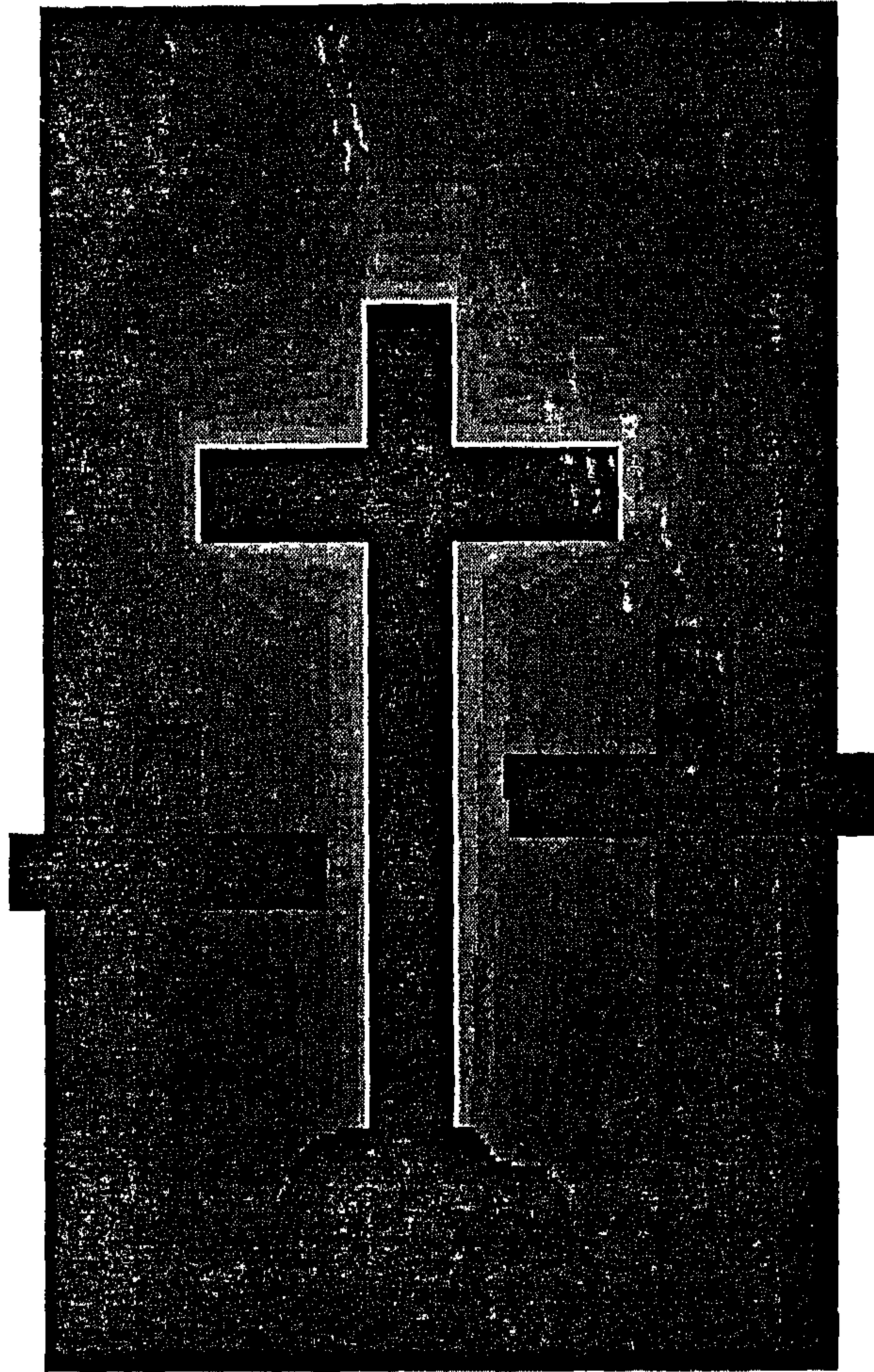
تنيح القديس فى أيام البابا متاؤوس البطريرك (الـ ٨٧) وفى فترة حكم المماليك بقيادة الحاكم برقوق ، الذى كان يحب القديس ويستشيره فى أموره الخاصة ، عن عمر يقرب من تسعين عاما فى ١٥ يوليو سنة ١٣٦٨ م .

٦ - المفضل المصرى بن ابى الفضائل

المفضل المصرى هو ابن الفضائل القبطى من كتبة القرن الرابع عشر للميلاد وقد قام بتأليف(كتاب النهج السديد والدر الفريد فيما بين تاريخ ابن العميد) وقد

روى فيه أخبار مماليك مصر فى عهد الملك الظاهر بيبرس (١٢٦٠ م) إلــى الملك الناصر بن قلاوون (١٣٤٠ م) وقد ذكر اسم هذا الكاتب باسـم الفضـل بدل المفضل (١) .

+++



(١) المخطوطات العربية ص ١٦٥ - ١٩٣

الباب الثالث عشر

" الفصل الأول "

عصر المماليك الشراكسة
(٧٨٣ هـ - ٩٢٣ هـ) (١٣٨٢ م - ١٥١٧ م)

بعد موت السلطان الناصر حكم مصر الملك المنصور ثم السلطان برقوق وهو أخر سلاطين المماليك البحرية وأول المماليك الشراكسة وفى هذه الفترة إختل النظام وفشل حال الرعية بسبب مطامع المماليك وتمردهم فسادت الفوضى وعز الامن واستمر هذا إلى أن أزيلت دولة المماليك البحرية وحلت محلها دولة أخرى تسمى بدولة الشراكسة التى أستمر حكمها إلى سنة ١٥١٧ م .

ولم تكن هذه الدولة أحسن حالا من الاولى بل كانت اشر منها فتم على يدها خراب البلاد وعم الشقاء جميع الرعية ونقص عدد المصريين نقصا بينا بسبب هذه البلايا المتوالية والطاعون والاوبئة والغلاء والقحط المستمر .

أما عدد الاقباط فنقص كثيرا جدا بسبب مظالم الحكام والآفات الربانية من جهة وإقبال الكثير منهم على الاسلام إما طوعا أو كرها من جهة اخرى ولما كثر الاسلام بينهم نفر المسلمون منهم لانهم كانوا يتزاحمون معهم فى الوظائف الادارية العالية فأبغضهم المسلمون وهكذا لم يقدروا أن يرضوهم سواء اسلموا او ابقوا على دينهم ولذا آثر بعضهم الموت على المعيشة المرة (١) .

١ - السلطان برقوق سنة ١٣٨٢ م

آخر المماليك البحرية وأول سلاطين المماليك الشراكسة . وحدث فى أيامه أن أميرا مسلما تعمد بهدم كنيسة للاقباط كانوا يعدون فيها الأباركة فنهب منها ألف جرة من الخمر المذكور وأمر بكسرها امام باب زويلة فى الميدان الذى تحت القلعة .

وكان السلطان برقوق عندما تولى السلطة للمرة الثانية كان أحسن حالا وعدلا من الاولى بدليل أنه فى أيامه إقترح المجلس الاعلى على برقوق أن يضطهد الاقباط لكنه رفض بل أمر بقتل رجل إعتنق الديانة الاسلامية .

ومن أشهر الحوادث فى عصره

أ) حادثة كاتب مدينة الطور

يذكر المقريزى (٢) أن نصرانيا من مواليد مدينة الطور وكان يعمل كاتبا فى إحدى الدواوين قصد القاهرة ووقف يخطب ضد الديانة الاسلامية فلما تقدم

(١،٢) أقباط ومسلمون (د. جاك تاجر) ص ١٩١

للتحقيق معه قال للقاضى ان هدفى هو الحصول على شرف الاستشهاد .

ب) حادثة إستشهاد جماعة من الرجال والسيدات (سنة ١٣٨٩ م)

يذكر أنه فى سنة ٧٩١ هـ قدم للقاهرة جماعة من الرجال والسيدات دخلوها بضجة عظيمة وأعلنوا على الملأ خروجهم على الإسلام وعزمهم على العودة الى حظيرة المسيح وأنهم لا يتحولون عنه حتى ولو قطعت رقابهم وقالوا " لقد جئنا هنا لنكفر عن ضعف ايماننا وإنكارنا للمسيح ونقدم حياتنا على مذبح التضحية لننال بركة الاستشهاد ونعمة السيد المسيح " .

فتجمع حولهم عامة المسلمين ونصحوهم بالعودة إلى الإسلام ولكنهم رفضوا بجسارة فحاول المسلمون إرهابهم ليرتدوا وساقوا كثيرين من الرجال إلى ميدان أمام مدرسة الملك الصالح وهناك يجزون رؤوسهم الواحد بعد الآخر فلم يتزعزع إيمان واحد منهم وساقوا بعض النساء وعذبوهم ولكنهم تمسكوا بإيمانهم دون أن يجزعن فجردوهن من ثيابهن وجروهن إلى سفح الجبل تحت القلعة وقطعت أعناقهن بقساوة زائدة حتى أن بعض المسلمين المعتدلين إستنكروا وقاطعوا هذا الحكم ، ونقموا على القاضى الذى حكم به (٢) .

جـ) حادثة إبطال عيد النيروز (٧٨٧ هـ / ١٣٨٥ م)

فى عهد السلطان الملك الظاهر برقوق قرر إبطال ما كان يعمل فى عيد النيروز فأرسل الحجاب مع جماعة من المماليك السلطانية ووالى الشرطة فطافوا فى الاماكن الخاصة بالاحتفالات وفى الطرقات فمن وجدوه يحتفل بالعيد يضربونه بالمقلاع وصاروا يقطعون أيدى كل من يجدوه يحتفل بذلك العيد واستمروا فى ذلك الجور والظلم حتى بطل ذلك الاحتفال من القاهرة وأشهروا النداء بمن يفعل ذلك يشنق فإمتنع الناس يومئذ عن ذلك الإحتفال .

د) حادثة الراهب الشهيد

حدث فى أيام السلطان برقوق ان راهبا أخذ يتجول فى الشوارع مجاهرا بالمسيحية ومنددا بالدين الاسلامى ، وكان امامه رجل وثلاث نساء يشجعونه على الاستشهاد والاعتراف جهرا بالمسيح الله الكلمة فقبض على الخمسة وقطعت رؤوسهم وأحرقت أجسادهم (٣) .

---

(١) أقباط ومسلمون (د. جاك تاجر) ص ١٩١ تاريخ الامة القبطية " يعقوب نخله روفيله " ص ٢٤٢

(٢) تاريخ الكنيسة القبطية للقس منسى يوحنا "

(٣) تاريخ الكنيسة " للقس منسى يوحنا "

٢ - الملك العادل (سنة ١٤١٢ م)

هو أول ملك من ملوك المماليك الشراكسة بعد السلطان برقوق . وقد شرع فـــى أيامه المسلمون فى تدبير طريقة بها يلاشون الاقباط عن بكرة أبيـــهم فـــإهتموا بمعرفة أسمائهم وعددهم ومقدار ثروتهم وفرض السلطان ضريبة علـــى جميـــع الأقباط وأنشئوا لهذا مكتبا ليقيدوا فيه أسماء مواليدهم ووفياتهم وقســـموهم إلـــى ثلاث طبقات :

أ) طبقة الاغنياء : وقرروا عليهم ضريبة الاربعة دنانير عن كل نفس .

ب) طبقة المتوسطين : يدفع كل واحد دينارين .

جـ) طبقة الفقراء : يدفع كل واحد دينارا واحدا .

٣ - المحمودى (سنة ١٤١٢ م)

وفى عهده صرح المماليك بإضطهاد الاقباط ، فأغتصب منهم قائد الحرب مبلغـــا عظيما من المال وفرض ضريبة باهظة على الخمر الذى كان يتاجر فيه كثيرون من الأقباط ببابليون وأمر القائد جنوده بالهجوم على بابليون بحجة اتلاف مافيـــها من خمر فهجموا على الاقباط وإستمروا يوقعـــون منـــهم ولـــم يكتفـــوا حتـــى إسترضاهم الأقباط بمبلغ وافر من المال .

وفى سنة ١٤١٨ م صدر أمر برفت الأقباط الذين تمكنوا مـــن التوظـــف فـــى الحكومة وبدأوا بقبطى كان سكرتيرا للوزير الأول فأمر السلطان بحبسه وتعذيبـه فعروه من ثيابه وجروه فى شوارع القاهرة وأمامه موظف مسلم ينادى قائلا هكذا يفعل بكل موظف قبطى فأسلم من الموظفين كثيرون وإختفى كثـــير منـــهم فـــى منازلهم ولكنهم أسلموا فيما بعد لشدة الضيق .

وقيل أن كثيرين منهم أسلموا على زعم أنهم يتمكنون بعد الإسلام من الإنتقام من معذبيهم وتميز عصر المحمودى ببعض حوادث التحقير الادبى للأقبـــاط نذكـــر منها ما يأتى :

أ) أنه أرغم النصارى واليهود على لم أكمامهم وتقصير عمائمـــهم بحيـــث لا تتجاوز سبعة أزرع طولا وطلب إليهم أيضا أن يعلقوا جرسا صغيرا فى عنقـــهم عند دخول الحمام وأمر نسائهم بـــارتداء فســـاتين صفـــراء (الـــزى الخـــاص بالعاهرات) .

ب) يذكر أيضاً فى ذلك العصر أن منع النصارى من ركوب البغال فى مدينة القاهرة أما فى خارجها فقد صرح لهم بركوبها ولكن على طريقة النساء (مما إضطر بعضهم إلى إعتناق الاسلام هربا من هذا الإذلال فإنتقلوا من جحيم الذلة إلى نعيم الاجلال والإكرام واستبدال الجياد بدل البغال (١)

٤ - الأشرف ببرس باى (سنة ١٤٢٢ م - ١٤٥٣ م)

أكتشف فى أيامه مؤامرة سرية بين ملك الحبشة والصليبيين الغرض منها محو الديانة الاسلامية . وفى أيام هذا السلطان رزقت البلاد فى سنة ١٤٢٩ بوباء يسمى الموت الاسود ، وفتك بأهلها فتكاً ذريعاً وأستأصل عائلات كثيرة وإذ لم يبق منها أحد كان نائب السلطان وغيره من الامراء والمماليك يستولون على متروكاتهم وأملاكهم مسلمين كانوا أو نصارى حتى اليهود وقال المقريزى أن وطأة هذا الوباء كانت شديدة جداً حيث هلك بسببه فى مدينة مصر وحدها فى يوم واحد ١٥ ألف نفس فكان هذا مصيبة أخرى على مصر وأهلها عاود هذا الوباء الظهور فى مصر أيام إبن السلطان الاشرف الملك العزيز يوسف سنة ١٤٣٨ م وكان عظيماً أيضاً وفتك بالناس فتكاً مريعاً (٢) .

وفى أيامه يذكر لنا المؤرخ المشهور السخاوى أنه سنة ١٤٤٢ م تم تجديد العهد العمرى حيث حصل النصارى واليهود فى تلك الفترة كثير من الذل والخزى والإهانة والتغريم مايفوق الوصف بسبب الترميمات التى قام بها المكلفون سراً فى كنيستهم ورسم السلطان بعقد جلسة من القضاة الاربعة وغيرهم من مشايخ الإسلام وأركان الدولة وبطاركة النصارى اليعاقبة والملكيين ورؤساء طوائف اليهود وسؤلوا عن العهد المكتتب على اسلافهم فلم يعرفوه فأمر بتجديد العهد عليهم مثال المنقول من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (٣)
وفى سنتى ١٤٤٩ م ، ١٤٥٠ م هدمت بعض كنائس وأرسلت أنقاضها إلى السلطات المختصة ، ويذكر السخاوى أنه لم يبق فى عام ١٤٥٢ م كنيسة واحدة لم يلحق بها ضرر .

---

(١) الخطط للمقريزى جـ ٢ ص ٢٩٢

(٢) تاريخ الامة القبطية ص ٢٤٠

(٣) السخاوى " التبر المسبوك فى سير الملوك " طبعة بولاق ص ٦

التوقيتات الالمانية ص ١٤١ ، ص ١٤٢

٥ - **المستنجد (سنة ١٤٥٣ م)**

وفى أيام المستنجد أوقد المماليك النيران فى الاحياء المسيحية فى القاهرة وباقى المدن المصرية وواصلوا النهب والسلب فأرسل ملك الحبشة سفيرا من قبله فى زمن الملك المنصور يوجبه خيراً بالاقباط الذين كانوا حينئذ تحت الاضطهاد.

٦ - **وفى أيام خوش قدم (سنة ١٤٦١ م)**

هجم المماليك على الاقباط فى مصر القديمة ونهبوا منهم كل ما وصلت اليه أيديهم .

٧ - **فى أيام قايت باى (سنة ١٤٦٧ م)**

لم تصدر الحكومة قراراً بإضطهاد النصارى ولكن الرعاع لم يكفوا عن التحرش بهم ومحاولة نهبهم وسلبهم كما عمل كثيرون من الاقباط فى بناء القصور التى شيدت فى أيام قايت باى . وفى سنة ١٤٨٤ م هجم عرب الوجه القبلى على ديرى الانبا أنطونيوس والأنبا بولا وقتلوا جميع من فيها من الرهبان وبقيا خراباً نحو ثمانين سنة وكانتا بهما مكتبتان عظيمتان تحتويان على عدد عظيم من الكتب القديمة الثمينة فجمعوها وأحرقوها عن آخرها ولم يبق فيها الا ما خفى عن عيونهم (١)

عصر المماليك ووظائف الدولة

وبالإجمال فقد قاسى الاقباط فى عصر المماليك عموماً اكثر مما قاسوه فى العصور السابقة لذلك نجد أن الإضطهاد الذى وقع على الأقباط من أصحاب الحرف والصناع ما كان يقع على زملائهم وأخوتهم المسلمين حتى أعتنق الإسلام منهم كثيرون رغبة فى ترويج بضائعهم كما فرضت على الحجاج الأقباط ضريبتان إضافيتان إحداهما ثمان ريالات إذا نوى القبطى على السفر والثانية أربعة ريالات عند دخوله المدينة المقدسة بالقدس

عصر المماليك وحالة الكنيسة الروحية

كانت هذه الاضطهادات التى شنتها المماليك على الاقباط فى كثير من الأحوال تحول دون تعيين كثير من الرعاة فى المناصب الدينية كما أن تحول الكثيرين من المسيحية إلى الاسلام كان يؤدى إلى فقر الرعاة لقلة ما يحصلون عليه من المسيحيين من إيرادات للكنيسة ، كما حال دون شغل منصب البطريركية مما

---

(١) تاريخ الكنيسة القبطية (الجزء الرابع) للدكتوره ايريس حبيب المصرى .

أدى إلى إضطراب كثير من الاهالى الأقباط فى حياتهم الدينية ، وقد تسبب ذلك فى دفن كثير من الموتى دون القيام بتأدية الشعائر الدينية عليهم بالإضافة إلى ذلك أدت هذه المحنة إلى زواج كثيرين أيضاً دون ممارسة الطقوس الدينية لسر الزواج المقدس .

ولكن رغم هذا التدهور الذى وصلت له الكنيسة لا يقاس بما كان يعانيه الشعب والإكليروس من جهل لمبادئ دينهم فكان يسام كثير من الرعاة دون ما يطلب منهم ثقافة لرعاية شعبهم " أو ليس لديهم الغيرة والمعرفة والدراية الثقافية والكنسية والروحية لرعاية الشعب المسيحى " .

كما أن ما تعرضت له الاديرة والكنائس من تخريب ادى إلى تبديد الثروة وإذا كان قد بقى فيها شيئاً عند الرهبان عملوا إلى إخفائه مما حال دون الإستفاده منه فكان سببا فى إنحطاط الإكليروس ثقافياً ودينياً وخلقياً .

وقد تدخل السلاطين فى كثير من الأحيان فى إنتخاب الأساقفة وحالوا دون إقامتهم ، كما فعل الظاهر بيبرس حين إمتنع عن الموافقة على إنتخاب مطراناً للحبشة مما أدى إلى لجوء الإمبراطور إلى بطريرك السريان لأجل أن يرسل له مطرانا للحبشة لأن الإمبراطور كان فى أشد الحاجة إلى المطران لرعاية الشعب وتوجيهه روحياً وطقسياً وكنسياً .

المماليك وعلاقة الكنيسة القبطية بالكنيسة الحبشية :-

كانت العلاقات الدينية بين مصر والحبشة قد أصابها الضعف فى بعض الأوقات إلا أنها تسببت فى إقامة صداقة وطيدة بين أباطرة الحبشة وسلاطين مصر فقد كان لابد من موافقة السلطان على إنتخاب المطران المرسل إلى الحبشة كما أن مصر كانت تحكم الاراضى المقدسة التى يزورها الاحباش فى كل عام ، هذا بالإضافة إلى جريان نهر النيل من الحبشة إلى مصر وإعتقاد المصريين بإستطاعة الأحباش حبس الماء عنهم .

ولذا نجد الإمبراطور " يكونوأملاك " يكتب إلى الظاهر بيبرس قائلاً ومادحاً له " أحقر المماليك يقبل الأرض بين يديك " ، كما أنه أراد أن يسترضيه فذكر له قوله ولما إرتقى الامبراطور " يحيى صهيون " عرشه كتب إلى السلطان الناصر قلاوون أنه يعامل مسلمى الحبشة معاملة طيبة ويأمل أن يعامل السلطان مسيحى مصر نفس المعاملة .

وحدث أن سمع الإمبراطور " داود " بسوء معاملة السلطان للأقباط فأرسل جيشا دخل الحدود المصرية عند أسوان فأرسل السلطان إلى البطريرك يرجوه أن

يكتب إلى إمبراطور الحبشة مذكراً إياه بالصداقة المصرية الحبشية كما كتب السلطان الى الامبراطور كتاباً مليئاً بعبارات التقرب والود فرد عليه الامبراطور " داود " بخطاب آخر يذكره فيه بوجوب المعاملة الحسنة بالأب البطريرك والاخوة النصارى بالديار المصرية ولم ينس الإمبراطور " داود " أن يرسل مع خطابه هدايا عظيمة وضخمة إذ حملها عشرين جملا وقد قوبلت الهدية كما قوبل الوفد أحسن قبولاً ، وكتب السلطان خطاباً يقرر فيه رد جميع ما أخذه من الاديرة والكنائس . وكانت الوفود التى تأتى من الحبشة تستقبل بما يليق براسلها من التبجيل والإحترام فقد أمر السلطان بإستقبال الوفد الذى وصل سنة ٩٢٢ هـ أى ١٥١٢ م بدق الطبول المحملة على جملين وصحب المركب البابا البطريرك لابساً برنساً من الحرير الازرق ، كما أرسل الامبراطور " زرا يعقوب " هدية إلى السلطان " حقمق " مع رسولين إحداهما مسيحى واخر مسلم وكانت الهدية عبارة عن سبعين جارية وطشتاً من الذهب وسيفاً مسقطاً بالذهب ويذكره فيه تجديد ما سبق من العهود بين بلاد الحبشة ومصر ليكون ذلك العهد مستمراً . وهكذا كانت العلاقة الدينية سبباً فى قيام صداقة وطيدة بين الدولتين رغم بعد المسافة بينهما وإختلاف ديانتهما .

من الحوادث السابقة نلاحظ أن المماليك لم تراع عوائد البلاد كما كانت الحكومات التى قبلها بل كانت مستبدة وغير عالمة بطرق السياسة وكيفية حفظ النظام ولو كانت على غير ذلك لما نسب لمصر الدخول فى الانحطاط المستمر منذ تسلط المماليك عليها والدليل على ذلك إبطال الاحتفال بعيد الشهيد أيام الناصر محمد بن قلاوون (١٣٠٣ م أى ٧٠٢ هـ) على الرغم أنه عيد كان يحتفل به قبل دخول الاسلام (العرب) مصر ، وإبطال عيد النيروز أيام السلطان برقوق ويعوزنا الوقت الكثير لكى نذكر تاريخ المماليك الشراكسة الذى كان بمثابة فناء للكنيسة القبطية إنما ذكرنا الأحداث البارزة التى وقعت فى هذا العصر وهى تظهر لنا إلى اى حد وصل إنحلال الامة القبطية وكيف عمل المسلمون على ضعف التفوق القبطى فى البلاد ومن جهة أخرى نشاهد شدة حرص السلاطين على إرضاء العامة والغوغاء من الاكثرية المسلمة على الرغم انهم لم يستطيعوا أن يستغنوا عن خدمات الاقباط ولكنهم حدوا منها لكى يتجنبوا غضب العامة على قدر المستطاع (١)

---

(١) تاريخ الامة القبطية "يعقوب نخلة روفيله "

" الفصل الثانى "

قديسوا الكنيسة وعلماؤها وأراخنتها
فى عصر المماليك الشراكسة (١٣٨٢ م - ١٥١٢ م)

أولا : الآباء البطاركة فى عصر المماليك الشراكسة

عاصر حكم المماليك الشراكسة الذى إستمر ما يقرب من ١٣٠ عام ثمانى من الآباء البطاركة إبتداء من البابا متاؤس الاول (الـ ٨٧) إلى البابا يؤانس الثالث عشر (الـ ٩٤) وسوف نتكلم قليلاً عن أشهر هؤلاء البطاركة وعن الأحداث الجسام التى حدثت فى عهدهم والتى أثرت فى الكنيسة والشعب القبطى وما عاصروه من مشاهير قديسى الكنيسة وعلمائها وأساقفتها وأراخنتها فى هذه الفترة .

البابا متاؤس الاول البطريرك (الـ ٨٧) (١٣٧٨ م - ١٤٠٨ م)

كان راهبا بدير المحرق ويدعى الراهب متى واختير للبطريركية فى ٢٥ يوليو سنة ١٣٧٨ م ولقب بالمسكين .

أشهر الحوادث فى عصره

١) إضطهاد القس متى والشيخ مرقص الأنطونى من دير القديس الأنبا أنطونيوس حيث هجم طوائف من الإفرنج على مدينة الإسكندرية ونهبوا أموالها وسبوا حريمها ثم تركوهم ومضوا ولقد كان لهذا الحدث أثر سيئ على النصارى فإن الامير يلبغا الذى كان ملكا فى تلك الأيام قام بالإنتقام من هؤلاء النصارى وأرسل إلى جميع الديار الواقعة داخل دائرة سلطته يطلب أموالهم ويستولى على ما لديهم وقد ذُكرت هذه الحادثة فى سيرة الانبا مرقس سابقاً .

٢) نظراً لإمتلاء هذا الاب بالروح القدس وإنصافه فى أحكامه صارت كل محاكمة يتعذر على الملوك والحكام الفصل فيها يرسلونها إلى البابا متاؤس فُتحل بالوحى الإلهى حتى ذاعت شهرته فى جميع البقاع . وتعدت حدود الأقطار المصرية ووصلت الخارج وسمع بها الملوك الذين كانوا يقدمون له الهدايا الثمينة ، فكان ملوك الإفرنج يعتقدون فى طهارته ويعترفون ويثقون فى قداسته لكثرة ما عاينوه من محبة هذا الاب القديس لهم وما لمسوه بأيديهم وعقولهم من سلامة أحكامه التى كان ينصف فيها بينهم كل إنصاف وعدل وكان عندما يلمسون منه البركة يلمسون منه هذه العدالة والسلامة والمحبة والإنصاف فى احكامه وإرشاده ويمجدون الله قائلين " بالحقيقة كما سمعنا كذلك رأينا " (١)

---

(١) فوة ص ١٧١ وكتاب ١٥ تاريخ ص ١٨١ (أ) (٢٨٢)

٣) وكان البابا متاؤس ذا علاقة قوية بالسلطان برقوق (الملك الظاهر برقـوق) حتى أنه (أى السلطان) أشار إلى البابا متاؤس أن يكتب رسالة إلى ملك الحبشة لتجديد السلام معهم .

٤) فشل سعى العامة لهدم كنيسة العذراء بالمعلقة بمصر القديمة ونجاتها

خرج البابا القديس متاؤس الأول من القاهرة قاصداً الاديرة البحرية ببرية شيهيت للإعتكاف والصلاة فلما سمع جماعة من المعاندين بتغيبه لأنهم كـانوا يخشـون بأسه أثناء وجوده بالقاهرة لرابطة المحبة والاخلاص التـى تربطـه بالسـلطان برقوق اغتنموا فرصة غيابه وسعوا للقيام بهدم كنيسة السيدة العذراء والدة الإلـه بالمعلقة فلم يمكنهم السلطان من ذلك فإمتلؤا غيظاً وأخذوا حفنة نـار وأطلقوهـا تحت أساسات تلك البيعة يريدون حرقها بكاملها لكن الله عز وجل ببركة الراعى الصالح متاؤس لم يدع النار تصعد إلى علو البيعة وأخذ تلاميذ البابـا يطفئـون النار من أسفل كما أرسل لهم رب السلام الحارس على بيعته المقدسة ندى بـارداً بكثرة من فوق حتى أطفأ لهيب النار المتقدة وتعجب الحاضرون من هذه العظمـة الربانية ومجدوا الله على حسن صنيعه معهم (١)

٥) فشل مؤامرة هدم دير شهران :-

أراد بعض المعاندين أن يقوموا على دير شهران ويهدموه فقدموا إلـى الملـك برقوق عريضة يتهمون فيها رهبان هذا الدير بإدعاءات باطلة حتـى أذن لـهم بهدمه فإجتمعوا لتنفيذ غرضهم السيئ ، ولكن البابا متاؤس لم يمكنهم من ذلـك ويحكى أنه إجتمعوا فى ذلك اليوم خلق كثير لا يحصى لهم عدد وظنـوا أنـهم لكثرتهم يخشى البابا بأسهم ويخاف شرهم ويسلم لهم الدير ليهدموه ، لكن رجـل الله الذى يستمد من العلى قوته لم يخف منهم وصار يناديهم ويقاومهم إلى أن قال لهم محتداً " من منكم أيها الناس له يد وسلطان فليجرد سيفه ويقتلنى لانى مادمت حياً لا أمكنكم من أن تهدموا طوبة من بناء هذا الدير إلى أن أقف أنا وانتم أمـام السلطان وأظهر له الحقيقة وبعد أن تكلم معهم بهذه الجرأة المستمدة مـن قـوة إيمانه تركهم البابا ومضى إلى القلعة وإستغاث بقوة السلطان برقوق ملك مصـر ولما وصل صوت صراخه إلى مسامع الملك أرسل للوقت للكشف عن حقيقة مـا نُسب لرهبان الدير المذكور فلما مضى القضاة الاربعة إلى دير شهران لبحـث الامر فلم يجدوا أثراً بالمرة فيما أدعى به المعاكسون ومنعهم من الاعتداء على

---

(١) كتاب ١٥ تاريخ ص ٢٢٨٦ وفوه ص ١٧٣

مبانى الدير فهرب أولئك الشاكون وإختفوا من غضب الملك برقوق لئلا يبطش بهم لكذبهم فيما أدعوه (١) .

٦) كما حدث إضطهاد له ولشعبه فى أيام الامير منطاش والقائد يلبغا

٧) خلاص البابا متاؤس من الاضطهاد والسجن الذى وقع فيهما بعد موت برقوق

فى أيام حكم الملك الناصر كان هذا الحاكم قائداً للجيش وكان ينوب عنه الامير يلبغا الذى كان عصره عصر شؤم على الكنيسة والاقباط وأمر بحصر أبوابهم (أبواب المنازل والحوانيت والطواحين والافران والبساتين والسواقي والكروم وفرض عليها ضرائب باهظة) وقبض على البابا متاؤس الاول وسجنه وأحضر نساء النصارى واليهود وألبسهم ملابس زرقاء وصفراء أمام البطريرك ولكن البابا قاومه بشده فغضب الامير عليه من ذلك واستل سيفه و شرع بضرب رقبة البابا فمد البطريرك رقبته إليه وسأله أن يقتله فرجع الامير عن غضبه وإندهش لشجاعة البابا وأراد أن يطلق سراحه ولكن البابا رفض ذلك إلا إذا أطلق أبناءه المسجونين بدون ذنب أو خطأ . فى تلك الاثناء هجم أحد امراء مصر على السجن وكسر أبوابه الحديدية وأخرج البابا متاؤس البطريرك القديس ومن معه من المسجونين من السجن وهزم الامير يلبغا.

٨) قيام الامراء بإضطهاد البابا متاؤس الاول وفشلهم فى أيام السلطان ناصر فرج

الحادث الاول

بعد إنتقال السلطان برقوق قام الامير سودون (أحد أمراء المماليك) بإضطهاد المسيحيين وشن الغارة عليهم بوطأة شديدة فدبر ذات مرة مع المعاندين كميناً صعباً للقضاء على المسيحيين ، إلا أن الله تمجد ويتمجد أسمه كشف للبابا متاؤس أمر هذه المكيدة فقام لساعته وخرج خفية من قلايته ومضى إلى بيعة الشهيد مرقوريوس وحبس ذاته فيها مدة سبعة أيام وسبع ليالى وهو مداوم على الصلاة بلا إنقطاع سائلاً المولى تعالى أن يخلص شعبه من هذه المكيدة فرأى فى الرؤية السيدة العذراء مريم تحدثه قائلة له " أن الله قبل طلبه فى خلاص الشعب وأبطل مؤامرة المعاندين السيئة " ، حينئذ إبتهج قلب هذا الاب وفرح فرحاً عظيماً وخرج فى اليوم السابع مثل ملاك الله .وبتدبير من الله تعالى أرسل الامير سودون يطلب حضور البطريرك عنده فى ذلك اليوم وصار يخاطبه بما أضمره الشعب من الحوادث الرديئة الصعبة وفى جملتها أنه أراد أن يلبس

---

(١)كتاب تاريخ ص ٢٨٦ + فوة ١٧٣أ

(٢) كتاب التاريخ ص ٢٨٦ + فوه ١٧٣ أ

النسوة الإزارات الزرقاء وغير ذلك فامتلأ البابا من روح الله وقال له " مَن مِـن الامراء الذين تقدموك فعل هكذا مع الرعية ؟ أو مَن من البطاركـة رضـى أن يشهّر ببنات شعبه ويجعلهم عاراً أو إضحوكه لصغار عوام الناس ولكن الحـق أقول لك أيها الامير ، أنك متى شهرت بواحدة من بنات شعبي أنا لا أبـرح أن أطلق الخراب و التشهير فى بلادكم ، من اطراف الحبشة إلى أقاصى مصـر ، وانا أخبرك أيها الامير أن النصارى ليسوا بغير ملوك الارض ، ولا سـلاطين مسيحيين ينظرون فى تسلطكم عليهم . فامتلأ الامير خوفا ، وأطلق سـراح الاب ، ولم يعد يخاطبه بشيء حتى تعجب الشعب من شجاعة البابا البطريرك وقـوة إقدامه ، وسداد إجابته وقدموا الشكر لله تعالى على خلاصهم من هذه التجـارب والمحن بشفاعة القديسة العذراء مريم (١)

الحادثة الثانية

فى إحدى المرات تكلم أحد الامراء مع الملك والقضاة أن لا يبقوا نصرانياً علـى الارض فى مصر ، فقام البابا متاؤس البطريرك ، وصلـى مسـتنجداً بشـفاعة القديس مارجرجس ، أن ينقذ الاقباط من رغبة هذا الامير ، وقبل أن يتمم البابـا توسلاته استجاب الله لصلاته ، حيث سلّط الله على هذا الامير أعداءه فقدموا لـه كأساً مملوءة سماً فشربها وهو لا يعلم بما دبروه له بمكر وحيطه ومات لسـاعته ميته شنيعة ، وانتقم الله منه لسوء تدبيره ضد شعب الله الوديع (٢)

الحادثة الثالثة

فى إحدى المرات غضب البابا متاؤس على الامير أوزيك ، الذى كان عصـره شؤم على الاقباط ، فأقام ستة أيام وستة ليالى مداوماً على الصـلاة ، متوسـلاً بشفاعة رئيس الملائكة ميخائيل الطاهر ، ليخلص الشعب من نيره ، فلما إنتـهى اليوم السادس ولم يسمع عن ذلك الامير خبراً فأرسل أحد تلاميذه ليستطلع أخباره. فوجد التلميذ تابوت ذلك الامير على باب داره والناس يسـتغيثون قـائلين هـذا الامير له ستة أيام معذباً من طعنه فى جنبه إلى أن مات فى هذا اليـوم فطـار التلميذ راكضاً نحو معلمه وأطلعه على جليه الأمر فتعجب البابا وأعطى المجد لله سبحانه وتعالى والشكر لرئيس الملائكة الذى لم يخيب رجائه للخـلاص مـن هذا الأمير الظالم (٣)

---

(١) كتاب ١٥ تاريخ ٢٨٦ (أ) و ٢٨٧ + فوه ١٧٣ ، ١٧٤

(٢) كتاب ١٥ تاريخ ص ٢٩١ + فوه ص ١٧٦

(٣) كتاب ١٥ تاريخ ص ٢٩١ + فوة ١٧٦

إنتقال البابا متاؤس من هذا العالم

فى أيام الأمير جمال الدين الذى كان عهده عهداً مظلماً على الأقباط وكان يقوم بقتل الكثير من الناس ويستولى على أموالهم وكان يبحث فى إيجاد علة على البابا ليقتله بها وتنفيذا لمؤامرته أرسل رسلاً خفية إلى أرض الحجاز واليمن ليقدموا عرايض ضد البابا يدّعون عليه فيها أن البطريرك يرسل فى وقت رسله إلى بلاد الحبشة ليحث ملكها على تخريب مكة ومافيها . ولما علم بالروح ان العرايض كُتبت ضده إستعان كعادته بشفاعة السيدة العذراء والدة الاله كى تأخذ نفسه إليها بغير سفك دم حتى لا ينال شعبه شدة ولا صعوبه - ورغم ان مندوبى البابا حملوا الى هذا الامير خمسمائة ألف درهم من مال البطريركية لعله يطيب قلبه ويكف عن تهديد البابا لكنه لم يرتدع ولذلك عندما حضر رُسل الملك يوم الاحد أوليلة الاثنين ٣١ ديسمبر سنة ١٤٠٨ م إلى دار البطريركية كان البابا قد أسلم روحه الطاهرة إستجابة لطلبته ودفن فى دير الخندق (الانبا رويس) .
وإنتقم الله من هذا الامير الظالم حيث سلط عليه من وشى به عند الملك فقبض عليه وعاقبه وإستولى على ممتلكاته ولم يسلم من الضرب والعقوبة حتى مات شر ميته (٢)

البابا غبريال الخامس البطريرك (الـ ٨٨)

كان ملقب بمستوفى الجيزه وعرف بإسم غبريال الامجد ، وكان راهباً بدير القلمون بالفيوم ثم سيم بطريركا فى سنة ١٤٠٩ م فى أيام سلطة الملك فرج بن برقوق .

وفى أيامه قطعت الكنيسة الحبشية الاعانة التى كانت ترسلها إلى الكنيسة المصرية مما تسبب عن فراغ الخزانه البطريركية من المال وإعتماد البابا فى الحصول على قوته الضرورى على مساعدة أولاده الأراخنة . وقد تم فى أيامه رسامة بطريرك انطاكى فى مصر ، كما كان فى عهده يلقى التجار المسلمون فى بلاد الاحباش معاملة سيئة فدعته الحكومة المصرية سنة ١٤١٨ م ولما مثل امام مجلس الحكومة هددوه بالموت ، إذا لم يمنع الاحباش الذين تحت سلطته من مضايقى التجار المسلمين النازلين فى بلادهم ، فوعدهم بالاتصال بملك الأحباش ليمتنع عن هذه المعاملة ، ورغم ما قاسى هذا البابا الوديع من الإضطهاد الشديد مدة رئاسته ، فأنه بذل مجهوداً كبيراً فى سبيل إصلاح ما أفسدته يد الإضطهاد

---

(٢) كتاب ١٥ تاريخ ص ٢٩٤ (أ) + فوة ص ١٧٨ (أ)

والمحافظة على شعبه من قوة رجال الحكومة ومما يذكره التاريخ حدثت زلزلة عظيمة بمصر سنة ١٤٢٤ م ومن مؤلفاته كتاباً فى الطقوس الكنسية .

إنتقـــاله:

ولما أكمل جهاده بسلام تنيح فى سنة ١٤٢٧ م فى عهد السلطان إبن نصر الأشرف ودفن بإكرام فى كنيسة بابليون الدرج (١)

البابا يؤانس الحادى عشر البطريرك (الـ ٨٩) (١٤٢٧ م – ١٤٥٢ م)

هو القس الأسعد أبو الفرج خادم بيعة الشهيد مرقوريوس أبى سيفين بدرب البحر فسطاط مصر والشهير بإسم فرج المقسى وكان مشهوراً بالفضيلة والعلم ويقوم بالتدريس فى مدرسة قبطية عظيمة بالمكس . وقد سيم بطريركاً فى سنة ١٤٢٧ م بإسم البابا يؤانس الحادى عشر .

أهم حوادث البلاد فى عهده

توقف النيل عن الوفاء بعطائه وهبط مستوى الماء فيه سريعاً فى سنة ١٤٢٩ م فعطشت البلاد ووقع الغلاء ، كما حدث وباء شديد سنة ١٤٣٨ م بالاضافة إلى هذه النكبات . حدث فى سنة ١٤٤٩ م غلاء شديد جدا ، وإرتفعت الاسعار ، وإستمر هذا الغلاء سنتين ، قاسى الشعب اثنائها اقسى الاهوال وأفظع المجاعات ، وذلك لانه فى أثناء الغلاء تفشى مرض الطاعون وإزدادت وطأته ، ثم خفت إصابته فى أيام خماسين المسيحيين (١) . وفى سنة ١٤٥٠م زاد البلاء ، عندما وقف النيل عن الوفاء فضج الناس وشحت الغلات وإشتد قلق العالم .

أهم حوادث الكنيسة واخبارها

فى أيامه حدثت زيارة بطريرك أنطاكية لبطريرك الاسكندرية وكان هذا سنة ١٤٣٠ م ، كما حدث فى أيامه طبخ الميرون المقدس للكرسى الانطاكى .

وفى أيامه ايضاً حدث حصر لكنائس النصارى والبهود ونظموا حملة لإضطهادهم وخاصة كنيسة للملكيين ومجمع لليهود فى قصر الشمع كما أمر القضاة بضرب ثلاثة من اليهود مات إثنان منهم وأسلم الثالث وذلك سنة ١٤٤٢م

---

(١) كتاب ١٥ تاريخ ص ٢٩٦ (أ) + فوة ص ١٨٣ (أ)

(١) السخاوى ص ٢٥٤

وفى أيامه تم تجديد العهد العمرى وذلك سنة ١٤٤٢ م . كما أصدر السلطان أمراً بعدم القيام بتجديد أى كنيسة أو دير أو صومعه أو قلاية أو بيعة ولا يصلح ماخرب أو نقب من جدرانها أو أخشابها إلا باذن من السلطان ومن يخالف كان جزاءه الموت كما ارسل ملك الحبشة فى أيامه بعثة إلى مصر سنة ١٤٤٣ م تحمل هدايا للسلطان قام المغرضون بتشويه معناها فكان من نتائجها إضطهاد للنصارى ومنع بطريرك النصارى من الاتصال بالاحباش دون وساطة الدولة .

وفى أيامه تم هدم ماكان موجوداً بجبل طور سيناء وشبه الجزيرة من كنائس وصوامع مستجدة وبهدم ما إرتفع من بناء الكنائس المجاورة للجامع وتسليم أنقاض ما كان يُهدم لبيت مال المسلمين وذلك بأمر القضاء وكان ذلك فى سنة ١٤٤٦ م . ومما تقدم يظهر جلياً تحامل رجال القضاء تحاملاً يتنافى مع سمو الاديان الالهية وروح الاسلام نفسه بل يتضح من ذلك بلا أدنى شك روح البغضاء المسيطرة على عقول رجال هذا العصر بدلاً من روح التسامح التى تبشر بها الشريعة السمحاء .

وفى أيامه تم هدم كنيسة الملكيين بقصر الشمع سنة ١٤٤٧ م بأمر السلطان حسداً وطمعاً وأمر ببيع أنقاضها وأن يعمر من ثمنها المسجد المجاور القديم الذى كان بجانبها الغربى المعروف بمسجد الطليحى .

وهكذا كانت الاحكام التى تصدر بأسم العدالة هى بعيدة كل البعد عن روح الاسلام وأحكامه بل مبنية على حكم الاستبداد والتعصب الغادر

ويقول السخاوى فى كتابه أن السيد شهاب أبو العباس القسطنطينى الاصل والمصرى المولد القاضى الشفاعى الشهير بالنعمانى كان نقمه على أهل الذمة فيما يبنونه فى كنائسهم وكان هو المهتم بهدم كنيسة الملكيين بقصر الشمع وأنه نكل بالنصارى حتى أسلم على يديه ثمانون وفى أيامه لا توجد كنيسة إلا وقد نالها من السيد شهاب الدين إما الهدم أو بعض هدم وإما إزالة منبر أو إزالة حجاب وقد أصابه الله بأمراض البواسير والفتق وغيرهما ونال من الله القصاص العادل على تعصبه الاعمى وتعديه على بيعة الله ظلماً وغدراً ومات فى ٢٨ يناير سنة ١٤٤٨ م .

معاصروه: عاصر البابا يؤانس سلطنه الملك الأشرف برسباى من دولة المماليك وخلافه المعتضد الثالث داود إبى الفتح إبن المتوكل العباسى والملك العزيز (جمال الدين يوسف بن الأشرف سنة ١٤٣٨ م) وفى نفس السنة عزل الملك

العزيز وبويع أتابك جيشه سيف الدين حقمق ولقبَ بالملك الظاهر وبعـــد وفـــاة المعتز بويع أخيه ولقبَ بالخليفة المستكفى بالله الثالث العباسى (١٤٤٢ م) وفى سنة ١٤٠٥م توفى الخليقه المستكفى وبويع أخوه ولقبَ الخليفة القـــائم بـــأمر الله العباسى .

نياحته وبعد جهاد متواصل أكمل سعيه الحسن وأراد الله الذى لاينس تعب المحبه ان يريحه من أتعاب هذا العالم فنقله إليه فى ٤ مايو سنة ١٤٥٢ م فى ســـلطنة فخر الدولة عثمان بن القائم بأمر الله المُلقب بالمنصور .

البابا يؤانس الثالث عشر البطريرك (الـــ ٩٤) (١٤٨٤ م - ١٥٢٤ م)

كان يدعى الراهب يوحنا بن المصرى وقد سيم بطريركا فى ١٥ أمشـــير ســـنة ١٢٠٠ ش (١٠ فبراير سنة ١٤٨٤ م) بإسم البابا يؤانس الثالث عشر فى أيـــام الملك قايتباى أبو النصر الأشرف .

وقد كان هذا البابا رجلاً فاضلاً وعالماً كبيراً وكان محسناً بـــاراً ولـــه مؤلفـــات كبيرة فى الدين وفى أيامه رسم بابا روميه طبيباً فى الجيش البرتغالى مطرانــــا على الحبش وسماه بطريرك الاسكندرية وقد قام البابا يؤانس بإحضـــــار جســـد القديس مرقوريوس أبى سيفين إلى البيعة المكرسة بإسمه فى مصر القديمة بدرب البحر فى سنة ١٤٨٨ م كما قام بإهداء كتاب الطب الروحانى إلى الانبا إبـــرآم أسقف جزيرة قبرص التى كانت أسقفية قبطية منذ القدم وفى أيامه حضرت إلـــى مصر بعثه حبشية لزيارة بيت المقدس سنة ١٥١٥ م .

أبروشيات الخمس مدن الغربية :

كانت الخمس مدن الغربية من أهم المراكز المسيحية التابعة للكرسى الإســكندرى وكانت أبروشياتها عامرة تشغلها الاساقفة حتى قبيـــل الفتـــح العثمـــانى للديـــار المصرية وآخر أسقف سيم لهذه البلاد هو الانبا قرياقص الذى هجر كرسيه فـــى بداية الفتح العثمانى وإعتزل بجبل شيهات ودعى اسمه ساويرس ولـــه مؤلفـــات بدير السريان .

معاصـــروه : عاصر كل من السلطان قايتباى أبو النصر الاشـــرف والســـلطان قنصوة الغورى والسلطان طومان باى والسلطان سليم الاول أول سلاطين الدولة العثمانية سنة ١٥١٧ م .

نياحتـــه : تنيح فى ٥ فبراير سنة ١٥٢٤ م ودفن فى كنيسة الســــيدة العـــذراء بحارة زويله .

ثانيا :أشهر القديسين والعلماء والأراخنة
فى عصر المماليك الشراكسة

١ – إشتهر من كتّاب الاقباط وأساقفتها فى عصر الشراكسه الانبا قرياقس اسقف البهنسا وهو من رجال القرن الخامس عشر للميلاد وقام بوضـــع عـــدة ميـــامر متفرقه فى مديح العذراء وفى قيامة السيد المسيح وفى هروب العائلة المقدسة الى مصر وفى مديح الشهيد بقطر .

٢ – كما إشتهر أيضاً فى هذه الفترة الانبا بطرس الملقب بالجميل أسقف مليـــج الذى كان فى ايام البابا بطرس الخامس وله ثلاث كتب فى العقيدة والإيمان .

أشهر شهداء هذه الحقبة : –

بما أن الإضطهادات لم تهدأ قط خلال هذه الحقبة استشهد العدد الوفير من أبنـــاء الكنيسة وبناتها وقد إحتفظ التاريخ لنا بأسماء البعض منهم بنيانا لنفوسنا وترسيخاً لعقيدتنا وسوف نذكر أمثلة منهم : – .

١ – القديس صليب الشهيد :–

كان فى عهد البابا يؤانس الثالث عشر ، ولد فى بلدة هور مركز ملوى محافظـة المنيا وكان والداه خائفى الله فربياه التربية الروحية الحقة وعرفا كيف يجعـــلان العقيدة تترسخ فى اعماقه فلا يرضى بها بديلاً ولما بلغ سن الشباب فكر والده فى اختيار زوجة له من أقاربه وزوّجاه رغم إرادته ولم يعرف القديس إمرأته وظـلا بتولين تحرسهما العناية الإلهية ويظللهما ملاك الرب من كل رجس وعيب .

عقب زواج صليب هجر وترك والديه وصار يتجول فـــى الجبـــال والـــبرارى ويزور الاديرة ويعزى نفسه الطاهرة بعشرة القديسين والنساك المتعبدين .

ولما عثر عليه أهله ، قيدّوه بالحديد حتى لا يفارقهم ، ولكنهم رأوا أن هذه القيود قد انحلت من قدميه وانفتحت اقفالها من نفسها بقوة السيد المسيح الحاله فيه

كان صليب يواصل ليله بنهاره بالصلوات وكانت امنيته الوحيده التوسل لوالـــدة الاله القديسة مريم ان تعينه على نيل إكليل الشهادة على إسم ابنـــها الحبيـــب ، فظهرت له السيدة العذراء مريم فى حلم وأفهمته أن طلبتـــه اجيبـــت ، وســـينال امنيته وسيكون الملاك الطاهر ميخائيل فى حراسته .

بداية تجاربه وآلامه : -

قبض عليه جماعة من الغوغاء المتعصبين وقدموه لحاكم البلادلإعلانه بإيمانه بالسيد المسيح فإنهالت عليه الشتائم والإهانات واللطمات ، كما رجموه نتيجة تمسكه وإعترافه بالسيد المسيح ، فلم يصبيه شئ لان ملاك الرب كان يحرسه . وبعد ذلك،أودعه الحاكم فى السجن فكان كلما وضع السجان الحديد فى رجليه ، كان يجده حرا طليقا . وقد إعترف بإيمانه بالسيد المسيح امام حاكم أو والى مصر ، الذى أرسله الملك الاشرف قنصوة الغورى ، وظل معترفا ومتمسكا بإيمانه ، فأرسله الملك إلى القضاة الذين قرروا إعدامه وإشهاره فى ارض مصر وشوارعها مكبلا بالحديد وتم تنفيذ ذلك . وبعد جهاد مرير قطعت رأسه فى ٣ كيهك سنة ٢٢٩ ش ونال إكليل الشهادة ، بركته تكون معنا آمين .

٢ - **القديس سيدراك الانطونى** وفضل الله ورفيقهم المختار داود البنا وهؤلاء الثلاثه نزلوا من جبل القديس الانبا أنطونيوس ليكونوا على إستعداد أن ينالوا إكليل الشهادة إقتدوا بأبى الرهبان الذى نزل الى الاسكندرية فى أيام مكسيميانوس وهو يقول فلأذهبن الى حيث نيران العذاب فإن سمحت النعمة الإلهية بإستشهادى تجدنى مستعدا وإن لم تسمح بذلك أكون على أقل تقدير واقفا الى جانب المضطهدين من ابناء القديس مرقس الانجيلى .

٣ - **البكر الطاهر حديد** من أهالى الجيزة وقد حكموا عليه أن يتبع جده فى العذاب فأجابهم" عجلوا بقتلى يا هؤلاء فليس لى أب ولا أم ولا جد سوى المسيح"

٤ - **القس يعقوب** الذى إضطره الأمير يلبغا السالمى إلى إنكار المسيح فهرب إلى المساء وفى الصباح أعلن إعترافه بالمسيح فنال إكليل الشهادة .

٥ - **منصور بن بطرس ورفيقه** داود الذين سعى بهما إبراهيم السريانى وجرهما من برية شيهيت إلى مصر ، رغبة فى أن يدفعهما إلى جحد الإيمان ولكنهما صبرا وجاهدا وصرعا الشيطان ، بأن نالا إكليل الشهادة وقد نفذت بسالتهما إلى قلب إبراهيم فدفعته إلى التوبة وإلى أن يسير بدوره فى طريق الإستشهاد فيكفر عن خطيئته بدمه .

٦ - **الشاب المجاهد ماماديوس المدعو ميخائيل** ويتضح من إسمه ومن مسلكه أنه كان مسلما ثم آمن بالمسيح ونال صبغة المعمودية ولما عاقبه الحكام وكانوا يسألوه عن اسمه فيجيب إسمى الاول الذى أطلقه على أبواى فهو ماماديوس أما أسمى الذى أموت وأحيا به فهو ميخائيل وظل ثابتا لا يعطى غير هذا الجواب إلى أن قطعوا رأسه بحد السيف .

سيرة الانبا رويس
(١٣٣٤ م - ١٤٠٤ م)

كان معاصرا للبابا متاؤس الكبير (الـ ٨٧) والاب الروحي لأنبا مرقس الانطوني . وكان فقيرا مستهزا به وكان والده قد إرتد عن الإيمان خائرا أمام الإضطهاد العنيف الذى أصاب المؤمنين فى ذلك العصر لكنه عاد إلى الايمان المسيحى بصلوات إبنه .

وقديسنا بطل فى قوة تمسكه بالايمان لذلك نال عطايا الروح ما لم يناله آخر سوى الذين كانوا يعيشون وراء الله فى كل عصر . إن كل سطر فى حياة الانبا رويس يؤكد أن حياة القداسة ممكنة مهما كان هناك من معطلات أمام الذى يطلبها وما أمجدها من حياة ينالها اى إنسان من طالبى الله فى أى عصر . والذى يهمنا فى حياة الانبا رويس السمة الرسوليه التى كان يعيش بها ، سمة الكرازة بإنجيل السيد المسيح والمناداة بالتوبة للناس . حقا لم يكن الانبا رويس كاهنا ولا راهبا ولا شماسا بل ولا قارئا إنه لم يعرف القراءة ولا الكتابه فهو كان شخصا علمانيا عاديا كادحا يأكل خبزه بعرق جبينه ومع ذلك فهو يطلب ما هو فوق يطلب الحياة الافضل ولهذا لم يكن يعيش كما يعيش الباقون بل عاش كما يحق لإنجيل المسيح . ولإحساسه بعظمة الحياة الأبدية المقدسة كان يجول يدعو الناس إليها .. بل يبكى ويتمزق قلبه ويصرخ إلى الله من أجل الذين تركوا وصايا الله كما يقول فى المزمور " الكآبة ملكتنى من أجل الخطاه الذين تركوا ناموسك " (مز ١١٩) . وفى كرازته وتوبيخه للمتهاونين لم يخجل أو يخاف المقاومين واضعا كل هذه النفوس فى قلبه يريدها أن تحيا فى حرية الروح التى حرره منها ابن الله ويشتاق ويرجو لها من كل قلبه بدموع أن تطلب الحياة الابدية التى مات المسيح على الصليب وقام لكى يقيمنا لها .

ولان الأنبا رويس تحكم فى شهوته وفى ذاته فقد أستطاع أن يجذب حتى أعدائه إلى ربه وإستطاع أن ينطق بكلمة الله الحية الفعالة المصحوبة بقوة الروح القدس فتنفذ إلى قلوب الناس مجددة حياتهم إلى شبه حياة السيد المسيح . هذا كله إلى جانب حياته المسيحية العميقة من أصوام وزهد شديد فى المأكولات والملابس والممتلكات وإفتقاره إلى المأوى كذلك من صحته وإحتماله الآلام ، يشبه السيد المسيح ، ومواظبته على الخلوات والصلوات والقداسات والتناول بكل خشوع ورهبة وتقوى ، كما لم تكن الفلاحة وبيع الملح عائقا عن أن يهتم بعبادته والعكوف على الصلاة والتأمل .

زمن القديس :-

كان القديس الأنبا فريج معاصرا للانبا متاؤس البطريــرك الســابع والثمــانون والقديس مرقس الانطونى وذلك فى زمان السلطان الظاهر برقوق . وفى ذلــك الحين صارت موجه غلاء عمت المسكونه (سنة ١١٢٠ ش) وكانت الكنيســة فى تلك الزمان تعيش فى وسط ظلام دامس وشر كثير وسط جيل معوج ملتــو ومع شديد الاسف لم يكن بالكنيسة فى ذلك الوقت معزون أو معلمون وفى ذلــك الزمان حدثت ضيقات كثيرة وإضطهادات عنيفة على القبط وكانت كلمة الــرب عزيزة فى تلك الايام .

حالة الأقباط فى عصر الأنبا رويس (القرن الرابع عشر)

كان هذا القرن شؤما على الكنيسة خربت فيه الكنائس والأديرة تخريبــا فظيعــا وصودرت ممتلكاتها وهدم معظم الاديرة وضوعفت الجزية على الاقباط وقتــل من قتل وأسلم من أسلم . حتى أشرف الاقباط على الفناء وكان للكنائس أوقــاف تبلغ نحو ٢٥ ألف من الافدنة أخذها الملك الصالح بن محمد بن قــلاوون مــن الاقباط وأنعم بها على الأمراء ولم يأت آخر القرن هذا حتى كــانت إبروشــيات كثيرة فى الوجه البحرى قد تلاشت لإنقراض النصارى بها من جــراء تعســف هؤلاء الحكام الأردياء .

مواقف من حياته

١) صمته وإحتماله للألم

درب نفسه أن يضبط لسانه إلى حد أنه كان يمكث شهور لم يلفظ بكلمة . ولقــد بلغ به الصمت أنه حين إستدعاه الأمير سودون ليسمع كلمة منه وقــف أمامــه مطبق الشفتين وأمر بضربه أربعين عصا وإنهال الجنود عليه حتى تهرأ لحمــه وسال دمه وعلى الرغم من آلامه المبرحة لم يفتح فمه وإحتدم الامير غيظا وأمر بتشهيره أى بأن يلبسوه مسحا ويطوفوا به فى الشوارع والميــادين وفــى هــذه الطواف هزأ به كل من يراه ويضربه ويرمى عليه الطيــن والزلــط وينخســه بالاسياخ ولما رآه الجند يتأرجح فى إغماؤه القوا به على الارض فــإذا بالســيد المسيح يظهر له ويشفيه والعجيب أنه خلال الضرب والرجم والتنخيس لم يفتــح فمه علىالإطلاق بل ولم تبدر منه أهه واحده .

٢) جهاده وشجاعته

أ - فى ذات مرة طالبوه أن يعلن مسيحيته لأنه مكشوف الرأس مما يجعل ديانتــه غير معروفه (لأن المسيحيين كانت تميزهم عمامه خاصة فى ذلك الزمان)

فأسرع بشراء قماش أزرق ليستعمل لهذا الغرض وإعترف بشجاعة فائقة ولم ينكر مسيحيته ، وكان دائما يحمل صليبه الخشبى كجندى صالح ليسوع المسيح .

ب - وفى إحدى المرات أراد جماعة من القضاة أن يمتحنوا شجاعته فذهبوا إليه وبمجرد أن رآهم تشدد ووقف أمامهم كالاسد وقال لهم " ماذا تطلبون ؟ " فقالوا نريد أن نعرف ديانتك فأشار إلى الصليب المدقوق على يده وإعترف بالمسيح جهرا ثم ظل يرشم ذاته بعلامة الصليب المقدسة من رأسه إلى قدميه وإعترف بالمسيح جهرا حتى إقشعروا منه وخرجوا وهم مذهولين وهكذا كان يفعل مع كل من يسأله عن ديانته وظل متقويا دائما بعلامة الصليب حتى نياحته ويعتبر الانبا رويس بطلا من أبطال الإيمان فقد كان عصره رديئا إرتد كثيرون فيه عن الايمان بسبب الإضطهاد أما هو فتعبد حيث قل المتعبدون وظل ثابتا على أمانته

سجن القديس

فلما تعبوا من بطشهم بالقديس زجوا به فى السجن وهناك بدأ التلميذ المرافق له يعاتب القديس قائلا " لو كنت تكلمت مع الامير ولو كلمة واحدة لما نلت هذه العقوبات الصعبة " فقال له " أما تفهم ما إحتمل سيدنا يسوع المسيح فى جسده من الألم والجلد والسياط والاشواك وهو واقف أمام بيلاطس متألم ولم يجبه بكلمة وهو الذى علمنا أن نتبع آثاره كيف تلومنى على السكوت ؟ " .

وكان مع القديس فى السجن حوالى ثمانين مسيحيا كانوا مأسورين ومقيدين منذ عدة شهور ولما رأوه ألقوا بوجوههم على جراحاته ثم سألوه بدموع من أجل نجاتهم فرفع الانبا رويس عينيه نحو السماء وتضرع إلى السيد المسيح أن ينجيهم فلم ينته من صلاته حتى جاء قداسة البابا متاؤس يحمل إليهم الفرج فخرجوا فرحين وهم يسبحون الله وكلهم متعجبين لان ذلك واضحا فيه عمل الله من أجل صلاة القديس .

٣) رحمته

كان القديس الانبا رويس كثير الرحمة والشفقة على الارامل والأيتام والفقراء ولم يكن يميز بين مسلم ومسيحى بل كان يعامل الجميع معاملة واحدة من اللطف والاشفاق .

٤) موهبة التنبؤ

لقد أعطى الله الانبا رويس موهبة التنبؤ فكان يخبر بأمور آتية حسب وعود الانجيل وكان أحيانا وهو جالس مع تلاميذه يكشف له الرب فيرى ما يحدث فى أماكن بعيدة ويخبرهم به .

أ – إنتصار الملك الظاهر برقوق : –

ثارت حرب شعواء بين الملك برقوق والأمير منطاش بمصر وإنكسر الظاهر برقوق وقبض الأمير منطاش على عساكره وقيدهم وحبسهم بالقلعة وحزن الشعب كله على إنكسار الملك برقوق فقال لهم الانبا رويس لا تحزنوا سيخرج الملك برقوق من منفاه وينتصر على عدوه الامير منطاش فتعجبوا كثيرا لهذا القول ولم يصدقوا .

وفى الغد أمطر الله بردا كثيفا من السماء على معسكر الامير منطاش وتبدد شمل جنوده وثقب الملك برقوق جدران الجب (السجن) فى القلعة وخرجوا منه وهجموا على البقية من عساكر منطاش وهزموهم شر هزيمة ورجع الملك برقوق من أسره فقابله جميع الشعب بنشيد الظفر وهم يهتفون " ينصر الله السلطان " .

ب – وفى مرة تنبأ القديس بغلاء كان مزمعا أن يحل بالبلاد : –

وقد ظن تلاميذه أنه سيبطئ ولكنه أنذرهم بأنه يحل فعلا فلما علم الناس إشتروا قمحا كثيرا قبل أن تعم موجه الغلاء التى إرتفعت فيها الأسعار (إرتفع سعر أردب القمح من ٤ درهم إلى ٤٠ درهم) وأنقذ بذلك القديس نفوسا كثيرة من المدن ولاسيما الفقراء وقد وقع هذا الغلاء سنة١١٢٠ للشهداء إى قبل نياحة القديس بسنة واحدة ولما سألوه عن زمانه قال " أنا أطلب من الرب أن أموت قبل أن أعاين ذلك اليوم لان الشدة التى ستكون عند زواله أشد وأصعب مما رأيتم أثناء وجوده " وفعلا تنيح القديس قبل زوال الغلاء .

٥) رحيل القديس

أقام القديس الأنبا فريج فى منزل أبيه حتى بلغ العشرين من عمره وحدث أن وقع إضطهاد شديد على الأقباط فى ذلك الحين وقاسوا من جراءه ضيقات شديدة حتى خرج كثيرون عن الايمان ومنهم إسحق والد القديس ومن فرط حزن القديس قرر الرحيل من بلدته فذهب إلى برية الشيخ المجاورة لهم وحبس نفسه أياما لا يأكل ولا يشرب حتى أصاب جسده من التعب والإنتهاك الشئ الكثير وأخذ يصلى إلى الله من شدة ألمه وحزنه ثم إنتقل إلى القاهرة وفى الطريق أختطف فى رؤيا إلى السماء ثم توجه إلى الوجة القبلى ولما بدأت عجائبه ومعجزاته تنتشر فى البلاد لأن عطر سيرته وصيت قداسته وصلت عبر الأماكن ، فأنكر نفسه وتخلى عن كل شيء حتى إسمه وتسمى بإسم جمله (رويس) وأخفى إسمه الأول (فريج) وطاف القديس معظم بلاد مصر وصار يتنقل من جهة إلى أخرى من قوص إلى دمياط ومنها إلى الإسكندرية وهو يعمل بيديه

ليحصل على كفافه ولم يقتنى جبة ولا عمامة بل كان عريانا إلا مما يستر جسمه وكان مكشوف الرأس ولم يحلق شعر رأسه مطلقا فأصبح كسواح البرارى وكان قليل الكلام ولم يكن له بيت ولا مأوى فعاش غريبا باكيا ودموعه تنسكب وكان يقضى أغلب ليله فى الصلاة والنوح وظل هكذا حتى دانت نياحته المباركة فرقد فى الرب وكان هذا حدثا مؤلما لكل الذين عرفوه عن قرب وعن بعد أما جسده الطاهر فدفنوه بكنيسة العذراء بالخندق المعروف حاليا بدير الأنبا رويس بالعباسية بالقاهرة فى يوم الأحد الموافق ٢١ بابة سنة ١١٢١ ش الموافق ١٨/١٠/١٤٩٤م .

وهكذا بعد حياة كلها كفاح متواصل ودعت الأرض رجلا من أطهر رجالها النساك وصدرته إلى السماء كعينة مقدسة ليكون شفيعا أمام الله من أجلنا .

بركة صلواته تكون معنا آمين .

الباب الرابع عشر

تاريخ الكنيسة القبطية فى عصرالدولة العثمانية
(١٥١٧ م - ١٧٩٨ م)

" الفصل الأول "

بقتل طومان (الملك الأشرف) وتعليقه على باب زويلة بواسطة السلطان سليم ، كانت نهاية دولة المماليك الشراكسة أو البرجية التى أسسها السلطان برقوق ، وتسلطت نحو ١٣٩ سنة ومنذ ذلك الحين أصبحت مصر أحدى الولايات العثمانية الكبيرة .

ودخلت مصر عصرا مظلما وهو من أظلم عصورها التاريخية ويشابه ظلمه العصر الرومانى وتحولت مصر الى مجرد ولاية عثمانية ترسخ فى قيود الذل والاستبداد وفى سلسلة متصلة من مآس استنزاف ثرواتها الزراعية والصناعية والتجارية الأمر الذى تمخض عنه الضعف والاضمحلال فى العلم والأدب وكانت من نتائج كل هذا تدهور مصر وتناقص عدد سكانها الأمر الذى انعكس بشدة على الأقباط .

ولم تكن حالة الأقباط (الكنيسة القبطية) فى عهد الدولة العثمانية أحسن حالا مما كانت عليه فى أيام دولة المماليك البحرية والشراكسة (البرجية) فأنه لم يكن للولاة هدف سوى استنزاف اموال الناس بأية طريقة كانت وبدون استثناء ولا تمييز بين مسلم ونصرانى ولا سيما لأن الولاة الذين كانوا يأتون إليها من القسطنطينية لم تظل مدة ولاية الواحد منهم أكثر من سنة وإذا سمح له بالبقاء فى منصبه أكثر من ذلك لا يكون إلا ببذل الأموال الطائلة طمعا فى تحصيل ما يزيد عما دفعه أضعافا . زيادة على ذلك إنقسام المماليك على ذاتهم وقيامهم على بعضهم تارة وعلى الوالى تارة أخرى .

ويذكر التاريخ أن السلطان سليم الأول سار على منوال الملوك الفاتحين من الجور والظلم ولم يغب الأقباط عن ذاكرة أى فاتح لمصر ليتركهم يتذوقون طعم الراحة بل كانوا دائما فى طليعة المنكوبين ويهتم بأمرهم السلطان بأن يزيد القسوة عليهم فيضطهدهم بشدة ومع أن السنين التى سلفت كان الأقباط فيها يشعرون بالراحة نوعا إلا أنه لما بدأ هذا السلطان بإضطهاده للنصارى تحرك عليهم المسلمون قاصدين إذلالهم غير أن أصحاب الحرف والأعمال منهم كانوا معافين من الإضطهاد لمعرفة المسلمين بإحتياجهم إليهم ولهذا كانوا يحببون إليهم الإسلام لترويج بضاعتهم أكثر فإعتنق فى أثناء الفتح العثمانى كثيرون من الصناع المسيحيين للديانة الإسلامية .

ويذكر التاريخ أيضا أن السلطان سليم الأول أخذ معه إلى إستانبول أمهر الصناع المصريين وأمهر المهندسين المصريين وكبار الشخصيات اللامعة وكان منهم شخصية قبطية هو (العظم بركات كبير ديوان الملك الأشرف) فاعجب بذكائه وسعة مداركه وفى المهجر (إستانبول) قام العظم بركات بتنظيم الأعمال المالية فى ديوان السلطان .

لقد كانت فلسفة الحاكم العثمانى أن الإمبراطورية العثمانية تنقسم إلى قسمين (القسم الأول وهم العثمانيون) والقسم الثانى (هم رعايا) وهم سكان الولايات العثمانية الذين عليهم توفير حاجات الحكام وفقا للمشيئة الإدارية . فالأتراك العثمانيون يستحلون كل شيء يقع فى أيديهم فلا يهمهم مصلحة الولاية أو سكانها بل المهم فقط هو توفير الحياة المترفهة للعثمانيين . كما نظر العثمانيون إلى الوظائف الحكومية على أنها لمن يدفع لهم المال الأكثر فلذلك طبقوا سياسة المزاد فى تولى الوظائف كما تركوا للموظف حق جمع ما يستطيع جمعه من الأهالى مادام قد دفع لهم ما حددوه من ضرائب سواء على شاغرى الوظائف أو على سائر الأهالى .

ولكن سرعان ما نجح الأمراء المماليك في الإحتفاظ بسلطانهم فى الإدارة المحلية بواسطة خبرتهم السابقة فى حكم المصريين فى نظير دفع ما يطلبه الأتراك من أموال . وهكذا إبتلى الأقباط من ظلم الاتراك العثمانيين ومعاونيهم .

إلا ان الاقباط على كل حال عاشوا تلك المدة مع مواطنيهم المسلمين فى حال أفضل مما مضى وإشتركوا معا فى مر العيش وحلوه غير أنهم كانوا يزيدون عنهم فى دفع الجزية التى صارت تسمى بالجباية أو الجوالى والتى إستعملوا الجور فى تحصيلها منهم .

ويمكن التركيز على عدة نقاط فى عصر الاتراك العثمانين منها : -

١ - حالة اقباط مصر فى عصر الأتراك (العثمانيين) : -

كون أقباط الشرق (مصر) جزرا صغيرة وسط محيط إسلامى ويخضعون لبطريركية خاصة هى بطريركية الاسكندرية التى كانت محرومه من الثقافة الدينية ومحرومة من الموارد الخارجية التى يمكن أن تستمد منها ثقافة إخرى ولذا لم يجد اقباط مصر من يعتنى بهم بشكل جدى ولم يتمتعوا بالحرية التى يتمتع بها مسيحيوا العالم أجمع حتى الذين كانوا يعيشون داخل مصر .

٢ – بعض الاحكام العرفية التى طبقت فى دولة الاتراك (العثمانيين)

لقد كان حكم الأتراك على الكنيسة القبطية غاية فى القسوة نتيجة للاحكام التعسفية الظالمة التى صدرت ولزم تنفيذها على الاقباط نذكر منها : –

١ – حرمان المسيحين من الوقوف على قدم المساواة مع المسلمين .

٢ – الزام المسيحين بالمسير على يسار الطريق .

٣ – حرمان المسيحين من ركوب الخيل .

٤ – حرمان المسيحين ان يجاهروا بشهادتهم الدينية .

٥ – حرمان المسيحين من الافطار فى شهر رمضان .

٦ – حرمان المسيحين من إستخدام المسلمين .

٣) بعض الاعمال التى كان يقوم بها الاقباط فى عهد الاتراك (العثمانيين)

١ – لم تمتنع الحكومة عن تعيين الاقباط فى الوظائف العامة على نطاق واسع لانهم كانوا ذو خبرة ومهارة فنية ولما إشتهروا به من الأمانة فى العمل وحسن الإدارة .

٢ – نظرا لأن أغلب المصريين (أقباط ومسلمون) كانوا محرومين من ملكية الارض الزراعية فلم يكن امام أقباط مصر سوى الإشتغال بالزراعة فى الريف لذلك كانت سكنى الأقباط فى المدينة ضئيلة جدا .

٣ – نظرا لسكنى الفلاحين المزارعين بالريف أصبح سكنى المدن قاصرا على الصناع بحكم نظمها السائدة وكادت تكون وقفا على المسلمين إذ كانت كل صناعة خاضعة لشيخ فمثلا كانوا يقولون شيخ الحدادين وشيخ الخيمة وشيخ السروجية وهكذا ، ومازالت بعض هذه الألقاب حتى الأن .

٤ – أشهر المناطق التى كان يسكنها الأقباط فى القاهرة : –

كان سكنى الأقباط فى القاهرة فى مناطق ثلاث وهى : –

المنطقة الأولى وهى التى تمتد حاليا من الخازندارة حتى باب الحديد تحدها بركة الأزبكية من الغرب والجنوب وتنتهى فى الشمال بخليج يخرج من النيل جنوب الترعة البولاقية يسمى بالخليج الناصرى وكانت تطل من الشرق على مزارع واسعة تزرع بالفجل وتحمل إسم الفجالة ويصل هذه المنطقة بباب الحديد (وكان يطلق عليها إسم المقص) قنطرة تسمى الليمون ومازال هذا الحى يحمل إسمه حتى الآن " كوبرى الليمون " . والمعروف أن حارة النصارى يقوم فى وسطها دير قديم للراهبات يسمى بالعزباوية " نسبة إلى عزبة الأزبكية " وكنيسة

حارة الروم حيث يوجد المقر البابوى . ويعمل أو يحترف أهل هذا الحى بتجارة العلف والشموع والبخور والعطارة .

المنطقة الثانية وهى قريبة من حى السيدة زينب حتى مشارف القلعة وسميت منطقة حارة السقايين .

المنطقة الثالثة وهى منطقة الصاغة حالياً حتى حارة زويلة وإحتراف أهلها صناعة الذهب والفضة وتسليف النقود مقابل رهون ، وقد إختيرت هذه المنطقة لقربها من النحاسين حيث توجد تجارة النحاس ومن الغورية حيث توجد تجارة وصناعة الصابون والمنسوجات فكان فلاحو الريف يقصدونها حال نزولهم القاهرة لتجهيز بناتهم وكانت الدكاكين تطل على حارات ضيقة وهى فى الوقت نفسه كانت مداخل بيوتهم تقود إلى حوش متسع تطل عليه البيوت على هيئة مربع وغالباً ما يحمل الحوش إسم صاحبه مثل حوش الشماع .

٥ - الأتراك العثمانيون والتفريق فى المعاملة بين الأقباط والأجانب والمسلمين

فى الوقت الذى كان فيه أقباط مصر يقاسون من سوء المعاملة كان المسيحيون الأجانب يعيشون فى بحبوحة الإمتيازات الأجنبية التى منحها لهم المماليك والأتراك فقد عاشوا فى أحياء خاصة مازالت تحمل أسماءهم مثل حارة الروم وحارة النصارى وحارة اليهود ومناطق أخرى كثيرة وكانوا يتمتعون بحرياتهم فى بناء كنائسهم ومعابدهم وترميمها . وإذا كان المسلمون قد وجدوا المورد الروحى والثقافى فى الأزهر بالإضافة إلى الإمتيازات الخاصة والعامة لهم من جهة حرية بناء الجوامع والمدارس وترميمها وإلى غير ذلك من الإمتيازات ، نجد أن أقباط مصر قد حُرموا من أى مورد ثقافى روحى ، فقد كان تعليمهم قاصراً على بعض الكتاتيب الملحقة بالكنائس تعلمهم القراءة العربية والحساب وبعض الترانيم والألحان والتفاسير ، ولذا نجد أن الكهنة الأقباط كانوا دون المستوى الثقافى والروحى المطلوب بكثير ولكن هذا المركز الضعيف للأقباط لا يعنى عدم ظهورهم فى الحياة العامة ، فقد عُرفوا بمهارتهم فى الأعمال الإدارية والحسابية فإعتمد عليهم المماليك والأتراك إعتماداً كبيراً فاحتلوا بنسبة كبيرة بين موظفى الحكومة ، وقد أدت هذه الثقة إلى ظهور بعض الشخصيات القوية التى إستطاعت بمكانتها الشخصية أن تلعب دوراً على مسرح الأحداث .

٦ - مصير اللغة القبطية فى عصر الدولة العثمانية : -

أما اللغة القبطية كانت شبه قد تلاشت بالمرة فى أيام خلافة الحاكم بأمر الله

(الفاطمى) فى القرن العاشر (٩٠٦ – ١٠٢١ م) إلا أن المقريزى يذكر أن الرهبان ظلوا يتكلمون بها حتى القرن الخامس عشر وأن بعض النساء والأطفال فى الصعيد ورهبان الأديرة الكائنة حول أسيوط وأهل درنكة من كبيرهم إلى صغيرهم كانوا يتكلمون بها فى ذلك العصر ، وذكر أيضا فاتسليب العالم الذى زار مصر سنة ١٦٧٢ م أنه وجد بين الأقباط من يتكلم بلغته الأصلية .

ولما وفد نابليون إمبراطور فرنسا وإحتل مصر سنة ١٧٩٨ م طلب أن يسمع من يتكلم باللغة القبطية فأحضروا له بقبطى من الصعيد يجيدها ولم ينازعه فى هذا الإمتياز سوى إمرأة عجوز .

٧ – حالة المسيحية فى النوبة والخمس مدن الغربية : –

تضاعف أوجاع الأقباط وإمتداد نفوذ الحكم االعثمانى إلى مملكة النوبة المسيحية التى كان ملوكها حتى القرن الثالث عشر مسيحيون خاضعون للسلطان المصرى يدفعون له الجزية ولكن بعد الفتح العثمانى أخذت الحكومة المسيحية فى بلاد النوبة تضعف تدريجياً حتى حلت محلها حكومة إسلامية إجتهدت فى محو النصرانية من تلك البلاد حيث قام الوالىأوذبيمير بالهجوم على النوبة وإستولى على منطقة إبريم التى كانت بمثابة الحصن الواقى للنوبة الجنوبية وسرعان ما سقطت النوبة فى يد العثمانيين فأصبح التعذيب والإرهاب وإبتزاز الأموال بوسائلهم المعتادة ، ونتج عن هذه الخطة الشريرة أن المسيحيين النوبيين لم يكن أمامهم إلا الإستشهاد أو الهجرة أو التحول إلى الإسلام فكثر عدد الشهداء وأسلم الكثيرين ومن خلص من الموت هاجر الى مديرية أسوان وأستوطنوا فيها ومن بقى فى بلاد النوبة صار فى عوايده كالمسلم ، وهكذا زالت المسيحية من النوبة تماماً .

وهكذا أهمل أمر الدين المسيحى فى النوبة والخمس مدن الغربية (التى قامت فيها حكومة إسلامية منذ الفتح العثمانى) وبطل فى تلك البلاد وألزم مسيحيو الواحات بإعتناق الدين الإسلامى وقلبت كنائسهم إلى مساجد) .

" الفصل الثانى "

أشهر الحوادث والمظالم التى حاقت بالكنيسة فى ظل الحكم العثمانى (الدولة العثمانية)

١) حادثة الثلاثة المباشرين السكارى (١٥٢١ م) : -

بعد إنتصار السلطان سليمان على الإفرنج أقيمت الإحتفالات بالقاهرة سبعة أيام متوالية ، وحدث أن أتى إلى بيت القاضى بشر ثلاثة مباشرين من النصارى ليتفرجوا على الزينة فسكروا هناك سكراً فاحشاً وتجاهروا بالمعاصى ، حتى خرجوا عن الحد . فأرسل القاضى بشر ينهاهم عن ذلك فما سمعوا له كلاماً ، وتزايد منهم الحال حتى خرجوا عن الحد فجاء بنفسه وأغلظ عليهم فى القول وسبّهم فسبّوه وأفحشوا فى السبّ له وسبّوا دين الاسلام ، على ما قيل ، فأرسل القاضى بشر من قبض عليهم وتوجه بهم إلى المدرسة الصالحية وحضر القضاة الأربعة وكان ذلك اليوم يوم جمعة قبل الصلاة فلما حضر قاضى القضاة المالكى محى الدين الدميرى قامت عنده البينة بما وقع من النصارى فى حق القاضى بشر الحنفى . ولم يوافق القاضى المالكى بقتل الثلاثة المباشرين النصارى قائلاً يجب عليهم الحد والتعذير فإنهم كانوا سكارى ، وكذلك قال باقى القضاة فلما سمع القاضى بشر الحنفى بذلك ثار على القضاة واغلظ فى القول على قاضى القضاة المالكى وإجتمع بالمدرسة الصالحية الجمع الكثير من العوام ، وهمّوا بأن يرجموا القضاة فى ذلك اليوم . ثم أن بعض الإنكشارية قبض على النصارى وأخرجهم من المدرسة الصالحية فلما خرجوا هجم عليهم الغوغاء من العامة وقطعوهم قطعاً قطعاً وإجتمع السواد الأعظم من العوام بباب المدرسة وأخذوا فى رجم النصارى الذين كانوا محجوزين بالمدرسة ، وأخذوا السقائف التى تقع على الدكاكين ووضعوها عليهم وأشعلوها بالنار فإحترقوا وصاروا كالرماد . (١)

(٣) حادثة عرب الهوارة : -

عندما كثرت الثورات الداخلية بين الأمراء والمماليك والولاة والسلاطين والاتراك العثمانيين إنتهز أهل الفساد ولا سيما العرب المعروفين بالهوارة هذه الثورات الداخلية وقاموا بالسلب والنهب للبيوت وسفك دماء الرجال النصارى الذين لا لهم ولا عليهم بالإضافة إلى سبى النساء .

ويذكر ابن إياس أنهم إنتهزوا محاصرة المماليك للوالى فى القلعة وهجموا على

---

(١) ابن اياس ١ جـ ٣ ص ٢٦٨ – ٢٦٩

مدينة أخميم فى الوجه القبلى وكان معظم سكانها من النصارى ، ونهبوها وخربوها وقتلوا كثيرا من أهلها ولم يمض وقت قصير حتى إستولى عرب الهوارة على معظم بلاد الوجه القبلى ، التى ينتمى اليهم فادخلهم فى ذمتهم وحماهم ، فصار القبطى يخاطب العربى الذى ينتمى إليه (بَدَوى) والعربى يسمى القبطى الذى تحت حمايته (بنصرانى) وهكذا كانت عيشتهم فى هذه المدة راضية نوعاً لا يكدرهم إلا الحوادث والرزايا التى كانت تطرأ احياناً بسبب إختلال الأحوال كما تقدم القول .

٤) حوادث التحقير الأدبى : -

التزم الأقباط فى عصر السلاطين العثمانيين الاتراك الإعتدال فى سلوكهم واقلعوا عن التباهى والفخفخة وكل ما كانوا يتهمون به من الترفع الذى جلب عليهم فى الايام السالفة (عصر المماليك) مصائب عظيمة كما تقدم وعاشوا مدة فى أمان وسلام مع إخوانهم المسلمين كإخوان تجمعهم الجامعة الوطنية ، لهم ما لهم وعليهم ما عليهم صابرين فى الشدائد وتقلبات الزمان .

ولكن نقول مع الاسف إن بعض كبار مشايخ المسلمين لم يشاؤا أن يكون الاقباط مساويين لهم فى حرية إستعمال عوائدهم والتمتع بالحقوق الوطنية .

إذ يقول الجبرتى فى أيام القبطان حسن باشا (١٧٨٥ م) أيام السلطان عبدالحميد الاول نودى على النصارى بأن لا يركبون الدواب ولا يستخدمون المسلمون ولا يشتروا الجوارى والعبيد وإن كان عنده شئ من ذلك باعه أو أعتقه وأن يلزموا زيهم الاصلى من شد الزنار والزنوط وأن يغيروا أسمائهم التى على أسماء الانبياء كإبراهيم وموسى وعيسى وإسحق (١) . فغير الموظفون عند المسلمين أسمائهم وعرف القبطى بإسمين إسم ينادى به فى مركز عمله وإسم ينادى به بين أهله . كما يذكر الجبرتى أنه عندما لبس الاقباط الزنوط وشد الزنار تسلط العامة عليهم وتتبعوهم بالإيذاء ومن وجدوه بغير زنار رجموه بالحجارة وذرّوا التراب فى وجهه .

٥) حوادث السلب والنهب : -

عندما قام والى مصر عام ١٧٨٥ م القبطان حسن باشا ليؤكد سيادة الباب العالى على مصر أبى أن يغادر البلاد قبل أن يملأ جعبته الخاصة بالنقود ، فقام بعدة إجراءات تعسفية ضد النصارى تحقيقاً لمآربه .

---

(١) تاريخ الامة القبطية (يعقوب نخله روفيله) ص ٢٢٦

د. جاك تاجر (أقباط ومسلمون) ص ٢٠٠

ويقول الجبرتى أن حسن باشا قائد جيش السلطان عبدالحميد الاول (١٧٨٤ م) أرسل إلى القاضى وأمره بالكشف عن جميع ما أوقفه المعلم إبراهيم الجوهرى على الاديرة والكنائس من أطيان وأملاك ، والمقصود من ذلك إستجلاب الدراهم . كما نودى على النصارى أن يحضروا جميع ما عندهم من الجوارى والعبيد ، وإن لم يفعلوا ذلك وقع التفتيش على ذلك فى دورهم وأماكنهم وتخلصوا من ذلك بمال كثير فحصل العفو لهم ، وبعد يومين نودى على النصارى بإحضار ما عندهم من الجوارى والعبيد ساعة تاريخه ، ثم نزلت العساكر وهجمت على بيوت النصارى لاحضار ما فيها فكان شيئاً كثيراً وأحضروهم إلى القبطان وأخرجوهم إلى المزاد وباعوهم وإشترى الاغلبيه منهم العسكر وصاروا يبيعون منهم على الناس بالمرابحة ، ولم يكتف بذلك بل قرر على بيوت النصارى الذين خرجوا بصحبة الامراء المصرية مبلغ كبير من المال يبلغ ٧٥ ألف ريال ، كما أمر أيضا بإحصاء بيوت جميع النصارى ودورهم وما هو فى ملكهما وأن يكتب جميع ذلك فى قوائم ويقرر عليهم أجره مثلها فى العام وأن يكشف فى السجل على ما هو دار فى أملاكهم ، ثم قرر أيضا خمسمائه كيس تجمع من النصارى فقاموا بتقسيمها على أفرادهم فحصل لفقراءهم الضرر الزائد ، وقرر أيضاً على كل شخص دينار جزيه (العال كالدون) وذلك خلاف الجزية الديوانية المقررة .

٦) زيارة الاراضى المقدسة وحوادث الاختطاف : -

ويقول أبو دقن المتقدم ذكره : -

إذا قصد أحد الاقباط لزيارة الاراضى المقدسة كان لابد لهم من دفع غرامتين نظير التصريح له بذلك إحداهم للحكومة المصرية قبل قيامه والثانية عند وصوله إلى المدينة المقدسة وبسبب فداحة الغرامات إمتنع الكثير منهم عن تأدية هذه الفريضة .

ولاسباب أخرى لم نقف على حقيقتها منع نصارى مصر مدة من الزمن عن زيارة الاراضى المقدسة وفى سنة ١٧٥٣ م سعى الاقباط بواسطة بعض كبارهم فى تجديد هذه العادة السنوية مع كونهم لم يجدوا معارضة من الحكومة ولكن تصدى لهم بعض كبار المشايخ فخابت مساعيهم (١) .

---

(١) أبو دقن

ويقول الجبرتي : -

إن النصارى الاقباط قصدوا الحج إلى البيت المقدس برئاسة نيروز (كاتب رضوان كتخدا) الذى قدم إلى الشيخ عبدالله الشبراوى المفتى هدية ثمينه وألف دينار فكتب له فتوى وجواباً ملخصه إن أهل الذمة لا يمنعون من ديانتهم وزيارتهم فلما تم لهم ما أرادوا شرعوا فى قضاء أشغالهم وتسهيل أغراضهم وأحضروا العربان ليسيروا فى طريقهم وأعطوهم أموالاً .

وشاع أمر هذه الحادثة فى البلد وإستنكرها المسلمون وإلتقى الشيخ عبدالله الشبراوى (المفتى) مع الشيخ البكرى الذى قام بتبكيته قائلاً كيف ترضى وتفتى للنصارى وتأذن لهما بذلك فإن ذلك سوف يصير سُنّه ويخرجون فى العام المقبل للحج ويعتبر سنه عليك وزرها إلى يوم القيامه ، فقام الشيخ الشبراوى وخرج من عنده مغتاظا وأذن للعامة بالخروج على النصارى ونهب ما معهم فاجتمع الغوغاء عليهم وهجموا عليهم ورجموهم وضربوهم بالعصى ونهبوا ما معهم وجرّسوهم ونهبوا أيضاً كنيسة الانبا رويس بدير الخندق (١) .

٧) مواقف مؤلمه إمتداداً لاسلوب النهب : -

يذكر التاريخ والمؤرخ المسلم الجبرتي أن قبطان باشا قبض على راهب من النصارى وإستخلص منه صندوقاً من ودائع النصارى وقبض القبطان على المعلم واصف وحبسه وضربه وطالبه بالاموال .. كما قبض على بعض نساء المعلم ابراهيم الجوهرى فأقرت على خبايا أخرجوا منها أمتعه وأوانى ذهب وفضة وسروجا وغيرها . وفى أيام السلطان عبدالحميد الاول وبعد سفر القبطان سنة ١٧٨٧ م تعرض الاقباط للاضطهاد مرة أخرى ويروى الجبرتي عبدى باشا والى الدولة وإسماعيل باشا أنهما حضرا الاحتفال بالمولد النبوى بمنزل الشيخ البكرى وإلتفت الباشا إلى جهة حارة النصارى وسأل عنها وقيل له أنها بيوت النصارى ، فأمر بهدمها فى الحال فسعى الاقباط فى المصالحة وتمت مقابل خمسة وثلاثين ألف ريال ، دفع السوريون منها ١٧٠٠٠ ودفع الاقباط الباقى (٢)

---

(١) الجبرتي جـ ٢ ص ١٥٣

(٢) الجبرتي جـ ٢ ص ١٥٤

الاقباط والجزية فى عهد الاتراك العثمانيين :-

فى سلطنة محمود بن مصطفى

سنة ١٧٣٣ م أمر حاكم كل قسم بأن يفرض ضريبة على الاقباط الساكنين فـــى دائرته زيادة عن الجزية المقررة على الاقباط واليهود وكانت تحصل منهم علـــى ثلاث درجات الدرجة الاولى تدفع ٤٢٠ بارة عن كل نفس والثانية ٢٨٠ بـــارة والثالثة ١٠٠ بارة ، وقد فرضت على جميع الذكور منهم بـــلا إســـتثناء وإلـــزم البطريرك بدفع الضريبه عن القسوس والخدام .

رأى الرحالة الأجانب فى عصر الأتراك : -

كان عصر الدولة العثمانية عصراً شؤماً على المصريين عامة والاقباط خاصـــة وإنتشرت فيه الفوضى والظلم والاقطاع وذلك نتيجة لحدوث خلـــل فـــى الادارة والسلطة وسوء تصرف الولاه والحكام مما دعى قنصل فرنســا و (ميدميليــه) والجبرتى والرحالة بوكول الانجليزى الذى أتى الى مصـــر ســـائحاً فـــى ســـنة ١٧٣٧م وأقام بها بضعة أشهر وإذ كانت الحال فيها هادئة تمكن من الطواف فى جملة بلاد منها ولكنه قال فى كتابه إنه قلما كان يمضى يوم لم يسمع فيه بمـــوت أحد الامراء وزعماء المماليك مسموماً ، ولذا لم يأمنوا لبعضهم ولا يخفى علـــى القارئ ما تكون عليه البلاد فى مثل هذه الاحوال السيئة فلا غرابة إذا ســـمعنا أن أهل مصر عموماً لم يأمنوا فى ذلك الزمن على أعراضهم ولا اموالهم وأن الفقر ضرب أطنابه فى جميع البلاد .

وبإختصار :- (الاقباط والمسلمون نسيج واحد) :

رغم المظالم التى حاقت بالكنيسة فى عصر العثمانيين وحوادث السلب والنـــهب والسرقة التى إنتشرت إلا أن النصارى كما تقدم القول قد نعموا بعض الفـــترات التى عملوا فيها عند الامراء المماليك والسلاطين الاتراك وكانوا أشبه بـــالمديرين والوكلاء فضلا عن أن الولاه والحكام جعلوهم موضع ثقتـــهم وســـلموهم إدارة مصالحهم وأشغالهم وحساباتهم فقاموا بها أحسن قيام وكثيراً ما كانت أســـماؤهم تقرن بأسمائهم فيقال مثلاً المعلم غبريال السادات والمعلم يوسف الالفى والمعلـــم منقريوس الموره وغير ذلك نسبه إلى مخدوميهم ولما توســـموا فيـــهم الصـــدق والامانة أودعوهم أسرارهم فحفظوها وإستشروهم فى بعض أمورهـــم المهمـــة فوجدوا فى آرائهم خيراً وصواباً . وكانوا يدبرونها أحسن تدبير أدى ذلك إلـــى الاعتقاد بأن الاقباط على بينة تامة بالسحر والتنجيم والعرافة .

وعرف عقلاء المسلمين أهمية الاقباط والاحتياج اليهم فقدروهم حق قدرهم وأدخلوهم فى حمايتهم ومنحوهم مزيّة المساواة بالافرنج وغيرهم الذين كانوا يعيشون فى مصر تحت حماية دولهم كما قال أبو دقن فى كتابه المتقدم ذكره (١)

ب - كلمه حق ينبغى ان تقال :

تؤكد ما جاء تحت عنوان باختصار ودليلا على خلود الوحدة الوطنيه بين عنصرى الامه - ما جاء فى كتاب " الهلال والصليب " للاستاذ عبدالتواب يوسف - انه فى ايام البابا بطرس السادس المعروف بالاسيوطى (١٧١٨ - ١٧٢٦) البطريرك الـ ١٠٤ فى اواخر عهد العثمانين حدث خلاف بينه وبين الامير (امين ايواظ) وطلب اليه البطريرك ان يحتكم فى الخلاف بينهما الى علماء الازهر واجتمع العلماء ثم خرجوا على الناس بقراراهم وهو ان البطريرك على حق وان الامير ليس صاحب حق .

هكذا عامل المسلمون الذين يؤمنون ما فى الاسلام من سماحة اخوتهم الاقباط معامله طيبه .

وكتبت جريدة الاهالى العدد ٤٩٥ الصادر بتاريخ ٣ ابريل ١٩٩١ د . رفعت السعيد عن موضوع الاقباط والمسلمون نسيج مصرى واحد

عندما ثار المصريون على الحكم العثمانى واقام شيخ العرب همام حكومته فى صعيد مصر فى منتصف القرن الـ ١٨ وقف الاقباط الى جواره يقدمون له ما استطاعوا من عون وعندما حوصر الشيخ همام بالصعيد ومنع من الاتجار مع بقية البلاد المصريه المجاورة كان الاقباط يقومون بشحن القمح من القرى التابعه لشيخ العرب همام لبيعه لحسابه فى القاهرة



---

(١) تاريخ الامة القبطية (يعقوب نخله روفيله) ص ٢٦٤

" الفصل الثالث "

قديسوا ومشاهير الكنيسة القبطية فى عصر الدولة العثمانية
١٥١٧ م - ١٧٩٨ م

أولا : الآباء البطاركة :-

عاصر حكم الدولة العثمانية الذى أستمر ما يقرب من ثلاثة قرون (٢٨٦ عاماً) ثلاثة عشر من الآباء البطاركة إبتداءا من البابا غبريال السابع (الـ ٩٥) إلى البابا يؤانس الثامن عشر البطريرك (الـ ١٠٧) وسوف نتكلم قليلا عن أشهر هؤلاء البطاركة وعن الاحداث الجسام التى حدثت فى عهدهم والتى أثرت فى الكنيسة والشعب القبطى ومن عاصروهم من مشاهير وقديسوا الكنيسة وعلمائها وأساقفتها وأراخنتها فى هذه الفترة ، وتشمل هذه الفترة سيرة ١٤ بطريركاً .

البابا غبريال السابع البطريرك (الـ ٩٥) (١٥٢٥ م - ١٥٦٨ م)

كان يعرف بإبن مهنا ومن منشية أبو عايشه التى بجانب دير المحرق وترهب بدير السيدة العذراء (السريان) بإسم الراهب روفائيل(١)وقد أختير للبطريركية فى سنة١٥٢٥م بإسم البابا غبريال السابع وهو أول بطريرك أختير من دير السريان

أعماله مدة البطريركية : -

إهتم بتعمير الاديرة وخاصة دير الانبا أنطونيوس والانبا بولا ودير الميمون ودير المحرق وقد سجل الاباء الرهبان بدير الانبا أنطونيوس فى ذكراه إعترافاً بفضله فكتبوا على حائط الكنيسة الاثرية تحت أيقونة الانبا أنطونيوس والانبا بولا بالخورس الاوسط ما يؤيد ذلك ، وفى أيامه عاد دير الانبا بولا إلى خرابة إذ سطى عليه عربان بنى عطية ونهبوه وشنقوا فيه أحد الرهبان وأخذوا أوانى البيعة وتركوا الدير خراباً خالياً من الرهبان فحزن جداً البابا غبريال وإهتم به ثانيا وعمره لانه كان شديد الغيرة على عمارة الاديرة وفى أيامه أيضا عادت أثيوبيا إلىأحضان الكنيسة القبطية المرقسية .

نياحتـــــه : -

وفى سنة ١٥٧٨ م فرض السلطان على جميع التجار الخوجات واليهود ومن جملتهم النصارى ألفين دينار بسبب سفر الجيش المتوجه به سنان باشا الوزير العثمانى فتوجه البابا حزيناً إلى دير القديس أنطونيوس بالميمون وعند وصوله إلى الميمون مات فيها ودفن فى مقبرة جديدة تحت جسد القديس مرقوريوس بمصر القديمة .

---

(١) قوة ص ١٨٤

البابا يؤانس الرابع عشر البطريرك (الـ ٩٦) : -

الشهير بالمنفلوطى (١٥٧١ م - ١٥٨٦ م) من بلدة منفلوط وترهب بدير السيدة العذراء البراموس ببرية شيهيت وأختير بطريركاً فى سنة ١٥٧١ م بإسم البابا يؤانس وفى أيامه أصدرت الدولة مرسوماً بتغيير لون عمائم النصارى وجعلها سوداء اللون كما ألزمت اليهود بلبس الطراطير (١) .

وفى أيامه أستشهد القديس يوحنا القليوبى الذى سوف نذكر قصته فيما بعد .

نياحته : -

تنيح البابا فى سنة ١٥٨٦ م ودفن فى برما ثم نقل جسده إلى دير السريان وكان ذلك فى أيام السلطان مراد الثالث .

البابا غبريال الثامن البطريرك (الـ ٩٧) (١٥٨٧ م - ١٦٠٣ م) : -

كان راهبا فى دير الانبا بيشوى بإسم الراهب شنوده وسيم بطريركا بإسم البابا غبريال الثامن فى سنة ١٥٨٧ م وكان ذلك أيام السلطان العثمانى مراد الثالث .

الحوادث السياسية فى عهده : -

حدث فى عهد هذا البابا إضطرابات عديدة بين العسكر والولاه بمصر وإنتشر بسببها طاعون عظيم وقحط ماحق وثورات عديدة ، وفى هذا العهد تسربت عادة التدخين إلى مصر وهو لم تكن معروفة فى البلاد المصرية من قبل ، وفى أيامه سعى بابا روميه مرة ثانية لضم الكنيسة القبطية كما قام بمعاكسة الكنيسة القبطية فى الحبشة (أثيوبيا) وقد قام الوالى بعزل البابا مدة من الزمن ثم أعيد إلى كرسيه كما حدث فى أيامه زلزال عنيف أسقط عدداً من المنازل والمنارات بل وتفلق من شدته جبل المقطم إلى ثلاث فلق قرب اطفيح وتفجر الماء من هذا الفلق (٢) .

تعديل الاصوام فى سنة ١٦٠٢ م : -

أصدر البابا غبريال بتعديل الاصوام فى الكنيسة القبطية كما يأتى : -

١) أن يكون صوم الرسل من يوم عيد العذراء ٢١ بؤونه وفطره فى ٥ أبيب .

٢) أن يكون صوم السيدة العذراء الذى يحل فى شهر مسرى إختيارياً فمن صامه وفاء لنذر ، قطعه على نفسه فله ثوابه ومن لم يصمه فلا جناح عليه .

---

(١) بن الراهب ص ٢٤٤

(٢) تاريخ مصر من الفتح العثمانى إلى قبيل الوقت الحاضر (عمر الاسكندرانى - سليم حسين)

٣) أن يبتدأ صوم الميلاد من أول شهر كيهك ويكون فصحه عيد الميلاد .
٤) أن لا تصام ثلاثة أيام نينوى .
وقد وافقت عليه الامة القبطية وقتئذ .

نياحتـــــــه : -

تنيح فى سنة ١٦٠٣ م ودفن بمقبرة دير السريان وذلك فى أيام السلطان العثمانى أحمد الثانى .

البابا مرقس الخامس البطريرك (الــ ٩٨) (١٦٠٣ م - ١٦١٦ م) : -

كان من أهالى البياضية وترهب بدير أبو مقار بإسم الراهب مرقس المقارى سنة ١٦٠٣ م . أختير بطريركياً بإسم البابا مرقس الخامس فى أيام السلطان محمــــد الثالث وولاية الوزير على باشا السلحدار .

ومن أعماله : -

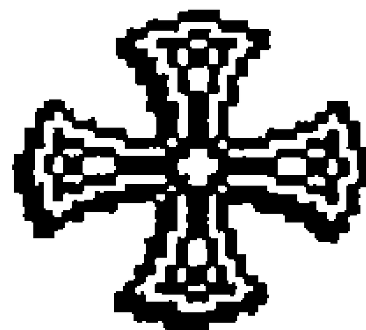
- قام بزيارة القدس الشريف وإعتنى بأملاك الاقباط هناك . وقد نال هذا البابـــا إضطهادا شديداً من أقباط الوجه البحرى بسبب الاصوام والزيجة (طالبوا بتعـدد الزوجات) وكان نتيجتها حبسه فى برج بالاسكندرية مدة طويلة وقاموا بســيامة بطريركاً خلافه وبعد مدة توجه نصارى القاهرة وتدخلوا للافــراج عــن البابــا مرقس وطرد البابا الدخيل وكان الذين تسببوا فى حبس البابا مرقس قد أبادهم الله سريعا وقطع ذريتهم وهدم منازلهم وصارت خراباً .

نياحته : -

فى أيام السلطان عثمان وولاية مصطفى باشا على مصر تنيح فى سنة ١٦١٩ م ودفن فى مقبرة البطاركة بدير أبو مقار ببرية شيهيت .

البابا يؤانس الخامس عشر البطريرك (الــ ٩٩) (١٦١٩ م - ١٦٢٩ م)

كان من أهل ملوى وترهب بدير القديس أنطونيوس بالبحر الاحمر بإسم الراهـب يوحنا الملوانى . وفى سنة ١٦١٩ م سيم بطريركاً بإسم البابا يؤانـــس الخـــامس عشر فى أيام السلطان عثمان وولاية مصطفى باشا والى مصر .



حدوث الوباء فى عهده : -

فى أيامه حدث وباء أطلق عليه الموت الاسود سنة ١٦٢٢ م كما حدث وباء آخر سنة ١٦٢٥ م وخلال هذه الاوبئة والمجاعات والاضطرابات ذاق الاقباط ظلماً مضاعفاً فكثيراً ما كانوا يلزمونهم بالسير على الشمال ليتركوا اليمين لغيرهم وكثيراً ما كانوا يمنعونهم من ركوب الخيل وما هو أمر من هذا كله كثيراً ما كانوا يمنعونهم من إقامة شعائرهم الدينية والتضييق بكل أنواعه .
ومن أشهر الذين عاصروه القس يوسف البرماوى .

نياحته : -

تنيح فى سنة ١٦٢٩ م ودفن فى دير القديس الانبا بيشوى فى أيام السلطان مراد الرابع .

البابا متاؤس الثالث البطريرك (الـ ١٠٠) (١٦٣١ م - ١٦٤٦ م) : -

كان يدعى تادرس من طوخ النصارى (بمديرية المنوفية) . وترهب بدير القديس أبو مقار بإسم الراهب تادرس المقارى وفى سنة ١٦٣١ م سيم بطريركاً بإسم متاؤس وذلك فى أيام الامير حسن قائمقام الوالى موسى باشا المخلوع .
وفى أيامه حدث إضطهاد للبابا بسبب رسوم الولاية كما حدث فى أيامه أيضاً غلاء عظيم فى البلاد وهبط مستوى النيل هبوطاً كبيراً .

نياحته : -

تنيح فى سنة ١٦٤٦ م ودفن فى كنيسة مارجرجس بطوخ دلكة (طوخ النصارى) وكان ذلك فى أيام السلطان إبراهيم الاول وكان والى مصر وقت وفاته محمد باشا بن حيدر باشا .

البابا مرقس السادس البطريرك (الـ ١٠١) (١٦٤٦ م - ١٦٥٦ م) : -

نشأته ورهبنته : -

نشأ فى ناحية بهجورة بالوجه القبلى ، وترهب بدير القديس الانبا أنطونيوس بإسم الراهب مرقس الانطونى .. وقد سيم بطريركاً فى سنة ١٦٤٦ م بإسم البابا مرقس السادس وكان ذلك فى أيام السلطان إبراهيم الاول وكان محمد باشا بن حيدر باشا والياً على مصر .

وقد حدث فى أيامه أن ثار الرهبان عليه وتسببوا فى سجنه ثم أفرج عليه بعد مدة من الزمن وفى سنة ١٤٤٩ نودى بالبلاد أن لا يركب النصارى خيولاً ولا يلبسون الشدود (احزمة) ولا طواقى جوخ حمراء ولا مراكيب وإنما يلبسون شدودا زرقاء طول الواحدة ٢٠ زراعا وإلى جانب هذا الضنك أمعن الوالى فى التثقيل على القبط بإبطال حقوق الوراثة وإقامة نفسه وريثاً لمن يموت فيستولى على أموال اليتامى الارامل والثكالى ولكى يتسنى له أن يستولى على أكبر مقدار من الارث كان يقتل رجلاً أو أثنين يومياً حتى قيل أن عدد ضحاياه بلغ ألفاً ومائتى رجل .

ومن أشهر الرجال فى عصره أبو دقن المنوفى .

نياحته : -

تنيح فى سنة ١٦٥٦ ودفن فى مقبرة البطاركة بكنيسة مرقوريوس بمصر القديمة

البابا متاؤس الرابع البطريرك (الـ ١٠٢) (١٦٦٠ م - ١٦٧٥ م) : -

" الشهير بالميرى "

كان يدعى بإسم الراهب القمص جرجس الميرى " كان رئيساً لدير البراموس " سيم بطريركاً سنة ١٦٦٠ م فى أيام السلطان محمد الرابع وقد حدث حريق كبير فى أيامه جهة حارة زويلة مات فيها خلق كثير وتخربت فيه عمائر كثيرة وذلك سنة ١٦٦٩ م . وفى أيامه وخاصة سنة ١٦٧٠ م إنتشر موت عظيم بمصر وضواحيها بسبب وباء عظيم دعى وباء الحريق وفنى كثير من الخلق بسببه . وكان البابا متاؤس الرابع هو آخر من سكن من البطاركة فى حارة زويلة وأول من نقل الكرسى البطريركى من حارة زويلة إلى حارة الروم سنة ١٦٦٠ م .

حوادث مؤلمة : -

ذكر الاب فاتسليب عن البابا قائلاً : " أن البابا شكى له من معاملة الاتراك إذ يسمحون لكل بطاركة الطوائف الاخرى بالخروج وحرية التنقل فى المدينة فلا يتعرض لهم أحد وكان لهم الحرية فى عمل ما يشاؤون أما هو فكان الوحيد الموضوع تحت مراقبة الاتراك فكان ممنوعاً من الخروج كما كان محرماً عليه الاتصال بالجاليات الاجنبية وغير مسموح له بالسفر إلى أية جهة وكانت حياته مهددة فى كل لحظة .

إضطهاد الاتراك للقبط فى عهده : -

هنا ويجب القول بكل صراحة أنه ما من طائفة فى مصر من الطوائف غير الاسلامية كانت تعامل بإضطهاد شديد غير أقباط مصر أصحاب البلاد الاصليين الذين كانوا يعتبرون عكارة العالم بالنسبة للمسلمين حتى وصلت معاملتهم للقبط أقل قيمة من معاملتهم ليهود مصر فكانوا يسيئون إليهم ويعاملونهم حسب أهوائهم وكانوا يغلقون لهم الكنائس ويقفلون عليهم أبواب بيوتهم لاتفه الاسباب ويظلمونهم ظلماً فاضحاً حتى يغرموهم بدفع غرامات مالية باهظة وفى سنة ١٦٧٢ م قاس القبط إضطهاداً فظيعاً لان بعض الجند الاتراك قاموا بذبح إمرأة خليعة وألقوا بجثتها قريباً من بركة الاذبكية وقام العساكر ظلماً وعدواناً بغلق بيوت النصارى المتاخمة لهذه المنطقة وأجبروهم على دفع غرامة قدرها ألف دينار دية لهذا الدم المهدور إذا أرادوا أن يفتحوا بيوتهم ويسعوا على معاشهم. وفى أيامه زادت فريضة الضرائب على المسيحيين كما ذكرنا فى حالة الاقباط فى العصر العثمانى. كما حدثت فى أيامه معجزات خاصة بأيقونة رئيس الملائكة ميخائيل ، وهى موجودة بالكنيسة المرقسية بالاسكندرية ، ومن رسم القديس لوقا. وفى أيامه كان لايزال موجوداً بوادى النطرون سبعة أديرة (١) أبو مقار (٢) يؤانس القصير (٣) الانبا بيشوى (٤) مكسيموس ودوملديوس (٥) أنبا موسى الاسود (٦) أنبا يحنس كاما (٧) السريانى.

فشل المؤامرات الشيطانية أمام وداعة وتقوى البابا متاؤس : -

ذات مرة أراد بعض الغوغاء أن يهدموا كنيسة القديس مرقوريوس بمصر القديمة ولكى يصبغوا على عملهم صبغة قانونية طلبوا من الوالى أن يعين لهما أغا وتوجهوا الى الديوان وعينوا من قبل الدولة أغا للقيام بتنفيذ هذه المهمة فلما بلغ الخبر البابا الانبا متاؤس إغتم غماً شديداً وأقام ليلة ساهراً متشفعاً وطالباً مساعدة القديس مرقوريوس. فما كاد الجند يقترب حتى وقع عليهم حائط بجوارهم فماتوا جميعاً وشاع الخبر فى المدينة كلها فإضطربوا وعدلوا عن مشورتهم الرديئة وقدم البابا الشكر لله.

نياحته : -

تنيح فى سنة ١٦٧٥ م ودفن فى مقابر البطاركة بكنيسة القديس مرقوريوس بمصر القديمة.

البابا يؤانس السادس عشر البطريرك (الــ ١٠٣) (١٦٧٦ م - ١٧١٨ م):-

" الشهير بالطوخى " كان من ناحية طوخ النصارى بالمنوفيــة . وكــان أســمه إبراهيم وترهب بدير الانبا أنطونيوس بإسم الراهب إبراهيم الانطونـــى وســيم بطريكاً بإسم البابا يؤانس سنة ١٦٧٦ م . وحدث فى أيامه إشتد الغلاء فى البلاد وكان ذلك فى سنة ١٦٧٨ م .

إضطهاد النصارى واليهود بشتى الوسائل سنة ١٦٧٨ م : -

وفضلاً عما أصاب البلاد من الغلاء نودى فى نفس السنة أن يعلق النصارى فــى رقبتهم جلجلان وفى رقبة اليهودى جلجال واحد وأن يضــع كــل مــن اليــهود والنصارى عماءمهم وألا يلبسوا أثواب من الجوخ أو الصدف كما أنه نــودى أن لا تأتزر نساء النصارى بمآزر بيضاء وتكون ملابس النصارى عموماً ســوداء . وفى أيامه أقام نظار لكل كنائس القاهرة وقام بتعمير القلاية البطريكيــة بحــارة الروم وتعمير كنائس وأديرة ومحلات القدس الشريف . وقد حدث فى أيامه غلاء كثير وفناء للبشر بسبب شراقى النيل (عدم وفاء النيل) وما نتج عنه من وبــاء وغلاء وذلك فى سنة ١٦٩٥ م .

وقوع إضطهاد على الاقباط وتنظيم بعض الأوقاف والطقوس :-

فى زمن ولاية أحمد قره محمد باشا الذى سعى إليه أحد الحاســدين مدعيــاً أن طائفة النصارى أحدثت بنياناً جديداً فى كنائسهم ، فقام الوالى ببحث الامر وأمــر بإغلاق الكنائس وهدم ما تم تجديده ولم يشفع فى ذلــك ويلغىالاوامــر ســوى إعطائه مبلغا خاصا له وهو " صره من الدراهم " . وصنع فى أيامــه المــيرون المقدس وذلك سنة ١٧٠٣ م ، كما زار فى أيامه دير الانبا أنطونيــوس ثلاثــة مرات كما قام بتعمير دير الانبا بولا أول السواح . وفى أيامه أيضاً تــم فصــل وقف دير الانبا أنطونيوس عن أوقاف دير الانبا بولا . وفى أيامه حــدث عــدم وفاء النيل وأعجوبة فيضانه على يديه كما قام البابــا يؤانــس بزيــارة القــدس الشريف . وفى سنة ١٧١١ م حدثت زلزلة عظيمة وحل الجراد بــالبلاد وكــان ذلك فى عيد القيامة المجيد فرحم الله العباد بنزول أمطار وإطلاق الرعود فمــات الجراد ونجت البلاد من مصائبهم . كما حدث فى أيامه ترتيــب طقــس " حــق الذخيرة المقدسة "وحملها للمرضى والمقعدين والمطروحين فى منازلهم وصــار العمل بذلك الترتيب إلى يومنا هذا .

نياحتـــــــــه : -

لقد حدث سنة ١٧١٨ م وباء شديد آخر ، مات من جرائه خلق عظيـــم وتنيـــح بسببه البابا ودفن فى مدفن البطاركة بكنيسة القديس مرقوريوس بمصر القديمـــة وذلك فى مدة حكم السلطان العثمانى أحمد الثالث .

البابا بطرس السادس البطريرك (الــ ١٠٤) (١٧١٨ م - ١٧٢٦ م) : -

الملقب بطرس الاسيوطى . ولد بأسيوط وسمى بإسم مرجان وترهب فــى ديــر القديس الانبا أنطونيوس وسيم قساً ورئيساً لدير القديس الانبا بولا وسيم بطريركاً بإسم البابا بطرس السادس فى سنة ١٧١٨ م فى أيام السلطان أحمد الثالث . وفى أيامه قتل المعلم لطف الله شاكر .

حوادث مؤسفـــــــة : -

حدث فى أيامة فرض غرامات على الاقباط بلغت مائة ألف ريار علـــى أقبَــاط الاسكندرية وهدموا الكنائس وإضطر غالبية الناس إلى الهروب مــن المدينـــة . ومن أشهر وأبرز المطارنة فى هذه الفـــترة الانبـــا ميخـــائيل أسـقف البهنســا والأشمونين الملقب بالعلامة وهو من أشهر الذين خدموا الدولة والكنيســـة فـــى القاهرة وكان ناظراً على كنيسة السيدة العذراء بالعدوية ويدعى مرقوريـــوس " ديك أبيض " وهناك رجل آخر يدعى المعلم جرجس أبو شحاته .

نياحتــــه :

تنيح فى سنة ١٧٢٦ م ودفن فى مقـــبرة الابـــاء البطاركـــة بكنيســـة الشـــهيد مرقوريوس بمصر القديمة وذلك فى أيام سلطنة أحمد الثالث العثمانى .

البابا يوأنس السابع عشر البطريرك (الــ ١٠٥) (١٧٢٧ م - ١٧٤٥ م):-

الشهير يوأنس الملوانى . كان يدعى بإسم عبدالسيد من أهالى ملوى وترهب بدير الانبا أنطونيوس ولكنه سيم قسا بدير الانبا بولا بإسم القس عبدالســـيد وأختـــير بطريركا سنة ١٧٢٧ م فى أيام السلطان أحمد الثالث العثمانى ودعى بإسم البابـــا يؤانس السابع عشر وفى أيامه أبطلت عادة إستلام الصليب والعكاز من مقـــبرة سلفائهم البطاركة وإستمرت هكذا إلى يومنا هذا .

رسامة أساقفة للحبشة : -

فى أيامه رسم ثلاثة أساقفة للحبشة أحدهما قبطى والآخران حبشيان فقبض عليهم حاكم ميناء مصوع الاسلامى وأكره أحد الحبشيين على إعتناقه الإسلام ، وأمـــا الثانى فتمكن عن طريق الرشوة الهرب والوصول إلى القاهرة ، وأما القبطى

فإختفى . وعندما قام البابا برسامة مطران قبطى جديد تكررت المأساة ولكن الاسقف الحبشى تمكن من تسهيل سبل الفرار للمطران القبطى أما هو فقد دفع فدية وأطلق صراحه .

وفى أيامه إهتم بتعمير دير القديس الانبا أنطونيوس ودير الانبا بولا . كما تم فى أيامه زيادة الضرائب على النصارى واليهود ثلاثة أضعاف .

وفى سنة ١٧٤٠ م حدث غلاء عظيم وزلزلة عظيمة زعزعة أساسات الارض .

نياحتـــه :-

وفى سنة ١٧٤٥ م تنيح البابا ودفن فى مقبرة البطاركة بكنيسة الشهيد مرقوريوس بمصر القديمة فى عهد السلطان محمد الأول .

البابا مرقس السابع البطريرك (الـ ١٠٦) (١٧٤٥ م - ١٧٦٩ م) : -

كان من أهالى قلوصنا وإسمه سمعان وترهب بدير الانبا بولا ودعى بإسم الراهب سمعان واختير للبطريركية بإسم البابا مرقس السابع فى سنة ١٧٤٥ م فى أيام السلطان العثمانى محمد الاول . وفى أيامه منع الاقباط من زيارة بيت المقدس وحدثت حادثة نهب وسطو وضرب حجاج بيت المقدس بقيادة المعلم نيروز كاتب رضوان كتخدا التى ذكرناها سابقاً . ومن أشهر الاساقفة فى أيامه الانبا بطرس كبيرمطارنة الصعيد .

نياحتـــه : -

تنيح فى سنة ١٧٦٩ م ودفن فى مقبرة البطاركة بكنيسة الشهيد مرقوريوس بمصر القديمة فى أيام السلطان مصطفى الثالث .

البابا يوأنس الثامن عشر البطريرك (الـ ١٠٧) (١٧٦٩ م - ١٧٩٦ م):-

من أهالى الفيوم وكان يدعى يوسف وترهب بدير الانبا أنطونيوس بإسم الراهب يوسف الانطونى وسيم بطريركاً بإسم البابا يوأنس الثامن عشر سنة ١٧٦٩ م فى عهد السلطان مصطفى الثالث العثمانى . وفى أيامه أستولى حسن باشا التركى على خزانة وأموال البطريركية .

مشاهير الأقباط فى عهده : -

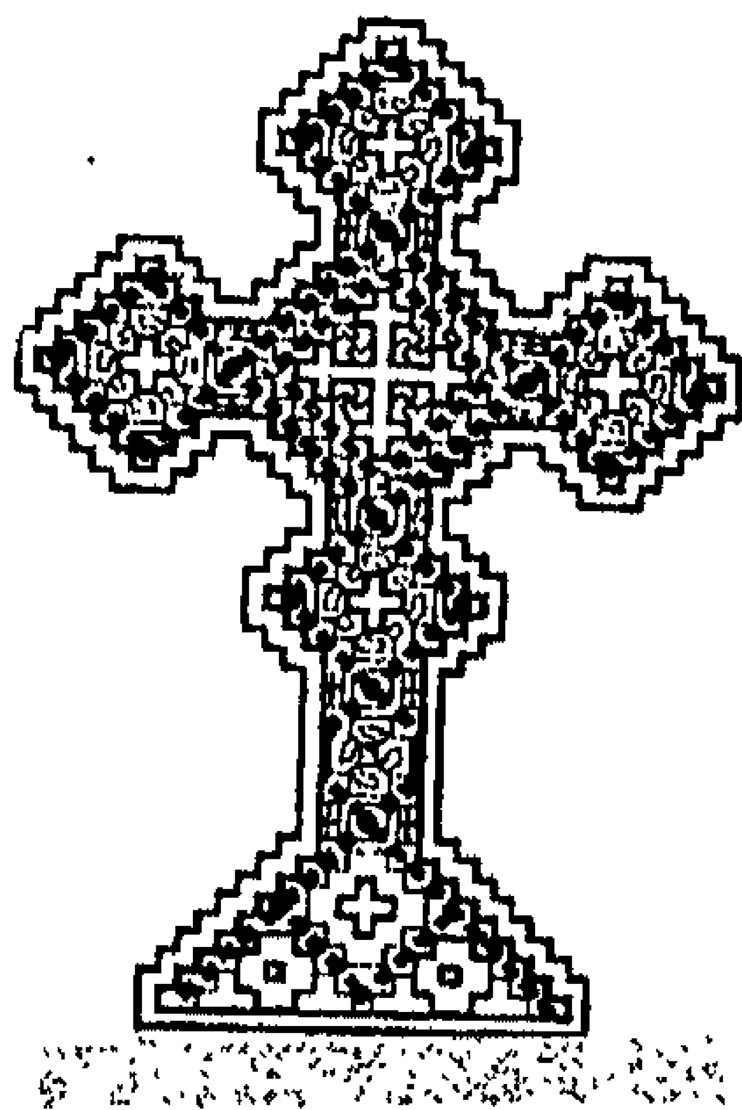
١ - المعلمان رزق وإبراهيم الجوهرى .   ٢ - المعلم واصف

ومن أشهر الاساقفة فى عصره الانبا يوساب الابح الرجل اللاهوتى الذى ذكرت علاقته بالبابا يوأنس بالتفصيل فى كتاب الاساقفة المشهورين بدير الانبا أنطونيوس .

كما حدث فى عهده معظم حوادث التحقير الأدبى التى ذكرناها سابقا فى الكنيسة القبطية فى عصر الدولة العثمانية كذلك إمتد التعسف إلى جعل ركوب الخيل قاصرا على المسلمين أما القبط وبقية غير المسلمين فكانوا لا يركبون غير الحمير فإذا مر عليهم أصغر مملوك كان عليهم الترجل وتقديم اليمنه الواجبة وكان يجرى أمام المملوك سايس ليمهد الطريق لسيده ومن لم يسرع فى التنفيذ كان نصيبه الضرب بالعصا (١). وفى سنة ١٧٩١ م حدث وباء شديد مات بسببه الالوف المؤلفة وذلك حين تضافرت الطبيعة مع طغيان إبراهيم بك ومراد بك إذ هطلت الأمطار مرارا بطريقة غير معهودة فى مصر حتى تسببت فى إنحدار سيل المياه من الجبال وملئت الشوارع والبيوت والمحلات إلى حد أن عددا من البيوت فى حى الحسينية سقط وقد صحب هذه السيول رعد قاصف وبروق تخطف الابصار فأمتلأت القلوب فزعا ثم تفشى الوباء فى أعقاب هذه السيول تفشيا مزعجا حتى لقد كان الناس يرددون فى ذهابهم وإيابهم كلمة " يا خفى الألطاف نجنا مما نخاف " . وقد قام بعمل الميرون المقدس سنة ١٧٨٦ م .

نياحته : -

تنيح سنة ١٧٩٦ م ودفن فى مقبرة البطاركة بكنيسة الشهيد مرقوريوس بمصر القديمة وذلك أيام إمارة البكوين إبراهيم بك ومراد بك .



(١) الدربدج من ص ١٤٦

" الفصل الرابع "

" ثانيا " أشهر الأساقفة والأراخنة فى عصر الدولة العثمانية (١٥٧١ م - ١٧٩٨ م)

١ - الأنبا ميخائيل (العلامة) : -

كان أسقفا على البهنسا والاشمونين وكان من أبرز المطارنة أيام البابا بطرس السادس وقد كتب هذا الاسقف شرحا وافيا للعقيدة الارثوذكسية رد به على أضاليل لاون .

٢ - الأنبا بطرس كبير مطارنة الصعيد : -

كان راهبا بدير السيدة العذراء مريم (السريان) بأسم الراهب بطرس ثم أختير رئيسا على ديره بالاضافة الى مطالبته بالاشراف على بقية الاديرة فى وادى النطرون ثم سامه البابا مرقس السابع مطرانا على كرسى جرجا وأخميم والصعيد الاعلى (قفط وقوص وأسنا وأرمنت) .

وكان معاصرا للمعلم ابراهيم الجوهرى ودارت بينهما مكاتبات بخصوص تعمير وترميم الدير وفى أواخر أيام البابا مرقس السابع وأثناء مرضه كان ينوب عنه فى هذه المسئولية لانه كان ضمن الآباء المجاهدين فى سبيل العقيدة الارثوذكسية

وقد وضع كتابا لتعليم شعبه الايمان السليم ، وردا على الهرطقات ربما يكون هو " كتاب البرهان " وهو موسوعة لاهوتية (١) .

٣ - القس الراهب يوسف الزير البرماوى : -

كان خادما بكنيسة مارجرجس ببرما ويؤخذ من كتاباته أنه عاصر البابوين الانبا يؤانس الخامس عشر وخليفته المباشر الانبا متاؤس الثالث عشر ، والشئ الوحيد الذى نعرفه الى جانب كهنوته أنه كان يجيد اللغة القبطية كما كان فصيحا ومتقدما فى اللغة العربية وعمل كاتبا للأمير غطاس وقد وضع بعض كتاباته فى بيته الخاص ، وبعضها فى دار الامير الذى كان حين يراه يكتب يدعه فى عجلة ولا يمنعه منه ومن الكتب المتبقية عنه : -

أ -مخطوطه محفوظة بالمتحف القبطى رقم٣١٢مكتوبة بالقبطية والعربية والتركية .

ب - مخطوطة أخرى محفوظة فى الكنيسة فى برما .

جـ - كتاب خاص باللقان .

---

(١) سلسه بابوات الكرسى الاسكندرى (كامل صالح نخله) الحلقة الرابعة .

٤ - الراهب القديس الشهيد يوحنا القليوبى : -

فى أيام البابا يوأنس الرابع عشر البطريرك (الـ ٩٦) قد حدث أن أقتنص أحد الحكام هذا الراهب خارج الدير ولم يكتف بمنعه من العودة إلى البرية المقدسة بل أراد إقحامه على إنكار المسيح له المجد ، ورفض الراهب رفضا باتا أن ينكر السيد المسيح فصدر الحكم عليه بغرس السكاكين الحادة فى يديه وإيقاد مشاعل على كتفيه ووضعه على جمل يطوف به شوارع المدينة تحيط به الغوغاء الصاخبة ، فتحمل هذا كله فى صمت تام ويبدوا أن هدوءه زاد الحاكم غضبا فأصدر أمره بربط يوحنا على عدد من الخشب وخلال ضربه وتعذيبه إستودع روحه بين ايدى أبيه السماوى ونال الإكليل المعد للذين يصبرون إلى المنتهى ، وكان إستشهاد الراهب القديس يوحنا القليوبى يوم الاحد المبارك الموافق ٣٠ هاتور سنة ١٢٩٨ ش (١٥٨٢/١٢/٦ م) وفى اليوم التالى أنزلوا جثمانه الطاهر على الخشبة وسلموه للقبط الذين مضوا به إلى كنيسة القديسة الشهيدة بربارة بمصر القديمة حيث أقاموا عليه الصلوات الكنسية ورفعوا الاسرار المقدسة ثم دفنوه بتلك البيعة المقدسة مثوى الشهداء .

٥ - إستشهاد قسيس فرنسى : -

أتهم بعض الفرنسيين القاطنين بالناصرة القس " كليمنت ريكوليه " بالخيانة وأنه يبدد أموال الكنيسة المخصصة للاحسانات فخاف القس وفر هاربا إلى الوالى فى القلعة وطلب إليه أن يقبل إسلامه . وكان ذلك فى يوم ٢٣ ابريل سنة ١٧٠٣ م ولما حضر بين يدى الوالى بعد يومين وطلب منه تأييد إسلامه على يد شهود فقال أنه نصرانى ويعيش ويموت نصرانيا . وفى يوم ٢٨ من نفس الشهر ختنوه بالرغم عنه وقدموا له ثيابا وعمامة فلبس الثياب وألقى بالعمامة على الارض فضربوه ضربا مبرحا حتى كانت روحه تفارقه وزوجوه فى السجن ، وبقى فيه أياما وبينما كان القنصل يسعى لدى الوالى فى خلاصه وإطلاق سبيله ، وصله كتاب يطلب فيه أن يتركه ليكفر عما حدث منه ، وينال أكليل الشهادة.
وفى يوم ١٧ مايو سنة ١٧٠٣ ضرب عنق القسيس على مشهد من الناس وسلموا جثته للقنصل الذى أخذها ودفنها فى مدافن الأقباط بدير الخندق (١)

---

(١) تاريخ البطاركة (كامل صالح نخلة) جـ ٤ ص ١٦١

٦ - **يوسف ابو دقن المنوفى : -**

من كبار الاراخنة فى القرن السابع وكان معاصرا للبابا مرقس السادس . وهو رجل قبطى من أهل الفضل والوجاهة وضع كتاب بعنوان " التاريخ الحقيقى للقبط فى ليبيا والنوبة والحبشة ، ضمنه تفصيلات عن حالة القبط الاجتماعية والروحية وعاداتهم وقدم دفاعا منطقيا عن عقيدتهم الارثوذكسية ، ثم قارن بعد ذلك بينهم وبين غيرهم من المسيحيين فى مصر . ومع أنه أورد هذه المقارنة إلا أنه وضعها فى أسلوب من الادب واللياقة (١) . ويقول أبو دقن أن أعضاء الكنيسة القبطية مشهورون فىكل ممالك العالم بلقب ممتاز وهو (مسيحيو الحزام) . وليس بعجيب أن كتابه هذا موجود الان بجامعة أوكسفورد بإنجلترا شأنه فى ذلك شأن العديد من كتبنا الموجودة فى مختلف مكتبات العالم تشهد بأسلوبها وترتيبها لدقة مؤلفيها وشدة حرصهم على العقيدة وعنايتهم بتوصيلها إلى شعبهم ، وما كان يخطر على بالهم أنها ستكون رسالة إلى شعوب بعيدة ، ولكن هكذا سمح الاب السماوى . ولقد طبع وترجم كتاب أبو دقن إلىاللاتينية سنة ١٦٧٥ م وإلى الانجليزية سنة ١٦٩٣ م ثم طبع فى هولندا سنة ١٧٤٠ م ومما يؤسف له إن هذا الكتاب لم يجد من يبحث عنه ويعمل على نشره فى بلاده وبين مواطنيه فحقا أنه " ليس لنبى كرامة فى وطنه " (٢) .

٧ - **نصرانى السنجق : -**

هو المعلم عوض القبطى كان يعمل كاتبا فى ديوان الوالى وكان مشهورا بين الجميع بلقب نصرانى السنجق وقد مات هذا الكاتب مسموما لان التعصب التركى الاعمى جعلهم يزعمون أن إضطهاد القبط يوهلهم للجنة وكان معاصرا للبابا مرقس السادس والارخن أبو دقن المنوفى (٣) .

٨ - **المعلم مرقوريوس الشهير بـ " ديك أبيض " : -**

هو من كبار أراخنة الاقباط الذين كانوا فى أيام البابا بطرس السادس ، وكان كاتبا للجوريجى إبراهيم الصابونجى أحد أمراء المماليك وقد أقامه البابا بطرس السادس ناظرا على كنيسة السيدة العذراء المعروفة بالعدوية فإهتم بتجديدها وإصلاحها وتزيينها وكان معاصرا لارخن آخر يدعى المعلم جرجس أبو شحاته الذى تزوج من أخت المعلم لطف الله كما كان يقوم بعمل الخير فى الكنائس

---

(١) يعقوب نخله روفيلة ص ٢٥٤ .

(٢) وأسرار من المعرف القبطية لنصرى تادرس جـ ١ ص ٥٠ - ٥١ .

(٢) موجز تاريخ البطاركة (يعقوب جرجس وأشرف زاهر رياض) جـ ٢ ص ٦٧ .

ومساعدة الفقراء فى مدة حياته حتى نال رضاء البابا بطرس عليه وسكن فردوس النعيم .

٩ - المعلم لطف الله أبو يوسف : -

كان متزوجاً بنت أخ البابا يوأنس السادس عشر وهو من أراخنة الاقباط المشهورين ومعاصر للبابا بطرس السادس . وكان المتولى على مصر يومئذ الوالى رجب باشا فسعى اليه جماعة بأن وشوا فى حق المعلم لطف الله فأوقع رجب باشا الوالى الطلب على المعلم لطف الله ولكن جماعة من أكابر الدولة والذين يحبون هذا المعلم تمكنوا من تطييب خاطر الوالى المذكور بنحو أربعين كيساً قام بدفعها من عنده من ماله الخاص ولم يأخذ من الاراخنة شيئاً لانه كان رجلاً غنياً ولم يكن فى زمانه من ي عادله ثروة وجاها وكان طيب القلب ومتمسك بدينه . ومن أشهر اعماله الاهتمام بتعمير كنيسة الملاك ميخائيل بمصر القديمة وكنيسة مارمينا بفم الخليج . كما قام بمصاريف حفل إقامة البطريك على الكرسى . إلا أن الشيطان أثار عليه من قتله وهو فى طريقه إلى منزله فى شهر مسرى سنة ١٤٣٦ ش فقاموا بتجنيزه ، وعمل له البابا بطرس ألف قداس بأسمه(١) .

١٠ - المعلم لطف الله أبو شاكر : -

كان من أشهر الاراخنة فى أيام البابا يوأنس الثامن عشر وكان مشهوداً له بالصلاح والتقوى فعينه البابا ناظراً على دير القديس الانبا أنطونيوس أب الرهبان ، وكان المعلم لطف الله مهتماً بعمارة هذا الدير فقام ببناء كنيسة الاباء الرسل وكنيسة الانبا مرقس بالدير المذكور وقام البابا يوأنس يتكريزهما . وعندما إشتعلت نار الثورة بين المماليك كان المعلم المذكور من أنصار إسماعيل بك الذى كان قائما ضد مراد بك وإيراهيم بك وكان يقوم بخدمته بكل إخلاص . وفى أثناء إشتعال هذه الثورة أرسل إسماعيل بك إلى المعلم لطف الله أبو شاكر هجانة برسالة منه يستعلم فيها عن غزو مصر فكتب له الرد المطلوب وسلمه الى الهجانة وعاد بالرسالة إلى اسماعيل بك ولكن الغزاه تمكنوا من الايقاع به أثناء الطريق وأخذوا منه الرسالة وأطلعوا عليها فوجدوها بخط المعلم لطف الله وبعد ذلك قبضوا على المعلم المذكور فى ٢ يونيه سنة ١٧٧٨ م ثم أفرج عنه وفى نفس العام حضر إلى دير الانبا أنطونيوس مع عرب الجبل (القافلة المعتادة) فقتله أحد العربان الذى إنتقم منه الله لروح شهيده (٢) .

---

(١) تاريخ الكنيسة القبطية (ايريس حبيب المصرى) جـ ٤

(٢) تاريخ البطاركة الحلقة الخامسة (كمال صالح نخله) ص ٣٩

١١ - المعلم رزق كبير المباشرين : -

بدأ فى أول عهده كاتبا بالجمارك ثم سكرتيرا لدار صك النقود ورفعته ثقة على بك الكبير به إلى مدير حسابات الحكومة وقتئذ، وذلك على الرغم من قسوة على بك الكبيرعلى القبط ثم رفعته هذه الثقة أيضا إلى رئاسة الدواوين وإعتمد على بك الكبير عليه فجعله مستشاره الخاص بالاضافة الى مناصبه السابقة وعاون على بك معاونة صادقة فى تحقيق اهدافه الذى كان يهدف اليها من الاستقلال بمصر ورفع الحكم العثمانى عنها فتوافر للمعلم رزق من النفوذ والسلطة مالم يتوافر لاحد من رجال الدولة .

وقد أستخدم المعلم رزق لمعاونته فى عمله كثير من الاقباط رغم كراهية على بك الكبير لهم فكان المعلم رزق بذلك صاحب مدرسة تأهل الاقباط لان يحتلوا اكبر مناصب الدولة لكفائتهم وأمانتهم وسعى فى أوقات كثيرة كما يقول الجبرتى فى رفع الاضطهاد عن القبط ورفع الزل عنهم (١) .

المعلم رزق والحاج عمر الطرابلسى : -

كان بمدينة دمياط فى أيام المعلم رزق رجل تاجر مشهور يدعى الحاج عمر بن عبدالوهاب الطرابلسى الاصل ، وحدث بينه وبين أحد النصارى التجار بهذا الثغر منافسة أدت إلى المشاحنة الدينية فإغتاظ لذلك الحاج عمر وحضر إلى مصر لينتقم منه وإدعى زورا أن النصرانى سب دينه واستفتى بعض كبار المشايخ فأفتوا بحرقه ، وأمروا بإحضاره لتنفيذ الحكم ، وعلى أثر حضور التاجر النصرانى قام بإتصالات مع المعلم رزق وكبار النصارى بمصر الذين عن طريق الهدايا إستطاعوا أن يغيروا الدعوى قائلين أن النصرانى لم يسبه بالالفاظ الذى إدعاها الحاج عمر ثم قاموا بمصالحة النصرانى مع الحاج عمر الذى سامحه وعاد إلى دمياط بعد أن خابت مساعيه ولم يبلغ إلى قصده بفضل مساعى المعلم رزق .

ولان الكتاب المقدس يقول " لى النقمة أنا أجازى يقول الرب " فيذكر التاريخ أن بعد هذه الحادثة بقليل إنتهت رئاسة على بك الكبير فقبض على الحاج عمر ونهب داره وأمواله وأنزله فى مركب مع نساءه وأرسله إلى طرابلس " الشام " منفيا (٢)

---

(١) المسيحيون وضريبة المصرية (د. زاهر رياض) ص ٢٣

(٢) كتاب تاريخ مدينة أو محافظة وأبروشية دمياط .

المعلم رزق والعالم الانجليزى " بروس " :-

كان المعلم رزق مجتهدا ودارسا وباحثا حتى أن التاريخ سجل أنه كان عارفا بعلم الفلك . وقد زار مصر فى أيامه الرحاله الانجليزى " بروس " وهو فى طريقه إلى بلاد الحبشة وقد إستطاع المعلم رزق عن طريق نفوذه الافراج عن أمتعة " بروس " بدون رسوم جمركية عليها والتسهيل فى سرعة خروجها من الجمارك فأراد بروس أن يكافئه بأن أرسل إلى المعلم رزق هبه مالية كبيرة تقديرا لجهوده فردها إليه المعلم رزق مع هديه أخرى من عنده ولكنه طلب عوض ذلك أن يشرح له كيفية إستعمال هذه الالات الفلكية الحديثة التى كانت معه فلبى طلبه وشرح له ما أراد (١) .

كان المعلم رزق معاصرا للبابا يوأنس الثامن عشر والمعلم إبراهيم الجوهرى ويقول الجبرتى فى كتابه أنه بلغ من العظمة مالم يبلغه قبطى آخر . ويقال أن على بك أبو الدهب عزله من منصبه فقتله وذلك بعد أن نزع ابو الذهب الرئاسة من على بك الكبير .

١٢ - المعلم ابراهيم الجوهرى " سلطان القبط " (٢)

نبغ المعلم ابراهيم الجوهرى فى النصف الثانى من القرن الثامن عشر فى مصر هو والمعلم رزق ، وذلك فى العصر الذى ظهر فيه رجل بمصر من كبار المماليك يسمى على بك الكبير ويقول الجبرتى أنه فى هذا العصر إرتفع شأن النصارى بهذين الرجلين " إبراهيم ورزق "

وقد إشتهر منذ حداثته بنسخ الكتب الدينية وتقديمها الى الكنائس على نفقته الخاصة كما كان على صلة وثيقة بالبابا يوأنس الثامن عشر .

+ كان يعمل كاتبا عند أحد أمراء المماليك ثم عمل كاتبا لدى المعلم رزق رئيس الكتاب وقتئذ .

+ كان معاصرا على بك الكبير وعلى بك أبو الذهب وإبراهيم بك ومراد بك حكام مصر .

+ فى أيام ابراهيم بك تقلد المعلم ابراهيم الجوهرى رئاسة كتاب القطر المصرى وهى أسمى الوظائف الحكومية فى ذلك العصر وكان بمثابة رئيسا للوزراء " فى عصرنا الحالى .

---

(١) تاريخ الامة القبطية ص ٢٧٢ ، ٢٧٣

(٢) تاريخ الامة القبطية ص ٢٧٢ ، ٢٧٣

+ كان له ولد يدعى يوسف تنيح فى سن الشباب ورزق ببنت تدعى دميانه عاشت عذراء .

من جهة أعماله لا نستطيع أن نحصر أعمال هذا الرجل العظيم فكم من الكنائس ساهم فى بنائها وساعد فى ترميمها وكم من أديرة قام بتشييد أسوار وكنائس وقصور بها وكم من بيوت فتحها ، وفى الحقيقة انه كان يعتبر ماله ليس ملكا له بل كان يصرفه فى كل عمل خيرى ، وإلى الان نجد وقفيات على كنائس وأديرة بإسم المعلم إبراهيم الجوهرى (١) .
وعندما أنهى المعلم ابراهيم الجوهرى جهاده على الارض وانتقل الى الفردوس سنة ١٧٩٦ م قال عنه الانبا يوساب الشهير بابن الابح أسقف جرجا وأخميم فى تأبينه ما مؤداه " أنه كان أكبر أهل زمانه وكان محبا لله يوزع كل ما يقتنيه على الفقراء المساكين . فكان عينا للاعمى ورجلا للاعرج ومعينا للارملة وأبا لليتيم ، ورئيسا مهتما بكافة الاديرة ومدبرا لكل الكنائس وكان محبا لكافة الطوائف يساهم الكل ويحب الجميع ويقضى حوائج الكافة ولا يميز واحدا عن الاخر فى قضاء الحق ، وهكذا يمكننا أن نقول مع الكتاب المقدس أن " ذكرى الصديق للبركه " (أم ١٠ : ٧) " والصديق يكون لذكرى أبدى " (مز ١١٢ : ٦)

وللمعلم إبراهيم الجوهرى حوادث كثيرة ومواقف عجيبه وقصص مثيرة تدل جميعها على تواضع هذا الرجل العظيم وكرمه ومحبته للجميع دون تمييز أو محاباة ويعوزنا من الوقت الكثير لكى نذكر القليل عن عظمة هذا الرجل ولكننا نكتفى ببعض الامثلة .

١ - عندما تمرد وحضر إلى مصر حسن باشا قبطان موفدا من قبل الدولة العثمانية وتقاتل مع إبراهيم بك ومراد بك وإضطرهما إلى الهروب إلى أعالى الصعيد وهرب معهما المعلم ابراهيم الجوهرى وبعض الامراء ...

أرسل حسن باشا إلى قاضى القضاه طالبا أحصاء ما أوقفه المعلم ابراهيم الجوهرى على الكنائس والديارات من أطيان وأملاك وغير ذلك . ثم أرسل وإستدعى زوجة المعلم ابراهيم ، التى كانت قد إختفت فى بيت حسن أغا ، وأجبرها على الاعتراف بأماكن حاجاتهم ومتعلقاتهم فاستولوا على أمتعة وأوانى ذهب وفضة وسروج وغيرها ، بيعت بأثمان غالية كما قاموا بنهب بيت المرحوم يوسف بن المعلم إبراهيم وأخرجوا كل مافيه من فرش وأمتعة وأوانى ذهب

---

(١) يوجد بمحافظات البطريركية عقود الوقف الذى بلغت ٢٣٨ عقدا وبلغت أثمان العقارات الموهوبه الى الفقراء ١٥ ألف ريال بعملة تلك الايام .

وفضة وصينى وأتوا بها إلى حسن باشا فباعها بين يديه بالمزاد وكانت بكثرة زائدة حتى أستغرق بيعها عدة أيام .

ثم عاد المعلم ابراهيم الجوهرى سنة ١٧٩١ م مع ابراهيم بك ومراد بك وعادت إليه سطوته وذلك بعد سفر حسن باشا إلى الاستانة ولكن لم يستمر ذلك أكثر من أربع سنوات إذ تنيح فى أوائل سنة ١٧٩٦ م .

٢ - ذكر أن أخيه ، المعلم جرجس الجوهرى ، كان ممتطيا جوادا ومارا فى احدى الطرق فأهانه أحد المشايخ ويبدو أن هذه الاهانة تكررت مرارا فتألم المعلم جرجس من هذه الاهانات وأخبر أخيه المعلم ابراهيم بها فأجابه قائلا " غدا أقطع لسانه " وفى اليوم التالى أستدل المعلم ابراهيم على منزل الشيخ وأرسل له هدايا سمنا وجبنا إلى غير ذلك بدون علم أخيه فلما إلتقى المعلم جرجس مرة أخرى مع الشيخ رحب به ترحيبا شديدا داعيا له ، الامر الذى جعله فى حيرة وإندهاش ولما عاد علم بما فعله شقيقه وأدرك حقيقة قوله " سأقطع لك لسانه " إذ حوله من البغضه الى المحبة والاكرام وبذلك تمم قول الرسول " إن جاع عدوك فإطعمه وإن عطش فإسقه فإنك بذلك تضع جمر نار على رأسه "(رو ١٢: ٢٠).

٣ - المعلم ابراهيم الجوهرى هو صاحب المسعى فى سبيل الحصول على ترخيص بناء كنيسة المرقسية الكبرى بالدرب الواسع بالازبكية وتفصيل ذلك إن إحدى اميرات البيت السلطانى فى الاستانه قدمت إلى مصر فى طريقها الى الحجاز لقضاء مناسك الحج ، فقام المعلم ابراهيم الجوهرى على خدمة الاميرة السلطانة بنفسه وقدم لها وقت سفرها هدايا نفيسة فأرادت ان تكافئه على صنيعه مكافأة ترفع من شأنه فى السلطنة ولكنه إلتمس منها فقط إستصدار فرمان سلطانى بتشييد كنيسة فى الازبكية بالقرب من سكنه ، فلم تستقر قدماها فى الاستانه حتى أصدرت له الفرمان وأرسلته إليه ، ولكن لم تمهله المنية قبل أن يشرع فى بناء الكنيسة ، فلما تولى منصبه أخوه جرجس إتحد مع البابا مرقس وأعيان الامة وشرعوا فى العمل وقد تم بناء الكنيسة فى ملك الامير يعقوب والمعلم ملطى .

٤ - قيل أيضا بعد نياحة المعلم ابراهيم الجوهرى أن وشى بعض الاشرار إلى الوالى فى إبنة المعلم ابراهيم ، المدعوة دميانه ، مدعين أنها تحفظ أموال ابيها التى أخذها من الحكومة فلما سألت عن ذلك أستمهلته حتى تحضر له ما طلبه ثم طافت القاهرة تجمع الفقراء والمعوزين والارامل وأحضرتهم إليه وقالت له إن أموال ومخازن أبى هى موضوعه فى بطون هؤلاء فلما عرف الوالى الحقيقة صرفها وذكر والدها بالخير .

الباب الخامس عشر

الحملة الفرنسية على مصر
(١٧٩٨ - ١٨٠١)

" الفصل الأول "

حالة مصر قبل دخول الحملة الفرنسية :

إشتد ظلم الحكام فى مصر ، مراد بك وابراهيم بك وقتئذ ، وضجرت الرعية من هذا الظلم ومن البطش الذى لحق بالمواطنين وبحقوقهم بدون وجه حق . وقد إمتد هذا الظلم والبطش إلى الرعايا الأجانب المقيمين فى مصر حتى انهم إشتكوا إلى دولهم من سوء معاملة المصريين لهم ... وقد سعت هذه الدول الأجنبية لدى كل من مراد بك وابراهيم بك بطلب العدول عن ظلم رعاياهم ومعاملتهم معاملة حسنة ، فلم يستجيبا إلى هذا الطلب ، فأغضب ذلك الدول الأجنبية ، وتسبب فى توتر العلاقات . إقتنص نابليون هذه الفرصة واعتبرها سببا أضافة إلى الأسباب الأخرى لتحقيق حلمه بغزو مصر وضمها إلى الامبراطورية الفرنسية .

ولما شاع الخبر أن عساكر الجيش الفرنسى قادمة إشتغل الامراء بالاستعداد لمقابلتهم وإختل النظام وسادت الفوضى وكثر اللصوص وقطاع الطرق فى البلاد وهاج سكان القاهرة وماجوا وهجموا على بيوت وكنائس النصارى الاقباط والسوريين والافرنج والاروام بدعوى البحث عما فيها من الاسلحة ، وإتخذ أهل الفساد والطمع هذا المناخ ذريعة لشرورهم فنهبوا بيوت الذين لا قدرة لهم على المقاومة ، وأشار البعض بقتل جميع النصارى عن آخرهم ، لولا أن مراحم الله تداركت شعبه لانه معين من ليس له معين – حيث عارضهم فى ذلك ابراهيم بك وقاومهم ومنعهم وعلى الرغم من ذلك انهم كانوا يقتلون كل من يصادفونه من النصارى دون تمييز بين الرجل والمرأة (١) وإحتمى بعض النصارى الافرنج وغيرهم فى دار إبراهيم بك فقبلتهم زوجته وآوتهم . كما قام المصريون وقبضوا على قنصل فرنسا وبعض التجار الافرنج وحبسوهم فى القلعة وبقوا فيها الى أن دخلت عساكر فرنسا القاهرة فأطلقوا سبيلهم بالاضافة الى ذلك هجم رعاع الناس على بيوت البكاوات والامراء ، الذين فروا من أمام الجيش الفرنسى ، ونهبوها .

والمؤرخون يتساءلون عما دار بخلد البكوات والامراء ودفعهم الى هذا الفرار هل كانوا يتصورون أن الدولة العثمانية قادرة على إسترداد مصر ، وأن واجبهم يحتم عليهم أن يكونوا بجانب هذه القوات الزاحفة لا ستردادها ولماذا فضلوا ان يكونوا تحت الحكم العثمانى الفاسد بدلا من أن يكونوا تحت حكم فرنسى لم

---

(١) الجبرتى ج ٣ ص ٢٣ .

يعرفوا بعد ما إذ كان فاسدا فساد الحكم التركى أو دونـــه أو يفوقـــه ، لا يوجـــد تعليلا لهذا الهروب سوى أن هؤلاء الناس تصرفوا تحت تأثير ما أعتنقوه مـــن قومية إسلامية جعلتهم يفضلون أن يكونوا تحت حكم فاسد ظاهره إسلامى علـــى أن يكونوا تحت حكم كافر وإن كان صالحا (١)

وبسبب ضعف المماليك ونزاعهم المتواصل مع أنفسهم تارة ومع تركيـــا تـــارة أخرى ، وبسبب تخلف كل من تركيا والمماليك عن النظم الحربية ، ومســـتوى الاسلحة السائدة ، بالاضافة الى حرمان المصريين من الاندماج فى سلك الجيـش ، إستطاع الفرنسيون أن يتغلبوا بسهولة على مقاومة المصريين فى الاسكندرية ، فدخلوها وأذاع قائد الحملة نابليون بونابارت منشورا على المصريين أنه صديـق لهم لا يبغى سوى تخليصهم من هؤلاء المماليك الذين (٢) أساءوا الـــى مصـــر وتسببوا فى تعطيل التجارة الفرنسية مع المصريين .

الحملة الفرنسية وابعادها السياسية :

على الرغم من استمرار الحملة الفرنسية بمصر فترة قصيرة وهى حوالى ثـــلاث سنوات وبضعة أشهر إلا أنها كانت فترة هامة فى التـــاريخ القبطـــى والكنســـى والمصرى لعدة أسباب منها **اولا** : أنها أول محاولة منذ الحروب الصليبية قـــامت بها دولة غير مسلمة لغزو وادى النيل **ثانيا** : أول مرة منذ الفتح العربى تحكـــم مصر دولة مسيحية **ثالثا** : لاول مرة منذ ظهور الاسلام يحاول بعض مســـيحى اوروبا التعاون مع مسلمى مصر .

بين الثورة الفرنسية بأوروبا والحملة الفرنسية على مصر :

عندما قامت الثورة الفرنسية الكبرى فى فرنسا سنة ١٧٨٩ م أعقبتـــها ثـــورات أخرى وكانت الثورة الفرنسية ثورة دموية كثر فيها القتل والشنق وأعلنت منـــذ بدايتها أنها مستعدة لتوريد وتصدير مبادىء الثورة للشعوب الاخرى وأهم مبادئها (الحرية – الاخاء – المساوة) .

وكانت هناك امبراطوريات عاتية فى أوربا تتزعمها الامبراطورية البريطانيـــة العدو اللدود لفرنسا والتى قيل عنها " الامبراطورية التى لا تغرب الشمس عـــن ممتلكاتها " . وأهمها الهند ومستعمرات الشـــرق الاقصـــى ، وعندمـــا قـــامت الامبراطورية بالتكتل فى أوروبا ضد فرنسا ، فكر نابليون قطـــع خطـــوط

---

(١) المسيحوين والقومية المصرية (د . زاهر رياض) ص ٣٣ .

(٢) الجبرتى جـ ٣ ص ٧ .

المواصلات عليها فى الشرق ، ورأى أن ذلك يتحقق بتأسيس إمبراطورية فرنسية فى الشرق .

فعرض نابليون هذا الرأى على مجلس الادارة الذى كان قائما بتدبير شئون المملكة وشرح لهم مايعود على فرنسا من الخير الكثير لو فتحوا مصر ، ومـا زال بهم تارة بالاقناع وتارة بالتهديد بالاستعفاء حتى وافقوه ، فجهز جيشا مؤلفا من ٣٧ ألف مقاتل وجماعة من أهل العلم وأرباب الصنائع ودخل الى الاسكندرية وإحتلها فى أول يوليو سنة ١٧٩٨ م ، وكانت نظرة مماليك مصر إلى الحملة الفرنسية أنها محاولة للقضاء على الإسلام ، والبعض الآخر منهم ، إعتبرها غارة من غارات القراصنة الأوربيين أوسع مدى من سابقاتها .

سياية بونابارت وموقف الفرنسيين من الاقباط :

تمثل هذه الفترة منعطفا عظيما فى تاريخ العلاقات بين المسلمين والاقباط فى مصر فقد فطن هذا العنصران أنهما معا أمام مشكلة جديدة (فى هذه الفترة) .

أ - سياسة بونابارت الاسلامية :

تقدم نابليون بونابارت الى اسوار الاسكندرية على انه حامى الاسلام بل بطل من ابطاله ، ولكى يؤكد هذا الادعاء كان باقورة اعماله تصريحه للقوات الفرنسية المتأهبة لغزو مصر قائلا لهم .. أن لا ينازعوا الشعب الاسلامى فى دينه .. وأن يعاملوهم معاملة حسنة ، وأن يحترموا رجال الدين ، وأن يظهروا روح التسامح للمواسم التى أمر بها القرآن ، وإحترام المساجد بالاضافة الى ذلك صرح للمشايخ والقضاة قائلا أن الفرنسيين مسالمون مخلصون وإثبات ذلك انهم قد نزلوا فى رومية الكبرى وخربوا فيها كرسى البابا الذى كان دائما يحث النصارى على محاربة الاسلام ، ثم قصدوا جزيرة مالطة وطردوا منها الفرسان الذين كانوا يزعمون أن الله تعالى يطلب منهم مقاتلة المسلمين ومع ذلك فان الفرنسيون فى كل وقت من الاوقات كانوا محبين مخلصين لحضرة السلطان العثمانى وأعداء أعدائه ، أدام الله ملكه (هذا نفاق نابليون وسوف نوضح ذلك فيما بعد) .

وأكثر من ذلك لم ينقض شهر على نزول نابليون الاسكندرية حتى إشترك مع المسلمين فى الإحتفال بالمولد النبوى ، ولما كان يريد أن يقوم بأكبر دعاية حول موقفه هذا ، فقد كتب الى الجنرال " مارمونا " بتاريخ ٢٨ اغسطس ١٧٩٨ م يقول " ... انى اكثر الناس اقتناعا بصفوه الديانة الاسلامية وقداستها " .

وفى نفس اليوم كتب الى الشيخ المسيرى قائلا له " أرجوا ألا يتأخر الوقت الذى أستطيع فيه جمع العناصر الحكيمة والمثقفة فى البلاد ووضع نظام ثابت يرتكز على مبادىء القران الحقة الوحيدة التى تستطيع إسعاد البشر دون سواها " .

كما يؤكد نابليون تعاطفه مع الاسلام فى رسالته الى والى حلب فى سبتمبر سنة ١٧٩٨ م قائلا له " اننا لسنا كفار العصور الهمجية الذين كانوا يأتون اليكم لمحاربة إيمانكم وعقيدتكم ولكننا نعترف أن إيمانكم رفيع القدر وسوف نعتنق نحن الفرنسين دينكم وعقيدتكم عندما تحل الساعة أو الوقت المناسب وفيها يصبح الفرنسيون المستشرقون مسلمين مؤمنيين حقيقيين (١)

هل كان بونابارت صادقا فى دعواه :

لقد كان بونابارت لا دينى ولا يعترف بوجود الله فقد كان ملحدا بل مضطهدا للمسيحية على الرغم من أن بيته تحول بعد موته الى دار للكتاب المقدس ، ولكن نابليون لم يكن يعترف بالدين ، ومن ضمن الحوادث التى ذكرت عنه ، أنه فى حفلة التتويج الخاص به ، تعمل الدولة المسيحية طقس دينى لمسح الملوك ، ويقوم البابا بتلبيس الملك تاج الامبراطورية ، ولكن عند تجليس نابليون رفض ذلك ، وخطف التاج من يد البابا والبسه لنفسه ، فاذا كان نابليون يعامل المسيحية التى ولد فيها بهذا الاسلوب فكم يكون موقفه من الاديان الاخرى ، هذا مجرد مثال . ويذكر انه عندما دخل الاسكندرية اعلن انه حامى حمى الاسلام .

لذلك كله فلم يكن دفاعه عن الاسلام يشكل اى ضغط أو معاناة نفسية له ، أو ترجيح من جانبه لدين على أخر ... حتى أن اعتناقه الاسلام فيما بعد كان أمرا سهلا بالنسبة له ، فلم يسبب له اى قلق ، ولم يكن يشعر أنه يترك دينا ليعتنق دينا آخرا ... وقد أوضحنا انه كان لا دينى وملحد ... ولم يكن اعتناقه الاسلام سوى مناورة سياسية لخدمة اهدافه العسكرية وخططه للسيطرة على البلاد والاستقرار فيها .

وكان من الامور المشجعة على هذا المسلك الاسباب الاتية :

١) انهزام نابليون امام عكا .

٢) غرق الاسطول الفرنسى فى أبى قير وقطع خط المواصلات بينه وبين فرنسا وفقد كل أمل فى وصول أى نجدة له .

٣) ارضاء للشعب المصرى وكسب عطف هذا الشعب الذى تدين غالبيته بالاسلام .

---

(١) وثائق الحملة الفرنسية

٤) أن يكون له مبرر شرعى لمواجهة الدولة العثمانية (التى كانت تنادى بالخلافة الاسلامية)

ب - كيف عامل نابليون الاقباط : -

لما كان بونابارت متشبعا بروح المساواة والاخاء فقد أبى أن يقع فريق من الشعب تحت نير الاضطهاد أو أن يحرم من الحياة الحرة - غير أنه يلاحظ عدم أهتمامه بمنح الاقباط حرياتهم دفعة واحدة وخاصة حرية العبادة - ولما طلب الاقباط اليه ان يلغى القيود التى فرضها المماليك والعثمانيين على شعائرهم الدينية اجاب على المعلم جرجس الجوهرى بخطاب مؤرخ فى ٧ ديسمبر سنة ١٧٩٨ م (استلمت الكتاب الذى ارسلته الامة القبطية وأنه من دواعى سرورى حماية هذه الامة التى لن تكون من الان فصاعدا موضع الاحتقار ، وعندما تتيح لى الظروف الشى ء الذى لا أراه بعيدا ، قد أسمح لها أن تقيم شعائرها الدينية علانية كما هو الحال فى أوروبا حيث يمارس كل انسان عقيدته ، وسأعاقب بشدة القرى التى قتل فيها الاقباط أثناء الثورات التى نشبت وأنك تستطيع من الان أن تخبر أبناء طائفتك بأنى أسمح لهم بأن يحملوا السلاح ويركبوا البغال والخيول ويضعوا العمامات على رؤوسهم ويتزينوا بما يشاؤن .

وتعد هذه الرسالة الاجراء العملى الوحيد الذى إستفاد منه الاقباط فى عهد بونابارت الذى مالبث أن ألغى ماوعدهم به .

ويقول الجبرتى : ... نودى فى أول رمضان بأن النصارى لا يتجاهرون بالاكل والشرب فى الاسواق ولا يشربون الدخان ولاشئ من ذلك .

ثم يقص الجبرتى الحادث الاتى :

إن بعض الرعية من الفقهاء المتعصبين مروا على بعض النصارى وهم يدخنون فى شهر رمضان فانتهرهم أحد الفقهاء فرد عليهم النصارى بالمثل فنزل أحدهم وضرب نصرانيا منهم وإجتمع عليهم الناس وحضر حاكم المنطقة الذى ساقهم الى القائمقام الذى سأل النصارى الحاضرين عن عادتهم فى ذلك فأخبروه أن من عادتهم القديمة أنه اذا إستهل شهر رمضان لا يأكلون ولا يشربون فى الاسواق ولا بمرأى من المسلمين أبدا ، فضرب النصرانى وترك المعمم لسبيله .

وان كان عداء بونابارت للاقباط لم يذهب به الى حد الاضطهاد فانه على أى حال لم يكن رقيقا بهم ، وان كان قد إستعان بهم فى جباية الضرائب كما فعل المماليك من قبله ، ولكنه إتخذ هذا الاجراء مرغما إذ كان يتكلم عنهم بقسوة شديدة فيقول " أنهم لصوص مكروهون فى البلاد غير أنه يجب مراعاتهم لانهم

يعرفون الاصول العامة لادارة البلاد دون سواهم " .

لذلك عين المعلم جرجس الجوهرى مباشرا عاما ومنحه السلطان علـــى ســائر المباشرين ، ولكنه حرص على أن يكون معه موظف فرنسى لمراقبته ، ثم لــم يزل بونابارت منذ هذه اللحظة يترقب أول فرصة للتخلص من الجوهرى ، ولما ترك نابليون بونابارت مصر أرسل إلى الجنرال كلبير كتابا مؤرخــا فــى ٢٢ أغسطس سنة ١٧٩٩ م يقول له فيه بصراحة " ... كنــت مزعمــا ان ســارت الامور سيرها الطبيعى أن اضع نظاما جديدا للضرائب يجعلنا نستغنى تقريبا عن خدمات الاقباط .. "

وبالرغم من حاجة نابليون إلى زيادة عدد جيشه لم يفكر قـــط فــى الاســتعانه بالاقباط ، كما ان الاقباط انفسهم لم يظهروا حماسا زائدا فى طلب تجنيدهم فلــم تؤلف الفرقة القبطية كما سنبينه بعد - الا فى عهد الجنرال كلبير وفى ظــروف خارجة تماما عن ارادة الاقباط .

كان نابليون يأمل من وراء استغنائه عن خدمات الاقباط مراقبة دخل الضرائــب مراقبة فعلية هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فانه كان يرغب خاصة فى ترضية المسلمين ، وكتب الى قواده فى عدة مناسبات يقول فيها " مهما فعلتم تأكدوا مــن أن النصارى فى صفكم فلا تترددوا إذن فى تفضيل المسلمين على النصــارى ". وكرر هذا القول على الجنرال كليبر قبل رحيله الى فرنسا حيث صرح علانيــة " نعم إنى اكره النصارى ولقد سحقت ديانتهم وحطمت هياكلهم وقتلت قساوســتهم وهشمت صلبانهم ونكرت إيمانهم وعلى الرغم من ذلك فإنى أراهــم يفرحــون لفرحى ويتألمون لالمى ، فهل من المعقول أن أعتنق من جديد الدين المســيحى ؟ وما الفائدة التى أجنيها من هذا العمل ؟

موقف المسلمين تجاه الحملة الفرنسية والمظالم التى حاقت بالاقباط : -

لقد أتيح لنا بفضل المستندات الثابته التى ذكرناها أن نجزم بأن بونابارت حــاول بأقواله وأعماله كسب عطف المسلمين ولم يذهب طبعا لارضائــــهم الــى حــد إضطهاد النصارى ولكنه لم يبد لهؤلاء مايدل على عطفه عليـــهم . ولقــد قــام نابليون بونابارت ببعض التشريعات الجديدة التى كانت فرصة ليشعر المصريون بكيانهم وكون ما يسمى بمجلس أسماه " شئون الديوان " وهو يتكون من شــيوخ الازهر وبعض الفرنسيين وكان عمله هو توصيل الامــور والحــوادث للحــاكم الاعلى الفرنسى (أى تقديم المشورة للحاكم الفرنسى) وهو أول رغبة لاشــتراك المصريين فى الحكم ولم يكن لغير المسلمين ممثلون فى هذا المجلس - وكـــان هناك الديوان الصغير مكونا من ١٢عضوا نصفهم ميسحيين برئاسة المعلم ملطى

ولكن بونابارت لم يوفق فى إزالة البغضاء من قلوب المسلمين بسبب وجوده بينهم وذلك بالرغم من المظاهر المرائية فكان يشعر أن الشعب يتحمل حكمه كارها وأنه يترقب الفرصة التى تتاح له للتخلص منه .

ولما تحدث الجبرتى عن زيارة القواد الفرنسيين للاعيان بمناسبة الاعياد الاسلامية صرح بأن الاعيان كانوا يستقبلونهم بشئ من الترحيب المصطنع وقد مزقت ثورة القاهرة الاولى الستار الذى يخفى وراءه مهزلة التعاون بين المسلمين والفرنسيين وقد دبرت المؤامرة لقيام هذه الثورة فى الازهر حيث كان بونابارت يعلن مزيد عطفه على الاسلام .

وكانت هذه الثورة بعد ثلاث أشهر من مجئ الحملة الفرنسية وكان من نتائجها حرق كنيسة حارة الروم التى كانت مقرا للبطريركية وأمر البطريرك البابا مرقس الثامن بنقل البطريركية مؤقتا لحارة النصارى فى الازبكية وقتل كثير من النصارى ونهبت بيوتهم ، ولم تكن هذه الثورة من أجل استقلال مصر ، وإنما كانت تعبيرا عن الاستياء لانتصار نابليون على الاتراك .

والسؤال الذى يثيره المؤرخون لماذا حرقت الكنيسة وقتل النصارى ونهبت بيوتهم إذا كانت هذه الثورة تعبيرا عن إستيائهم لانتصار نابليون على الاتراك ؟

وكان نتيجة لهذه الثورة أن قام نابليون بالغاء الديوان وإعادة تشكيله فى صورة جديدة – كما قام نابليون بعزل قاضى القضاه العثمانى وطلب أن ينتخبوا مصريا بدلا منه ، وكتب للمشايخ بذلك ، ومن العجيب والمؤسف أن المشايخ رفضوا . وفضلوا إستعمار الخلافة الاسلامية العثمانية الهميونية على استقلال مصر ولكنهم فى النهاية إنتخبوا ، مكرهين ، واحدا إسمه الشيخ أحمد العريش .

ويقول الجبرتى : –

وفى ذات يوم .. نزل أحد مشايخ الازهر وبدأ ينادى بالمدينة إن كل مؤمن موحد بلله عليه أن يتوجه إلى الجامع الازهر لان اليوم ينبغى لنا أن نبارى الكفار ، وقد أخذ الفرنسيون على غرة ، بينما كانوا يطوفون فى شوارع العاصمة بدون أسلحة وقد قتل الغوغاء جميع الذين تعاونوا مع الفرنسيين سواء كانوا مسلمون أو نصارى .

ولما قرر بونابارت أن يعطف على الثوار لم يصدقه أحد ، لما أراد بعض النصارى المطالبة بتعويض عما لحق بهم وبمساكنهم من اضرار رفض المسلمون التقدم بمثل هذا الطلب لاعتقادهم الراسخ أن أحدا لن يستمع الى شكواهم كما ورد ذلك فى تاريخ الجبرتى .

ولما علم الناس بعد أسابيع أن القوات العثمانية أحتلت قلعة أبى قير ، أظهروا الفرح والسرور وتجاهروا بلعن النصارى ، ولكن المماليك وأنصارهم من المصريين لم يستطيعوا الثبات بالاشتراك مع العثمانيين أما نابليون الذى إنتصر عليهم بسهولة (١) .

ويذكر الجبرتى المؤرخ المسلم مكملا هذه الحادثة قائلا : -

ولما شعر ناصيف باشا القائد التركى بهزيمته أراد أن يغطى فشله بتوجيه غضب الشعب ضد غيره ، ولم يجد من يستثيره الغضب الشعبى ضده غير المسيحيين فأصدر أمرا بقتل النصارى دون تفريق بين أجنبى وسورى وقبطى ، وكان هذا الامر الوحشى لم ينفذه الجيش وحده بل شاركه فيه العامة أيضا - على أن مراحم الله شملت شعبه لانه معين من ليس له معين ، ليتبارك اسمه ، فذهب ضابط تركى إسمه عثمان بك إلى ناصيف باشا وقال له ليس من العدالة أن تهرقوا دماء رعايا الدولة فان ذلك مخالف للادارة السنية ، وعندها صدر الامر بالكف عن هذه المذبحة ،وهكذا نجد أن الاب السماوى يقيم لاولاده من يدافع عنهم حتى من صفوف الباطشين بهم (٢) ثم عاد نابليون إلى القاهرة فأضطر الاعيان والعلماء وأعضاء الديوان أن يتوجهوا إلى داره ليقدموا له فروض التهانى بمناسبة عودته السعيدة - ولاحظ بونابارت مرة أخرى حزنهم وخيبة أملهم ولكنه لم يحاول الانتقام منهم أو تعديل سياسته إزائهم . غير أنه لامهم بلهجة هادئة على موقفهم فقال " أيها العلماء والاعيان إنى أتعجب من حزنكم لانتصارى ، إنكم لم تقدروا موقفى إزاءكم حتى الان مع أنى كررت لكم أننى مسلم وأنى مؤمن بأن لا اله إلا الله وأنى أجل النبى وأحب المسلمين " .

ويتضح من ذلك أن العلاقات مع المحتل لم تكن طيبة إلا فى المظهر - وإذا كان بونابارت قد إستمر فى إظهار صداقته نحو المسلمين إلا أنه شعر بفشله فى إقناعهم بحسن نياته وبأن القوة لابد منها لاقرار النظام إذ كان الشعب ينظر إليه كرجل كافر يقود جيشا من الكفار ، وأن وجوده بمصر كان يشجع النصارى على حساب المسلمين ، غير أنه أمل حتى آخر لحظة فى قدرته على إزالة عداء الشعب نحوه ، وكان إصراره هذا يستحق كل الاعجاب ولاسيما أن قواده كانوا يدارون غيظهم من هذه السياسة . ولذلك لما آل الحكم إلى الجنرال " كليبر " لم

---

(١) الجبرتى جـ ٢٣ ص ٧٥ .

(٣) اليرموس (الجبرتى) جـ ٢ ص ٥٣ .

يتردد هذا القائد فى محاباه النصارى ويأذن الجنرال للمعلم يعقوب بتكوين الفرقة القبطية .

ومن أكثر المواقف المؤسفة فى أيام الجنرال كليبر أنه أثناء قتاله للعدو الاعظم يوسف باشا أراد الترك (نصوح باشا) أن يتسلوا فلم يجدوا من تسلية تشغلهم غير قتل القبط ، فدخل نصوح باشا القاهرة من باب النصر وباب الفتوح ثم قال للعامة اقتلوا النصارى وجاهدوا فيهم ، فعندما سمعوا منه ذلك حاصروا وجاهدوا وساروا يقتلون من يصادفونه منهم ، وذهبت طائفة إلى حارات النصارى وبيوتهم التى بناحية بين السورين وباب الشعرية وجهة الموسكى ، فصاروا يقتحمون الدور ويقتلون من يصادفونه من الرجال والنساء والصبيان وينهبون ويأسرون حتى أثقل ذلك بالمسلمين المجاورين لهم ، ثم رأى عثمان كتخدا ان اكتناز المال انفع له من قتل الناس فأعلن ان كل من يقبض على نصرانى او يهودى يحضره اليه وحين يقع هؤلاء فى قبضته يطالبهم بمبلغ معين من المال مقابل إطلاق سراحهم (الجبرتى جـ ٢ ص ٣٧) .

وقال الجبرتى المؤرخ المسلم حضر أيضا رجل مغربى وفعل أمورا من النهب والقتل لمن لا يجوز قتله ، وأكثر من ذلك كان يتجسس على البيوت التى فيها الفرنسيين والنصارى فكان يهجم عليهم ومعه جمع كثير من العامة الغوغاء والعسكر فيقتلون من يجدونه منهم وينهبون الدار ويسبون النساء ويسلبون ماعليهن من الحلى والثياب ومنهم من قطع رأس البنية الصغيرة طمعا فيما على رأسها وشعرها من الذهب .

وقتلوا أيضا النصارى الذين كانوا فى بولاق ونهبوا بيوتهم ، وعلى كل لم ينج من ايديهم من النصارى فى هذه الفتنة سوى الذين تسلقوا السور وفروا على معسكر الفرنسيين ، والذين إفتدوا أنفسهم بالمال ، أما سكان الازبكية أخذ الجنرال يعقوب على عهدته حماية تلك الجهة والمدافعة عنها لانها منطقة يسكنها كثير من النصارى الاقباط ولاسيما يوجد بها البطرخانة التى كانت مطمع انظار أهل الفساد ، وقد أظهر الجنرال يعقوب ورجاله بساله رائعة فى الدفاع ضد حسن بك الجداوى الذى أراد الفتك بالنصارى فى هذه المنطقة المرة بعد الاخرى كما سنوضح فيما بعد .

موقف الاقباط تجاه الحملة الفرنسية : -

كان المصرى المسلم يعتقد أن القبطى الذى استعبده المماليك وأذلوه تأثر بوجود الجيوش المسيحية (الفرنسية) فى الاراضى المصرية وأنه أظهر إستعداده للإنضمام اليهم ، لذلك لما وصلت الاساطيل الفرنسية الى مياه الاسكندرية ظل

الفرنسيون والاقباط موضع شك السلطات العثمانية ، وتعرض الفرنسيون والاقباط من جراء ذلك إلى أعمال السوء ، وقد طلبت السلطات العثمانية عند دخول الحملة الفرنسية إلى بعض الرعايا الافرنج ألا يغادروا أماكنهم ، بينما أرسلت البعض الاخر الى القلعة ، ويقال أن مراد بك قرر قطع رؤوسهم الا أنه أرجأ تنفيذ خطته الى ما بعد انتصاره بناء على مشورة " كاربو روستى " قنصل النمسا ، وكان الاقباط ينتظرون نفس المصير ، ولكن ابراهيم بك توسط لهم وأنقذهم من مصيرهم المحتوم .

ويكتب نقولا ترك فى هذا الشأن قائلا أن ابراهيم بك كان يرسل للاقباط يطمئنهم على محلاتهم وعلى ارواحهم وأموالهم ويطلق المناداه فى كل بلد على حفظ الرعايا وعدم التعرض لهم (١)

على أن الجبرتى يضيف الى ذلك قوله " صار الامراء يفتشون فى محلات الافرنج على الاسلحة وغيرها وكذلك يفتشون بيوت النصارى الشوام والاقباط والاروام والكنائس والاديرة على الاسلحة فكان العامة لا يرضون إلا أن يقتلوا النصارى واليهود فيمنعهم الحكام عن تنفيذ ذلك ، ولولا ذلك المنع لقتلتهم العامة وقت الفتنة (٢) .

س : هل كان فى موقف الاقباط هنا ما يبرر هذه الروح الانتقامية ضد المسلمين ؟

لا ومن المحتمل أن يكون الاقباط قد وجدوا فى قدوم الفرنسيين ابناء دينهم ما يلطف من مصيرهم ومايخلصهم من هذا الحكم التركى الفاسد ، ويخلصهم من القومية الاسلامية التى أصطنعتها الخلافة ، ثم الاتراك العثمانيون من بعدهم ، من اجل القضاء على القوميات الوطنية للبلاد التى دخلت فى نظامها ، فأقبلوا يعينونها بمختلف الوسائل ، فكل مساعدة تقدم للفرنسيين إنما هى مسمار فى نعش الاحتلال التركى ، وعلى الرغم من ذلك كان موقف الاقباط من الاوربيين سلبيا ، والوثائق التى عثر عليها المؤرخون عن الحملة الفرنسية تجزم بأن الاقباط لم يحاولوا مساعدة الغزاة (٣) .

---

(١) مذكرات ص ١٣ .

(٢) الجبرتى جـ ١٤ ص ٧

(٤) الاقباط فى القرن العشرين جـ ٢ ص ٤١ .

س : – هل يؤخذ على الاقباط موقفهم السلبى وقت الخطر ؟

وللاجابة على هذا السؤال وجه المؤرخون سؤالا آخر هل كان فى إستطاعتهم أن يقوموا بعمل مابعد أن جردتهم السلطات العثمانية من سلاحهم ؟ يعتقد أن النصارى كانوا أضعف من أن يستطيعوا إتخاذ أى قرار فرضخوا لاوامر الاغلبية وكانوا أثناء القتال يعتبرون أنفسهم متضامنيين مع إخواتهم المسلمين .

ونلاحظ أن بونابارت أول من أرسل فى طلب المعلم جرجس الجوهرى الذى قدم إلى الجنرال الفرنسى أعيان الاقباط ، ومن الطبيعى أن ينتهز الاقباط هذه الفرصة ليقدموا فروض الطاعة والخضوع للرجل الذى جلس على أنقاض الماليك والعثمانيين ورسخت قدمه فى البلاد (١) .

وقلق المسلمون لعمل الاقباط هذا مما دعا الجبرتى إلى إتهام النصارى صراحة بالتعاون مع الفرنسيين ومساعدتهم فى حروبهم مع المماليك والعثمانيين وعلى رأسهم الجنرال يعقوب الذى كون الفرقة القبطية ، وكانت بمثابة فرقة مساعدة للجيش الفرنسى ، والثابت أن الاقباط لم يكونوا أول من زودوا الجيش الفرنسى بالرجال ، فقد سبقهم إلى ذلك عمر القلقجى الذى توسط لمحاربة الفحامين وجمع منهم ومن غيرهم عددا وفيرا وعرضه على رئيس عسكر الفرنسيين فأختار منهم الشباب وأولى القوة وأعطاهم سلاحا والات الحرب ورتبهم عسكريا ، وجعل عمر المذكور رئيسهم ، وقام بتدريبهم أحد الجنود الفرنسيين ، ثم إنضم إلى الفرنسيين المماليك من بعدهم المغاربة ، أما الاقباط فكانوا أخر من التحق بالجيوش الفرنسية (٢) .

ثم يحمل المسلمون المباشرين الاقباط الذين يقومون بجباية الضرائب بالقوة (بالجلد) ويصفوهم بالخيانة ، وقال الجبرتى أن الاقباط والسوريين واليونايين واليهود أصبحوا لا يحتملون ، لانهم يركبون الخيل ويحملون السلاح ، وهنا نتذكر كلمات السيد المسيح له المجد " تكونون مبغضين من جميع الامم من أجلى اسمى " (مت ١٠ – ٢٢) .

ولكن سبق ايضاح كيف كان بونابارت يعامل الاقباط بقسوة شديدة وأنهم لم يفوزوا بمعاملة إستثنائية إلا بعد أن تولى الجنرال كليبر الحكم ، وبعد أن ثار سكان القاهرة مرة أخرى على الفرنسيين ، مالبث أن الغيت الاجراءات

---

(١) أقباط ومسلمون ص ٢١٨ .

(٢) عبدالرحمن الجبرتى ص ٢٨ .

الاستثنائية بعد مقتل القائد الجنرال كليبر ، حيث قام المصريون بثورة ثانية بقيادة السيد عمر مكرم ، ونلاحظ أن هذه الثورة لم تكن انتفاضة قومية إنما كانت بسبب كثرة الضرائب التى فرضها كليبر من ناحية ، ومن ناحية أخرى كان غرضها رفض الحملة الفرنسية والترحيب بالاستعمار التركى ، لكى تبقى مصر فى التبعية للخلافة الاسلامية .

أسوأ الحوادث التى حلت بالاقباط فى هذه الفترة : -

بعد فشل المفاوضات بين كليبر وبين إنجلترا فى الجلاء عن مصر فكر فى تنظيم أموره على أساس بقاءه فى مصر فترة أطول وفى هذه الفترة كان كليبر قد سمح للجيش التركى أن يستوطن بالصحراء الشرقية ، وقد تسلل منهم سرا المصريون الذين رافقوا الجيش التركى وأسرعوا ودخلوا خلسة الى القاهرة بقيادة السيد عمر مكرم نقيب الاشراف ومصطفى باشا ، الذى أمر بفرض ثلاث ألاف كيس على الاهالى من أجل ترحيل الفرنسيين ، كما أمر بقتل النصارى ونزول الجند إلى القاهرة ينهبون ماوصلت اليهم أيديهم ، كما يقول الجبرتى المؤرخ المسلم المصرى المعاصر أن الناس تمنوا عودة الفرنسيين من كثرة الظلم الذى حل بهم على ايدى الاتراك . (١)

ونلاحظ أيضا لما إغتال سليمان الحلبى الجنرال كليبر تحرك نار الانتقام فى قلوب الجنود الفرنسيين ، وأشتعلت فجأة وقال نقولا ترك أنه كان فى نية العساكر الفرنسية أن يبيدوا جميع سكان القاهرة من مسلمين ونصارى .

وجاء مينو خلفا للجنرال كليبر وقد أظهر مينو ريبته من المباشر القبطى ، ولما كان القبطى غير محبوب من الفرنسيين ، فقد تحمل مضايقات لا حصر لها ، بينما تعرض المباشرون لرقابة شديدة " ، وكان الفرنسيون يعاقبون بقسوة المباشرين الاقباط (٢) كما كان الفرنسيون يقولون على الاقباط أنهم أقلية مكروهة من المسلمين ، وإذا كان علينا أن نضمن لهم العدل والحرية ولكن ليس من الحكمة بل من الخطر أن نتحالف معهم ونمنحهم الامتيازات ، لذلك سيحضر رؤساؤهم ورؤساء الامتين اليونانية والسورية جلسات الديوان على أن يكون رأيهم إستشاريا فقط .

وعمل مينو على تحقيق مشروع بونابارت الخاص بتجريد الموظفين الاقباط من

---

(١) تاريخ الامة القبطية (يعقوب نخله روفيله) ص ٢٩٢ .

(٢) اقباط ومسلمون ص ٢١٩ .

إمتيازاتهم وقد الغى فعلا وظائف المباشرين فى النظام الادارى الجديد (١) .

أما الاقباط فقد إتهموا بدورهم الفرنسين بأنهم يريدون التخلص منهم كى يختلسوا مال الخزينة العامة ، وعلى العموم فإن هذه الاجراءات التعسفية الموجهة ضدهم ، جعلتهم يتمنون جلاء الفرنسيين عن الاراضى المصرية ، نعم انهم كانوا يعلمون ان اخواتهم المصريين المسلمين سوف يحاولون الانتقام منهم إذا ما رحل الفرنسيون عن البلاد ومع ذلك إختاروا أقل الضررين وفضلوا أن يقاسوا العذاب على أيدى المسلمين مدة من الزمن على حرمانهم من وظائفهم الى الابد (٢) .

دروس الحملة الفرنسية :

دام احتلال الفرنسيين لمصر ما يقرب من ثلاث سنوات ولكن هذه الفترة الوجيزة كانت حافلة بالاحداث ومليئة بالعظات ويمكننا إن نستنتج من حوادث هذه الحملة ثلاث مسائل هامة :

اولا : أن احتقار المسلمين للأقباط جعل التفاهم بين هذين العنصرين من اعسر الامور .

ثانيا : ان وجود أمة مسيحية فى مصر أساءت الى العلاقات بين الاقباط والمسلمين بالرغم من أن هذه الامة كانت مشجعة بروح العطف على الاغلبية المسلمة .

ثالثا : ان الاقباط الذين اضطهدهم المماليك واحتقروهم اصبحوا يرحبون بأمم أوربا المسيحية على شرط ان تكون هذه الامم منزهة عن كل غرض دينى .

وباختصار فان هذه الثلاث سنوات التى قضاها الفرنسيون فى مصر لأثمن لدينا فى التاريخ من هذه القرون الاربعة الطويلة التى مكثها العثمانيون فى مصر ، فقد علمتنا دروساً كانت نعم الزاد فيما خلف من أيامنا ، فقد تعلمنا قيمة هؤلاء الاتراك والمماليك الذين يستأسدون علينا وهم أجبن من الأرانب ، كما علمتنا ان بلدنا مصر شيء تتكالب الدول على امتلاكه ، وانها شيء يستحق أن نثور لاجله وندافع عنه ، كما دفعت بأقباط مصر لان يظهروا قوميتهم الغافلة فيتقدموا الصفوف كى يصرخوا فى اخوانهم ان الوقت قد حان لان يفكوا هذا الظلم عن عيونهم فيسعوا نحو الاستقلال التام بعيدين عن تركيا ، وان ولاءهم للخليفة أو لامير المؤمنين لن يغنى عن استقلالهم المفقود شيئاً ، وأن رابطتهم الاسلامية لا

---

(١) اقباط ومسلمون جاك تاجر ص ٢٢٠ .

(٢) د. جاك تاجر اقباط ومسلمون ص ٢٢٠ .

تعنى خضوعهم للاجانب ولوكانوا مسلمين ، كما لا تعنى عداءهم لاخوانهم فى الوطن وان كانوا مسيحين ، فالدين لله والوطن للجميع ، وكان الاقباط هم الذين حملوا مشعل هذا الرأى فأعلنوه وسعوا دونه رغم ماوجدوه من مواطنيهم من الجحود وسوء الظن ورغم مانالوه من عنت واضطهاد دفع بعضهم حياته ثمنا له(١) .

كلمة حق ينبغى ان تقال :

رغم المظالم التى حاقت بالكنيسة فى هذه الفترة والحوادث المؤسفة التى حلت بالاقباط فى اثناء وجود الحمله الفرنسية فى مصر لكن كانت هناك صورا مشرفة توضح خلود الوحدة الوطنيه بين عنصرى الامه وان رباط هذه الوحدة سيظل خالدا عبر الاجيال حتى يوم القيامه

قصة مسلم وقبطى فى السجن :

عندما قاتل الاقباط بجانب المسلمين تحت قيادة محمد كريم وسقط عدد كبير من الشهداء من المسلمين والمسيحيين وحدث ان اتهم الفرنسيون مسلما وقبطيا بترويج الاشاعات ضد الفرنسيين والقى بهما فى السجن ثم افرجوا عليهما بكفالة مائه ريال واذا لم يدفعها كل واحد منهما يقطع لسانه حتى لا يتحدث بالسوء مرة اخرى عن الفرنسيين وكانت المائه ريال فوق طاقه الرجلين ورفض الفرنسيون شفاعه علماء المسلمين للرجلين وتأزم الموقف ، فاستدان الشيخ مصطفى الصاوى مبلغ المائتى ريال من صديق ودفعها فدية للقبطى والمسلم معا فسأله الفرنسيون كيف تدفع الفدية للقبطى ؟ فأجاب الشيخ الصاوى ان الرجلين المسلم والقبطى من ابناء مصر اصحاب الحق فى الحياة على الارض كما ان المسلم السجين اعلن انه لن يغادر زنزانته فى سجن القلعة الا اذا افرجوا عن زميله القبطى وصدر قرار الافراج وخرج المسلم والمسيحى من السجن واستقبلتهما الجماهير بالطبول والدفوف والمزامير من باب القلعة حتى وصلوا بهما الى الجامع الازهر ثم الى كنيسة مار مرقس فى الازبكية وهى مقر بطريركيه الاقباط الارثوذكس .

---

(١) المسيحيون والقومية المصرية (د . زاهر رياض) ص ٤٢ .

" الفصل الثانى "

ابرز الشخصيات ايام الحملة الفرنسية :

١ - الجنرال يعقوب .
٢ - المعلم جرجس الجوهرى
٣ - المعلم ملطى .
٤ - المعلم انطون أبو طاقية .

(١) الجنرال يعقوب (المعلم يعقوب يوحنا) :

هو أول قبطى ألف جيشا قبطياً بقيادته ، وكان رفيقا للقائد الفرنسى " ديسيه " الذى أهداه سيفاً فخرياً " نقشت على اليد هذه العبارة ، معركة عين القوصية " اعلاناً بفضل يعقوب فى هذه الموقعة (٢٤ ديسمبر سنة ١٧٩٨ م) حيث كان يقود مع ديسيه الحملة الفرنسية الى الصعيد لاخضاع المماليك الذين كانوا يبلغون عشرة أمثالهم فى العدد والعدة ولكن ببسالته وحكمته إنتصر على المماليك وإستحق التكريم.ولا يزال هذا السيف موجودا عند الباقين من أفراد اسرته (١) .

وهو أول رجل من غير الفرنسيين منحته حكومة الجمهورية الفرنسية رتبة قائد ، ولقبه الشريف حسن شريف مكة " بعظيم حملة ديسيه فى الوجه القبلى ، " كما ان المماليك طلبوا وساطته فى الصلح بينهم وبين ديسيه ، وهو أول مصرى وضع مشروعا لاستقلال مصر عن الدولة العلية وعن حكم المماليك ، اذ ارادها بلادا حرة خالصة لاهلها ولكن المنية لم تمهله حتى ينال موافقة الدول على هذا الا ستقلال (٢) .

أعماله الحربية مع المماليك :

فى سنة ١٧٨٦ م رافق مراد بك فى محاربته للترك ، وكان له نصيب من النصر الذى احرزه مراد بك كما كان يشترك مع المماليك فى حروبهم وغزواتهم(٣) .

---

(١) تاريخ الامة القبطية - الحلقة الثالثة الجنرال يعقوب واستقلال مصر .

(٢) نوابغ الاقباط ومشاهيرهم فى القرن التاسع عشر (توفيق مكاروس جـ ٢

(٣) المسيحيون والقومية المصرية (د . زاهر رياض ص ٥٠ ، والمجتمع القبطى فى مصر فى القرن التاسع عشر (رياض سوريال) ص ٤٣ .

اعماله مع الفرنسيين :

نظرا لان هذا الرجل كان فارسا شجاعا القيت على عاتقه مهام لا يستطيع غيره النهوض بأعبائها ، ولكنه أداها على خير مايرام وبأفضل أسلوب ، إبتغاء الوصول الى تحرير البلاد من نير المماليك والترك .

اعماله المالية والادارية لحملة الصعيد الفرنسية :

فقد نهض يعقوب وحده باعباء تموين الحملة الفرنسية والجيوش المتفرقة على طول النيل وليس ذلك فقط بل نهض ايضا بادارة مالية الوجه القبلى كله من توزيع الضرائب وجبايتها والتوفيق بين الاوامر الادارية الجديدة التى كان يصدرها الجنرال ديسيه والانظمة الجديدة المألوفة فى البلاد .

وهذه المقدرة الفائقة جعلت للمعلم يعقوب كلمة مسموعة فى الشئون الادارية والمالية ومن أعظم الامثلة على ذلك أنه ، لما كان الجنرال بليار يتولى الاشراف على جباية الضرائب تأخر أهل قرية من قرى بنى سويف عن تسديدها ، فقبض على بعض من مشايخها رهينة عنده ، وإتفق أن المعلم يعقوب وصل الى بنى سويف آتيا من مديرية الفيوم بصحبة الجنرال ديسيه بعد إخضاعها وعلم بالامر فاحتج بشدة على تصرف بليار ونصح باستعمال الاناة فى الجباية والكف عن ارهاق الشعب واخلاء سبيل المشايخ الاسرى فأقره الفرنسيون وفى مقدمتهم ديسيه على رأية وعملوا بنصيحته .

وهكذا كان المعلم يعقوب عماد حملة الصعيد ضد المماليك ودعامتها بل أكثر من ذلك فقد وضع خطة لحملة تسير حتى النوبة لاتمام إخضاع المماليك بالوجه القبلى ونفذت هذه الخطة وأتمت الحملة مهمتها ، فبددوا شمل المماليك الذين كانوا بقيادة زعيم المماليك إبراهيم بك ومراد بك ، وعاد ديسيه الى أسيوط وإتخذها مركزا عاما للقيادة ومعه المعلم يعقوب وكبار ضباطه (٢) .

مع كليبر :

عمل المعلم يعقوب مع الجنرال كليبر فى تنفيذ مشروعاته وقد منحه لقب كولونيل (اى مقدم) كما منحه الجنرال مينو رتبة جنرال (اى لواء) . وكان بمثابة وزيرا للمالية ، وقد ادار الامور والمصالح اداريا وماليا ادارة حسنة بما خوله قادة الحملة الفرنسية من سلطة واسعة .

---

(١) نقولا الترك (ذكر تلك جمهورية الفرنساويين الديار المصرية) .

كما كان للمعلم يعقوب الفضل فى تنظيم فرقة من السعاه (الهجانة) تتولى اعمال البريد وقد اعجب بها الجنرال ديسيه لانها جعلته على إتصال دائم بجنوده فى الشمال والجنوب فكان يرسل الجرحى الى القاهرة ويتزود منها بالمؤن والذخيرة (١) .

وهنا يجب ان نقف وقفة قصيرة لنسأل هل كان المعلم يعقوب بتعاونه مع الفرنسيين رجلا خائنا لوطنه ؟ ولكى نجيب على هذا السؤال نقول :

إن المعلم يعقوب عاش فى ظل الحكم التركى أكثر من خمسين عاما وشاهد معاناة بلاده والمسيحين من سوء الحال وإذا كان قد نجح فى جمع ثروة ، فان ذلك لم يمنعه من أن يلمس ما عاناه مواطنوه أقباط مصر ، من الذل والهوان ، فادرك ان هذا الحكم التركى وحكم المماليك هو أسوأ انواع الحكم فى العالم ، وان أية محاولة للتخلص منه ولو الى حكم شيطان آخر هى الوطنية نفسها .

وإذا كان المعلم يعقوب قد عمل على إستتباب الامر للفرنسيين المحتلين ، فإن الثائرين على هذا الحكم لم يرجوا أكثر من ارجاع الحكم التركى ، فلا معنى مطلقا بأن يرمى الاول بالخيانة ويوصف الاخرون بالوطنية (٢) .

الفيلق القبطى :

حسب يعقوب حسابا للطوارىء بعد ما شعر أن مصر محرومة من جيش وطنى يمكن الاعتماد عليه ، ففكر فى تأليف فرقة قبطية وطلب ذلك من الفرنسيين فوافقوا له بتأليفها ، فجمعها من شباب أهل الصعيد الذين عملوا فى الجيش الفرنسى صناعا وعمالا وكانوا نحو الفين ووكل أمر تدريبهم على الحركات العسكرية الى ضباط إنتقاهم كليبر لهذا الغرض فأظهروا براعة فى تعلم هذه الفنون ، وضم يعقوب الى الألفين شاب شبابا آخرين فألف منهم الفيلق القبطى ، ولكن معظم هؤلاء الشبان عادوا بعد ذلك الى قراهم ولم يبق منهم سوى ٧٠٠ أو ٨٠٠ مقاتل تولى يعقوب قيادتهم وجهزهم بالسلاح والمؤن من ماله الخاص .

وقد ترك لنا التاريخ شهادتين من رجال الحملة الفرنسية تثبتان تأليف هذا الفيلق وما بذله يعقوب من المال فى هذا السبيل (٣) .

---

(١) التاريخ القبطى (الجنرال يعقوب واستقلال مصر للقاهرة سنة ١٩٣٥ .

(٢) اقباط مصريين الماضى والحاضر (القس عزيز) ص ٧١ .

(٣) تاريخ الامة القبطية (الحلقة الثالثة) الجنرال يعقوب ص ٢٤ - ٢٧ .

بعض الحوادث التى عاصرها الجنرال يعقوب :

ثورة القاهرة فى مارس سنة ١٨٠٠ :

عندما انشغل كليبر فى المعركة مع العدو الاعظم قائد الجيش التركى عند عين شمس تظاهر ناصف باشا القائد العام للجيش العثمانى بالهروب من أمام كليبر ودخل القاهرة خلسة مع كثير من أفراد الجيش التركى وابتدأ عمله فيها بذبح جميع الاقباط وبنهب كل الاحياء المسيحية ، أخذ الاتراك والعامة يبحثون عن كل مسيحى فيذبحونه بلا شفقة ولا رحمة ، وكانوا يذبحون الرجال ويفضحون النساء ثم يجلدوهن عرايا ، ويقطعون رؤوس الاطفال أمام أمهاتهم ، وأكثر من ذلك أخذوا يحرضون الغوغاء على رفع راية العصيان واعلان الثورة فى وجه الفرنسيين (١) . ولم تقف الثورة عند هذا الحد ، بل ارادت ان تؤثر على الحى القبطى (كلوت بك وحارة النصارى) وابادة أهله ، لولا ان المعلم يعقوب كان ذكيا وشجاعا ، فأحسن الدفاع عن الاقباط وأنقذهم ، اذ اظهر فى تلك الظروف العصيبة مواقف عظيمة ، واستيقظت فيه الروح الحربية ، فحصن منزله فى الدرب الواسع وثبت الى النهاية أمام خطر شديد كان فيه خصمه اللدود حسن بك الجداوى (احد كبار المماليك) الذى حاربه يعقوب يوما كاملا حتى سقط عدد كبير من رجاله قتلى ، وعندما عاود حسن الجداوى الهجوم فى اليوم التالى وحاصر القلعة التى كان يحتمى بها الجنرال يعقوب بحارة النصارى لم يكل الجنرال يعقوب عن التضحية فى الدفاع عن الاقباط . فأمر الجنرال يعقوب رجاله بفتح ابواب القلعة وأمر فرسانه ان يخترقوا سياج الاسلحة بجيادهم فاخترقوها وفشل الحصار الذى كان يؤدى ، لو نجح ، الى فناء أقباط القاهرة عن بكرة أبيهم (٢) .

ويقول المرحوم يعقوب نخلة روفيلة صاحب كتاب تاريخ الامة القبطية فى ص ٢٩٤ ما يأتى :

وكان حى الأقباط فى الازبكية محصورا بين القلعة التى انشأها يعقوب بجوار الجامع الازهر من جانب وقنطرة الدكة من جانب آخر " ، وقيل أن بعض الثائرين هجموا عليه من جهة شارع القبيلة المعروف الان بالسوق الكبير وسوق النصارى من نقطة كانت مهملة ودخلوا درب الجنينة واغلقوا البوابة ووضعوا وراءها أحجارا ، فأسرع يعقوب لإنقاذ الموقف بأن أخرج من عصاراته الخاصة

---

(٢) كتاب تاريخ الامة القبطية – المجلد الرابع (أ ل بتشرا) ص ٣٠٠ .

(٣) الاقباط فى القرن العشرين جـ ٢ ص ٤١ رياض سوريال .

بالزيت وعصارات غيره جميع فحول الجاموس واوقفها امام البوابة وحصرهـــا بين قوتين من العسكر وامر الجنود بأن يرشقوا اجسامها بأسنة الرماح فـتزاحمت على البوابة فزحزحت الاحجار التى ورائها وانفتحت فدخل الجنود وقبضوا على الثائرين .

الايام الاخيرة فى حياة الجنرال يعقوب :

بعد ما غادر الجنرال يعقوب القطر المصرى مع الجيوش الفرنسية كان يـأمل أن يصل الى فرنسا لا ليعيش فيها ويقطع صلته ببلاده بل ليتقرب الى حكومتها بمـــا كان له من منزلة فى نفوس الحكام الفرنسيين ،ثم ليتخذ ذلك وسيلة الـــى خدمـــة وطنه بالمشروع الذى كان يشغل فكره الا وهو استقلال مصر ، ولكن الاقـــدار قطعت عليه أحلامه اللذيذة وسارت رياحها على غير ما تشتهى آماله ، فاذا بـــه أدركته المنية وهو فى البارجة بعد ٦ أيام من رحيله فى يوم ١٦ اغسطس ســنة ١٨٠١ م وممن خرج مع الحملة الفرنسية أيضا الياس بقطر صاحب القـــاموس الفرنسى العربى المشهور ، وكان قد عينه نابليون مترجما لجيشه وبعد هجرتـــه الى فرنسا نال فيها مركزا ساميا ووضع اول قاموس فرنسى عربى .

مشروع الجنرال يعقوب لاستقلال مصر :

وهنا نأتى الى أمجد صفحة فى تاريخ الجنرال يعقوب فانه فى اليوميـــن اللذيـــن اقامهما فى البارجة قبل مرضه إتصل بقائدها جوزيف إدموندس وأخذ يحدثه بمـــا كان يجول فى نفسه عن مستقبل بلاده ، فلقى منه إصغاءا واقبالا عليه واهتمامـــا بحديثه ، لانه عرف قدرة وأدرك انه زعيم قومه فوثق به وكاشفه بما أعده مـــن مشروعات لا ستقلال مصر ، ولم يحضر هـــذا الحديـــث ســوى ســكرتيرة لا لاسكاريس ، ولما توفى يعقوب تولى لا سكاريس تدويـــن ذلـــك الحديـــث فـــى مذكرات قدمها الى جوزيف أدموندس وبسط فيها مشـــروع الاســتقلال ونـــوع الحكومة الوطنية التى تؤلف فى ظل هذا الاستقلال ، وطلـــب مـــن القومنـــدان جوزيف ادموندس ان يبلغها للحكومة الانجليزية وبقيت هذه الوثائق محفوظة فـــى وزارة الخارجية الانجليزية الى أن عثر عليها من سنوات .

أقوال المؤرخين بعد اكتشاف الوثائق :

+ يقول الاستاذ محمد صبرى فى مؤلفه تاريخ مصر الحديـــث المطبـــوع ســـنة ١٩٢٦ ما ملخصه :

أن يعقوب فى بداية الاحتلال الفرنسى التحق بخدمة الفرنسيين الذين دخلوا الـــى مصر أصدقاء يحملون راية جديدة هى راية الحرية وبارح مصر على رأس وفد

مصرى مؤلف من أعيان القبط وكانت فكرته الاساسية مخاطبة إنجلترا فى أمر إستقلال مصر ولكن وفاته العاجلة فى الطريق قضت فجأة على مشروع مفاوضته دول اوروبا فى ذلك الاستقلال .

+ ويقول الاستاذ شفيق غربال فى مؤلفين له أحدهما باللغة الانجليزية والثانى باللغة العربية وعنوانه الجنرال يعقوب والفارس لا سكاريس ومشروع استقلال مصر سنة ١٨٠١ وقد طبع سنة ١٩٣٢ يقول :

مدافعا ومبرئا التهم الباطلة التى نسبت الى الجنرال يعقوب من بعض الكتاب العرب بأنه رجلا خائنا تعاون مع الفرنسيين وساهم فى ذل الشعب المصرى ويقول بهذا الصدد ما يأتى :

بدأت بعد العثور على هذه الاوراق فى تكوين رأى آخر فى يعقوب وفى طبيعة علاقته بالفرنسيين ، أن خدمات يعقوب للحكم الفرنسى من نوعين ، خدمات من نوع ما كان يقوم به للفرنسيين جرجس الجوهرى وملطى وأبو طاقية وغيرهم من كبار الاقباط أساسها السعى للنفع الشخصى من جهة والخلاص من جهة أخرى مما كانوا فيه من إمتهان لا يرفعهم من حضيضه ما ملكوه من مال وجاه ولا يفارقهم مهما زادت حاجة الحكام اليهم ، وخدمات من نوع آخر أساسها التمهيد لمستقبل البلاد السياسى بالتعضيد المؤقت للحكم الغربى .

ومن حقق النظر فى احوال الشعوب الشرقية الخاضعة لحكم السلطان أثناء القرن التاسع عشر يجد أن الطوائف غير الاسلامية منها نظرت فى أول الامر للتدخل الغربى فى شئونها ، بالعين التى نظر بها يعقوب فى أواخر القرن الثامن عشر ، ومن أهم الاسباب التى شجعت فى تأييد يعقوب للتدخل الغربى ، تخليص وطنه من حكم لا هو عثمانى ولا مملوكى وانما هو مزيج من مساوىء الفوضى والعنف والاسراف ، ولا خير فيه للمحكومين ولا للحاكمين اذا اعتبرناهم دولة قائمة مستمرة ، فرأى يعقوب ان اى نوع من أنواع الحكم لا يمكن أن يكون أسوأ مما خضعت له مصر قبل قدوم بونابارت ، وأمكنه من خلال تأييده للاحتلال إنشاء قوة حربية مصرية (قبطية فى ذلك العهد) مدربة على النظم العسكرية الغربية ، كان يعتبرها العنصر المرجح فى مستقبل مصر بعد جلاء الفرنسيين عنها ، لان سر انتصار الفرنسين هو فى جودة نظمهم العسكرية .

وكانت تعتبر قاعدة للعمل السياسى الدائم المثمر ، وهكذا عمل الجنرال يعقوب على ان يكون لفئة من المصريين يد فى تعزيز مصير البلاد بدلا من ان يبقى حظهم كما كان فى الحوادث الماضية مقصورا على التفرج او الاشتراك فى نهب المهزومين .

يوجد تعليق للأستاذ / شفيق غربال على مقدمة باللغة الفرنسية لمقال بقلم السيد / جورج دوان سنة ١٩٢٤ م نشرته الجمعية الجغرافية الملكية بعنوان " مصر المستقلة – مشروع سنة ١٨٠١ م ... نختار منه الفقرة الآتية ونصها :

والذى نروم أن نذكره وننبه اليه هنا على ضوء الوثائق التى وجدت حديثا فى محفوظات وزارة الخارجية الانجليزية هو أن فكرة الاستقلال المصرى التى نشأت فى ظل حملة بونابارت كانت قد خطرت منذ فجر القرن التاسع عشر للمصريين فان واحدا منهم وهو المعلم يعقوب القبطى أعرب عنها بلسانهم ، إلا أن موته قبل الاوان فى اغسطس سنة ١٨٠١ م حال بينه وبين عرض هذه القضية والدفاع عنها أمام وزارات أوروبا (١) .

ونشر للأستاذ سلامة موسى فى جريدة " مصر " القبطية عدة مقالات يمجد فيها أعمال الجنرال يعقوب الذى إعتبره أول من رفع صوته فى مصر وفى أوروبا مطالبا بحرية البلاد واستقلالها (جريدة مصر العدد الصادر فى ٢٦ نوفمبر سنة ١٩٤٦) .

ومع كل هذا لم يرض الاقباط على اتجاهات الجنرال يعقوب اذ تزوج بعد وفاة زوجته الاولى من زوجة سورية بطريقة غير شرعية ، وكان البطريرك غير راضى على تصرفات يعقوب وزيه المختلف .

كما يمكننا ان نضيف الى كل هذا ان الجنرال يعقوب كثيرا ما إتخذ موقفا معاديا من الكنيسة ، كما انه رغم ما يملكه من أموال طائلة ، لم يرمم كنيسة واحدة ولم يوقف على أى كنيسة شيئا من ماله ولكن الامر الذى يرفضه المؤرخون لهذه الفترة رفضا باتا هو نعت الجنرال يعقوب القبطى بالخيانة لوطنه بل ويؤكدون أن اكثر المواطنين إخلاصا لهذا الوطن هم الاقباط .

٢ – المعلم جرجس الجوهرى :

ليست شهرة المعلم جرجس الجوهرى فقط فى علو المنصب وعظم المكانة بل لما إمتاز به من العقل وكرم الاخلاق وعمل المعروف للجميع بدون تمييز بين مسلم ونصرانى ، وعدم التدخل فى مالا يعنيه ، وعظم النفس والصدق ، حتى نال ثقة جميع مرؤسيه على إختلاف أجناسهم .

---

(١) تاريخ الامة القبطية (الحلقة الثالثة) الجنرال يعقوب ص ٤٨ .

ولقد كانت ظروف المعلم جرجس غير ظروف أخيه ، لان المعلم إبراهيم باشر أعماله مدة حياته مع الامراء المماليك ولكن المعلم جرجس باشر أمور الحكومة فى اربعة عهود مختلفة وإحتك بكثير من حكام متباينين فى العادات والاخلاق والدين .

اولا : مدة حكم المماليك :

يذكر التاريخ أنه لما مات أخوه المعلم ابراهيم الجوهرى قلده إبراهيم منصبه فاصبح كبير كتبة مصر .

ثانيا : فى مدة حكم الفرنسيين :

إعتبره الفرنسيون عميد الاقباط فأجلوه وإحترموه وإستصحبه نابليون بونابارت الى لويس فى إحدى المهام ، كما استصحبه الفرنسيون فى عبورهم للنيل عند بولاق عقب وصول الجيش العثمانى الى أبى قير بصحبة حلفائهم الانجليز ، وظل المعلم جرجس محافظا على رئاسة الكتاب والمباشرة ، وحائزا على ثقة الفرنسيين ورضاء أعيان المصريين وكبار المشايخ والسادة ، حتى تم جلاء الفرنسيين عن مصر فى سنة ١٠٨١ م .

ثالثا : مدة حكم الاتراك :

حينما دخل الأتراك والمماليك القاهرة على أثر إنسحاب الفرنسيين ساد الاضطراب وهرب عدد كبير من الاقباط الى مصر القديمة والجيزة . وفى أول سنة ١٨٠٣ م ثارت العساكر التركية وزحفوا على حارة النصارى ونهبوا بيت المعلم جرجس الجوهرى وأخذوا منه أشياء نفيسة وفراوى ثمينة (١) .

رابعا : مدة حكم محمد على :

وبعد أن تولى محمد على الحكم نال لديه (المعلم جرجس) المقام الاول لما يسديه اليهم من الهدايا والرغائب ، حتى كانوا يسمونه جرجس أفندى ، وكان عظيم النفس ويعطى العطايا ويوزع على جميع الاعيان عند قدوم شهر رمضان الشموع العسلية والسكر والارز والكساوى والبن ، ويعطى ويهب غير أن الوالى سرعان ما انقلب عليه بعد ذلك مختلقا ، سببا ، وهو عدم مبادرته الى جباية كل ما كان يطلبه من الضرائب ، لعل ذلك كان شفقة من المعلم جرجس على الاهالى ، ولشدة حاجة محمد على للأموال ، قبض عليه ومن معه من الاقباط بحجة ان فى ذمته مبالغ متأخرة من حساب التزامه .

---

(١) الجبرتى جزء ٣ ص ٢٥٦ .

وأستدعى المعلم غالى كاتب الالفى واسند اليه الرياسة مكانه ، وبعـد مراجعـة المعلم غالى حساب الجوهرى أمر الوالى بالافراج عنه على شريطة دفع مبلـغ طائل فرضه عليه ، فاضطر المعلم جرجس بسبب ذلك الى بيع كثير من أملاكـه فى الازبكية وقنطرة الدكة ، ثم لجأ الى الصعيد ويقال أن محمد على قـد نفـاه هناك .

وقبل رحيله الى الصعيد جمع كل حجج أملاكه وسلمها الى البطريركية كوقـف لها لتنفق من ريعها ، فوضعت البطريركية اليد عليها وبقيت فى حوزتها لـلآن ، وقد صرح له بالعودة الى القاهرة بعد أربع سنوات فعاد سـنة ١٨٠٩ م وقـابل الباشا ، فاكرمه ثم نزل بيته الذى كان المعلم غالى قد أعده له ، وتقاطر وجـوه المدينة من جميع الملل للترحيب به ، ولكن المنية عاجلته فتنيح فى سـنة ١٨١٠ ودفن بدير مارجرجس بمصر القديمة بجوار أخيه المعلم ابراهيم الجوهرى ، وقد كتب المؤرخ الجبرتى عن المعلم جرجس الجوهرى قائلا إنه نافذ الكلمة واسـع الصدر عظيم النفس ، أما خدماته للأقباط فلا تقل عما فعله أخوه المعلم ابراهيـم الجوهرى ، فكان شريكه فى تعمير الكنائس والاديرة ، ووقف العقارات عليـها الى غير ذلك من وجوه البر والاحسان .

٣ - المعلم ملطى :

كان كاتبا عند ايوب بك الدفتر دار من مماليك محمد بك أبو الدهب ولما إحتـل الفرنسيون البلاد كونوا ديوانا للنظر فى القضايا العامة وجعلوا المعلـم ملطـى رئيسا عليه بموافقة أعضائه من مسلمين ونصارى وذلك لما امتاز به هذا الرجل العظيم من الخبرة وحسن التدبير وإستمر المعلم ملطى يدير الديوان بمهارة مـدة حكم الفرنسيين وبعد خروجهم القى القبض عليه وقطعت رأسه عند باب زويلة .

٤ - المعلم انطون ابو طاقية :

اشتهر فى مدة حكم الفرنساويين ، وكان ثريا ، وقد زاره نابليون فى اواخر سـنة ١٧٩٩ م وكان محتاجا للمال فنزع المعلم أنطون طاقيته من فوق رأسـه وأخـذ يملأ بها المال حتى إستوفى نابليون حاجته ، فارتفعت قيمته فى عينيه ، فـولاة فى وظائف كثيرة ، وكبيرة فقام المعلم انطون بمسئولياتها خير قيام ، الا انه رفع كثيرا من المال والضرائب عن كاهل الاهالى ، فلم يرق عمله هـذا فـى نظـر الفرنسيين فقبضوا عليه وسجنوه فى القلعة حتى يدفع ما تأخر عليه من حسـاب البلاد فدفعه من ماله الخاص فى الحال .

ويذكر التاريخ أنه فى ايام الجنرال الفرنسى مينو كان الفرنسيون يعاقبون المباشرين الاقباط ويعاملونهم معاملة سيئة ويتربصون بهم للاستقصاء عنهم وأتهم " ستيف " الفرنسى الاقباط باختلاس مبلغ كبير من المال فأمر مينو بالقبض على المعلم انطون ابو طاقية وتغريمه ٧٥٠ الف جنية لتعويض الخسائر فدفعها من ماله الخاص .

ولما ترك الفرنسيون مصر قبض محمد باشا ابو مرق ، الحاكم فى ذلك الوقت ، على المعلم انطون مع اثنين من كبار القبط هما المعلم ابراهيم زيدان والمعلم عبد الله بركات وقتلهم سنة ١٨٠٢ م بدون تهمة وبدون محاكمة وبدون ذنب وأمر ببيع أملاكهم فى المزاد الذى استمر عدة ايام .

وأيضا يذكر التاريخ انه فى سنة ١٨٥٣ سافر المعلم ابراهيم عوض حفيد المعلم انطون الى باريس ليطالب بالمال الذى دفعه جده الى نابليون امبراطور فرنسا فرد عليه نابليون الثالث قائلا له ان هذا المال كان قد فرض على الاقباط فدفعه عنهم ابو طاقية الا أنه دفع له أجرة نفقات السفر مبلغ ٤٥٠٠ ليرة فرنساوية (١)

عصر يوسف باشا الصدر الاعظم (١٨٠١ - ١٨٠٥)

بعد جلاء الفرنسيين عن مصر ، تركوا الاقباط لاحول لهم ولا قوة ، وتركوا المسلمين فى حالة هياج شديد وكراهية للأقباط بسبب مساواتهم بعض الشىء مع المسلمين أثناء وجود الحملة الفرنسية ، وبسبب بعض التسهيلات التى حصلوا عليها فى التعيينات والوظائف ، مما جعل المسلمون يتهمون القبطى بالتعاون مع المسيحى الاجنبى (الفرنسى) ، مع أن الاقباط كما أوضحناه لم يرغبوا فى وجود الاجانب بينهم ، بل تمنوا رحيلهم ، ولكن المسلم الذى تحمل السوء من جراء اعمال القمع أثناء ثورتى القاهرة ، حاول أن يثأر لنفسه من النصارى ، وأهان الاقباط وفرض عليهم الغرامات وحكم على بعض أعيانهم بالقتل (مثل المعلم ملطى) .

ويقول الجبرتى : رفع كثير من العامة شكاياتهم الى الاتراك عن ظلم وقع عليهم أيام (٢) الاحتلال الفرنسى وعزوا هذا الظلم الى المعلم يعقوب فسرعان ما حقق فى الامر وأثبت التحقيق عكس ما ظنوا ، حيث ظهر لمحمد مرق الذى تولى الحكم فى مصر بعد خروج الفرنسيين ، ان الظالم الحقيقى فى الخيانة لم يكن المعلم يعقوب بل كان مصطفى الطاراتى ، فقام القائد المذكور بقطع رأسه بين

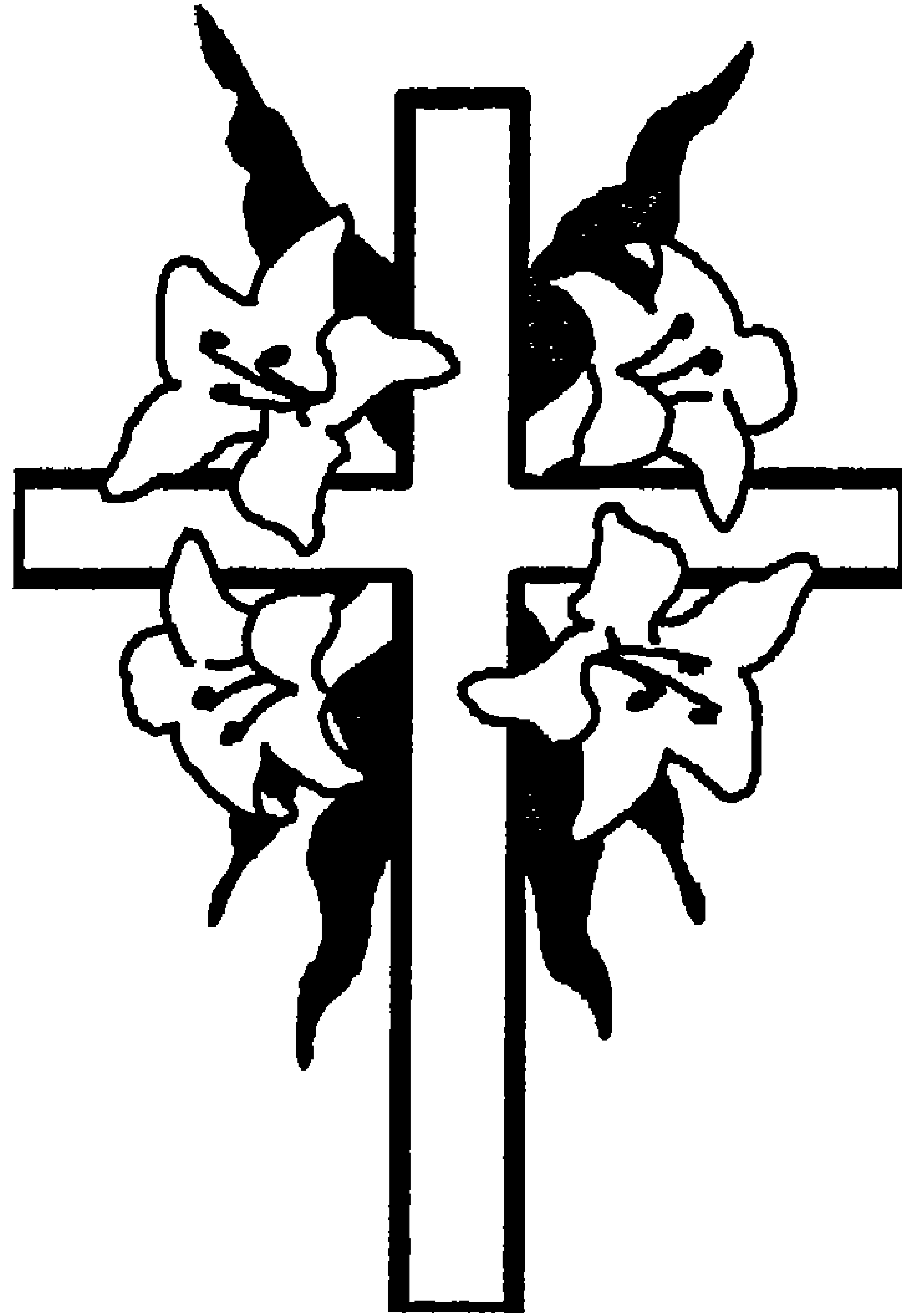
---

(١) كتاب أقباط ومسلمون (د . جاك تاجر) ص ٢١٩ .

(٢) اقباط ومسلمون (د . جاك تاجر) ص ٢٣٠ .

المفارق فى باب الشعرية ، ولكن لم تلبث الاحوال أن اضطربت أيام طاهر باشا وعجز الوالى عن حفظ الامن ونثرت جنوده فى الارض فسادا وفى أثناء هذه الفوضى قبضوا على المعلم ملطى وقطعوا رأسه هو وكثير من الاقباط (١) .

ويذكر القس منسى أن يوسف باشا الصدر الاعظم قتل ثلاثة من أعيان الاقباط بدعوى أنهم كانوا من أنصار الفرنسيين ثم استولى على أموالهم وممتلكاتهم ففر كثيرون من الاقباط من أمام وجه الاتراك وفرضت عليهم غرامة بصفة فدية عن أنفسهم . (٢)



---

(٢) الجبرتى الجزء الرابع ص ١٣١ .

(٣) تاريخ الكنيسة القبطية (للقس منسى يوحنا) ص ٦٠٧ .

الباب السادس عشر

" الفصل الأول "
الأقباط فى عهد أسرة محمد على وابراهيم باشا
(١٨٠٥ - ١٨٤٩ م)

عندما نجح محمد على فى الحصول على فرمان بتولية حكم مصر سنة ١٨٠٥ م أخذ فى فرض الضرائب وتنظيم جبايتها والتجأ إلى من يجيد هذا العمل فكان المعلم غالى أبو طاقية هو اليد اليمنى لمحمد على ، ويقال أنه هو الذى أوصى إليه بإلغاء نظام الإلتزام ، ووضع نظام الضريبة الثابتة على الأرض الزراعية بعد تقسيمها إلى مراتب حسب جودتها فكان بمثابة وزيرا للمالية كما كان النظام الإدارى بيد المعلم باسيليوس فكان هو والمعلم غالى كما يقول المؤرخون الكل فى الكل بالنسبة للحكومة المصرية ، وقد لجأ المعلم غالى إلى تعيين كثير من الأقباط فى الوظائف الصغرى لمعاونته .

من هو محمد على : -

هو أول حاكم مسلم إتبع سياسة تسامح حقه وهو يعتبر مؤسس مصر الحديثة وإليه يرجع ضم مدينة الإسكندرية إلى مصر (الوطن المصرى) بعد أن ظلت سبع سنوات تابعة للسلطان التركى مباشرة ، وسياسة التسامح هذه بالإضافة إلى إستعانته بالخبرات الأجنبية هو سر تفوقه وتوفيقه ، إذ بمجرد ما إستقرت الأمور فى يده قضى على التفرقة بين القبطى والمسلم لأن كلاهما يستطيعان أن يقدما له أحسن الخدمات ، ورأى أيضا أنه لا داعى لتحقير الأقباط بدون سبب ، لأن الشخص لا يؤدى واجبه على أحسن وجه إلا إذا كان الشخص محترما بين الناس

أثر سياسة محمد على فى معاملته للمواطنين المصريين : -

إتجهت سياسة محمد على إلى مساواة غير المسلمين بالمسلمين فى الحقوق والواجبات ، فعين بطرس أغا مأمورا لمركز برديس ، وميخائيل أغا للفشن ، بالوجه القبلى ، وفرح أغا لدير مواس ، وتكلا سيداروس لبهجورة ، وأنطون أبو طاقية فى الشرقية . ولا نستطيع أن نقول أن محمد على إتبع هذه السياسة نتيجة لإتساع أفقه بل لأنه كان تاجرا قبل أن يكون واليا والروح التجارية تحتم عليه البحث عن المنفعة أينما كانت ولذلك إتجهت سياسة محمد على إلى البحث عن الكفاءات والإستفادة بها دون النظر إلى أى شىء آخر .

ولم تلبث هذه السياسة أن أتت ثمارها فإنتشرت روح المساواة بين جميع المصريين فى جميع القرى المصرية وتعاون المسلمون والمسيحيون تعاونا صادقا فإذا ما إتجه محمد على إلى سياسة التوسع الحربى ، تحمل الأقباط نصيبهم إلى جانب المسلمين ، وإختلطت دماؤهم فى وديان الشام وجبال المورة

وسهول آسيا الصغرى ، وتحمل الجميع عبء التضحية لأجل مجـد الوطـن ، وظل الأقباط طوال عصر محمد على عنصرا فى بحر الأمة المصريـة التـى تعيش فى سلام ، ولم تقع بهم إلا إضطهادات خفيفة ، حيث فرض عليهم محمـد على باشا غرامة تقدر بمائتى ألف ريال ليمول منها محمد على مرتبات الجيـش (جنوده) وأمر إثنين من كبار الأقباط الكاثوليك وهما المعلـم غـالى وورثـه فيكتور وكيل دائرة عثمان بك البرديسى الذى مات وقتئذ بأن يدفعا مـن المبلـغ ثمانين ألف والباقى يدفعه الأقباط الأرثوذكس (١) .

ومن أهم قراراته بخصوص سياسة التسامح : -

(١) إلغاء قيود الزى : -

الغى محمد على قيود الزى الذى كان مفروضا على الأقباط فى العصور السـابقة ، ونتيجة لذلك غضبَ المسلمون على محمد على لما حظى به الأقباط ، بدليل أن الجبرتى يحدثنا عن الأمر الذى صدر عام ١٢٣٣ هـ (١٨١٧ م) إلى الأقبـاط والأروام بأن يلزموا زيهم الأزرق والأسود ولا يلبسون العمائهم البيض لأنـهم خرجوا عن الحد فى كل شىء ويتعممون بالشيلات الكشمير الملونـه والغاليـة الثمن ويركبون الرهوانات والبغال والخيول وأمامهم وخلفـهم الخـدم بأيديـهم العصى يطردون الناس عن طريقهم ويلبسون الأسلحة وتخرج الطائفة منهم إلـى الخلاء ينصبون لهم نشانا يضربون عليه بالبنادق الرصاص (٢) .

(٢) حرية ممارسة الطقوس الدينية وبناء الكنائس : -

يعتبر عصر محمد على من أزهى العصور التى مرت بالكنيسة القبطية فـالغى القيود التى كانت تفرض على الأقباط لممارسة طقوسهم الدينيـة ولـم يرفـض للأقباط أى طلب تقدموا به لبناء أو إصلاح الكنائس وتحوى مخطوطات قصـر عابدين عددا كبيرا من الأوامر الخاصة بالكنائس حررت بالصيغة الآتية : -

أمر إلى ... بشأن التصريح لطائفة الأقباط بتعمير الكنيسة ومساعدتهم فى ذلـك وعدم ممانعتهم . وفى عهد سعيد باشا والخديوى إسماعيل (٣) تعددت أوامر بنـاء الكنائس وقد رأينا الولاة أنفسهم يستعجلون تنفيذها (٤) .

---

(١) تاريخ الكنيسة القبطية (القس منسى يوحنا ص ٦٠٧)

(٢) الجبرتى جـ ٤ ص ٢٨٨

(٣) محفوظات عابدين سجل ٧٢٨ تركى " ديوان الخديوى " (بتاريخ ٧ محرم ١٢٣٥ هـ - ١٨١٩ م)

(٤) محفوظات عابدين أمر عالى بتاريخ ١٨ رمضان ١٢٧١ هـ - ١٨٥٤ م سجل ١٨٨٢ ص ٤٢٦

(٣) زيارة الأراضى المقدسة : -

كان الأقباط فى عهد المماليك يعانون صعوبات كثيرة للحصول على إذن بزيـارة الأراضى المقدسة ولكنهم إستطاعوا بعد ذلك أن يقوموا كل عام بـهذا الغـرض تحت رعاية السلطات وبتسهيلات من محمد على وأول وثيقة عثرنا عليها تعـود إلى عام ١٢٤١ هـ (١٨٢٥ م) يوصى فيها محمد على متسلم غزة (بـالقبط الذين يريدون الحج إلى القدس ان لا يدع لأحد مجالا فى التدخل فى شئونهم) (١)

ووثائق أخرى مؤرخة عامى (١٨٢٧ م ، ١٨٢٨ م) كانت موجهة إلى متسلمى غزة والقدس وكان الباشا يوصيهما بحماية الراهب القبطـى والـزوار الأقبـاط الوافدين إلى القدس كعادتهم كل سنة حاملين قفص الشموع إلى كنيسـتهم التـى بالقدس وبحمايتهم وإكرامهم عندوصولهم إلى غزة والقدس (٢) .

(٤) تحسينه لحالة الأقباط ومؤازرتهم أحيانا وإحترام دينهم : -

لم يكتف محمد على بالتسامح وتحسينه لحالة الأقباط بل ذهب إلى حد عدم تردده فى مؤازرتهم أحيانا ويتضح ذلك مما يأتى : -

أ) حدث فى عام ١٢٣٠ هـ (١٨١٤ م) أثناء تمرد حامية القاهرة أن إعتصـم النصارى وقد إستبد بهم الرعب فى أحيائهم وأقاموا عليها المتـاريس وأغلقـوا بعض الأبواب وتسلحوا بالبنادق فقام محمد على باشا وأمدهـم بالبـارود وآلات الحرب وأمنهم على أرواحهم ومنازلهم (٣)

ب)- وقد حدث عام ١٨٤٥ م شجار فى مدينة دمياط بين حمار مسـلم (تـاجر غلال متنقل) ومزارع قبطى فسب المزارع الحمار الذى ذهـب يشـكو إلـى السلطات ، فما كان من حكام دمياط إلا بضـرب القبطـى خمسـمائة ضربـة والطواف به فى الحى النصرانى ليهان من الجميع ،ولما علم محمد علـى بـهذا الحادث ، أرسل أحد كبار ضباطه الذى أمر بسجن حاكم دمياط خمس سنوات فى قلعة أبى قير وتغريمه مبلغا كبيرا من المال (٤)

---

(١) محفوظات عابدين سجل ١٩ "معية تركى" بتاريخ ١٢ شعبان ١٢٤١ هـ - ١٨٢٥ م .

(٢) محفوظات عابدين سجل ٧٤٠ "معية تركى" ص ٤٠ بتـاريخ ١٥ شـعبان ١٢٤٣ وسـجل ٧٣٩ ص ٥٦ بتاريخ ١٣ رمضان ١٢٤٤ هـ .

(٣) الجبرتى جـ ٤ ص ٢٢٦

(٤) Fatom , A History of the Egyption Revolution IL , P 236 - 237

جـ) ذكر أن مطران الأقباط الكاثوليك صرح للدكتور بونج أنه كان يتجول فى أنحاء المدينة معلقا صليبه على صدره بحيث يراه الجميع ولم يحاول احد سبه أو إهانته وأن الأقباط يستطيعون ممارسة طقوسهم الدينية بحرية تامة (١) .

أضف إلى ذلك أن السلطات نفسها كانت تحترم الدين المسيحى فقد أمر محمد على عام ١٢٢٥ هـ (١٨١٠ م) أن تقام الصلوات لترفع مياه النيل وخرج النصارى الأقباط يستسقو أيضا وإجتمعوا بالروضة وضمنهم القساوسة والرهبان وهم راكبون الخيول والرهوانات والبغال والحمير فى تجمل زائد وصحبتهم طائفة من أتباع الباشا بالعصى المفضض (٢)

د) كان محمد على أول حاكم مسلم منح الموظفين الأقباط رتبة البكوية ، وإتخذ له مستشارين من النصارى . وربما نريد أن نسأل بعد الحوادث السابقة وسياسة التسامح الدينى للأقباط هل يفهم من ذلك أن محمد على لم يكن مهتما أو محبا لدينه وعقيدته الإسلامية ؟

بالطبع لا بدليل : -

أ - عندما أرسل محمد على أول بعثة علمية إلى فرنسا كانت هذه البعثة خالية من الطلبة الأقباط لأنه لم يحاول أن يعلمهم التعليم الحديث ولأنه كان يختار طلبته من بين خريجى الأزهر (٣)

ب - كان محمد على يكافىء الذين يعتنقون الإسلام فيمنحهم مبالغ نقدية ويعينهم فى الوظائف الحكومية (٤) ولم يتردد فى معاقبة المسلمين المرتدين علانية ويذكر المستشرق لين أنه قابل فى شارع القاهرة إمرأة إرتدت عن الإسلام وتزوجت بنصرانى فحكم عليها بالإغراق (٥)

.جـ - حث محمد على الكولونيل " سيف " سليمان باشا إلى إعتناق الإسلام لكى يتولى قيادة الجيش حيث لا يجوز لغير المسلم بأن يتولى هذا المنصب ، كما ذكر الجبرتى أن محمد على قال لأحد المباشرين النصارى الذى يدعى عبود باشا

---

(١) J Bowring Report on Egypt and Candia P . 149 .

(٢) الجبرتى جـ ص ١٢١ - ١٢٣

(٣) أقباط ومسلمون (د . جاك تاجر ص ٢٣٥ أو الجبرتى جـ ص ١٣٠

(٤) تذكر الأمر الصادر بتاريخ غزة شوال ١٢٤١ هـ (سجل ٥٧ معية سنية تركى ص ٣٤ والأمر الصادر بتاريخ ٧ ذى القعدة ١٢٤١ (سجل ٢١ معه تركى ص ٨٤) .

(٥) Memmers and Customs of the Modern Egyption P . 126 .

والذى كان محمد على يحبه ويثق به ، قال له لولا ملامة المسلمين لى أنك قبطى لكنت قد قلدتك الدفتردارية ، وهو المنصب الذى يتولاه إبنه إبراهيم باشا (١) وهذا الإعتراف الصريح يحدد بوضوح موقف محمد على من الذميين .

- بالإضافة إلى كل ما سبق كان محمد على هو الآخر لم يحاول أن يدخل الأقباط الجيش النظامى لأنه لا يرى فى الأقباط إلا مباشرين ومحاسبين ممتازين . وعدم الثقة فيهم ثقة كاملة .

هـ - محمد على وأهل دمياط : -

على الرغم مما رأيناه من التسامح والعدالة والمساواة التى نادى بها محمد على غير أن جو دمياط الإجتماعى كان سيئا جدا فى عهده ، حيث كانت مقر لكثيرين من السياسيين وسجنا للجنود الألبانيين وغيرهم ... الذين كانوا يسيئون معاملة الأقباط ، ظنا منهم أن لهم صلة بالصليبيين ، ويتضح ذلك من التقرير المقدم للخديوى فى ذلك الحين وتقتصر فيه على بعض الحوادث : -

(١) حادثة إسلام رجل أرمنى : -

فى أوائل سنة ١٨٤٤ م حضر رجل أرمنى يعمل بثغر الإسكندرية إلى دمياط وإستأجر محلا ولما رأى ضيق الحال أراد الهجرة خارج الديار المصرية وحاول الحصول على تذكرة للخروج ولكنه عجز عن ذلك فأضطر بدافع من كثيرين أن يقدم طلب إسلامه للمحافظ للحصول على هذه التذكرة ففعل ذلك وصارت له زفة كبيرة فى شوارع البلدة بالطبول حيث أركبوه على حصان وكانوا يطوفون البلدة ويرجمون بيوت النصارى بالحجارة .

حادثة المعلم الياس الرومى :

خرج المعلم الياس متوجها إلى محل عمله فصادف رجل شرير ظل يسير وراءه وهويسبه ويشتمه ، وإنضم إليه آخرون وأخذوا يقذفونه بالحجارة ، فما كان من المعلم أن إلتفت إليهم وإنتهرهم ووبخهم ، فتوجه أحدهم إلى المحكمة وإشتكى عليه زوار أن النصرانى ضربنى فأستدعاه القاضى وأرسله إلى المحافظ ، الذى عرض عليه إما الجلد أو الإسلام لولا أن دبرت العناية الإلهية وجود الخواجة فرنسيس والخواجة يعقوب يكن وهما من كبراء القناصل عند المحافظ فأفرج عنه(٢)

---

(١) الجبرتى جـ ٤ ص ٣٠٣

(٢) كتاب تاريخ ايبارشية دمياط (القمص بيشوى عبد المسيح (سنة ١٩٩٠)

حادثة باسيلى الخولى : -

ذهب باسيلى إلى درويش يطلب مبلغا من المال كان قد إستلفه منه درويش من قبل وقد إحتاج إليه باسيلى ولكن درويش قابله بالشتائم والسب واللعن وقال له ليس لك عندى شيء بل أكثر من ذلك قام وصفعه على وجهه ثم إنهال بالعصى على رأسه ، وتجمع بعض من عبيده وأوسعوه ضربا ، ثم أرسل درويش ساع من طرفه الى المحافظ ، وإدعى على باسيلى أنه هو الذى ضربه ، واحضر شهود زور وشهدوا بذلك وعرض عليه إما الإسلام أو الجلد . وهكذا مثل كل الحوادث السابقة .

حادثة سيدهم بشاى : -

كان سيدهم بشاى كاتبا بالديوان بثغر دمياط فى أيام محمد على باشا (١٨٤٤ م) وقامت ثورة من الرعاع بالثغر وقبضوا على سيدهم بشاى إدعوا عليه أنه سب الدين الإسلامى ، وكان بريئا من ذلك ، إلا أنه قدم للمحاكمة وشهد عليه أمام القاضى الشرعى الشهود الزور ، فحكم عليه بالدخول فى الإسلام أو القتل ، فرفض الدخول فى الإسلام ، فجلده وأرسله ألى محافظ الثغر فبعد ما فحص القضية حكم عليه زورا بمثل ما حكم عليه القاضى فأنكر سيدهم بشاى الإسلام وإستهان بالقتل فجلد وجر وجهه من فوق سلم قصر المحافظة إلى أسفله ثم طاف به العسكر بعد أن أركبوه جاموسة بالمقلوب فى شوارع المدينة ، وبعد أربعة أيام أعادوا الكرة عليه حيث عروه من ثيابه وألبسوه كرشة خروف فى رأسه ولطخوا جسده بالأوحال وعلقوا فى رأسه مقشتين ملوثين بالقاذورات وكلابين حديد فى جنبيه بهم قطع من اللحم ، وربطوا كلبين وقطة فيه ليتعاركوا وينهشوا فى لحمه ومروا به فى شوارع المدينة بقصد الإستهزاء ، ولم يكفوا عن الضرب بالعصى والسياط والأحذية ، حتى برز لحمه من عظمه ، كما كانوا يلقون عليه الزفت المغلى ثم رموه أمام بيته فمات بعد خمسة أيام .

فرفع الأقباط شكواهم إلى محمد على الذى أمر بإعادة التحقيق بدقة ، فإتضحت براءة القديس الشهيد سيدهم بشاى ، ومن ثم حكم الوالى بإدانة كل من القاضى والمحافظ ونفاهما ، عقابا لهما ، وعلى أثر ذلك إحتفل الأقباط بجنازة الشهيد إحتفالا رائعا نادر المثال ، ومنذ ذلك التاريخ صرح للمسيحيين برفع الصليب جهارا فى جنازاتهم . (١)

وبإختصار بالرغم من دلائل التسامح الواضحة التى إمتاز بها عصر محمد على

---

(١) تاريخ إيبارشية دمياط (القمص بيشوى عبد المسيح) سنة ١٩٩٠

لم يكن فى إستطاعة النصارى أن يدعوا بأنهم على قدم المساواة مع المسلمين – وقد أجمع نقاد هذا العصر على تقدم العلاقات بين المسلمين والأقباط تقدما محسوسا ولكنهم أخذوا على الحكومة عدم إعترافها إلى ذلك الوقت بالمساواة علنا بين الدين المسيحى والإسلامى .

أشهر الشخصيات فى عصر محمد على : –

المعلم غالى وإبنه باسليوس : –

كان كاتب محمد بك الألفى أحد أمراء المماليك ثم أسند إليه محمد على منصب كبير المباشرين بعد غضبه على المعلم جرجس الجوهرى ، وكان المعلم غالى يسهل لمحمد على أمر تحصيل الضرائب ، ولكن هذا الأمر إنقلب عليه فى النهاية .

وكان جشع محمد على فى تحصيل الضرائب لا يقف عند حد ، فقد طلب الباشا محمد على من المعلم غالى ألف كيس ، فقسم جمعها على المباشرين والكتبة وجمعها فى أقرب وقت ولكن كان جمعها بسرعة موجبا لغير ما كان يتوقعه المعلم غالى وسببا فى جلب الغدر عليه وعلى غيره ، فإن الباشا بعد قليل أمر بمحاصرة بيته وبيت المعلم جرجس الطويل وأخيه حنا وفرنسيس أخى المعلم غالى والمعلم فلتاؤس وإثنين آخرين وأخرجوهم منها بصورة منكرة ، وسمروا دورهم وأخذوا دفاترهم ، فلما حضروا بين يديه قال لهم أريد حسابكم بموجب دفاتركم هذه ، وأمر بحبسهم وإلا يدفعوا ثلاثين ألفا كيس ، وبعد أيام أفرج عنهم بواسطة شخص يسمى حسين أفندى الروزنامجى ، على شرط أن يدفعوا سبعة آلاف كيس ، فقاموا بدفعها (ونلاحظ هنا أن هذه الحادثة تكررت كثيرا فى عصور المماليك والأتراك وليس مؤداها هدف سوى جمع المال بأى وسيلة) وليس هناك سوى الأقباط الذين كانوا لاحول لهم ولا قوة (سوى الإيمان بالله والعمل على مرضاته) .

ولم تمض سبعة شهور حتى قبض عليهم ثانيا وحبسهم فى القلعة وختموا على دورهم ثم أنزلوا المعلم غالى والمعلم فلتاؤس فى موكب ليسافروا إلى دمياط كمنفيين ثم عفا عنهم وأعاد المعلم غالى إلى منصبه على شرط أن يدفعوا أربعة وعشرين ألف كيس – وتكرر حدوث ذلك من محمد على فكان يغضب عليه تارة ويعزله من منصبه ويرميه فى السجن ويضربه مئات الكرابيج ثم يعيده إلى منصبه بعد دفع مبلغ طائل كما عرفنا من قبل .

وعندما أراد محمد على تغيير هيئة الدواوين وإستبدالها بغيرها تكون أقدر منها

وتفوقها فى النظام مما تعود بالفائدة على الخزينة فلم يتردد فى الإفراج عن المعلم غالى والإستفادة من خبرته وكفاءته ما دام هذا يعود بالفائدة على الخزينة ، وبعد ما كلف المعلم غالى بذلك ، قسم المعلم غالى البلاد إلى مديريات وأقسام والأطيان إلى أحواض وقبائل وفتح أبواب تحصيل أموال للخزينة وإبتكر أشياء كثيرة وحسابات تحقق مقاديرا وافرا من المال لذلك ينسب إلى المعلم غالى تأسيس مصلحة المساحة كما كان له دوره فى تشجيع صناعة الأسلحة محليا ، ومن الأعمال الجليلة أيضا إقتراحه على محمد على على حفر قناة بين بحر الروم وبحر العر ب ولكنه لم ينفذ ونتيجة لنجاحه الكبير قابله محمد على (١) بالرضا ، وأثنى عليه ومن ثم إتخذه كاتما لسره وخصه مباشرة الأعمال الحسابية التى إبتكرها فكانت يده فوق يد الجميع حتى حكام الأقاليم .

وإستمر المعلم غالى فى هذا المنصب الجليل حتى مايو سنة ١٨٨٢ م حيث أطلق إبراهيم باشا رصاص مسدسه عليه فى زفتى ، أما إبنه طوبيا (٢) فخر صريعا ، وهكذا لقى المعلم غالى جزاء أمانته ووطنيته وخدمته بعد أن أدى أجل الخدمات لمحمد على ولإبراهيم باشا قاتله .

وقد بقيت جثته ملقاه مدة يومين لا يجرؤ أحد على القيام بدفنها حتى إستأذن رزق أغا حاكم الشرقية فى دفنها فأقيمت الصلاة على المعلم غالى بكنيسة أبى سيفين بزفتى ثم دفن بجوارها (٣) .

ويذكر صاحب تاريخ الأمة القبطية أن قتل المعلم غالى لأسباب لا تزال حقيقتها خافية علينا – ولعل الرأى الصحيح هو مقاومة المعلم غالى لجشع إبراهيم باشا لرغبته فى تحصيل ضرائب على النخيل ولقد رفض المعلم غالى رفقا بالمصريين وعدم إرهاقهم بتعدد الضرائب ولكن إبراهيم باشا أصر على فرض الضرائب فطلب المعلم غالى أن يعرض الرأى على أفندينا الكبير وهو يقصد بذلك محمد على فكان من إبراهيم باشا إلا أن أجابه بإطلاق رصاص مسدسه عليه فخر المعلم غالى صريعا سنة ١٨٢٢ م (٤) .

---

(١) رمزى تادرس (الأقباط فى القرن العشرين) الجزء الثانى ص ٤٦

(٢) تاريخ الكنيسة القبطية الجزء الثانى ص ٨٩ – القاهرة سنة ١٩٦٢

(٣) رمز تادرس (الأقباط فى القرن العشرين جزء ٣ ص ٥٦

(٤) المجتمع القبطى فى مصر فى القرن التاسع عشر لرياض سوريال ص ٤٨

ويذكر التاريخ أيضا أن محمد على إستدعى باسيليوس نجل المعلم غالى وقال لـه هل أنت حزين لموت أبيك ؟ فقال له باسيليوس لم يمت أبى مادام مولاى الأمـير حيا فأعجب به محمد على وأسند إليه وظيفة رئيس المحاسـبة فـى الحكومـة المصرية وأنعم عليه برتبة " بك " وهو أول من منح هذه الرتبة من القبط .



" الفصل الثانى "

أولا – الأقباط فى عصر عباس باشا سنة ١٨٤٩ م – ١٨٥٤ م : –

لما تولى مصر عباس باشا الأول سنة ١٨٤٩ عزم على تقليل نفوذ الأقباط من الدواوين فإختار أربعة من طلبة المدارس الأميرية وسلم كل رئيس ديوان واحدا منهم ليعلمه مسك الدفاتر وتدريبهم على الأعمال الحسابية ، بحيث بعد سنة يكونوا قادرين على أن يقوموا مقامهم وإلا سوف يقتلهم – ثم صمم على طرد الأقباط من البلاد إذا رفضوا الإسلام ، فساد بين الأقباط الأربعة رؤساء الدواوين الخوف والذعر ، وكانوا يحسبون لهذا الأمر حسابا عظيما ، حتى أن بعضهم لما قضى عليه شهر أو شهران وتحقق فى تلميذه عدم الميل للتعليم قال أنه لم يبقى من عمره سوى عشرة أشهر وهكذا كل ما مضى عليه شهر آخر فكان يتوقع الموت على الدوام ويستعد له – غير أن المنية عاجلته (أى عباس باشا) بالقتل وبهذا تخلص الموظفون الأقباط من هذه الورطة (١) . وحقا صدق قول الكتاب المقدس " لأنهم يأكلون ثمر أفعالهم ... ويل للشرير شر لأن مجازاة يديه تعمل به ... لتأته التهلكة وهو لا يعلم ولتثبت به الشبكة التى أخفاها وفى التهلكة نفسها ليقع ... لتكن أيامه قليلة ووظيفته ليأخذها آخر . ليكن بنوة أيتاما وإمرأته أرملة (أش ٣ : ١٠ ، ١١ + مز ٣٥ ، ١٠٩)

ومن أشهر الحوادث المؤسفة لعباس باشا : –

الذى كان عهده عهد شؤم على الأقباط فقد ذكر الأستاذ محمد أمين حسونة فى كتابه " كفاح الشعب من عمر مكرم إلى جمال عبد الناصر " هذه الحادثة تحت عنوان الوالى المجنون ما يلى : –

وكان يبغض النصارى فأخرج منهم من كان يتولى منصبا حكوميا ونالهم أذى وإضطهاد شديد ولما إمتلأ قلبه حقدا وحسدا ثار غضبه عليهم بعد وفكر ان يتخلص منهم اما باخراج النصارى من الاراضى المصريه ونقلهم الى السودان او بتدبير مذبحة لابادتهم عن آخرهم غير ان الله لم يسمح بذلك وقد وقف مفتى الديار المصريه ضده ووبخه قائلا " ان دين الاسلام يأبى عليك هذه الفعلة الشنعاء فالاقباط هم اهل ذمه ويجب احترامهم وتوفير الامان لهم .

ويحدثنا التاريخ انه وجد ميتا فى اليوم التالى الذى ازمع فيه تنفيذ فعلته الخسيسة وهكذا تقدرون فتضحك الاقدار ولم يمضى على توليته سوى خمسه اعوام (٢)

---

(١) تاريخ الكنيسة القبطية (للقس منسى يوحنا) ص ٦٠٩

(٢) كتاب محمد أمين حسونة هـ " كفاب الشعب من عمر مكرم إلى جمال عبد الناصر " المجلد الأول ص ١٢٦ طبع بالقاهرة سنة ١٩٥٥ .

ثانيا – عصر سعيد باشا (١٨٥٤ – ١٨٦٣) : –

كان الأقباط فى عصر سعيد باشا قد إنتهوا إلى حالة يتمكنون معها إلى المعيشة مع مواطنيهم المسلمين إلا أنه حظر عليهم إستعمال السلاح منذ قاموا بالدفاع عن أنفسهم تحت قيادة الجنرال يعقوب

كان الأقباط فى العصور السابقة ممنوعين من التجنيد والإشتراك فى الجيوش لعدم الثقة فيهم ، وخوفا من خيانتهم للجيش الإسلامى ، ولرغبة الحكام فى منع الأقباط من الإلتحاق والحصول على المناصب العسكرية ، إلا أن سعيد باشا عمل على إستمرار روح التسامح الدينى ومبدأ المساواة (١) فقام بتطبيق قانون الخدمة العسكرية على الأقباط ، فأصدر أمرا بضرورة تجنيدهم فإتخذ ذلك بعض المسلمين آلة لإضطهادهم ، فقبضوا فى أسيوط على كل الذكور فى أغلب البيوت القبطية وساقوهم للعسكرية ولم يتركوا ولا واحدا منهم لإعالة النساء والأولاد .

وكان قواد الجيش المسلمين يستبدون بالعساكر الأقباط ويعاملونهم بقساوة ليعتنقوا الإسلام الذى يكون شرطا لترقيتهم ، على الرغم أن الإسلام يقول " لا إكراه فى الدين " فلما رأى البابا كيرلس الرابع إستغلال تجنيد الأقباط لإذلالهم شكى أمرهم إلى ذوى النفوذ من قناصل أوربا فى مصر ، فأرغموا سعيد باشا على إعفاء الأقباط من الخدمة العسكرية وإما يحسن هذه السياسة وإصلاحها ، وقد سبب ذلك الموضوع غيظ سعيد باشا من البطريرك مما جعله يفكر فى قتله وقد شجعه إلى ذلك وشاية قنصل إنجلترا زورا إلى سعيد باشا ، على أن البابا كيرلس الرابع يريد الخروج عن طاعة الدولة وجعل الكنيسة القبطية تحت حماية القيصرية الروسية وذلك لأن بعض الطوائف المسيحية الأجنبية (اليسوعيين والكاثوليك) لم يجدوا تعاونا من البابا كيرلس معهم فوشوا بذلك زورا ، ويذكر التاريخ بعد موت البابا كيرلس الرابع مسموما بالطريقة التركية المشهورة ، قام سعيد باشا بطرد مئات من موظفى الأقباط ومع ذلك كان سعيد باشا أول من دعى النصارى إلى حمل السلاح بمحض إرادته وقبل أن يخضع السلطان إلى مطالب الدول الأجنبية ، فيعلن الخط الهمايونى المؤرخ فى ١٨ فبراير سنة ١٨٥٦ م .

وعلى الرغم أن سعيد باشا كان متعصبا ضد الأقباط ولكن كان له بعض المواقف الحسنة نحوهم نذكر منها : –

أ – ألغى سعيد باشا الأفراح التى كانت تقام فى حالة إعتناق قبطى الديانة الإسلامية وقد كتب الوالى إلى مديرا من جرجا فى هذا الشأن يقول " علمت بأنه

---

(١) مخطوطات عابدين (سجل ٥٠٥ – معية سنية تركى رقم ٢١)

لسبب إسلام قبطى بسوهاج تجمع بعض الأهالى والشبان ، وتوجهوا عند القاضى وأخذوا المذكور ومروا به بالأسواق متظاهرين ومفتخرين بإسلامه ، وحيث أن هذا العمل كدر خواطر الأقباط الأجانب ، وعند وصول علمكم بذلك قمتم بتفريق المتظاهرين تهدئه لخواطرهم ثم عزلتم عمدة الناحية لسبب تساهله وتسامحه في ذلك أيضا.وحيث أن هذه الإجراءات ولو أنها أوجبت الممنونية وإنما يجب أيضا بحسب التنبيهات بأنه عند حدوث مثل هذا الأمر ينبغى إفادة هذا الطرف(١) ومراعاة هذه الظروف .

ب - أضف إلى ذلك أن سعيد باشا هو الذى ألغى الجزية المفروضة على الذميين بأمر أصدره فى ديسمبر سنة ١٨٥٥ م

جـ - كما أن روح تسامحه ظهرت فى سلسلة من أعماله قد يطول بنا سردها فقد عين مسيحيا حاكما على مصوع بالسودان وهو إجراء يميز عهده أحسن تمييز ويهدف إلى إفادة البلاد لكل الكفاءات مهما كانت الديانة التى تنتمى إليها .

د - ونضيف إلى ذلك أن سعيد باشا سمح للجنود المصريين أن يمارسوا ديانتهم المسيحية علانية (٢) ومما هو جدير بالذكر أيضا أن سعيد باشا هو الذى منح دليسبس إمتياز حفر قناة السويس كما أصدر فى أيامه الفرمان العالى الموشح بالخط الهمايونى الذى جرى شرف صدوره خطابا للوكالة المطلقة بخصوص الإصلاحات (فبراير سنة ١٨٥٦ م)

تعريب الفرمان العالى
الموشح بالخط الهمايونى
موجود نصه بملحق الجزء الثانى من الكتاب

---

(١) مخطوطات عابدين (أمر عالى بتاريخ ١٥ شوال ١٢٧٩ جـ (١٨٦٢ م سجل ٥٣٠ معية سنية تركى ص ٨)

(٢) Egypte Contern Poraime .P43 - 44

" الفصل الثالث "

أولاً – عصر إسماعيل باشا (١٨٦٣ – ١٨٧٨ م) : –

أما الخديوى إسماعيل الذى تلقى علومه فى فينا ثم فى باريس فقد وجد عند عودته إلى بلاده " أن الجو يصلح لإتباع سياسة من التسامح على أوسع نطاق ظهر ذلك فيما يأتى : –

١ – إهتمامه بترابط الأسرة الإجتماعي :

وقد اراد إسماعيل باشا كأسلافه ألا تسبب المسائل الدينية أى إحتكاك بين الأقباط والمسلمين ، وعبر عن خطته بوضوح فى الأمر الصادر عند تولية السلطة ردا على سؤال وجهه إليه أحد كبار الموظفين ، قال فى الإفادة المؤرخة فى ١٠ محرم سنة ١٢٨٠ هـ (١٨٦٣ م) أن خليل عوض الحاوى من أهالى السلمية ومن طائفة الأقباط قدم عرضاً يطلب فيه الخروج عن الدين المسيحى برغبته وبدون إجبار وإعتناقه الدين الإسلامى ، فإنه يجب إستحضاركم قسيس من قسس الأقباط وعمدة من عمدة الأقباط لأجل إقرار خليل عوض الحاوى أمامهم بأنه راغب إعتناق دين الإسلام من غير أن يجبره أحد فى ذلك ، لأجل ألا تكون هذه المسألة وسيلة فيما بعد للتشكى ، وبعد إقراره أمامهم يصير التصديق منهم على الإقرار ويحفظ بالمديرية (١) ولم تكن هذه الإجراءات الدقيقة تتبع فى مصر قبل ذلك التاريخ بل كانت الإجراءات فى مثل هذه الأحوال بسيطة للغاية ، وهذا يدل على قمة العدالة فى أحكامه .

٢ – حفاظه على علاقة المحبة بين الأقباط والمسلمين : –

كانت العلاقات بين الخديوى وبطريرك الأقباط على خير ما يرام ويذكر قلينى فهمى باشا فى مذكراته أنه " عندما قاموا بتنظيم شوارع مصر وفتح شارع كلوت بك كان يقضى النظام لجعل هذا الشارع مستقيماً أن يمر بكنيسة الأقباط ، فعرض إسماعيل باشا على الأنبا ديمتريوس البطريرك آنذاك ، أن تبنى له كنيسة أفخر من هذه الكنيسة ، وكذا دار للبطريركية أفخر من دارها الحالية ، كل ذلك على نفقة الحكومة فى نظير مرور الشارع معتدلاً ، فأجاب البطريرك قائلاً أننى أتشاءم من هدم معبد دينى ليكون طريقاً ، كما أننى لا أرضى لجناب الخديوى أن يوافق على هذا العمل ، ولما عرض هذا الأمر على الخديو قال " لتكن إرادة البطريرك وليبق المعبد أو الكنيسة قائما كما هو (٢) .

---

(١) محفوظات عابدين سجل ٥٣٠ معية سقية تركى بتاريخ ٢٠ محرم ١٢٧٠هـ

(٢) ذكريات جزء أول

٣ - اهتمامه بالتعليم :

لأول مرة أيضا نرى حاكماً مسلماً يشجع أدبياً ويدعم مادياً التعليم الطائفى القبطى ، والدليل على ذلك أمره العالى المرسل إلى نظارة المالية ، طلب الخديوى منح المدارس القبطية الأرثوذكسية إعانة مالية فقال " إنه نظراً لما علم لدينا من حصول السعى والإجتهاد من بطرخانة الأقباط فى إستعداد وإنتظام مكاتب ومدارس وإيجاد معلمين بها لتعليم الأطفال ما يلزم من العلوم واللغات الأجنبية ونحو ذلك سعياً فى هذا النوع أوجب الممنونية عندنا فلأجل مساعدتها على ذلك وتوسعه دائرة التعليم الجارية بمكاتبها قد سمحت مكارمنا بالإحسان على تلك البطرخانة بألف وخمسمائة فدان عشورية من أطيان المتروك والمستبعدات الموجودة بالمديريات على ذمة الميرى (١) ذلك لأن الخديوى يؤمن بأن القبطى مصرى كالمسلم على حد سواء .

ومن أشهر العلماء الذين فى هذه الفترة العالم الكبير وصفى بك الذى طلب العلم فى الأزهر ووضع كتاب (الخلاصة الذهبية فى علم العربية) فكان أول كتاب فى النحو كما وضع كتاب " مرآه الظرف فى فن الصرف)

٤ - بالإضافة إلى ذلك كان الخديوى إسماعيل لا يرتاح إلى الذين كانت تجذبهم الإرساليات الإنجليزية أو البروتستانتية لدرجة أنه ذهب إلى حد وضع مركب بخارى تحت أمر البطريرك البابا ديمتريوس ليطوف على رعيته ويثبت إيمانهم ويحثها على البقاء فى الكنيسة القبطية الوطنية (٢) .

٥ - إستمراراً فى منهاج سياسة التسامح الدينى الذى ينهجها إسماعيل باشا نجده يقرر علانية ورسمياً المساواة بين الأقباط والمسلمين وذلك بترشيح الأقباط لإنتخابات أعضاء مجلس الشورى ثم بتعيين قضاة من الأقباط فى المحاكم .

٦ - يجب ألا ننسى أن الخديوى إسماعيل هو أول حاكم طلب رتبة الباشوية لرجل مسيحى هو نوبار باشا وقد شغل كثير من الأقباط فى عصره مناصب عالية فقد شغل واصف باشا وظيفة كبير (التشريفات) وآخرون .

---

(١) محفوظات عابدين سجل ١٩١٩ أوامر عوبية بتاريخ ٢١ رجب ١٢٨٣ (٣٠ / ١١ / ١٨٦٦)

(٢) مذكرات قلينى فهمى باشا الجزء الأول

اسماعيل باشا والتسامح الدينى :

وبإختصار نستطيع أن نؤكد ، معتمدين إلى بعض الأدلة أن العلاقات بين عنصرى الأمة (الأقباط والمسلمين) فى عصر الخديوى إسماعيل تحسنت تحسناً ملحوظاً وأن مبدأ المساواة السياسية والإجتماعية أصبح شيئاً فشيئاً أمراً مألوفاً .

ومن أعظم الأمثلة العملية لذلك أن أنشأ مرقس بك يوسف فى طنطا سنة ١٨٦٥م مسجداً فى بلدة جناح كما أنشأ قلينى فهمى باشا مسجداً ضخماً وإلى جواره بنى كنيسة بعزبة بالمنيا رمزا للوحدة الوطنية (١) حتى أن ساشو المبعوث إلى مصر لدى الحكومة الفرنسية الذى زار مصر سنة ١٨٦٨ م كتب إلى (دروى) وزير معارف فرنسا قائلاً " إنى أنتهز هذه الفرصة لأنوه بالتسامح الدينى المنتشر فى أنحاء مصر والمرفرف على الجميع دون استثناء مما يشرف قوانيين البلاد وشمائل أهلها ولكن أجمل مدح لهذه الفترة هو (٢) الذى تفوه به إسماعيل باشا نفسه فقد قال يوماً لجبرائيل شارم الوالى التركى يعيش المسيحيون فى تركيا فى جو من التسامح المشوب بالإحتقار وأما فى مصر يعيشون فى جو من التسامح المقرون بالإحترام . (٣)

الموضاعات الهامة فى هذه الفترة : -

١ - الإرساليات الكاثوليكية : -

أخذ الأفرنج يفدون إلى مصر فى القرن السابع عشر لمزوالة التجارة وأرسل بابا روما جماعة من الرهبان لنشر المذهب الكاثوليكى بين الأقباط ولكن لم يتحقق هذا فجدد البابويون مساعيهم فى القرن الثامن عشر وحاولوا إجتذاب الأقباط فى الوجه القبلى فتبعهم عدد قليل منهم وقد نشأ عن ذلك مشاكل بسبب الأحوال الشخصية بين الأرثوذكس والكاثوليك وقد كانت سلطة الفصل فى تلك الأحوال للبطريرك القبطى الأرثوذكسى .

ولما جاءت الحملة الفرنسية إلى مصر (١٧٩٨ - ١٨٠١ م) نشطت الإرساليات الكاثوليكية ودخلت بدخول كثير من الأفرنج ولم يتركوها بعد خروج الفرنساويين بل لبثوا يتمتعون بحماية فرنسا ولما تولى محمد على باشا مصر (١٨٠٥ - ١٨٤٨ م) إستخدم من هؤلاء كثيرين فى مصالح عديدة وتتابعت الإرساليات اللاتينية (من فرنسيسكان وفرير وجزويت) لبث المذهب الرومانى

---

(١) الأقباط فى الحياة السياسية (د . سمير بحر)

(٢) Ropport Oht 1,instruction Publique On , F Egypte Paris Join 1868

(٣) Cimg Mois nu Cairo P . 162

ولكنهم لم ينجحوا . (١)

وتمخضت مساعى كل من الكاثوليك والوالى على إعتناق المعلم غـــالى وإبنـــه باسيليوس وأخيه فرنسيس للمذهب الكاثوليكى مع عائلاتهم وأنصــــارهم وهكـــذا وضع الكاثوليك أقدامهم فى مصر فوجد ما يعرف بالأقباط الكـــاثوليك التـــابعون لبابا روما وكان أول بابا كاثوليكى قبطى هو الأنبا كيرلس مقار الذى رسم فـــى ١٩ يونيو سنة ١٨٩٩ فحاول أن يستميل الأقباط إلى كنيسته فلم ينجح ، وأخـــيرا أدرك أنه أخطأ فى ترك عقيدة آبائه الأرثوذكسية وجاهر بذلك أمام الكثـــيرين ، فلما سمع بذلك بابا روما عزله وعين آخرا مكانه ، كما تم تعيين إســـقفا لطيبـــه وإسقفا للصعيد مركزه طهطا وأسقف لمصر الوسطى مركزه المنيا وبعد عـــزل الأنبا كيرلس مقار تفرغ لمطالعة كتب اليونان واللاتين من مصادرهـــا وخـــرج منها بتصحيح إعتقاده ورجوعه إلى العقيدة الأصلية فكتب كتابا هـــو " الوضـــع الإلهى فى تأسيس الكنيسة " .

٢ - الإرساليات البروتستانتية : -

دخل المذهب البروتستانتى إلى مصر فى منتصف القرن التاسع عشر عندما جاء مرسل أمريكى يدعى الدكتور لاذن وأقام بالإسكندرية ثم جاء مرسل إســـكتلندى هو الدكتور يوحنا هوج ثم طافا البلاد راكبين النيل يدعوان إلى مذهبهما وفـــى سنة ١٨٦٢ جعلا مركز تبشيرهما القاهرة وبعد ذلك إتخذ الدكتور هوج مدينـــة أسيوط سنة ١٨٦٥ مقرا لنشاطه وإستطاع أن يؤسس بها كنيسة بروتستانتية سنة ١٨٦٢ م وكثرت المحاولات وتم توزيع الكتب والنشرات المجانية حتى تكونـــت فى عهده كنائس بروتستانتية مثل الكنيسة الإنجيلية وكنيسة البلاموس والإصـــلاح والسبتيين والادفنتست والرسولى والحامى وغيرها (٢) .



---

(١) الأقباط ومشاهيرهم (توفيق إسكاروس (١ ص ١١٧)

(٢) مذكرات فى تاريخ الكنيسة (باقى جيد بشارة)

" الفصل الرابع "

قديسوا الكنيسة وعلماؤها وأراخنتها وشهداءها فى أثناء الحملة الفرنسية بمصر وفى عهد أسرة محمد على (١٧٩٨ - ١٨٧٨)

ما أغلى الكنيسة القبطية بقديسيها وعلمائها فى كل الأجيال إنه من المستحيل أن يحصى الإنسان كل القديسين فى هذه الفترة (١٧٩٨ - ١٨٧٨) التى تمتد نحو ٨٠ عاما لكننا نقدم بعض النماذج : -

أولاً الآباء البطاركة فى أيام الحملة الفرنسية وأسرة محمد على (١٧٩٨ - ١٨٧٨) : -

عاصر هذه الفترة أربعة من الآباء البطاركة إبتداء من البابا مرقس الثامن البطريرك الـ (١٠٨) إلى البابا ديمتريوس الثانى الـ (١١٠) وسوف نتكلم قليلاً عن سيرة هؤلاء البطاركة ، وعن بعض الأحداث الجسام التى حدثت فى عهدهم ، والتى أثرت فى الكنيسة والشعب القبطى ، وما عاصروه من مشاهير وقديسوا الكنيسة وعلماؤها وأراخنتها فى فترة كل بطريرك .

البابا مرقس الثامن البطريرك الـ (١٠٨) (١٧٩٦ - ١٨٠٩ م) : -

ولد فى بلدة طما ودعى باسم يوحنا وترهب بدير الأنبا أنطونيوس باسم الراهب يوحنا الأنطونى وسيم بطريركا فى سنة ١٧٩٦ م باسم البابا مرقس الثامن وذلك فى عهد السلطان سليم الثالث العثمانى وشيخى البلد إبراهيم بك ومراد بك .

وفى أيامه جاءت الحملة الفرنسية على مصر سنة ١٧٩٨ م ثم رحلت عن البلاد بعد حوالى ثلاث سنوات ونصف وعادت مصر إلى الحكم العثمانى سنة ١٨٠١م وتوالت الفتن والمؤامرات حتى تمكن محمد على باشا الكبير من الوصول إلى الحكم (منصب الوالى) العثمانى سنة ١٨٠٥ م فدخلت مصر فى عصر الأسرة المحمدية العلوية (١).

وفى أيامه حدثت مواقف مؤسفة ومظالم للكنيسة وللأقباط ذكرناها فى أثناء الحديث عن الحملة الفرنسية وفى سرد شخصية الجنرال يعقوب ، ومن أمثلة هذه النكبات التى حاقت بهم حرق الكنيستين العليا والسفلى بحارة الروم .

وفى أيامه نقل المقر البطريركى من حارة الروم الى حارة الازبكية ، حيث نجح المعلم ابراهيم الجوهرى فى أخذ فرمان ببناء كنيسة بالضرب الواسع وبناء مقر بطريركى ، وقام أخوه المعلم جرجس بأتمام هذا المشروع وتم نقل مقر البابا إلى

---

(١) سلسلة تاريخ البابوات البطاركة الكرسى الاسكندرية الحلقة الخامسة (كامل صالح نخلة)

هذه الكنيسة التى أطلق عليها اسم كاتدرائية الكاروز مرقس ، فعرفـــت بإســمه الكنيسة المرقسية .

وكان البابا مرقس الثامن عالما فكتب بعض القوانين الخاصة بالانظمة الواجــب إتباعها بالكنيسة اثناء اقامة الصلوات .

مشاهير الرجال فى عهده : -

لقد إمتاز عهد البابا مرقس الثامن برجال عظام إشـــتهروا فــى مجــال الديــن والسياسة إمتيازا عظيما مما يسجل لهم بالفخر والاكرام ونخص بالذكر منهم : -

١ - الأنبا يوساب الأبح أسقف جرجا وأخميم . ٢ - المعلم جرجس الجوهرى
٣ - المعلم ملطى . ٤ -الجنرال يعقوب

نياحته : -

تنيح البابا مرقس سنة ١٨٠٩ م ودفن فى مقبرة البطاركة بالازبكيــة وهــو أول بطريرك دفن فيها .

البابا بطرس السابع البطريرك الـ (١٠٩) (١٨١٠ م - ١٨٥٢ م) : -

من قرية الجاولى بمركز منفلوط محافظة أسيوط .

ترهب بدير الأنبا أنطونيوس ثم عينه البابا مرقس مطرانا عامــا باســم الأنبــا ثاوفيلوس وهو أول مطرانا عاما بالكنيسة القبطية منذ عدة قرون وبعــد نياحــة الأنبا مرقس اجمع الجميع على إختياره بطريركا بأسم البابا بطرس السابع وكــان ذلك فى أيام محمد على باشا .

والبابا بطرس الجاولى هو أول بطريرك اتخذ الكنيسة المرقسية مقرا بابويـــــا (بالازبكية) ووضعت عليه الايدى بها .

تجديد كرسى النوبة : -

وفى أيامه تم تجديد النوبة ، بعد أن اسقط العثمانيون ســـنة ١٥١٧ م الحكومــة الوطنية واستبدلوها بولاة من جيش تركى ، الذين اخذوا يطاردون النصرانيــة ، ويتعقبون تابعيها ، حتى قضوا عليها تماما فى أواخر القــرن الســابع عشــر ، وظلت خالية من النصارى حتى فتحها المصريون فى عهد محمد على باشا ســنة ١٨٢٣ م حيث هاجر اليها كثيرون من الأقباط الذين شرعوا فى بناء الكنــائس ، وطلبوا من البابا بطرس يسألونه رسامة أسقفا لهم فرسم لهم اسقفا بأســم الأنبــا دميانوس .

وهكذا بدأت الخدمة الكنسية والرعوية فى أيام البابا بطرس بعد أن انقطعت حوالى ٢٠٠ عاما وفاح عبير فضائله وتقواه وأعطاه الله موهبة صنع الايات والعجائب ، وسوف نذكر قليل من المواقف والحوادث الهامة فى حياته منها : -

(١) حادثة نور القبر الالهى

عندما كان إبراهيم باشا (أبن محمد على باشا) حاكما لبلاد الشام وشيع اليه احد رجاله أن النصارى يدعو أن نورا عجيبا ينبعث سنويا من قبر السيد المسيح فى ليلة سبت النور - فشك فى صحة هذا الامر واستدعى على الفور البابا بطرس الجاولى الى بيت المقدس ، فأكد البابا بطرس للوالى صحة هذه الظاهرة ، فطلب الوالى من البطريرك قائلا له اريد أن أرى النور يفيض من يديك ، فأجابه البابا والدموع ملء عينيه أن النور مزمع أن يفيض على يديك يا أفندينا لا على يدى أنا الخاطىء - ثم أفهمه البابا بطرس ، أن هذا الأمر من حق بطريرك أورشليم للروم الارثوذكس ولكنه اصر أن يشترك معه فى الصلاة ، فقام بطريرك الروم والاقباط ولازم الصوم ثلاثة أيام حتى تجوز هذه التجربة التى يترتب عليها اعدام أبرياء .

ولما حان الوقت المحدد ، دخل الحبران الكبيران (القبر المقدس) ومعهما إبراهيم باشا ، وأخذ يصليان بحرارة وانسحاق وما أن إنتهى بالصلاة المعتادة إذ بالنور يتفجر وينبثق من القبر المقدس بشكل ارعب الباشا واوقعه فى ذهول عميق حتى كاد يسقط على الأرض ، وهو يهتف قائلا " أمان بابا أمان "

(٢) وطنية البابا بطرس وتمسكه باستقلال كنيسته : -

كان البابا بطرس أمينا فى وطنيته مخلصا لبلاده وحكومته ، فقد زاره مرة السفير الروسى وعرض عليه حماية حكومة القيصر للأقباط كنيسة وشعبا كأقليات ، فأبتسم الباب فى وجه محدثه وسأله برفق ومودة قائلا له هل ملككم (قيصر روسيا) يموت أم يعيش إلى الأبد ؟ فقال الزائر هو يموت طبعا مثل كل بنى البشر ، فأجاب البطريرك أن كان قيصر روسيا يموت فنحن نفضل أن يكون حامى الكنيسة هو راعيها الإله الحقيقى ، الملك الذى لا يموت بل يعيش إلى الأبد ، وليس لملكه نهاية ورفض حماية الأقباط كأقليات.

وإنطلق السفير إلى محمد على باشا ، فسأله عما رأى بمصر ، فأجابه لم تدهشنى عظمة الأهرام ولا إرتفاع المسلات ولم يبهرنى كل ما فى القطر المصرى من عجائب بل أثرت فى نفسى فقط زيارتى للرجل التقى بطريرك الأقباط ، ثم روى له ما جرى بينهم فطفح السرور فى وجه محمد على باشا وقام فى نفس اليوم إلى

الدار البطريركية وقدم الشكر الجزيل للبابا بطرس على ما أبداه من وطنية حقة والإخلاص للبلاد ورفضه حماية الأقباط كأقليات

فقال له البابا بطرس لا تشكر من قام بواجب عليه نحو بلاده ، فقال له محمد على باشا والدموع تنهمر من عينيه ، قد رفعت اليوم شأنك وشأن مصر فليكن لك مقام محمد على بمصر ، ولتكن مركبة معدة لركيك كمركبته ، ومنذ ذلك اليوم ازداد مقام البابا عند محمد على ، وعظمت ثقته بأبناء الأقباط ، فأفسح لهم مجال العمل فى شتى المرافق الحكومية

(٣) حكمته : -

ذكر أن أقباط الجاولى ، مسقط رأس البابا بطرس كانوا متضايقين للغاية من قساوة بعض العائلات الإسلامية المتطرفة والمتعصبة ، وسوء معاملتهم لهم وبنهب محصولاتهم وعدم فهمهم للدين الإسلامى على حقيقته ، وما فيه من سماحة لغير المسلمين ، فلكى يخلص البابا بطرس قومه من شرهم ، استدعى أكابر أقباط تلك البلدة وكلفهم بإنتقاء مائتى فدان ، من أفضل أطيانهم وقدمها هدية لشريف باشا ، فما كان من الباشا بعد أن دخلت الأرض حوزته ، أن عين لها مندوبا من قبله " مثل حاكم أو ناظر يكون له وحده حق الأشراف على شئون البلدة كلها بما فيها أراضى الأقباط ، وبذلك تخلص الأقباط من هذه المشكلة ، وتحاشوا إستبداد الجماعات المتطرفة بالأقباط

(٤) زيادة نهر النيل بصلوات البابا بطرس : -

حدثت سنة ١٨٣٤ م أن جاء النيل ناقصا جدا فضج الناس لذلك وخشوا وطأة الغلاء وانتشار الوباء والجوع والجفاف ، ولما أشتد انزعاج الناس من هبوط النيل ، استغاثوا بمحمد على باشا طالبين اليه أن يأمر رجال الدين ، " كل طائفة أو ملة " بمفردها ، كى يرفعوا صلوات ويتلوا الطلبات ، كى يبارك الله فى مياه النيل وتروى الأراضى الزراعية ، فإستجاب لندائتهم ، واجتمع أولا المسلمين للصلاة وكثرة الدعاء وتلاوة الصلوات والاستسقاء ثم تلاهم اليهود من بعدهم الروم فالسوريين ثم الأفرج فلم ينتقل مياه النيل من مكانه ولم يرتفع عن مستواه أو يفيض ، وبعد ذلك جاء دور البابا بطرس الذى استدعى لفيفا من الاساقفة الاكليروس ، وخرج على رأسهم الى شاطىء النهر ، وأقام صلاة القداس المبارك بقلوب مؤمنة خاشعة طالبة من الله أن يرفع عن مصر كل انواع البلايا الجفاف والوباء والغلاء ... ، وبعد إنتهاء غسل أوانى الخدمة طرح ماء الغسيل على قربانه من الحمل المبارك فى ماء النهر ، فتمجد إسم الله وبارك الله تعالى الماء فى الحال وكأن بركانا قد ظهر وأرتفعت المياه وإضطربت الأمواج

وفاضت فإنكب البابا بطرس والحاضرون معه على وجوههم سجودا لله ودهش الحاضرون من عظم الأية وظهورها على يد هذا البطريرك المتضع صاحب الإيمان القوى بالله .

(٥) تمت فى أيامه رفع راية الصليب جهارا فى جنازة الأقباط بعد حادث استشهاد القديس سيدهم بشاى فى دمياط

معاصروه :-

عاصر البابا بطرس كل من محمد على باشا (١٨٠٥ م - ١٨٤٨ م) وإبنه إبراهيم باشا (١٨٤٨ م- ١٨٥١ م) وأشهر الأساقفة فى عصره الأنبا يوساب الأبح والأنبا صرابمون أبو طرحه والقديس الشهيد سيدهم بشاى والأرخن الكبير المعلم جرجس وآخرون .

نياحته : -

تنيح البابا فى إبريل سنة ١٨٥٢ م ودفن فى مقبرة البطاركة بجوار الكنيسة المرقسية بكلود بك .

الباب كيرلس الرابع البطريرك الـ (١١٠) (١٨٥٣ م - ١٨٦١ م) : -
(الشهير بأبى الإصلاح)

ولد سنة ١٨١٦ م ببلدة الصوامعة الشرقية وترهب بدير الأنبا أنطونيوس بإسم الراهب داود الأنطونى وسيم مطرانا عاما للكرازة المرقسية سنة ١٨٥٣ م ثم تولى البطريركية فى يونيو سنة ١٨٥٤ م . وذلك فى أيام الخديو سعيد باشا .

البطريرك المحب للعلم : -

إلى جوار عبادته وتأملاته إنكب على المطالعة والدرس ، وتعمق فى دراسة اللغات العربية والقبطية واليونانية والتركية ، كما ألم بالإنجليزية والإيطالية ، وأنشأ مدرسة فى عزبة الدير ببوش الحق بها مكتبة عامة لتسقيف الشعب ومن اهتمامه بالعلم انشأ اول مطبعة خاصة فى مصر تعتبر هذه المطبعة ثالث مطبعة عرفتها مصر فى بدء نهضتها ، فالمطبعة الأولى هى التى دخلت البلاد مع الحملة الفرنسية ، والثانية مطبعة بولاق الميرية ، وكانت الثالثة مطبعة الدار البطريركية .

إهتمامه بنشأة الإكليركية : -

فقد وضع البابا كيرلس اللبنة الآولى فى تأسيس الإكليركية وإهتم بإنشاء مدرسة لاهوتية لتثقيف رجال الدين وإعدادهم للكهنوت فإختارشبابا صغارا ليتلقوا دروسا فى اللغة والالحان الكنسية والموسيقى والعلوم الدينية وعمل للطلبة زيا خاصا يرتدونه اثناء الخدمة،واقام البابا كيرلس بكل دير مكتبة لتعليم الرهبان .

إهتمامه بإنشاء المدارس : -

لأنه كان شخصا محبا للعلم لذلك نشر العلم بين الناس وانشأ المدارس الاتية : - مدرسة الاقباط للبنين ، مدرسة الاقباط للبنات بجوار البطريركية ، ومدرسة أخرى للبنين ، ومدرسة أخرى للبنات بحارة السقايين ، وكانت مدارسه بالمجان ، وكذلك الادوات والكتب تصرف للطلبة بدون مقابل حتى إتهموه بالإسراف .

وقد تخرج فى مدارسه كثير من كبار رجال الدولة مثال ذلك بعض رؤساء الوزارات كبطرس باشا غالى وحسين باشا رشدى ويوسف بك وهبة وعبد الخالق باشا ثروت كما تخرج منها كثير من الوزراء ووكلاء الوزارات والأعيان والمستشارين ورؤساء الجمعيات الكبرى وأيضا بعض المؤرخين مثل ميخائيل شاروبيم بك ويعقوب بك نخلة روفيله .

وتحمل البابا كيرلس الرابع فى سبيل نشر هذا العلم محاربات العرفاء الذين ظنوا فى ذلك القضاء على كتاتيبهم وما يتلقونه من رواتب ، فأشاعوا أن مدارس البابا تعلم الكفر وفساد الأخلاق وفساد العقائد .

إهتمامه بإنشاء المكتبات العامة : -

فهو أول من أنشأ مكتبة عامة وعممها فى المدارس فأنشأ مكتبة عامة بمدرسة الأقباط الكبرى التى بجوار البطريركية وبلغت شهرتها أن رئيس الوزراء يوسف باشا وهبه أهداها مكتبته النفيسة .

إهتمامه بتعليم الفتاة : -

كان البابا كيرلس الرابع أول من أهتم بتعليم البنات فى الشرق العربى كله قبل قاسم أمين بما يقرب من ٥٠ عاما فأنشأ لهن مدرستين إحداهما فى الأزبكية والأخرى فى حارة السقايين وإحتمل نتيجة ذلك كراهية وبغضة شديدة من البعض حتى رفعوا شكواهم إلى الوالى طالبين إليه إغلاق المدرسة لأنه لا يليق بالبنت أن تتعلم ولكن الوالى إنضم إلى صف أبى الإصلاح إلى درجة جعلته يوقف بعض الأفدنة إلى هذه المدرسة .

إهتمامه بالأسرة المسيحية : -

أقام البابا كيرلس الرابع الأسرة على أساس المحبة ، وإهتم بالمرأة ، فكما أقام المدارس لتعليمها كذلك أطلق حريتها وأنصفها فى حقها من الميراث إسوة بأخيها، ومنع زواج البنات قبل سن الرشد ، وهكذا سبق قانون تحديد سن الزواج فى مصر بنحو مائة عام ، كما منع الإكراه بالزواج وأصر على أن يؤخذ رضا الطرفين قبل عقد الزواج ورسم عمل العقد الإبتدائى (قبل الإكليل حتى يتأكد من الوئام والإتفاق بين طرفى الزواج قبل الإكليل الذى لا يمكن فسخه وكان يتشدد فى الطلاق تشددا لا مثيل له) .

رسول محبة : -

كان البابا كيرلس الرابع رسول محبة وسلام بين الجميع وقد بذل مجهودا فى توحيد الكنائس بفضل حسن علاقته بالطوائف الأخرى ، حتى أن رؤساء الكنائس اليونان والأرمن الروس كانوا إذا ما سافروا الى الخارج ، أوكلوا له تدبير شئون كنائسه ، وحاكم البلاد نفسه سعيد باشا أوفده سنة ١٨٥٦ م إلى اثيوبيا لأزالة سوء التفاهم بينها وبين مصر فنجح وإنتهى إلى معاهدة صداقة ولما رجع إلى مصر استقبل بحفاوة وطنية كبير[١] .

وكان صديقا لكثيرين من علماء الازهر وللشيخ الأكبر وكان يعقد معمهم حلقات مذاكرة ومناظرة فى جو من الألفة والمحبة .

وطنية البابا كيرلس الرابع وإصلاحاته ومساعيه فى ترقية الأقباط والمطالبة بحقوقهم : -

لاحظ البابا كيرلس أن أقباط مصر لم ينالوا ما يستحقون من الترقى وحرموا من الوصول إلى مناصب الدولة العالية بسبب قبطيتهم فإنتهز فرصة صدور الفرمان السلطانى فى ١٨ فبراير سنة ١٨٥٦ (الخط الهمايونى) وما ينص عليه من قرارات تنادى بمساواة جميع المواطنين والتمتع بكافة الحقوق دون النظر الى معتقدادهم وديانتهم ، فتقدم البابا كيرلس الى الوالى سعيد باشا ، وطلب منه تطبيق نصوص الفرمان على أقباط مصر فوعده الباشا بذلك .

وقد كان البابا كيرلس الرابع وطنيا متحمسا لمصريته ووطنه فقد أشاع المغرضون أنه طلب من أمير البلاد أعفاء القبط من الخدمة العسكرية فتصدى لهذه الإشاعة البابا كيرلس وصرح علانية قائلا حاشا أن أكون جبانا بهذا المقدار حتى لا أعرف للوطنية أو افترى على أبنائى الأقباط بتجردهم من محبة وطنهم

وعدم الميل لخدمته والدفاع عنه وحماية حدوده وأرضه فليس هذا ما طلبته ولا ما أطلبه .

صفاته وفضائله : -

كان البابا الرابع يتمتع بالعديد من الفضائل والكثير من الصفات الحميدة نذكر منها على سبيل المثال وليس الحصر : -

(١) إنصاف المرأة : -

إستدعاه يوما سعيد باشا والى مصر ليكون حكما فىقضية ميراث ، بين رجل وامرأة اخته وكان من الأراخنة التابعين للكنيسة الرومانية ، فقال سعيد باشا للبطريرك هل تعطى المرأة مثل الرجل أم نصف نصيبه فى الميراث ؟ فأجاب البابا كيرلس قائلا له إذا عملت المرأة عملا حسنا كالرجل فهل يجازيها الله بأقل مما يجازى به الرجل ؟ فقال سعيد باشا حاشا أن يكون الله ظالما حتى يعاملها بأقل مما يعامل به الرجل !! فقال له البطريرك فإذا كان فى السماء تأخذ المرأة نصيبا كالرجل فمن الأفضل أن تأخذه فى الأرض أيضا فإقتنع سعيد باشا بحكمة وحكم بأن يكون للمرأة مثل حظ الرجل فى هذه القضية .

(٢) سرعة الخاطر فى الجواب : -

ذكر عن البابا كيرلس الرابع أنه زار سعيد باشا فى قصره ، وكان ذلك فى وجود بعض شيوخ الإسلام وأحد علماء الأزهر المتعصبين الذى أخذ يتحرش بالبطريرك قائلا له ، يا جناب البطريرك إن لكم كتابا منزلا ولكن يا للخسارة إنكم تشركون بالله وتقولون إن المسيح إبن الله ومساويا له فى الجوهر ، فقال له البطريرك فى الحال ماذا نعمل وقد حيرنا القرآن ؟ فقال له العالم الأزهرى يتبرأ القرآن الشريف من ذلك ، فقال له البطريرك لقد جاء فى سورة الشورى " وليس كمثله شىء (٤٢ : ٩) فقال العالم الأزهرى الكاف زائدة ، فقال له البطريرك نحذفها فقال له العالم لا يمكن ، فقال له البطريرك نعمل بحكمها ، فقال العالم لا يمكن ، عنئذ قال له البطريرك من أين أتت الحيرة فسكت العالم ولم يبد جوابا وحاول أحد شيوخ الآسلام بأن يحول الكلام حتى ينقذ العالم المسلم من الورطة التى سقط فيها فقال له " لا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن " .

(٣) الكنائس فى عصره : -

كان التضيق شديدا على المسيحين لعدم إنشاء الكنائس ولكن فى أيام البابا كيرلس الرابع إستطاع بحكمته وحسن علاقته الوثيقة مع الوالىسعيد باشا الذى أباح لهم

الحرية فى بناء الكنائس وتجديد ما تهدم رغما عن المعارضـــات الشـديدة فـــى إنشائها .

ولذلك نجد بناء كنيسة جديدة فى البطرخانة القديمة بالأزبكية وبناء كنيسة جديــدة بدلا من القديمة بحارة السقايين كما ذكر أن القمص يوسف موسى راعى كنيســة مارجرجس بميت غمر قد أتاه شاكيا من محاولة الحكومة له هدم باب الكنيســـة لأنه عندما قام بتجديده إرتفع عن أصله " أى كبر طوله " فـــأوعز إليــه البابـــا كيرلس أن يلحق به عند ذوالفقار باشا وفعلا فأنه بعد أن إستقر البابا عند الباشـــا ظهر القسيس ، فإستدعاه الباشا إليه قائلا له لماذا جئت إلى هنا ؟ فأجابـــه إنـــى جئت شاكيا من تعدى الحكومة لى وصدور أمر بأن أجعل البـــاب قصـــيرا أى منخفض بحيث لايمكن للرجل أن يمر به إلا إذا إنحنى ، فقال له البطريرك يجب عليك إطاعة أولى الأمر ولا تخالفهم مادمت محكوما ولا ملك لك يدافع عنك .

فعندما سمع ذو الفقار باشا هذه الكلمات قام من فورة وقابل سعيد باشا وقال لــه : فى أيام عدلك لا يصح أن نسمع بمثل هذه الأعمال فأمر أن يبنى الحائط علـــى حساب الحكومة ويرتفع الباب .

ولما رأى أهالى دقادوس أن باب كنيستهم فى جهة غير ملائمة نقلوه من الجهـــة القبلية إلى الجهة الغربية وجعلوه مرتفعا لدرجة لم يكن لهم فـــى سـابق عــهده بالوصول إليها .

ويذكر التاريخ أن مدينة طنطا عند بناء كنيسة جديــدة ألقـــى أحــد المتطرفيــن المتعصبين من المسلمين بنفسه عند وضع أساس الكنيسة حتى يعطل البناء فـأمر مدير الأمن فى ذلك الوقت بالبناء عليه ولكن أحد القسوس الذى كـــان موجــودا وقتئذ طلب من المدير إخراجه حسما للمشاكل وتجنبا لإيجاد الكراهيـــة والحقــد وهكذا كانت أيامه فاتحة خير على الأقباط حيث الغيت كل القيود التى تعطل بناء الكنائس وترميمها فى عهد هذا الرجل العظيم .

البابا كيرلس الرابع وقناصل الدول : -

كان محمد على باشا والذين ورثوا الحكم من بعده يستعينون بالأجانب وخاصـــة الفرنسيين منهم لتدعيم سلطانهم وتنفيذ مشروعاتهم العسكرية والإنشائية والثقافيـة ولكنهم كانوا يتحاملون على أى مواطن ينال منهم مأربا عن طريق قناصل الدول التى تتمتع بنفوذ لديهم ، ولما رأوا أن بعض القناصل يذكرونه أمامهم بـــالتقدير والثناء أخذوا منه خيفة ، وصاروا ينظرون إليه بشىء من الريبة والقلق ، قادهم

إلى ذلك سعيه المتواصل فى توحيد الكنائس والعمل على رقى أبناء أمته المهضومة الحقوق . (١) وكانت لهذه الاسباب وأسباب أخرى سببا فى أن يقور أمير البلاد سعيد باشا الى التخلص من البابا الرابع بالطرق المتبعة فى قصور المستبدين وذلك بعد إزدياد مخاوف الطغاه ، عندما وشى إليهم قنصل إنجلترا زورا ، بأن البطريرك يريد الخروج عن طاعة الدولة ، وجعل الكنيسة القبطية تحت حماية القيصرية الروسية .

نهاية البابا كيرلس الرابع : -

فى تلك الأيام التى كثرت فيها الشائعات والدسائس ، إستدعى محافظ القاهرة غبطة البطريرك لمقابلته فورا لأمر هام ، لا يتم إلا بحضوره شخصيا ، إلا أن البطريرك صرف رسول الحاكم وأفهمه أنه لا يمكن حضوره الآن لظروف شخصية ولكن المحافظ أصر على حضور البطريرك وأرسل فى طلبه مرارا ، وإذ لم يجد البابا مفرا من هذه المقابلة الإجبارية تحامل على نفسه وتوجه إلى سراى المحافظ وإن كنا لا نعلم تفاصيل الحديث الذى دار بينها ، ولكن أكده المؤرخون المعاصرون أن البطريرك عندما دس له الأعداء السم فى القهوة فلم يقبل معتذرا بالصوم لأنه سمعهم يتكلمون بالتركية التى كان يعرفها فى هذا الوقت ، ولما نجا البابا عاد إلى مقره أثر هذه المقابلة حزينا خائر القوى محموما شاعرا أن النية مبيتة على قتله ، ولازم الفراش بعد وصوله للبطريركية مباشرة ، فلما سمعت الدوائر المتآمرة بمرض البابا أرسلت إليه طبيبا لعادته فأجرى عليه فحوصا طبية ثم كتب له تذكرة بالدواء ولكن لم يؤتى له الدواء . ولكن لكى لا يطول المرض وتكشف الأيام عن خططهم الإجرامية أوعزوا إلى الأنبا كيريل مطران الأرمن بالقاهرة عميل الحاكم وصديق البطريرك ، والخواجة حنا مسره ، أن يذهبا فى الحال إلى الدار البطريركية ، وأن يأخذا معهما طبيبا آخر فدخل ثلاثيهم إلى مخدع البطريرك المريض وأفهمه المطران المنافق أن يثق فى هذا الطبيب لأنه طبيب الوالى ويعمل بموجب توجيهاته والواقع أنه كان خائنا مأجورا فأعطى البطريرك جرعة سامة ، فقد وعيه على الفور وسقط شعر رأسه ولحيته على الوسادة ، ثم إنحل جسده ومات . وكان ذلك فى ٣٠ يناير سنة ١٨٦١ م ووضع جثمانه فى المقبرة الجديدة التى أعدها لنفسه فى كنيسة الشهيد أستفانوس الملاصقة للكنيسة المرقسية الكبرى .

---

(١) ذكرى مصلح عظيم (جرجس فليوثاؤس عوض)

البابا ديمتريوس الثانى البطريرك الـ (١١١) (١٨٦٢ م - ١٨٧٠ م) : -

ترهب بدير أبو مقار بإسم الراهب ميخائيل المقارى وسيم بطريركا بإسم البابا ديمتريوس الثانى فى يونيو سنة ١٨٦٢ م وكان ذلك فى أيام سعيد باشا .

وأهم أعماله قام بتكميل بناء الكنيسة المرقسية الكبرى بالأزبكية كما إهتم بإدارة المدارس القبطية وترقيتها .

فى أيامه توفى سعيد باشا وجاء بعده إسماعيل باشا الذى فى أيامه نال القبط مالم ينالوه فى أيام غيره حيث أنعم على المدارس القبطية وعلى البطريركية بأوقاف كثيرة .

زيارة السلطان عبد العزيز بك : -

ولما زار السلطان عبد الغزيز بك مصر سنة ١٨٦٣ م ، قبل البابا صدر السلطان بدلا من تقبيل يديه قائلا " إن قلب الملك فى يد الله ملك الملوك وسلطان السلاطين فلما سمع السلطان ترجمة هذه العبارة إبتسم مسرورا وأنعم بألف فدان من أملاك الحكومة للمدارس القبطية ثم زادها الخديو إسماعيل خمسمائة فدان أخرى فى محافظة الشرقية . (١)

زياة البابا للأقاليم القبلية والقضاء على الشيعة البروتستانتية : -

عندما علم البابا بنشاط الإرساليات الأجنبية فى الصعيد ، طاف فى مركب بخارى أعدها له الخديو إسماعيل ، على مدن وقرى الصعيد حتى إسنا ، ونجح فى إقناع الكثيرين بالرجوع إلى كنيستهم القبطية الأرثوذكسية وهكذا كان التعاون بين الحكومة والكنيسة لنبذ الحركات والبدع الأجنبية (كتاب ١٥ تاريخ ص ٣١٣ أ)

نياحته : -

تنيح البابا دمتريوس الثانى فى ١٨ يناير سنة ١٨٧٠ م ودفن بجوار البابا كيرلس الرابع فى المقبرة التى بكنيسة الشهيد إستفانوس بالأزبكية .

" ثانيا " أشهر الأساقفة فى هذه الفترة : -

١ - الأنبا يوساب الأبح أسقف جرجا وأخميم
٢ - الأنبا صرابامون أسقف المنوفية الشهير " بأبى طرحة "

---

(١) سلسلة تاريخ البابوات بطاركة الكرسى المرقسى الحلقة الخامسة (ص ٢٣٢) لكامل صالح نخلة .

والأنبا صرابامون له سيرة عطرة تحتاج إلى بحث كبير ولكننا سوف نذكر بعض المواقف الهادفة فى حياته وبإختصار شديد .

+ كان إسمه صليب ويحترف مهنة بيع الزيت فى القاهرة وفى أحد مشاجرات النسوة الشريرات قتل ولد إحداهن فإتهمت صليب تاجر الزيت أنه هو القاتل ، فتجمهر جمهور كثير وساقوه إلى الحاكم وهناك شهدوا عليه أنه هو القاتل ، أما صليب فكان يبرأ نفسه أمام الحاكم ، بقوله " أنا مظلوم وهو يبكى " ولكن أصر الجميع قائلين أنه هو الذى قتله ونحن شاهدون على ذلك ، وفيما هو متحير تذكر قول الكتاب المقدس " فتعظم نفسى فى عينى الرب فينقذنى من كل ضيق (١ صم ٢٦ : ٢٤) " فرفع صليب قلبه إلى الله وتشفع بالسيدة العذراء قائلا " إذا أنقذنى الرب من هذه الورطة والتهمة الباطلة سوف أكرس حياتى كلها لله " وبكى وصلى بحرقة ثم قال للطفل المقتول بإيمان كبير " يقيمك الرب لتخبرهم عمن قتلك فقام الطفل فى الحال بإذن من الله الرحوم وأخبر عمن قتله وعاد فرقد ثانية فأفرجوا عنه وهم متحيرون مما رأوه وكانوا يضربونه ويقولون عنه ساحر ساحر . وهكذا عندما رأى صليب كيف أنقذه الله ، وخوفا من المجد الباطل الذى قد يناله بسبب هذه المعجزة العجيبة ، ترك حماره بما عليه تاركا كل ما يملكه ورحل إلى البرية الشرقية وترهب بدير الأنبا أنطونيوس ثم أختير أسقفا للمنوفية وإشتهر بأبى طرحة .

عاقبة من لا يستحى برجال الله : -

والله دائما يثار لكرامة أولاده ويذل أعداءنا ومبغضينا ويرد لنا . الكرامة مضاعفة ولا عجب وهو القائل " الذى يرذلكم يرذلنى " (لو ١٠ : ١٦) ويقول أيضا مبغضوا الصديق يعاقبون (مز ٣٤ : ٢١) وقد ذكر له مواقف كثيرة تعلمنا أن الرب سريع لطلبته معطيا إياه سلطانا وقوة فيها مثال ذلك : -

+ ذكر عنه أنه فى إحدى المرات عندما كان فى طريقه إلى البطرخانة قصد ثلاثة من الشبان المستهترين السخرية منه إذ تمدد أحدهم أرضا كميت ووقف الإثنان يبكيان لدى مروره طالبين منه إحسانا للنفقة على جنازة فقيدهما ، فقال لهما أهذا ميت ؟ قالا له نعم ميت ، ثم كرر هذا السؤال هل أنتما متأكدين أنه ميت ؟ فزاد سخرية منه قائلين " له نعم ميت " فأعطاهما الأنبا صرابامون مبلغا من المال وهو يقول لهما خذا هذا المبلغ وإدفناه به ما دمتا قلتا أنه ميت ثم أنصرف .

فلما أرادا إيقاظ رفيقهما إذا به قد فارق الحياة " ميتا " فأخذاه ودفناه نادمين عما بدا منهما تائبين طالبين من الله المغفرة والرحمة .

قصة العبد الأسود : -

+ ذكر عن الأنبا صرابامون أنه فى أثناء مروره فى زياراته السنوية تعرض له عبد أسود " مجرم " وطلب من الأنبا صرابامون إعطاءه ما معه من نقود والا فأنزل عن دابتك وإخلع ملابسك فأجابه القديس إخلى لى الطريق يا بنى مالى ومالك فما كان من العبد إلا أن رفع يده ليهوى بنبوته (عصاه الغليظة) على رأس الأنبا صرابامون فقال له القديس أنت رفعت إيدك على ، طيب خليها مرفوعة فظلت يده مرفوعة كالتمثال ، ثم تركه الأنبا صرابامون ومضى إلى أقرب ضيعة ليتفقد فيها شعبه وبات فيها ، وفى الصباح أخذ دابته وخرج ليصل بها إلى أقرب قرية أخرى ، وفى الطريق وجد العبد " المجرم " مثبتا فى مكانه مربوط اليد وهو يصرخ من شدة الألم ، وقد إلتف حوله إناس كثيرون يتعجبون بما صنعه الله فيه ، ولما رأى الأنبا صرابامون قادما إستغاث به أن يرحمه فعفا عنه الأنبا صرابامون وندم العبد على ما فعله ، ولم يحترف اللصوصية بعد ذلك وظل يخدم الأنبا صرابامون ويهتم ببغلته التى كان يركبها فى تنقلاته بقية حياته إلى أن توفى .

اليد التى لمستنى تشل : -

+ ذكر عن الأنبا صرابامون أنه فى ذات يوم كان قاصدا زيارة كنيسة السيدة العذراء الأثرية بحارة زويلة مارا بشارع درب مصطفى وكان طريقا ضيقا مزدحما بالسكان الذين أكثرهم ذو مستوى متواضع ومنخفض ، فتعلقت بملابسه إحدى الباغيات قاصدة إهانته والإستهزاء به ، بعد أن تراهنت وإتفقت مع بعض عشيراتها أن تمثل به فى الطريق ، فما كان منه إلا أن سألها برفق ، أن تدعه وشأنه ، ولكنها لم ترتدع ولم تتركه ، فصرخ فيها قائلا اليد التى لمستنى تشل ، وللحال شل ذراعها ، فإستغاثت به صارخة من الألم الذى لحق بها ،وتضرعت إليه نادمة أن يرحمها ويشفيها فصلى إلى الله وشفاها بعد أن تعهدت بعدم العودة إلى سخافتها .

موهبة إخراج الأرواح الشريرة : -

+ ذكر عن الأنبا صرابامون أنه عندما ينتهى من صلاة القداس كان يؤتى إليه بالمصابين والذين عليهم أرواح نجسة والمرضى ويضعوهم أمامه وخلفه ، فكان يأخذ بيده قلة ماء ويتلو على كل واحد منهم المزمور الرابع والثلاثين " دن يارب

الذين يظلمونني قاتل الذين يقتلوني " ثم يصرخ في الروح النجس ويأمره بالخروج من المريض فيخرج فيالحال كما حدث في المعجزة الآتية : -

شفاء زهرة بنت محمد علي باشا : -

+ كان محمد علي له إبنة تدعى زهرة وقدإعتراها روح نجس واحتار الأطباء في علاجها فإستدعى الأنبا صرابامون أبى طرحة الذى توجه إلى القصر فأدخلوه إلى مخدع الأميرة ولما إبتدا فيالصلاة تحرك الشيطان فيها بغيظ شديد وألقى بالأميرة صرعى على الأرض وصرخت بأصوات مزعجة ثم رشم علامة الصليب على الماء ورشه على وجه الأميرة فصرخ الشيطان بصوت عظيم مزعج وخرج منها ونهضت الأميرة معافية سليمة ، ورغب محمد على أن يكافىء الأنبا صرابامون فقدم الوالي له كيسا به أربعة آلاف جنيـة) فرفض قبولها قائلاً ليس لي أن أربح بمواهب الله " ولكن أسأل دولتكم أن تميلوا نحو أبناء الطائفة القبطية للعمل في الوظائف الحكومية .

قوة الروح القدس فيه : -

+ لقد كان الأنبا صرابامون ينمو ويتقوى في الروح والنعمة وكان الروح القدس يعمل فيه بقوة وقد ذكرت عنه في هذا المجال حوادث كثيرة منها: -

أمان يا بابا : -

+ أصدر عباس باشا الأول والي مصر أمره بإعدام جميع السحرة والمنجمين فوشى الواشون له بأن القديس صرابامون من هؤلاء السحرة بل من أكبرهم ، وأنه هو الذى شفى زهرة بنت محمد علي باشا بسحره ، فطلبه الأمير لقتله ولما حضر قابله الأمير بإزدراء فقال له " هل أنت من السحرة والدجالين " فقال له الأنبا صرابامون " أنا رجل مسكين ولا أدرى شيئاً من ذلك " فقال له الأمير " ألم تكن أنت الذى شفيت زهرة هانم ؟ فإمتلأ القديس من القوة الإلهية وصرخ " هذه قوة الله فأرتعب عباس باشا في الحال وصرخ قائلا أمان بابا ، ثم طيب خاطره وأكرمه وصرفه بكل وقار وسلام .

نياحته ودفنه : -

+ تنيح الأنبا صرابامون في سنة ١٨٥٣ م ودفن بجوار البابا بطرس الجاولي بالكنيسة المرقسية بالأزبكية .

" ثالثا " مشاهير رجال القبط فى عهد أسرة محمد على : -

١ - وهبه بك الجيزاوى الذى كان رئيساً لكتبة وزارة المالية .

٢ - تادرس أفندى عريان الذى كان رئيساً لديوان المالية .

٣ - دميان بك جاد كان له مكانة كبيرة عند الخديوى حتى أن دواوين الحكومة تعطلت يوم وفاته .

٤ - عريان بك تادرس وإخوته الذى كان رئيس كتبة وزارة المالية .

٥ - سعد ميخائيل عبده الذى كان من كبار موظفى الحكومة .

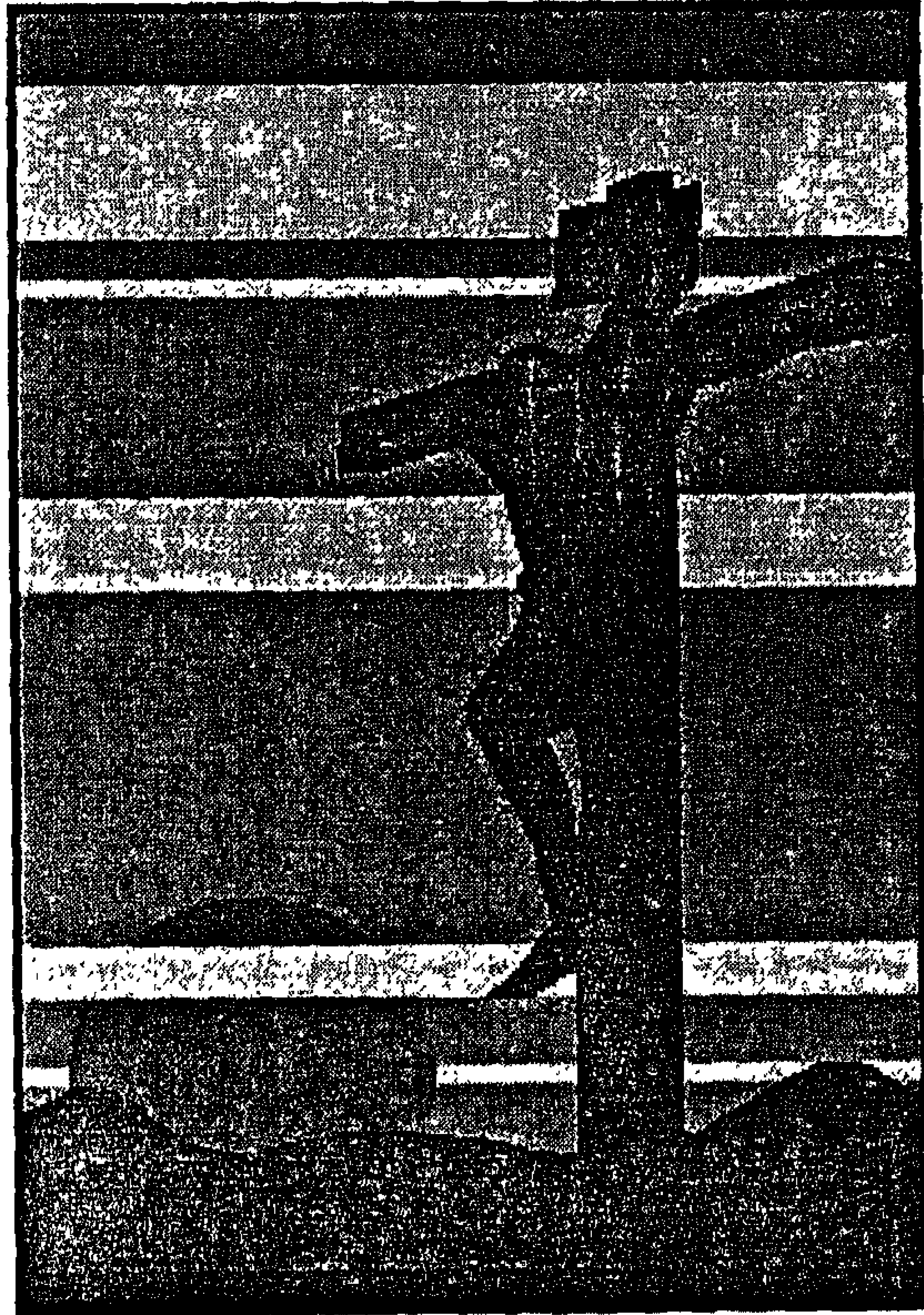
٦ - مرقس بك يوسف الذى كان كبير كتبة مركز طنطا وأنشأ الجمعية الخيرية القبطية وبنى مدرسة الأقباط الكبرى .

٧ - رزق أغا حاكم الشرقية .

٨ - مكرم أغا حاكم أطفيح .

٩ - ميخائيل أغا حاكم الفشن .

١٠ - بطرس أغا حاكم برديس .



" الفصل الثانى "
أشهر قديسى الكنيسة الذين عاصروا تلك الفترة
(١٨٨٢ م - ١٩٢٣ م)

١ - البابا كيرلس الخامس
٢ - الأنبا باسليوس مطران القدس (١٨٥٦ م - ١٨٩٩ م)
٣ - الأنبا إبرآم الأول أسقف الفيوم المتنيح (١٨٨١ م - ١٩١٤ م)
٤ - الإيغومانوس فيلوثاوس إبراهيم
٥ - القمص عبد المسيح المسعودى الكبير (ص ١٠٦ من تاريخ الكنيسة (د إيريس المصرى) (الجزء الخامس)

البابا كيرلس الخامس البطريرك الـ (١٢٢) (١٨٧٤ م - ١٩٢٧ م) : -

نشأته : ولد بقرية تزمنت التابعة لبنى سويف سنة ١٨٣١ م .

معاصروه : - عاصر البابا كيرلس الخامس كل من إسماعيل باشا وتوفيق باشا وعباس باشا الثانى والسلطان حسين والملك فؤاد وذلك لأنه قضى مدة طويلة تعتبر أطول مدة قضاها بطريرك فى الكرازة المرقسية وهى حوالى ٥٣ عاما .

رهبنته : - ترهب سنة ١٨٥٤ بدير البراموس بإسم الراهب يوحنا البراموسى وعرف بإسم يوحنا الناسخ .

سيامته بطريركا : - سيم بطريركيا فى أول نوفمبر سنة ١٨٧٤ باسم البابا كيرلس الخامس .

أشهر أعماله : -

١ - أنشأ مدرسة إكليريكية ثم إشترى أرض بمهمشة بنى عليها كلية إكليريكية سنة ١٩١٢ . كما أكمل بناء الكاتدرائية المرقسية بالأزبكية . كما بنى قصور (مطرانيات) فى كل من كنيسة المعلقة والعدوية ببولاق والمعادى وطره والمعصرة بحلوان وطموه . وفى أيامه شيد ١٣ (ثلاثة عشر كنيسة) بالقاهرة والجيزة والخرطوم.كما أنشأ مدارس للرهبان . وفى أيامه (أيام إسماعيل باشا) تم تكوين المجلس الملى فى ٢ فبراير سنة ١٨٧٤ م . وفى عهده شبّت نار الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤ م وفى آخرها أعلنت الحماية الإنجليزية على مصر وعقدت الهدنة فى سنة ١٩١٨ م وطالب المصريون باستقلال بلادهم ، وكانت الثورة المصرية فى سنة ١٩١٩ بإتحاد المسلمين والأقباط وبعد جهاد دام سنوات تنازلت إنجلترا عن حمايتها فى٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢م ثم أعلن السلطان

فؤاد إستقلال مصر فى ١٥ مارس سنة ١٩٢٢ م . وأعلن بنفسه ملكا ووضـــع دستور للبلاد ، وأنشىء الحكم البرلمانى بزعامة سعد باشا زغلول وكان البابـــا كيرلس مؤيدا لهذه الحركة .

مكانة الأقباط فى عصره : -

إرتفع شأن الأقباط فى عهده فتنعموا بالحرية الدينية والمســاواه فـــى الوظـــائف الحكومية وفى التجارة وفى إمتلاك الأطيان ، فظهرت طبقة من كبار الأقباط من سياسيين وأثرياء ، كما إنتشر التعليم الدينى فصار صدى الوعظ يسمع فى أغلب كنائس القطر .

مشكلة البابا كيرلس مع المجلس الملى : -

حدثت خلافات فى الرأى بين البابا كيرلس والمجلس الملى ،وناصر بطرس باشا غالى فكرة إجراء إنتخابات أعضاء المجلـــس الملـــى أن لا يعينـــوا مـــن قبـــل (البطريرك) رغم معارضة البطريرك ،وتم بالقوة إجراء إنتخابات ولم يعـــترف البابا بهذه النتيجة ولكن الخديو والحكومة أيّدوها وعارضوا البطريرك وتم تغيير فى لائحة المجلس بأن يرفع البابا من رئاسة المجلس وأن يقوم وكيـــل المجلـــس بعمل رئيس المجلس ولما فشلت مساعى البابا فى تنفيذ رأيه قبل وساطة بطـــرس باشا الذى نجح فى إعادة حق البطريرك فى إدارة ديوان البطريركيـــة وأوقـــاف الأديرة ولكن لما رفض أعضاء المجلس هذا الحل عاد الموقف للتأزم وتم تعييـــن أسقف صنبو رئيساً للمجلس الملى وفى هذا الوقت طلب لفيف من الكهنة والشعب إلى الحكومة إبعاد البطريرك إلى دير البراموس وإبعاد مطران الإسكندرية إلـــى دير الأنبا بولا وتم ذلك فى سنة ١٨٩٢ م وظلا خمسة أشهر .

ويذكر التاريخ أن أسقف صنبو عندما عين رئيساً للمجلس الملى ودخـــل ومعـــه الإيغومانوس إلى الكنيسة لصلاة القداس الإلهى شاعت الإرادة الإلهية أن يخطىء الأسقف ويقرأ إنجيل خيانة يهوذا الإسخريوطى كما وقعت الصنية من يده فتشاؤم الناس وإعتقدوا أن الله غير راضى عن المجلس وأعماله وتعطلت الشعائر الدينية والتهب الشعور المطالب بعودة البابا ورضخت الحكومة لمطالب الشعب وعـــاد البطريرك إلى مقر كرسيه معززاً مكرماً ، وبعد عودته بعشرة أيام جاء بطـــرس باشا لزيارته وبصحبته جميع المحرومين فإعترفوا بالخطـــأ وطلبـــوا الصفـــح فسامحهم البابا وحللهم من حرمهم ، كما صفح عن أسقف صنبو بل رقاه مطرانـاً وتم الإتفاق إلى إرجاع الإدارة إلى غبطة البطريرك ، على أن ينتدب أربعة مـــن أعضاء المجلس لمساعدته فى إدارة شئون الطائفة .

وطنيه البابا كيرلس الخامس :

اراد الانجليز كعادتهم ان يذروا بذور الفرقه والاختلاف بين عنصرى الامه فأرسلوا ما كانوا يسمونه آنذاك بالمندوب السامى الذى زار البابا كيرلس الخامس يساومه على حماية التاج البريطانى للاقليات فى مصر ، فما كان من البابا الوطنى العظيم الا ان انتهرة قائلا " يا ولدى ان الاقباط والمسلمين منذ اقدم العصور يعيشون جنبا الى جنب ، ففى البيت الواحد يتعايشون معا ، وفى المصلحة الواحدة يجلسون الى مكاتب مشتركه وفى غرفه واحدة يأكلون من ارض طيبة واحدة ويشربون من نيل واحد ، ويتلاحمون فى كل ظروف الحياة فى السراء معا وفى الدراء معا ولن يستطيعوا ان يستغنوا بعضهم عن بعض ولن نطلب حماية نحن الاقباط الا من الله ومن عرش مصر فخجل الرجل وابلغ حكومته بهذا الموقف الحكيم فعرف الانجليز ان الوحدة الوطنيه فى مصر قويه كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا

ومن هذا المنطلق لم يستطع " اللورد كرومر " فى ذلك الوقت الا ان يضمن تقريره هذه الشهادة التاريخية المشرفة قال " ان الفرق الوحيد بين القبطى والمسلم هو ان الاول مصرى يعبد الله فى كنيسة فى حين ان الثانى مصرى يعبد الله فى مسجد (هكذا شهد شاهد من اهلها والفضل ما شهدت به الاعداء) .

البابا كيرلس والمؤتمر القبطى سنة ١٩١١ م : -

عقد المؤتمر القبطى فى أسيوط سنة ١٩١١ م ليطلب من الحكومة مساواة الأقباط بالمسلمين فى كافة الحقوق المدنية والدينية فطلبت الحكومة من البطريرك أن يمنع هذا الإجتماع خشية حدوث حوادث فتنة طائفية فأصدر منشوراً يحرض فيه على إستعمال الحكمة والروية ، فرد عليه الأنبا مكاريوس مطران أسيوط بأنه يتعهد بعدم حدوث أى مكروه وعقد المؤتمر فى ميعاده والقيت ورفعت الإحتجاجات دون أى نتيجة تذكر . وفى عهدة تمت رسامة مطران للخرطوم وبنيت كنيسة كبرى بها وسبع كنائس أخرى . كما إهتم بأديرة الراهبات من الناحية الرهبانية والعمرانية .

نياحته : تنيح سنة ١٩٢٧ م .

٢ - الأنبا باسيليوس مطران القدس (١٨٥٦ - ١٨٩٩) : -

له سيرة عطرة ذكرت بالتفصيل فى كتاب مشاهير الأساقفة الذين أختيروا من رهبان دير القديس العظيم الأنبا أنطونيوس إعداد الراهب القمص أنطونيوس الأنطونى ويباع بدير الأنبا أنطونيوس .

٣ – الأنبا إبرآم أسقف الفيوم (١٨٨١م – ١٩١٤ م) : –

له سيرة عطرة شرحها القمص ميخائيل سعد فى كتابه عن الأنبا إبرآم ولكننا سوف نذكر بعض المواقف المضيئة فى حياته .

نشأته : – ولد سنة ١٨٢٩ م باسم بولس غبريال فى قرية دلجا مركز دير مواس محافظة المنيا .

رهبنته : ترهب باسم الراهب بولس غبريال الدلجاوى المحرقى .

سيامته مطران : سامه البابا كيرلس الخامس مطرانا على الفيوم سنة ١٨٨١ م .

أهم الحوادث والفضائل والمعجزات فى عصره نذكر أمثلة منها :

جاء إليه رجل فقير مسلم يطلب إحسانا منه لأن زوجته فى نفاس ولم يكن مع الأنبا إبرآم سوى جنيه واحد وأعطاه له ، ولما علم وكيل المطرانية ذلك (وكان شقيقه بالجسد) أسرع خلف الرجل وأخذ منه الجنيه وأعطاه ريالا ، فرجع الرجل إلى القديس وقص عليه ما حدث ، فعاتبه الأنبا إبرآم وأمره بإعطائه الجنيه ومعه الريال ، فلما تعلل الوكيل بأنه لا يوجد بدار الأسقفية أية أموال إلا هذا الجنية فلامه على عدم إيمانه ، وقال له عندما خرجنا من منزل أبينا المرحوم غبريال ماذا كنا نملك أليس كل هذا من خير المسيح ولإخوة المسيح ثم صرفه بغضب ، وسرعان ما وصل بالبريد حوالة وبوليصة بخيرات كثيرة فدعا الأنبا إبرآم الوكيل وقال له أنظر فإنحنى الوكيل وقال ، وهو أنا زيك " أنت ربنا أعطاك موهبة العطاء " ، وكان الأنبا إبرآم رجل صلاة ،وبواسطتها جرت على يديه آيات شفاء عديدة حتى ذاع إسمه فى جميع أنحاء القطر المصرى وبلغ بعض مدن أوربا أيضا فكان يقصده المرضى أفواجا على تباين ديانتهم فقد شفى إمرأة مسلمة من أسيوط من مرض الشلل كما رزقت إمرأة بولد بعد أن كانت عاقر بسبب صلواته كما أخرج شياطين من كثيرين (١)

٤ – الايغومانوس فيلوثاوس إبراهيم : –

ولد بمدينة طنطا سنة ١٨٣٧ م وعين قسيساً لطنطا سنة ١٨٦٣ م وقد برع فى الوعظ فذاعت شهرته فى انحاء مصر ، فإستدعاه البابا ديمتريوس الثانى لمرافقته فى رحلته بالوجه القبلى سنة ١٨٦٧ م فأظهر إقتداراً عظيماً فى الوعظ المرتجل وبراعة فى الدفاع عن العقائد الكنسية القبطية . وقد نبغ فى الوعظ حتى طبقت شهرته الإفاق ، ولم يقتصر نشاطه على طنطا فحسب بل إمتد من القدس الى السودان ، كما كرّمه البطريرك الأنطاكى . وفى سنة ١٨٧٤ م إنتخبه

---

(١) سيرة القديس الأنبا إبرآم (للقمص ميخائيل سعد) .

المجلس الملى راعياً للكاتدرائية المرقسية بالقاهرة ورئيساً لمدرسة الرهبان . وقد كان له أعمال عظيمة ومؤلفات كثيرة . وكان ينوب عن غبطة البطريرك " البابا كيرلس الخامس " فى مقابلة الحكام ، وكانوا يحبونه ويكرمونه لفصاحته وحسن إسلوبه وسعة إطلاعه ، وقد حصل على نياشين من الخديوى توفيق والخديوى عباس حلمى الثانى وكان أباطرة الحبشة يكرّمونه إكراماً عظيماً فكتب إليه النجاشى يوحنا سنة ١٨٨٢ م رسالة كلها تبجيل إستهلها بقوله :

إلى الأب المعظم مستقيم الرأى والضمير كنز الحكمة واسع العقل وطويل الروح الراعى والحافظ للأمانة الإسكندرية ، وطلب فيها صلواته ، كما وصله خطاب آخر سنة ١٨٩٩ م من النجاشى فيليك يطلب فيها كتبه لترجمتها إلى الأثيوبية كما يهديه نيشان النجمة .

ومن أروع الخطابات التى وصلت إليه ، رسالة كتبها أليه القديس الأنبا إبرآم أسقف الفيوم ، ورسالة أخرى من القمص القديس عبد المسيح المسعودى .

وقد تنيح بسلام سنة ١٩٠٤ م صلاته تكون معنا آمين .

٥ - القمص عبد المسيح المسعودى الكبير : -

له سيرة عطرة وتوجد فكرة مختصرة عنه فى كتاب (قصة الكنيسة القبطية - للدكتورة ايريس المصرى ص ١٠٩) جـ ٦

(٦) الشهيد منصور ملطى فى طنطا : -

يحكى مثلث الرحمات الأنبا يؤانس أسقف الغربية بأن المسلمون قاموا بإهداء نجفة فاخرة كبيرة للكنيسة ، كما قام المسيحيون بإهداء مسجد السيد البدوى نجفة مماثلة ويضيف نيافته بأن المظاهرات الوطنية سنة ١٩١٩م كانت تخرج من الكنيسة ومنها المظاهرة الكبرى يوم ١٢ مارس سنة ١٩١٩م التى اتجهت الى المسجد الأحمدى عن طريق شارع المديرية حيث أطلق جنود الإحتلال الرصاص على المتظاهرين وإستشهاد ثلاثة عشر شهيدا كان أولهم الشهيد منصور جرجس ملطى . وهذا يدل على وطنية الأقباط فى هذه الفترة

الباب الثامن عشر

الأقباط ما بين دستور سنة ١٩٢٣
وثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ م
" الفصل الأول "

عبرّ سعد زغلول عن الأوضاع الجديدة للعلاقة بين المسلمين والأقباط بموجب الدستور قائلاً أن الجميع يتمتع بحقوق واحدة وعليهم واجبات واحدة وأن جميع المصريين فى نظر القانون سواء وأن التقدم والترقى لا يناله إلا أقدر الرجال الذين يستحقونه عن جدارة وإستحقاق دون التمييز بين أحد وآخر . وقد إستمر برلمان الإئتلاف بين الوفد والأحرار حتى سنة ١٩٢٨ وبعد ما توفى سعد زغلول سنة ١٩٢٧ م وتكونت وزارة جديدة برئاسة عدلى يكن للإشراف على الإنتخابات التى جرت فى ٢١ أكتوبر سنة ١٩٢٩ م وقرر الأحرار مقاطعة هذه الإنتخابات وكسب فيها الوفد كسباً ساحقاً وكانت هذه المعركة الإنتخابية من أهم ما أثير فيه مسأله التفرقة والإثارة الطائفية وتذكية روح التعصب .

ويمكن تلخيص هذه الفترة فى الخطوط الآتية : -

أولا : كان أحد الخطوط الرئيسية لدعوى الأحرار أن القبط يسيطرون على الوفد ويعملون من خلاله على صبغ مصر بالصبغة القبطية وأن قادة الوفد المسلمين يستسلمون لفئة قليلة من القبط أو ماشابه ذلك وهكذا عمل حزب الأحرار على تحويل كافة القضايا السياسية المطروحة منها إلى قضية واحدة أوجدها وهى الصراع بين القبط ويمثلهم الوفد فى رأيهم وبين المسلمين ويعمل الأحرار على التحدث بإسمهم .

ثانياً : لما بدأت المعركة الإنتخابية أعلن الوفد عن مرشحيه فهاج الأحرار يعلنون أن القبط هم من أستبد بالترشيح على الرغم من أن المرشحين القبط لم تكن تزيد نسبتهم عن ١٠ % من عدد مقاعد مجلس النواب وأثاروا النعرة الطائفية فى كل دائرة رشح الوفد فيها قبطياً كما قام الأحرار بتوزيع منشورات صريحة تدعوا إلى التفرقة بين المسلمين والقبط .

ثالثاً : بالرغم من إنتهاء الإنتخابات بفوز الوفد وتشكيله لوزارته ، بقيت حملة الأحرار الدستوريين عليه وعلى القبط ، وزادت حدته ، مستخدمين عدة عناصر ووسائل للإثارة الدينية ضد القبط وحزب الوفد ، منها : -

+ الطراز الفرعونى لضريح سعد ، كما إدعوا أن الإسلام فى خطر ، وأن الهجوم عليه يشتد ، والقبط فى الوفد إما متملقون للدين أو مفسحون للطعن عليه والإستخفاف به ثم عملوا على تعبئة العواطف الدينية ودعوه رجال الدين الى التحرك ضد هذا الأمر الجليل .

رابعاً : – تعقب الأحرار الوزارة الوفدية عندما قررت إحالة الإستغناء عن عدد من كبار الموظفين المؤيدين للحكومة السابقة وهو إجراء تتخذه كل حكومة جديدة لتضمن تناسق الجهاز الإدارى مع سياستها لكن الأحرار عملوا على تفسير هذا الإجراء على أنه طرد للمسلمين وابقاء للقبط .

خامساً : – إرتقى الأحرار من الهجوم على سياسة الوفد فتجاوزوا الإثارة الدينية والعاطفية على المطالبة بصياغة مؤسسات الدولة وأجهزتها على اساس وجود أقلية وأكثرية دينيتين لا بالنسبة للتمثيل النسبى فى البرلمان فقط ولكن بالنسبة لأجهزة الدولة المختلفة مع محاولة لدفع دينى للدولة وبهذا حاول الأحرار أن يطرحوا من جديد مطلب التمثيل النسبى لا لكى يتبناه القبط ، كما كانت محاولة سنة ١٩٢٢ م ولكن كى يتبناه المسلمون ، وتحدثوا كثيرا عن أن حقوق الأغلبية مهضومة تلتهمها الأقلية .

دور الوفد ورده على هذه التهم الباطلة : –

كانت سياسة الوفد إزاء هجوم الأحرار هى ذاتها سياسته أيام سعد وفى حياته ، وكان النحاس سكرتير الوفد وكان مكرم عبيد مقربا من سعد زغلول وصار النحاس خليفة لسعد زغلول ومكرم سكرتيراً للوفد وقادة الوفد هم من المسلمين والأقباط . وقد دافع الوفد عن الدعاية الموجهة ضد القبط موضحاً ما يأتى : –

أ – عندما قال الأحرار أن حكومة الوفد أقالت " إستغنوا عن " كثيرا من كبار الموظفين ليس بينهم قبطى واحد عقبت جريدة مصر بأن السبب يرجع إلى عدم وجود مدير (محافظ) قبطى .

ب – كما سخر الجميع من محاولة الأحرار تحويل مسألة الطراز الفرعونى لضريح سعد إلى مسألة دينية .

جـ – كما واجه رجال الوفد ومرشحوه فى الإنتخابات الدعاية الدينية ضد القبط حيثما وجدت فى دوائر الأقاليم . وكانوا يوزعون المنشورات التى تواجه هذه الدعاية وتهاجم الأحرار .

د – ومن أهم ما يلفت النظر أن الوفد كان يواجه أى أثر من آثار التفرقة الدينية سواء كانت تمثل موقفا سياسيا لحزب معادٍ له ، أو يمثل موقفا فرديا من أحد المرشحين او الكتّاب أو غيرهم ، أو إثارة عصبية فى أية منطقة ، على أن هذا موقف ضد الوفد لا موقف ضد القبط .

وبإختصار شعر الأقباط بالولاء مثلهم فى ذلك مثل إخوانهم المسلمين ولمدة عشرين عاماً تقريباً كان الأقباط ككل ينتمون للوفد ، وكان مكرم عبيد الشخصية الفعلية المسيطرة علىالوفد ، وكلما كان نجم الوفد يسطع كلما زاد نصيب الأقباط

فى الوظائف الحكومية ، والمزايا التى تشعرهم بأنهم جزء من الكيـــان القومـــى للمجتمع يشاركون فى أعبائه وآلامه .

عودة النزعة الطائفية بين الحين والحين فى ظل أحزاب الاقلية :

من الثابت أن حكومات الآقليات كانت تحاول دائما إستغلال الاختلاف الدينى بين المسلم والقبطى فى إرضاء مصالح الاستعمار وفى إيجاد التفرقة بين المســـلمين والاقباط باتباع المثل القديم " فرق تسد " وأخيرا إرضاء الاكثرية المسلمة علـــى حسابات الاقلية فى التعيينات والترقيات والبعثات . وقد تكرر الاعتـــداء علـــى الدستور فى هذه الفترة ، ومن الغريب أن كل إعتداء على الدستور يقرن باســـاءة معاملة الاقباط بالحد من تعيينات الاقباط وترقياتهم ومن مظاهر هذه المظالم التي حاقت بالكنيسة والاقباط في هذه الفترة مثل :

١ – **مسألة الانسة جرترود**

ونشرت جريده المصرى تحت عنوان

آنسة مصرية من خريجات كليه العلوم تكشف معدن النيكل فى مصر

يقرر أستاذان منحها درجه الدكتوراه وكليه العلوم ترفض

الانسه جرترود لبيب نسيم اول انسة مصريه حصلت على درجه الماجستير فـــى الجيولوجيا من كليه العلوم بجامعة فؤاد الاول وقد نالت البكالوريوس فى العلـــوم والجيولوجيا فى عام ١٩٣٩ وحصلت على درجه الماجستير عـــام ١٩٤٣ وقـــد نشأت فى وسط علمي بحث واتاح لها ذلك ان تكون اول مـــن يكتشـــف معـــدن النيكل فى مصر .

رساله الماجستير :

وضعت الانسه جرترود رسالتها التى تقدمت بها الى كليه العلوم للحصول علـــى درجه الماجستير فى الجيولوجيا عن ابحاثها فى منجم نحاس قديم وعن اكتشـــافها معدن النيكل به .

ولما قرأ الاستاذ " ازدانسكى " استاذ الجيولوجيا فى كليه العلوم هـــذه الرســـاله أعجب بها غاية الاعجاب ووجد انها تصلح لان تحصل صاحبتها علـــى درجـــه الدكتوراه لا الماجستير ومن ثم نصح الانسه جرترود بأن تقسمها قسمين فتتقـــدم بالقسم الاول للحصول على درجه الماجستير ثم بعد ذلك تتقدم بالقســـم الثـــانى للحصول على درجه الدكتوراه .

رساله الدكتوراه : وفى يناير سنهة ١٩٤٦ تقدمت بالقسم الثانى من الرسالة بعـــد ان عدلته واضافت اليه زيادات بما جد فى نتائج ابحاثها للحصول علـــى درجـــه الدكتوراه واقر الاستاذ " ازدانكسى " الرساله وكما هو متبع ارسلت كليه العلوم

صورتين من الرساله الى استاذين خارجيين ليبديا رأيهما فيـها وهمـا الاسـتاذ هكلنج استاذ مادة الجيولوجيا فى جامعه نيوكاسل بانجلترا والاستاذ تيلى اسـتاذ الجيولوجيا فى جامعه كامبردج .

اختلاف فى الرأى : اما الاستاذ " هكلنج " فقد جاء فى تقريره ان الانسه صاحبة الرساله تستحق منح درجه الدكتوراه فى فلسفة الجيولوجيا .

واما الاستاذ تيلى فقد بدت له بعض نقط غامضة فى رساله الدكتوراه لانه لم يكن قرأ رساله الماجستير التى تعتبر رساله الدكتوراه متممه لموضوعها ولم ترسلها له كليه العلوم وكان مفروضا ان ترسلها اليه ومن اجل هـذا قـرر الاسـتاذان الرساله ناقصة .

لاول مرة فى كليه العلوم : كان المفروض طبيعيا بعد ذلك ان تمنح كليه العلـوم الانسه جرترود درجه الدكتوراه لان استاذين من الاساتذة الثلاثه الذين فحصـوا رسالتها قرروا منحها هذه الدرجه وهما استاذ مادة الجيولوجيا فى الكليه الاسـتاذ ازدانسكى والممتحن الخارجى الاستاذ هكلنج اسـتاذ الجيولوجيـا فـى جامعـه نيوكاسل ولكن لسبب ما ولاول مره فى تاريخ كليه العلوم بجامعـه فـؤاد الاول رأت هذه الكليه عدم استحقاق الانسه جرترود فى الحصول على درجه الدكتوراه

ترفع أمرها الى مجلس الدولة : وازاء ذلك لجأت الانسه جرترود الى مجلـس الدولة فرفعت قضية امام محكمة القضاء الادارى طالبة الحكم لها بحقـها فـى الحصول على هذه الدرجه وقررت اربع مرات ان تقدم كليه العلوم اليها تقـارير الاستاذه الممتحنين .

فى دوسيه الطالبة : واخيرا اضطرت المحكمة الـى تكليـف احـد حضـرات المستشارين من اعضائها بالانتقال الى كليه العلوم والاطـلاع علـى التقـارير المشار اليها ولكنه لم يجد سوى تقريرى الاستاذين " هيكلنج " و " ابتلى " .

الدكتور ازدانسكى يسجل شهاداته فى المحكمة : ولما علـم بذلـك الاسـتاذ " ازدانسكى " ثار وغضب وكتب تقريرا بشهاداته وسجله كما سجل توقيعه عليـه فى المحكمة .

قضية ثانية : ورأت الانسه ان تتقدم برساله جديـده للحصـول علـى درجـه الدكتوراه فى العلوم وهى درجه لم يتقدم احد بعد للحصول عليها مـن خريجـى كليه العلوم فى مصر فى علم الجيولوجيا .

وقد تقدمت الطالبة الى كليه العلوم بطلب السماح لها باجراء بعـض الابحـاث والتجارب الخاصه باعداد رسالتها الجديدة فى معامل الكلية . وارفقـت طلبـها بشيك بالرسوم المقرره لذلك وهذا حق كل طالب وطالبة ولكن الكلية ردت عليها برفض طلبها .

ضم القضيتين : ولما كان هذا الرفض امرا مخالفا لقانون الجامعه ولائحة كليه العلوم ولما جرت عليه التقاليد المعملية فقد بادرت الطالبة برفع قضية على الكلية امام محكمة القضاء الادارى وقررت المحكمة ضم هذه القضية الى القضية الاخرى .وتترقب الاوساط العلمية ببالغ الاهتمام كلمه القضاء فى هاتين القضيتين فى الدورة القضائية القادمة . " كتاب فرق تسد د . زغيب ميخائيل "

٢ - الشهادات الطبية من الاطباء المسلمين فقط

من العجيب ان وزاره العدل اصدرت فى سنه ١٩٣١ منشورا تنص فيه على انه يجب ان تكون الشهادات الطبية المقبولة فى القضايا الشرعية من طبيب مسلم ولا تقبل من طبيب مسيحى . وهكذا نرى ان الوزاره بذرت بذور التفرقه الدينيه بصفه رسميه منذ سبعين عاما .

٣ - التفرقه فى وضع الدرجات والتعينات الجامعية :

ومن مظاهر الانحلال الخلقى التى اخذت تتفشى بين بعض الاساتذة فى اغلب كليات الجامعة فى السنوات الاخيرة وهى اكبر معقل للعلم واعلى منارة للعرفان ما يأتى :

أ - التفرقه فى وضع درجات الامتحان حسب الاسم والدين خصوصا فى الامتحانات العمليه والشفوية

ب - بل لقد بلغ الحال ان مصرى مسئول فى كليه الطب بالقصر العينى لجأ الى استاذ انجليزى فى كليه الطب بجامعه فؤاد الاول وطلب منه فى ذله وضراعة ان لا ينجح احدا من الاطباء الاقباط الذين يتقدمون امامه فى امتحانات الدراسات العليا فكان جواب الاستاذ الانجليزى " اكتبوا لى رسميا بهذا فأنظر فى الامر " " كتاب فرق تسد د . زغيب ميخائيل "

٤ - مصرع النبوغ :

عاد الى ارض الوطن فى الاسبوع الماضى اوائل خريجى كليات الطب المصريه بعد زيارة فرنسا فى رحلة نظمتها لهم شركة " روسل " لزيارة معاملها الكيماوية ومصانع الادوية وقد امضى الاطباء المصريون اياما فى ضيافة الشركه نقلتهم بالطائرات ذهابا وايابا على حسابهم واستضافتهم فى احسن الفنادق واقامت لهم افخم المآدب والحفلات حتى فى القاهرة عاصمة وطنهم استضفاتهم الشركه الفرنسية فحجزت لهم جناحا محترما امضو فيه ليلة وصولهم ولم يفتها ان تتصل تليفونيا من حين لآخر بأسر الاطباء لتطمئنهم عليهم .

هذه معاملة كريمه تليق بأوائل الاطباء المتخرجين فماذا كانت معامله وطنهم له؟ وعلى ايه صوره استقبلم المسئولين ؟

لقد ذهب احد المحتفل بهم على الفور الى حيث انتدب طبيبا عاديا مغمورا فـــى قريه صغيرة اسمها نكلا فى مديريه الجيزة وهذا الطبيب هو الدكتور (عزمـــى طوبيا حَنا) وكان الاول فى كليه الطب بجامعه فـــاروق فـــى العـــام المـــاضى وحصل على اعلى الدرجات النهائية فى جميع كليات الطب منذ انشائها حتى انـه فاق اول خريجى طب جامعه فؤاد بنحو ٧٠ درجه .
وكان الطبيب النابغة قد امضى فترة الامتياز بامتياز ثم قدم طلبا للالتحاق نائبـــا بقسم الجراحة كما جرت العادة ولكن طلبه لم يقبـــل وفضلـــت الجامعـــه عليـــه الخامس والسادس من نفس الدفعه ولعلك تدهش اذ تعرف ان الفرق بين الدكتـــور عزمى وبين السادس فى فرقته ٢٥٠ درجه أليس عجيبـــــا ان الاول لـــم يقبـــل ويفضل عليه السادس وما كنت احب اقول ان اسم السادس ليس حنا او جرجـــس او ما يمت الى هذه الاسماء بصله او نسب او دين .
نعم ما كنت أحب ان اشير الى هذه التفرقه البغيضة بين الشباب النابغين أليســـت تكسر نفس هذا الطالب الناشئ المجد وتقتل فيه وفى زملائه روح الاقدام والتفوق والنبوغ .
انكم يا سادة لا تسيئون الى واحد او اكثر من ابناء هـــذا الوطـــن النابـــهين ولا ترقون على اكتافهم بقدر ما تكون اساءتكم موجهة الى اخلاق ابنائه فى الصميـــم وبقدر ما يكون ارتقائكم على انقاض الوحدة واشـــلاء النبـــوغ فـــأتقوا الله فـــى انسانيتكم وفى وطنكم قبل ان تتفوه فى اخوانكم ومواطنيكم ! ؟؟
واضيف الى هذا ان أمثال هذه التصرفات بتفضيل المتأخرين واقصاء النـــــابغين كثيره ومتعدده وباشكال مختلفة فى معظم الكليات والجامعات المصرية أليس هذا يدعوا الى انحطاط مستوى هيئة التدريس فى الكليات .
والعجيب لما اغلق هذا الباب فى وجوه الاطباء الاقباط ســـافر المقتدريـــن الـــى انجلترا على حسابهم الخاص وحصلوا على اعلى الدرجات الطبية هنـــاك التـــى تؤهلم للحصول على كراسى الاستاذية فى القصر العينى كما هى العادة . ولكنهم فوجئوا وقد اجتمع مجلس ادارة كليه الطب وقرر عدم قبول احد منهم بين هيئـــة التدريس بها مهما كان حاصلا على ارفع الدرجات الطبية من الخـــارج وهكـــذا اغلق حضرات الاستاذة المثقفون آخر باب كان يمكن لزملائهم الاقباط الولـــوج منه الى كليه الطب بينما هم انفسهم لم يعينوا فى وظائفهم هذه الا لحصولهم على الدرجات الطبية التى حصل عليها زملائهم المغضـــوب عليـــهم او ربمـــا لـــم يستطيعوا الحصول على هذه الدرجات العليا - وفى الوقت نفسه حرموا الكليـــة من الانتفاع بعشرات الاطباء ضمن هيئة التدريس واجرموا فى حق الوطن .
(جريدة مصر اول ابريل ١٩٥٠)

٥ – الشئون الدينية للاقباط يتولاها مسلم :

ومن الامور التى هى اغرب واوجع ذلك ان الشئون الدينية للاقباط التابعه لوكاله الشئون الدينيه برئاسة مجلس الوزراء ومديرها (فى ذلك الوقت) فضيلة الشيخ محمد البنا – لاشك ان فى هذا من التناقض مالا يتفق مع ابسط قواعد اللياقه فهذه شئون دينية قبطية – وهذا أحد الائمة المسلمين ولايصح بحال ان توكل اليه تلك الشئون حتى لا يضطر احبار الاقباط ورؤسائهم الدينيون الى الوقوف عند عتباته والتماس الرجاء والمنه فى شئون الكنائس التى لم يصدر بعد التصريح باقامه الشعائر الدينية فيها وفى مسائل التعليم الدينى للتلاميذ الاقباط وغير ذلك من الشئون الدينية الخاصه بهم خصوصا وان تلك الادارة لا تضم قبطيا واحدا حتى يمكن الاستناد برأية فى مثل تلك المسائل الخاصه " كتاب فرق تسد د . نجيب ميخائيل ص ١٠٢ "

٦ – اكراه فتاتين من النصارى للاسلام بديروط و المنيا :

نشرت جريده مصر بتاريخ ١٩ يونيو سنهة ١٩٥٠ " حاول رجل من اعيان ديروط ان يستخدم قوته ونفوذه فى اكراه فتاتين يتيمتين قبطيتين تشتغلان عنده على اعتناق الاسلام وتزويجهما من شابين محبوبين لديه وقد استخدم فى تمثيل هذه المأساة كل ما وسعته حيلته ورجعيته حتى انه عمد الى محو علامه الصليب من ايديهما ثم وجد من بعض رجال الادارة والبوليس فى المنيا وفى ديروط وبنى محمد سلطان وغيرها ما يعينه على اتمام مآساته التى لم يسمع بمثلها وقد اضطرت ام الابنتين وهى تقيم فى المنيا الى رد ابنتهما المذكورتين فوقف الوجيه ومن معه فى سبيلها ولكن الفتاتين هربتا ولجآتا اليها ثم اضطرتها الحال الى ان تلجأ لمنزل موكلها الاستاذ بشرى مجلى المحامى فهدده نائب عمدة بنى محمد سلطان وغيره بأخذ الفتاتين بالقوة فهربتا وهما الان يهيمان على وجهيهما حتى لا يغيرا دينهما بالقوه والاكراه وقد كتبت امها كتابا الى صاحب النيافه مطران المنيا فتدخل فى المسألة تدخلا رسميا وابلغ الجهات المختصه وكان من جراء هذا التدخل ان اخلى سبيل الام وكانت محجوزة فى نقطة بنى محمد سلطان التى تقيم بها ولكن اقرباء الاستاذ بشرى مجلى لم ينجوا من نصيبهم فى التنكيل اذ سحب المسؤولون ارقام اللوريات المملوكه لصهره لبيب افندى الدليل وتعطلت اعمال مقاولاته فى ديروط التى يلتزم بها لحساب وزاره الاشغال .

٧ – موضوع بناء الكنائس والخط الهمايونى والشروط العشرة :

صدر فى فبراير سنة ١٩٣٤ م أيام وزارة عبد الفتاح يحيى باشا منشور خاص براغبى بناء الكنائس والحصول على ترخيص بذلك خاضع لشروط مجحفة لا يتفق مع الدستور الذى يكفل حرية العقيدة والذى ساوى بين جميع المصريين فى الحقوق والواجبات(١) . وهو منشور باطل لانه صادر من موظف عمومى (وكيل وزارة بالداخلية) لا يملك سلطة التشريع ومن الغريب أن تلجأ الوزارة حديثا فى إجابة رسمية على سؤال لاحد أعضاء مجلس الشعب فى هذا الشأن الى المغالطة فتتذكر أن الاذن الذى يجب أن تحصل عليه البطريركية لبناء كنيسة ما يعود الى أيام السيادة التركية 'إذ نص عليه (خط همايونى) الصادر فى سنة ١٨٥٦ م من أجل حقوق المسيحيين من رعايا الدولة . فمصر تملك شخصيتها المستقلة منذ إتفاقيتى " لندن " الذين عقدهما محمد على باشا ولم تكن القوانين التركية تسرى على مصر فى قليل أوكثير مطلقا كما أن الخط الهمايونى لم ينص على شىء من هذا مطلقاً كما رأينا سابقا ، وكما سنفهم فيما بعد . وتوالت القرارات والسياسات التى تتبعها احزاب الاقلية فى محاولة منها لهدم الوفد وذلك بالتفريق والتمييز بين الاقباط والمسلمين فى المدارس والوظائف والتعيينات الادارية والحكومية والعسكرية ، مما سبب شعور الاقباط ان الجهاد السياسى اصبح ملوثا ، فانصرفوا عنه واضرب معظمهم عن الاشتراك فى الانتخابات .

وقبل الدخول فى تفاصيل الشروط العشر ينبغى ان نعرف ملخص ما أورده الخط الهمايونى من نقاط جوهرية :

١ – اعتماد كافة الحقوق التى نصت عليها قوانين سابقة خاصة بالمسيحيين وأهمها حكم أنفسهم فى سائر الأحوال الشخصية لارتباطها بالعقيدة الدينية .

٢ – تشكيل مجالس ملية مكونة من رجال دين وعلمانيين لإدارة المصالح الملية المختصة بحماية المسيحيين والفصل فى أحكامهم الشخصية .

٣ – طلب بناء الكنائس يقدم من الأب البطريرك للباب العالى وتصدر رخصة ببنائها .

٤ – لا يمنع أحد من إجراء فرائض ديانته ويلقى من جراء ذلك جورا أو أذية ولا يجيز أحد على ترك دينه وتؤخذ التدابير الازمة القوية لأجل تأمين اهل مذهب واحد مهما بلغ عددهم ليجروا مذهبهم بكل حرية .

---

(٢)الاقباط فى الحياة السياسية المصرية د سميرة بحر

٥ – المساواة فى الوظائف بين المسيحيين والمسلمين .
٦ – الخدمة العسكرية واجبة على المسيحى كما هى واجبة على المسلم .
٧ – تزال كلية من المحررات الديوانية جميع التعبيرات والألفاظ والتميزات التى تتضمن الإساءة إلى فئة من الناس بسبب المذهب أو اللسان أو الجنسية ويمنع قانونا استعمال كل نوع تعريف وتوصيف يوجب العار أو يمس الناموس سواء أكان ذلك بين أفراد الناس أو من طرف رجال الإداريين .

ويهمنا فى هذا المجال أن نشير إلى ما جاء بالخط الهمايونى خاصا ببناء الكنائس والقرار الوزارى الذى أورد مايسمى بالشروط العشرة لبناء الكنائس لخطورة أهميتها .

بناء الكنائس والشروط العشرة : –

فى شهر فبراير ١٩٣٤ م أصدر القربى باشا وكيل وزارة الداخلية شروطا عشرة للتصريح ببناء الكنائس يحتم فيها استيفاء البيانات التالية :

الشروط العشرة :

١ – هل الأرض المرغوب بناء الكنيسة عليها هى من أرض الفضاء أو الزراعة ، وهل هى مملوكة للطالب أم لا ، مع بحث الملكية من أنها ثابتة ثبوتا كافيا وترفق أيضا مستندات الملكية .
٢ – ماهى مقادير أبعاد النقطة المراد بناء الكنيسة عليها عن المساجد والأضرحة الموجودة بالناحية ؟

٣ – إذا كانت النقطة المذكورة من أرض الفضاء هل هى وسط أماكن المسلمين أو المسيحيين ؟

٤ – إذا كانت بين مساكن المسلمين فهل لا يوجد مانع من بنائها .

٥ – هل يوجد للطائفة المذكورة كنيسة بهذه البلدة خلاف المطلوب بناؤها ؟

٦ – إن لم يكن بها كنائس فى مقدار المسافة بين البلد وبين اقرب كنيسة لهذه الطائفة بالبلدة المجاورة ؟

٧ – ما هو عدد أفراد الطائفة المذكورة الموجودين بهذه البلدة ؟

٨ - إذا تبين أن المكان المراد بناء كنيسة عليه قريب من جسور النيل والترع والمنافع العامة بمصلحة الرى فتؤخذ رأى تفتيش الرى وكذا إذا كانت قريبة من خطوط السكة الحديد ومبانيها فيؤخذ رأى المصلحة المختصة .

٩ - يعمل محضر رسمى عن هذه التحريات ويبين فيه ما يجاور النقطة المراد انشاء الكنيسة عليها من المحلات السارية عليها لائحة المحلات العمومية والمسافة بين تلك النقطة وكل محل من هذا القبيل ويبعث به إلى الوزارة .

١٠ - يجب على الطالب أن يقدم مع طلبه رسما عمليا بمقاس واحد فى الألف يوقع عليه من الرئيس الدينى العام للطائفة ومن المهندس الذى له خبرة عن الموقع المراد بناء الكنيسة به وعلى الجهة المنوطة بالتحريات أن تتحقق من صحتها وأن تؤشر عليها بذلك وتقدمها مع أوراق التحريات .

والمغالطات فى هذا السياق هى :

١ - أن الخط الهمايونى كان بالفعل إطارا دستوريا ، ولكن للخلافة العثمانية بأسرها . وقد سقطت هذه الخلافة ، وتغير دستور تركيا ذاتها ، فكيف نصر على اعتماد مبادىء دستورية لدولة لم تعد قائمة ، وبلادنا بدورها لم تعد ولاية فى إمبراطوريتها ؟

٢ - فرمان الخط الهمايونى ليس مقتصرا على بناء الكنائس والمعابد ، بل هو رؤية اكثر شمولا لوضع من يسميهم البعض بالأقليات فى الدولة والمجتمع ، فلماذا تم اختزال الخط الهمايونى المذكور إلى مجرد شروط عشرة لبناء الكنائس؟

٣ ـ ان هذه الشروط تنقض اهم ما جاء في فرمان السلطان عبدالحميد من مساواة فى الحقوق والواجبات بين جميع المواطنين امام القانون
٤ ـ منشور الشروط العشرة منشور باطل لانه صادر من موظف عمومى (وكيل وزاره الداخليه) لايملك سلطة التشريع

ملاحظات حول الشروط العشرة لبناء الكنائس :

الشروط العشرة او الاغلال العشرة التى وضعت فى عنق مشروعات بناء الكنائس فى بعض عهود حكم الاقليات السياسية فى مصر :
١ ـ بهذه الشروط اعتبرت اماكن العبادة ضمن المحال المقلقة للراحة والخطرة المنصوص عليها فى لوائح الحكومه بل انها اشد منها وأعسر .
٢ ـ انها شروط تعسفية الغرض منها التعجيز ومنع بناء الكنائس وان لم يكن فالمماطلة وتضيع الوقت والمضايقة للقائمين بمشروع بناء الكنيسة لعلهم يزهقون ويعدلون عن بنائها لاشى يفهم من شروط سخيفه كهذة لا مثيل لها فى اى بلد من بلاد العالم .
٣ ـ ما شأن مصلحة الرى ومصلحة السكة الحديد فى بناء الكنائس .

٤ - لماذا كل هذه الابعاد العديده المطلوب اثباتها بين الكنيسة وبين المساجد والاضرحه والمحلات العموميه .. الخ .
٥ - ما معنى الشرط الثالث عن وجود الكنيسة وسط اماكن المسلمين او المسيحيين ؟ هل تريد الحكومه ان تظهر ابناء البلد الواحد متفرقين وقد جمعهم الله فى وطن واحد متجاورين فى المساكن والمصالح ؟
٦ - واغرب من هذه الشرط الخامس فهو يسأل عن وجود كنيسة اخرى للطائفه بالبلدة وكأن تعدد الكنائس شرط يجب منعه وهذا الشرط لا وجود له فى طلب الترخيص بفتح خمارة او مرقص (ملهى ليلى) .
٧ - اما الشرط السابع فيسأل عن عدد افراد الطائفه المذكورة فى البلدة وهو شرط اشد غرابه من سابقيه فكأنه لا حق لفئة قليلة فى التعبد والصلاة وسماع الوعظ والارشاد وهو ما لم تسمع به الا فى مصر فقد قرأنا فى الجرائد ان الحكومه اليابانية - وهى حكومه لا تدين بدين سماوى - صرحت ببناء مسجد للمسلمين فى احدى مدنها بينما عددهم لا يتجاوز المائه نسمه .
" كتاب فرق تسد د . زغيب ميخائيل ص ٨٥ "

ومن أعجب الامثلة لعودة سيادة النعرة الدينية والمظالم التى حاقت بالكنيسة فى هذه الفترة

أ - ما حدث سنة ١٩٤٠ حينما صدر قرار وزارى يمنع المدرسين الاقباط من تدريس اللغة العربية حتى وإن كانوا متخرجين فى قسم اللغة العربية لكلية الاداب فدفعوا بعدد كبير منهم الى التعطل دون ذنب ما سوى قبطيتهم .
ب - بالاضافة الى ذلك ما حدث فى شهر مارس سنة ١٩٥٠ إذ صدر قرار بندب مدير مسلم للمتحف القبطى ، على الرغم أن ذلك يخالف المرسوم بقانون رقم ١٤ لسنة ١٩٣١ الخاص بالحاق المتحف القبطى الى أملاك الدولة (١) .

ج - ظهور جمعية الاخوان المسلمين ونشاطها الاجرامى الانفصالى التهدمى :

جاء فى جريده مصر بتاريخ ٩ ابريل سنه ١٩٤٧ ان منذ زمن غير قليل لاحظ الحزب تكوين جمعيه الاخوان المسلمين ثم ربيبتها " شباب محمد " وهى جمعيه فاشستية النظم والهدف وسيلتها التفرقه بين عناصر الامة واهدار المساواه فيها واضطهاد الاقليات المصرية بحجة الغيرة على الدين الاسلامى .. ومن برامجهم ان ثروة البلاد ومرافقها ملك للمسلمين ومن حقهم وحدهم .. كما ان من واجبهم ان يدعوا الاقباط الى احدى ثلاث " الاسلام أو الجزية أو القتل"

---

(١) المسيحيون والقومية المصرية " د . زاهر رياض " ص ١٧٧ .

كما ان الشرط السادس من برنامج جمعيه " شباب مصر " يقول انه ينبغى على العضو ان يقاطع كليه ماهو غير اسلامى من مأكل ومشرب وملبس " والا تعامل الا مسلما " ودعوتهم الى استعمال القوة لتحيق الاغراض الفاشية المنافية لحقوق الانسان والدساتير والقوانين الدولية .

وسارت الجماعة فى تنفيذ برنامجها الذى يدعو الى التفرقه بين عنصرى الامه والحض على كراهية الاقباط . ومن الادلة على ذلك ما جاء بجريده مصر بتاريخ ٣ مايو سنه ١٩٤٧ " عمد جماعة الاخوان الى اقامة حفل منذ يومين امام كنيسة مارجرجس بشبرا وسلطت مكبرات الصوت على الكنيسة واخذ خطيب الحفل وهو من جماعة الاخوان المسلمين يلقى خطابا موضوعه " غدا ينصف المسلمون " قال فيه " غدا تؤول شركه الترام الى المسلمين فتطرد منها جميع الاقباط "وغدا يشترى المسلمون شركه المياه فلا تترك فيها قبطيا واحدا وغدا يسيطر المسلمون على جميع الشركات فلا يبقى فيها قبطى واحد الخ "

فماذا فعلت الحكومه لمقاومة هذه الروح الداعية الى الحض على كراهية الاقباط والعمل على تفرقه الامه وتمزيق وحدتها ، لاشئ لانها هى نفسها تعمل مثل هذا فى دواوينها ومصالحها ووزاراتها وما هذه الدعايه الا ترديد لصدى ما تفعله .

واستطرادا لما سبق فقد خطب امام جامع اولاد عنان فى المصلين يوم الجمعة داعيا الى كراهية الاقباط (جريده مصر بتاريخ ٢٦ ابريل ١٩٤٧)

وفى يوم ٢٦ ابريل سنهة ١٩٤٧ وزع نداء من المدعو حسن احمد فايد امام وخطيب مسجد الشيخ سلطان بالدوير يحض المسلمين فيها على " اجتناب اعداء الله فى عيدهم ولا تحتفلوا بيوم شم النسيم فلا تشاركوا النصارى فى هذا اليوم ولاتدخلوا على المشركين فى كنائسهم يوم عيدهم فان السخط ينزل عليهم لان هذا اليوم ينزل فيه السخط والغضب من الله على اليهود والنصارى لعصيانهم له ومن عمل مثلهم وشاركهم فى اثمهم استحق لعنه الله والملائكه والناس اجمعين .

جماعة الاخوان المسلمين وأعمال العنف الطائفى:

بعدما بدأت الجماعة فى تفتيت وحدة الامه بالمنشورات والعظات الجارحه والخطب والمقالات الهدامه جاء دور العمل العنيف ومن امثلة ذلك :

١ - حريق كنيسة الزقازيق :

نشرت جريده الاخوان صباح ٢٧ مارس سنه ١٩٤٧ نبأ مختلقا عن اعتداء موهوم حصل من الاقباط على الدين الاسلامى ثم ظهر مقال فى جريده البلاغ مساء اليوم نفسه تحت عنوان " مأساه داميه " بامضاء احمد الشرباصى وهو مدرس بمعهد الزقازيق الدينى وفيها حض على كراهية الاقباط والتشهير بهم وقد سبق هذا اعتداءات مثبوته فى القضيتين ١١١١ ، ١٥٥٥ سنة ١٩٤٦ .

وصف حادث حريق كنيسة الزقازيق :

نقلا عن جريده مصر فى ٢٧ مارس سنه ١٩٤٧ " كانت الليلـــه معـــدة لعظـــة تسمعها سيدات الاقباط عن الفداء - فداء الاخره بالدنيا وفـــداء الوطـــن بـــالنفس والمال فاذا بهن محاطات بالجماهير الصاخبة ثم محاطات بالنار المندلعة - وبادر جيران الكنيسة بالقاء السلالم الخشبية فارتقينها ونجون .

وانتهت فرقه الهجوم فى تأديه رسالتها بنهب ما لم تستهلكه النـــار مـــن كنيســـة مقدسة ..الخ ثم انتظمت مظاهره اخترقت جميع الشوارع الرئيسية فـــى المدينـــه وكانوا يهتفون هتافات عدائية ضد المسيحية (اليوم يوم الصهيونيه وغـــدا يـــوم المسيحية اليوم يوم السبت وغدا يوم الاحد (جريده مصـــــر ١٩ ابريـــل ســـنه ١٩٤٧) وكل هذا يحدث تحت سمع رجال البوليس والادارة فماذا فعلوا ؟ وعلـــى من قبضوا او من حاكموا وعاقبوا ؟ ؟ لا احد!

٢ - كنيسة الحضرة بالاسكندرية :

وفى شهر ابريل سنه ١٩٤٧ وقع حادث حريق مماثل فـــــى الكنيســـة القبطيـــة بالحضرة بالاسكندرية والفاعل مجهول أيضا .

٣ - محاولة احراق كنيسة ميت دمسيس :

وبعد هذه الرسميات الحكوميه لاغرابه فى حدوث حوادث فردية من العامـــــة او حتى من الخاصه تحت سمع المسؤلون وبصرهم فقد عانى الاقباط سواء منـــــهم اهالى ميت دمسيس ام الزائرون لكنيسة ماجرجس بها بعد اكتشاف القبر الـــــذى زعم بعضهم انه لابى بكر الصديق فكذبته مصلحة الاثار العربية .

وقد نشرت بعضه جريده مصر - من اهانه وصلب ونهب وتهديد واغراء وتـــرك الدين الخ حتى بلغ هذا العدوان ضد محاولة احراق الكنيسة الاثريه بها (الاهرام ٢٠ ابريل سنة ١٩٥٠)

٤ - **وفى ٤ يناير وقعت حادثه احراق الكنيسة القبطية بالسويس** وكانت حادثه مشئومه بشعه نتج عنها وفاه عدد من الاقباط على نحو يتسم بأقصى قـــدر مـــن البربرية حيث تم حرق بعض المسيحيين والقوا بهم محترقين فى الطرقـــات ثـــم القائهم فى الكنيسة واشعال النار فيها وكان ارتكاب الاخـــوان المســـلمين لـــهذه الجريمه التى أفلتت من العقاب على مرآى ومسمع من الســـلطات وكـــان ذنـــب الضحايا الوحيد انهم مسيحيون (كتاب فرق تسد زغيب ميخائيل) ملحق رقم ٢

نتائج غريبه حقا :

بعد كل هذه الحوادث والامور المؤسفة نجد فى ٢٧ ابريل سنه ١٩٤٧ نشـــــرت جريده مصر ان دوله ابراهيم عبدالهادى باشا رئيس الديوان الملكى صرح بمـــــا يلى " ان الحكومه ستكون معهم (الاخوان المسلمين) على احسن حـــــــال

وتساعدهم على اعمالهم ونشر دعوتهم وما دعوتهم الا الخراب والدمار والتفرقه والانقسام

جماعة الاخوان المسلمين واستمرار حوادث العنف والعدوان :

ليس هناك ادل على صدق هذا القول فى بقاء روح تلك الجماعة متسلطا على العامه رغما عن حلها ومحاكمة المجرمين من اعضائها فما نسمع بحدوثه حتى الان فى كل جهة يؤيد ذلك ومن امثلته مايأتى :

١ - مدينه بورسعيد :

حدث فى مدينه بورسعيد ونشر فى مجلة المنارة المصريه بتاريخ ٨ مايو سنه ١٩٥٠ استحضر جماعة من اهالى بورسعيد صندوقا من الخشب مثل صناديق الموتى ورفعوا عليه صليبا ووضعوه على عربه يجرها اثنان من الخيول ووضعوا على الخيل ملابس سوداء وكذا البسوا شخصا عمامه سوداء ووضعوا فى يده صليبا من الحديد وسار امام العربة وطافوا فى اهم شوارع المدينه وكانوا يهتفون " مات الكلب فإلى النار " وكان ذلك على مسمع من رجال البوليس " وهناك انزلوا النعش خارج البلد وصلى عليه القسيس المصطنع ودقوا جرسا من قطعة حديد وبعد الصلاة صبوا على النعش بترولا واحرقوه على مشهد من نظارة كثيرين .

٢ - توفى المرحوم بطرس يوسف حنا بمدينه بورسعيد وشيعت جنازته فى يوم ٢٦ ابريل فى الساعه الحاديه عشر صباحا من الكنيسة فهجم على الجنازة جمع من الشبان وحاولوا خطف الصليب من حامله فأمسكه المسلمون المشيعون للجنازة وسلموه للجندى رقم ١٤٢٧٥ وبعد ذلك هاجم الجنازة جماعة اخرى وطاردوا المشيعين واخذوا يسبونهم فى دينهم الامر الذى عطل سير الجنازة وأوقف العربة ولولا استعمال الحكمة لحدث مالا تحمد عقباه .

٣ - **وفى مصر القديمة** : حدثت ان رسمت صور القسيس والكنائس بطريقه مثيرة كما حدثت محاولات الاعتداء على احدى الكنائس (الجريده اليوميه ١٩ مايو ١٩٥٠)

بالاضافه الى حوادث عنف كثيرة فى بنها والقاهرة وبعض المدن فى الصعيد (كتاب فرق تسد ص ١٢٣ د . زغيب ميخائيل)

٤ - تهديد اقباط فرشوط :

وصلت الى الدوائر المسئولة فى وزاره الداخليه والدار البطريركيه تلغرافات من اقباط فرشوط يشكون فيها من اعتداءات خطيرة وقعت بهم وقالوا فى بعضها

انهم يلتزمون بيوتهم خشية الاعتداء وليست حوادث فرشوط بالاولى فقد وقعت حوادث سابقة آثرنا السكوت عليها اعتقادا بأن العاصفه ستمر .

" أما الان وبعد تكرار هذه الحوادث نرى من حق الاقباط ان يسألوا عن الاجراءات الحازمة التى ستتخذها وزاره الداخليه لتأمينهم من الاعتداء " الجريده اليوميه ٣٠ مايو سنه ١٩٥٠ .

موضوع بناء الكنائس وترميمها :

١ - كنيسة كفر الشيخ :

طلبت الجمعية القبطية بكفر الشيخ فى سنه ١٩٣٦ قطعه ارض من املاك الحكومه لبناء كنيسة عليها فتحركت مصلحة الاملاك فى آخر سنة ١٩٤٠ طالبة جمع مبلغ ٦٠٠ جنيه فلما جمع المبلغ واستوفت الجمعية كل الشروط قدم طعن بأن عدد الاقباط قليل ثم طعن آخر بأن انشاء الكنيسة يهدد الامن العام وطعن ثالث بأن كنيسة سخا قريبة من كفر الشيخ فلا داع لبناء كنيسة اخرى وهكذا ! حرم الاقباط فى هذه الفتره من الصلاة فى كنيسة أليس هذا ظلما وعجبا (كتاب فرق تسد د . زغيب ميخائيل ص ٨٧)

٢ - كنيسة كفر شِشتا

ليس هناك أغرب ما ذكر عن سعادة بدوى باشا خليفه وكيل وزاره الداخليه انه سنة ١٩٤٧ صرح باقامة الصلاة فى كنيسة ششتا الممنوع اقامة الشعائر الدينية فيها منذ سنتين وذلك لمدة ساعتين فقط ليلة العيد ثم تغلق بعد ذلك يحدث هذا بينما نقرأ ان وزاره الداخليه اصدرت قرارا قابلا للتجديد مثنى وثلاث بوقف تنفيذ الامر الصادر من محافظة مصر باغلاق المحلات العامه لبيع الخمور فى بعض الشوارع .

كنيسة تغلق ولا تفتح الا ليلة العيد ولمدة ساعتين اما محلات الخمور فتفتح بقرار وزارى وتجدد مدتها كلما نفذت .

هل يمكن ان يجعل شئ مثل هذا فى بلد آخر من بلاد العالم غير مصر ؟

(جريده مصر ٢ أبريل سنه ١٩٤٧)

٣ - مأساة كنيسة بورفؤاد :

اما مسألة كنيسة بورفؤاد فمأساه كبيرة دفعنا الى نشر ما كتب عنها فى مجلة المنارة المصريه فى ٨ ، ١٥ مايو سنه ١٩٥٠

رفع الاستاذ رمسيس جبراوى المحامى الى محكمة القضاء الادارى القضيه رقم ٢٦٩ سنه رابعة قضائية ننشر فيما يلى عريضتها بالنسبة لانها الاولى من نوعها حضرة صاحب السعادة رئيس محكمة القضاء الادارى بمجلس الدولة مقدمه لسعادتكم فهمى صموئيل افندى بصفته رئيس الجمعية الخيرية القبطية

الارثوذكسية بمدينه بور فؤاد ... اتشرف بعرض الاتى ضـــد حضـــرة مديـــر مصلحة الاملاك الاميرية ببورفؤاد

الموضوع :

فى ٢٠ يناير سنة ١٩٤٠ تكونت بمدينه بورفؤاد الجمعية لغرض بناء كنيسة بـها وادارتها وكتبت قرار للمصلحة المدعي عليها خطابات مسجلة لشـــراء قطعـه ارض مساحتها ٨٧٨ مترا مربعا لهذا الغرض وهى ارض معروفه بنمـــره ٢٠ تنظيم من مربع ٢٠ شارع ١٢ ببورفؤاد .

وقد قامت المصلحة بطرح هذه الارض بالمزاد وتدخلت الجمعية حتـــى رســى المزاد عليها ولم يحرر لها العقد الرسمى الا بعد ان اطلعت المصلحة على قانون الجمعية .. التى تنص مادته الثانية منه على ان غرض الجمعية هو بناء كنيســة للاقباط الارثوذكس ببورفؤاد والمادة الثلاثون منه ان رئيس الجمعية يمثلها لــدى السلطات وله حق بتوكيل الغير .. وارسلت الجمعية الى غبطة البطريرك ترجوه ان يطلب من وزاره الداخليه التصريح ببناء الكنيسة فأمرت الداخليه بتحقيق توفر شروط كثيرة سيأتى الكلام عليها فيما بعد وحررت محضرا ثبت فيه استيفاء كـل الشروط وعندئذ ارسلت الجمعية للمصلحة المدعى عليها رسم الكنيسة وملحقاتـها المقصود بها ان تكون مقرا للجمعية .. وطلب المصلحة عدة شروط للتصريـــح ببناء الكنيسة منها موافقة جميع الملاك المجـــاوريين علـــى بنـــاء الكنيســة .. واستوفت الجمعيه كل الشروط المطلوبه حتى موافقة الجيران ولكـــن التصريـــح ببناء الكنيسة لم يصدر رغم استيفاء كل الشروط بحجة ان بعض الجيران الغـــير ملاصقين غير موافقين .. ولما استاءت الجمعية اضطرت ان ترجوا التصريـــح لها مؤقتا ببناء دار للجمعية ولكن المصلحة فى اول اغسطس سنه ١٩٤٩ اى بعد عشرة سنوات من المكاتبات والمراسلات والتعب والاجهاد ردت انها لا تسـتطيع اعطاء التصريح ببناء الجمعية حتى تتخذ قرارا نهائيا بخصوص اقامه الكنيسة ..

وقد قامت الجمعية بهذه الامور ذرعا فجارت بالشكوى الى السراى الملكية والـى رفعة رئيس الوزراء والى معالى وزارء الداخليه والصحـــــة والتجـارة وذلـــك برسائل برقيه وبريدية مسجلة ولم تسفر هذه الشكاوى عن نتيجة ايجابية - ولمـــا كان يبدو من هذه الوقائع ان المصلحة المدعى عليها اتخذت قراراها بـــــالرفض المؤرخ فى ٣٠ ديسمبر سنه ١٩٤٩ على انه نهائى فهو لذلك امر ادارى نـــهائى يجيز القانون للجمعيه المطالبة الحق فى رفع هذه الدعوى عنه تطلب فيه الغـــاءه للاسباب الاتيه :

اولا : ترجع حريه بناء الكنائس الى الحق الطبيعى لكل انسان ..
حتى جاء القرآن الكريم بكثير من مثل هذه الاية " لولا رفع الله الناس بعضهم لبعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا " وقد فسر الامامان الجليلان الصوامع بأنها الاديره اى مقار الرهبان المسيحيين والبيع بانها الكنائس المسيحية . يستفاد من هذا النص حرص الخالق على الصوامع والبيع كما يستفاد اباحة وجودها وحريه اقامتها وقد تأثرت هذه المبانى بتوصيه من سيدنا محمد بالاقباط خيرا
كذلك تأيدك هذه الحريات باعلان مقدمه الانسان الذى وافقت عليه حكومه مصر .. كما تأيدت لنص الدستور المصرى فى المادة ١٢ على ان " حريه العقيدة مطلقة " اى لا تحدها قوانين او اوامر اداريه ولاكتب دورية
ثانيا : ينص الدستور بقوله : المصريون لدى القانون سواء وهم متساوون فى التمتع بالحقوق المدنيه والسياسية .. ولا تمييز فى ذلك بينهم بسبب .. الدين
ثالثا : بديهى ان المواطن حر فى ان يبنى فى ارضه ما شاء مع مراعاة لوائح التنظيم الخاصه بابعاد المبانى ولوائح الصحة الخاصه بمجارى المياه ومتعلقات الراحة ولوائح اخرى ..ولم يرد فى الدستور ما يحرم المسيحيين حقهم الطبيعى فى بناء كنائس فى اراضيهم تماما كما ليس ما يحرم المسلمين حقهم فى بناء مساجد ..
رابعا : ان تعليق حق المواطنين المسيحيين فى بناء اماكن ممارسة عبادتهم على ارادة الجيران وموافقتهم لم يكن موجودا فى القانون ولا فى العادات المرعية بمصر قبل صدور الدستور انما ظهر هذا الشرط فى الوجود لاول مرة مع شروط اخرى تعسفية فى كتاب مؤرخ ١٩ ديسمبر سنة ١٩٣٣ موجه من وكيل الداخليه لمرؤسية اشتهر منذ صدوره بمنشور العربى باشا
خامسا : يعين للجمعية بعد استيفائها جميع الشروط المطلوبة انه لايوجد سبب مشروع لاعتراض المصلحة و هذا الاعتراض على بناء الكنيسة دليلا حيا على امكان الهزل فى اكثر المجالات جدا بل قداسة بالنسبة لطائفه تبلغ الملايين عددا وطنيه صميمه اصيلة طيبه ناصعه الماضى والحاضر ...

لذلك :
نلتمس تحديد اقرب جلسه لنظر هذه القضية وتكليف المصلحة المدعى عليها بالحضور لها لسماع الحكم بالغاء القرار الادارى الذى اصدرته بتاريخ ١٣ ديسمبر سنة ١٩٤٩ برفض التصريح للجمعية المدعية ببناء الكنيسة على ارضها ببور فؤاد ..

هذه هى خلاصه وخاتمة مأساة كنيسة بورفؤاد .. حقائق أغرب من الخيال إنها الان سنه ١٩٥١ بين يدى مجلس الدولة

أليس عجيبا من الترخيص " اياه " الذى رأينا كيف يعز الحصول عليه وقد يستحيل حتى بعد مرور سنوات عديده فى شكاوى ومكاتبات (كتاب فرق تسد د . زغيب ميخائيل ص ٩٠)

٤ - تجديد كنيسة أجا :

ونذكر مسألة كنيسة أجا وهى مركز تابع لمحافظة الدقهلية وقد بنى فيها كنيسة قديمه بنيت منذ اكثر من عشرين عاما وثابته فى خرائط المساحة سنه ١٩٣٢ ولكن الحكومه رفضت الترخيص بتجديدها لان زاوية او مسجدا حديثا بنى قريبا منها (كتاب فرق تسد د . زغيب ميخائيل ص ١٠١)

٥ - اغلاق كنيسة القصاصين :

اما كنيسة القصاصين فقد كان الاقباط فى القصاصين على اثر الحادث الذى كان قد وقع لصاحب الجلاله الملك ورأوا ابتهاجا بنجاة جلالته انشاء كنيسة وقد مضى على انشائها اكثر من خمس سنوات ولكنهم فوجئوا اخيرا بخطاب من وكيل وزاره الداخليه يقول فيه ان هذه الكنيسة لم يصدر مرسوم ملكى لها ببنائها ولذلك لا يجوز فتحها ولا الصلاة فيها .

وبهذا اغلق بيت من بيوت الله لفئة من ابناء الوطن فى مكان منعزل لا يجاوره مكان آخر يتعبدون فيه ويسمعون العظات الدينية التى تعصمهم من الذلل وتقيهم من الدعايات الهدامة .

فكأن الكنائس لا تساوى فى نظر الحكومه المصرية دار سينما تعرض فيها الافلام " اياها " .

٦ - تحريم بناء منارات الاجراس :

هناك شروط حديثه اضافيه تقضى بتحريم بناء منارات الاجراس بحجة اقلاق راحة الجيران بأصواتها هذا فى الوقت الذى يضج فيه الناس من جميع الاجناس من احداث صوت الميكروفونات المزعجة حتى بعد صدور القانون الخاص بها رقم ٤٥ سنة ١٩٤٩ مما اضطر محافظة العاصمة بتاريخ ٩ مايو سنه ١٩٥٠ الى ارسال كتب الى فرق بوليس القاهرة طلبت اليها فيه تطبيق هذا القانون وذكرت بالنص " انه لوحظ مع الاسف ان بعض الاقسام لا تعتنى جديا بتطبيقه ميريا بتطبيقه ذلك لانها مشغوله بالعنايه البالغة بالحد من استعمال اجراس الكنائس التى لايكاد يسمعها احد الا فى المنازل المجاورة ولفتره وجيزة دون ان تزعج احدا برنينها الوديع (كتاب فرق تسد د . زغيب ميخائيل ص ١٠١)

اخيرا اذا جاز لنا ان نرصد التطور الجديد فى قضية التكامل بين المسلمين والقبط عشية ثورة ٢٣ يوليو امكن القول بأنه عبر المعارك التى خاضتها القوى الاجتماعية والسياسية الجديدة فى الاربعينات والخمسينات او فى الفترة بين ثورتى (١٩١٩ - ١٩٥٢) دخلت عملية التفاعل بين المسلمين والقبط مرحلة أسمتها عدم الاستقرار ولكنها لا تخلوا من المواقف الوطنيه المخلصه لمصر من الاقباط المخلين (١)

وطنيه الاقباط رغم الضيقات : وعلى سبيل المثال :

١ - فى عام ١٩٣٨ رفض القبط مرة أخرى أن يدخلوا فى دائرة الاقليات التى تطلب الحماية من دولة اجنبية وعبر عن ذلك ممثلا مصر فى عصبة الأمم وهما آن ذاك الوزيران القبطيان مكرم عبيد وواصف بطرس غالى - فعارضا أن يقرن دخول مصر بين أعضاء هذه المنظمة الدولية بتعهد من الحكومة المصرية يكفل حماية الاقليات تعهدا قد تحاسب عليه الحكومة أمام العصبة (٢)

٢ - وفى حرب ١٩٤٨ سقط من القبط شهداء فى فلسطين من جنود الجيش المصرى (٣) .

٣ - وعندما إحتدم الكفاح المسلح ضد القوات البريطانية فى القتال وطلب من العاملين المصريين أن يمتنعوا عن العمل فى القاعدة البريطانية " هجر آلاف العمال والموظفين الاقباط العمل من القاعدة رغم المرتبات العالية وقبل ذلك شارك شباب القبط فى ثورات الثلاثينات الوطنية كما شاركوا فى الاربعينات فى صفوف الحركة العامة المناهضة للاستعمار

٤ - كما كانت هذه الفترة لا تخلو من الاعمال التى تؤكد الوحدة الوطنية والقومية وأصالتها بين القبط والمسلمين وعلى سبيل المثال :

أ - رفض الاقباط فى عام ١٩٤٤ الاشتراك فى مؤتمر الاقليات الذى نظمته هيئة الامم المتحدة انهم وان كانوا اقليه عدديه الا انهم من نسيج شعب مصر الواحد (كتاب اقباط وحكام للاستاذ موريس صادق المحامى)

ب - نجد لاول مرة يذاع القداس الالهى ليالى الاعياد القبطية وكان ذلك سنة ١٩٥٠ م ولما عاتب شيخ الازهر احمد حمروش النحاس على ذلك غضب النحاس مستنكرا كيف لا يعترض الشيخ على اذاعه الاغانى ويعترض على الصلاة (كتاب الاقباط بين الحرمان الكنسي والوطنى - سليمان شفيق)

---

(١) الاقباط والقومية العربية (ابو سيف يوسف) ص ١٤٦ .

(٢) الاقباط فى الحياة السياسية المصرية (د . سميرة بحر) ص ١٠١ .

(٣) جريدة مصر فى ١٤ / ٢ / ١٩٥٢ .

ج – كما ذكر أن د.طه حسين فى حديث له قال أن الهدف المقصود من التبشير الامريكى والانجليزى والفرنسى هو هدم الكنيسة القبطية مع أن هذه الكنيسة جزء هام من تراث الدولة يجب المحافظة عليه .

د – **فى دير المحرق** : ومن مظاهر التسامح الدينى التى كانت لا تفرق فى معاملتها بين الاقباط والمسلمين كان دير المحرق كان ينفق على خمسه مدارس ابتدائية فى منطقته تضم ١٥٠٠ تلميذ من مختلف الاديان يتعلمون بالمجان ويوزع الكساء على الفقراء منهم . وتدفع لهم رسوم الامتحانات لافرق فى هذا بين قبطى ومسلم مع انه يصرف من ايراد الاوقاف القبطية .

هـ – معونة العالم المسيحى للاجئين المسلمين :

والتسامح الدينى لا يقتصر على اقباط مصر وحدهم بل يشمل المسيحيين فى العالم اجمع فقد جاء بجريده الاهرام فى شهر مارس سنة ١٩٥٠ " قرر مؤتمر جمعيات الشبان المسيحية فى القدس توسيع برنامج المعونه للاجئين العرب والمعروف ان غالبية اللاجئين من المسلمين .

و – تبرعات الفاتيكان للاجئين الفلسطينيين

ذكرت مفوضيه الفاتيكان بالقاهرة ان التبرعات التى قدمتها الهيئات الكاثولوكيه ملونا ومائتى وخمسين الف دولار اما المساعدات الاخرى التى قدمها العالم الكاثوليكى الامريكية الى اللاجئين الفلسطينين فى الثمانية عشر شهرا الماضية بلغت خمسه ملايين دولار ومما يذكر ان عدد اللاجئين الفلسطينيين يتراوح بين ستمائه الف وسبعمائه الف لاجئ من بينهم ثلاثون الف لاجئ كاثوليكي فقط .

ز – تبرع مطران بكل ما يملك لبناء مسجد بالارجنتين :

وقد جاء فى جريده المصرى بتاريخ ٢١ ابريل سنه ١٩٥٠ جاءنا من الأرجنتين انه قد تألفت لجنه لانشاء مسجد فخم كبير للمسلمين فى بونس ايرس وقد تم جمع التبرعات اللازمه لهذا المشروع وسيحتفل بوضع حجر الاساس لهذا المسجد والمعهد العلمى العربى الذى سيلحق به فى يوم السبت الموافق ٦ مايو ١٩٥٠ القادم لانه يوم عيد جلوس جلاله الملك المعظم .

وفى يوم ٢٣ ابريل سنه ١٩٥٠ نشرت جريده المصرى تحت عنوان تبرع مطران بكل ما يملك للمساهمة فى انشاء مسجد الأرجنتين كذلك تحدثت جريده الاستقلال التى تصدر اسبوعيا بالعربيه فى بونس ايرس عن مساهمة الطوائف المسيحية العربية فى الأرجنتين واشادت بموقف نيافه المطران سابا الذى تبرع بجميع ممتلكاته لبناء المسجد مما كان له ابلغ الاثر فى اقبال الجاليات الشرقية هناك من مسيحيين ومسلمين على التبرع للمشروع .

اما هنا فى مصر فقد كان المألوف مساهمة احد عنصرى الامه مع العنصر الاخر فى بناء كنيسة او مسجد ولعهد قريب حين بنى سعادة قلينى باشا فهمى مسجدا فى بلدته مغاغة على نفقته الخاصه كلفه آلاف الجنيهات ومازال الاقباط رغم كل هذا متسامحين تنفيذا لتعاليم الانجيل السامية

وقد قرأت فى اهرام ٢٨ ابريل سنة ١٩٥٠ هذا الخبر السار الذى اضعه امام واضعى الشروط العشرة ومنفذيها :

تلقينا كلمة من اهالى بلدة ونا فى الرمل يقولون فيها ان احد المسيحيين تبرع لهم بقطعه ارض اقام الخيرون من اهل البلدة عليها مسجدا وهم يلتمسون من معالى وزير الاوقاف اقرار صرف الاعانه الشهريه لنفقات المسجد واجور موظفيه ما اجمل التسامح والتعاون فى الخير والبر

ح - تعارف الاتقياء

اعجبتنى كلمة نشرها الاستاذ رمسيس جبراوى فى مجلة المنارة المصرية تحت عنوان " تعارف الانقياء التى توضح قمة التسامح الدينى الذي كان بين الاقباط والمسلمين فى الماضى .

ذكر الاستاذ رمسيس جبراوى المحامى قائلا : كنت يوم الجمعة أودى واجبا فى فاقوس وجلسنا بعد القداس فى فناء الكنيسة فى جمع متحد الشعور من الاقباط والمسلمين وسمعت آذان الظهر فرفعت بصرى فاذا مأذنه شامخة تطل علينا فسألت القسيس : كم يبعد هذا الجامع عن هذه الكنيسة ؟ فأجاب ان المنزل الذى بينهما ملك للكنيسة فلا يكاد الجامع يبعد شيئا ما قلت : ومنذ كم من الزمن نشأ هذا التجاور ؟ قال لقد نشأت فوجدتهما هكذا ! قلت الا يضايقكم الان ؟ قال : وكيف يضايقنا ولماذا ؟ قلت وجرس الكنيسة هل تقرعونه فى مواعيده ؟ اجاب : طبعا اننا نتنافس على البر والتقوى وكلانا يحب لاخيه ما يحب لنفسه وكلانا يواظب على اقامة شعائره . قلت : الا تضايق اجراسكم جيرانكم المسلمين ؟

اجاب : اننا يا استاذ اصدقاء العمر والمحبة تحتمل كل شئ ما يضايق احدنا من الاخر ولا بيننا الا كل حسنى وطيب جوار . بعض هذا المعنى النبيل - اعاد الى ذاكرتى المرات العديده التى اشتركنا فيها اقباطا ومسلمين فى جمع التبرعات لبناء وترميم الجوامع والكنائس وتذكرت اصدقائى المسيحيين الذين بنوا فى بلادهم جوامع من مالهم الخاص وتذكرت رهبان دير القديسه كاترينا الذين اقاموا فى ديرهم جامعا وصمت متأملا وكانت العبرة ماثله فى خاطرى اذ سافرت لقضية فى اقاصى الصعيد فتعمدت ان انظر من القطار - فكم وجدت كنيسة مجاورة لجامع شاهدة تعارف كامل بين شعبها وتفاهم عميق وتعاون وثيق .

وذكر لى وكيل مكتبى المسلم الواقف امامى قائلا : لماذا نذهب يا اساتذ بعيدا ان بجوارك كنيسة وجامع منشية الصدر جاران تليدان فى القدم .
وقال لى الاب الكبير سرجيوس " ياولدى اما رأيتهما فى المحلة الكبرى ان سقف مدخلهما واحد واما رأيتهما فى ميت دمسيس انهما متلاصقان شاهدان على ما تستطيع المحبة ان تفعل؟ وقد ذكرت الحكمة الاسلامية الرائعة " لو شاء ربك لجعل الناس امه واحدة " وذكرت الحكمه الثانية " انما جعلهم قبائل وشعوبا ليتعارفوا وليعلموا ان اكرمهم عند الله اتقاهم .
يقابل هذا التعسف وضيق الصدر والتفنن فى الاضطهاد ما نقرأ عن سعة الصدر والتسهيلات العديدة التى تقدمها الممالك والدول والبلاد المسيحية لبناء الجوامع فى بلادها والمساعدات التى تبذلها لها .
كما رأينا فى جامع باريس وغيره ما ان تبدى الجاليه الاسلامية فى اى بلد مسيحى مهما كان عددها صغيرا رغبتها فى بناء مسجد لها حتى تقدم الحكومه المسيحية كل التسهيلات اللازمه فلا شروط ولا اشتراكات ولا طلبات ولا موافقة الجيران .
ذكرت ان هذا هو حال الشعب المصرى اقباطا ومسلمين ... وتساءلت ايـن اذن كل تلك الشروط او القيود التعسفية التى تضعها الحكومه المصرية فى سبيل بناء الكنائس ودور الجمعيات الخيرية ...
لو ان لهذه الشروط منطقا (الا تقارب كنيسة جامعا او زاوية) فما ان يستجد فى تلك المنطقه جامع حتى يستحيل الاذن ببناء كنيسة او حتى يتقرر او يكاد ان يتقرر مصير الكنيسة القديمه المكسورة الحظ .. وما مثل كنيسة اجا ببعيد .
عجبت لهؤلاء الحكام يرون الكنيسة قذى فى عيونهم ويسمون الاجراس وقرا فى آذانهم ويضيقون ذرعا بكل من هو او ما هو مسيحى عجبا أليس المسيحى المصرى مواطنا ؟ أليس له فى بلدة نفس الحقوق والواجبات ؟
جاءت فى الصحف منذ ايام ان الحكومه ستبنى جوامع جديدة وستصلح كل ما يحتاج الى ترميم واصلاح وهكذا جمله وعلى طول الخط وقلت لنفسى والكنائس لا الحكومه تبنيها وهى تترك شعبها حرا ببنيانها . أى تعزيه وأى تعنت وأى مثل لعمى التعصب الاحمق لدين معين .
وأضيف على هذا انه فى بلدتنا " أبوقرقاص " تجاور الكنيسة الجامع ولا يفصلهما الا مساكن الوقف التابعه للكنيسة والملاصقة للجامع واخيرا رأى المطران ان شق شارع فى املاك الوقف بجوار الجامع فيه اكبر منفعه له حيث فتحت نوافذ في المسجد هذا ما شاهدته فى بلدتنا منذ حداثتى .

كذلك لا انسى منظر المسجد الذى بناه رهبان دير سانت كاترين فوق جبل موسى بجهة الطور ملاصقا لكنيستهم التى يتعبدون فيها خدمة منهم للمسلمين العرب المحيطين بالدير .

ويمكن القول أن فساد الادارة السياسية وانتشار الرشوة وكذلك فساد الاحزاب وضياع المصلحة الوطنية فى زحمة المنافع الشخصية هو الذى أدى الى قيام ثورة الجيش سنة ١٩٥٢ م ونجح الجيش فى ثورته بفضل تعضيد الامة وحسن تقبلها للدعوة وليس أدل على هذا الفساد من ظهور حزب الاخوان المسلمين الذين حاولوا إعتمادا على تنظيماتهم السرية القبض على السلطة عن طريق القتل وسفك الدماء والقضاء على الاقباط وظهر هذا الفكر عند محاكمة رئيسهم وأعضاء الحزب . وكان تعضيد الاقباط للثورة قويا حين أعلنت حكومة الثورة أن أول أهدافها المحافظة على الوحدة المقدسة والضرب على أيدى العابثين بها .

وأخيرا يذكر مؤلف كتاب " الصليب والهلال " الاستاذ عبد التواب يوسف من جهة وطنية ومساجد بناها أقباط فيقول " فى طفولتى ارتفع فى الحى الذى اسكنه ببنى سويف " مسجد بناه مسيحى ومازال المسجد يحمل إسمه " جامع عوض عريان " وكنت أحب إسم (عريان) فقد سمعت عن " عريان سعد " الذى حاول أن يقتل رئيس الوزراء المسيحى " يوسف وهبه " كما يذكر أيضا المسجد الذى شيده فى مغاغة المرحوم قلينى باشا فهمى الى جوار الكنيسة التى شيدها أيضا ، اوفى طنطا رأينا مرقس بك يوسف يبنى مسجدا فى بلده نجاح ...

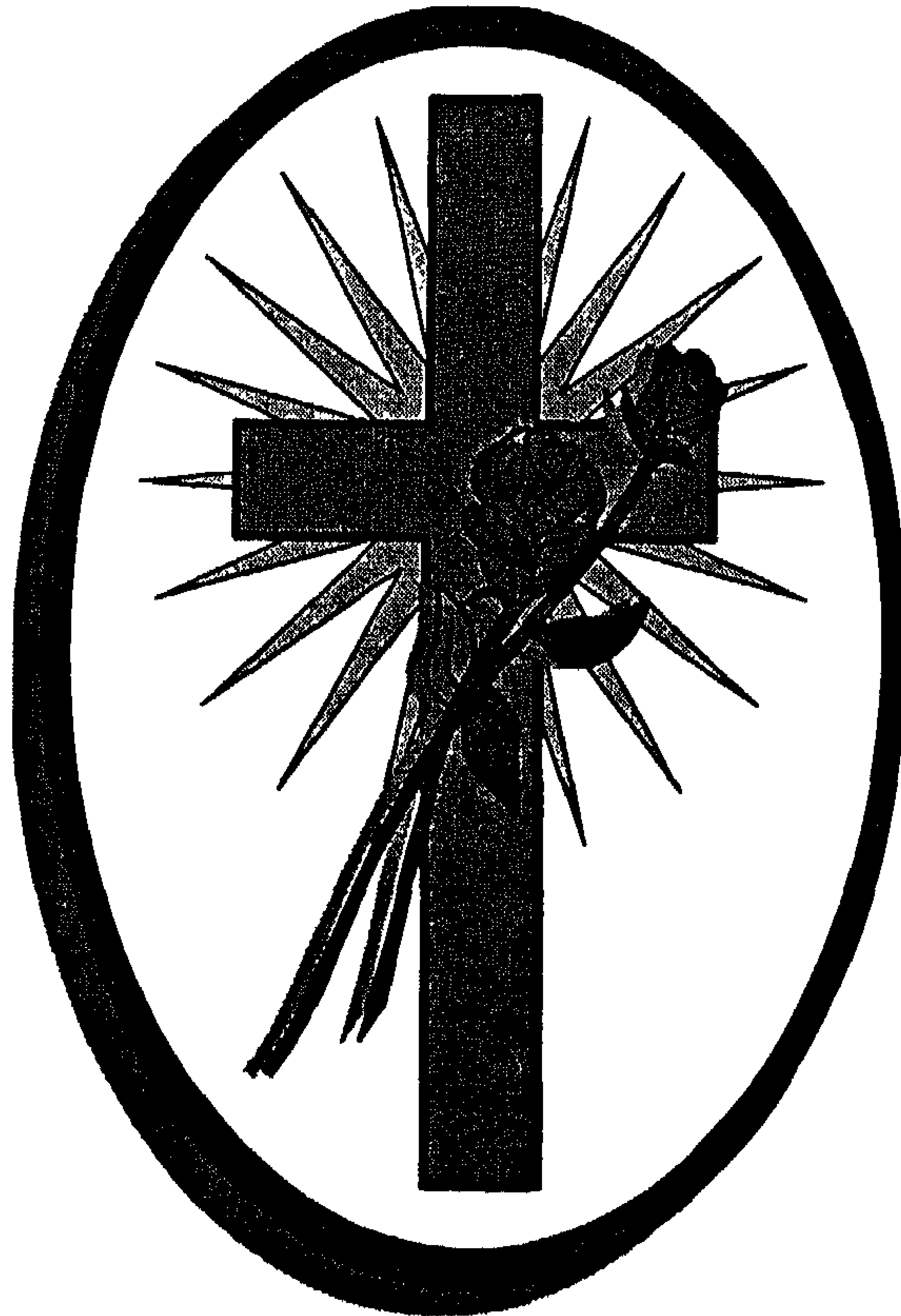
ويمكن تلخيص النهضة الدينية التى بدأت فى المحيط الكنسى فى هذه الفترة كما يأتى :

١ – كان انشاء المدرسة الاكليريكية سنة ١٨٨١ أول البذور التى ألقيت لبدء نهضة كنيسة واعية وكان رائد هذه النهضة هو المرحوم الاستاذ حبيب جرجس الذى أسس فكرة مدارس الاحد وجمع حوله مجموعة من الشباب القبطى الغيور على الكنيسة وبدأ يعلمهم أول درس فى الخدمة ثم أصبحوا فى فترة وجيزة خداما عظماء أمناء على خدمة الكنيسة الى النفس الاخير وعلى يدهم تأسست خدمة مدارس الاحد فى القاهرة والجيزة وضواحيها ومنها بدأت تنتشر فى الاقاليم ومن هؤلاء الشبان والخدام الامناء الاستاذ نظير جيد الذى هو غبطة البابا المعظم البطريرك القديس والمعلم قداسة الانبا شنودة الثالث (البطريرك الحالى)

٢ – كان لحماية الدولة وحدة عنصرى الامة استصدار القوانين واللوائح للمساواة بين المواطنين جميعا أقباط ومسلمين ، وأعطت المسيحيين حرية إقامة شعائرهم الدينية وحرية الوعظ .

٣ – دفعت النهضة الدينية الخدام وأراخنة الشعب القبطـى للاهتمـام بالخدمـة الاجتماعية والنشاط الاجتماعى فى المحيط الكنسى فبـدأو بانشـاء الجمعيـات الخيرية التى تكاثرت فى بلاد عديدة واهتمت هذه الجمعيات بالتعليم ، فتأسسـت مدارس عديدة كما إهتمت بالخدمـة الاجتماعيـة ، ومنـها مسـاعدة الفقـراء والمحتاجين وتشغيل العاطلين وبانشاء المشاغل لتعليم الفتيات الحياكة والتفصيـل والتطريز وخلافه مثل الخدمة الصحية بانشاء المسـتوصفات لرعايـة وعـلاج محدودى الدخل .

٤ – كذلك ظهرت شخصيات ذو ثقافة عالية فى الناحيتين الروحية والعلمية دأبوا على تأليف الكتب الدينينة وطبعها ونشرها فكثرت المطبوعات الدينية مما دفـع بعض الجمعيات الخيرية الى إنشاء المكتبات الدينية كجمعية المحبة فى جزيـرة بدران التى انشأت مكتبة المحبة التى بالفجالة سابقا كما كثر إنشـاء المكتبـات الدينية التى بالكنائس .



" الفصل الثانى "

أبرز الشخصيات القبطية الوطنية فى هذه الفترة

١ – القس منسى يوحنا ٢ – الاستاذ / حبيب جرجس

٣ – القمص سرجيوس ٤ – مكرم عبيد

١ – القس منسى يوحنا

ولد سنة ١٨٩٩ وتنيح سنة ١٩٣٠

كان كثير القراءة الى حد بعيد وإستطاع أن يستوعب مئات الكتب وهو بعد فى حداثة سنة ، وعلى الرغم من عمره القصير ولكنه كان دسم عامر بالانتاج الذى لم يستطعه الشيوخ ، فكان كارزا إكليريكيا عظيما وأشهر وعاظ الصعيد فى عصره بمركز " ملوى " ومن من الناس لم يستفيد منه ؟ إن الذى فاته أن يتمتع بعظاته إنتفع ولا شك من كتبه العديدة فله كتب لاهوتية وعقائدية كما كتب عن الكتاب المقدس وفى تاريخ الكنيسة وقد أحبه الجميع حتى الطوائف غير الارثوذكسية وبكوه بكاء حارا عندما تنيح وأرسل سكرتير السندوس تعزية حارة لشقيقه .

وكان القس منسى يوحنا محبوبا جدا من المسلمين حتى أنهم كانوا يتهافتون على حمل نعشه يوم وفاته وقد إشترك فى الحركة الوطنية وكان خطيب ملوى الفذ .

وأخيرا عرف القس منسى يوحنا يوم نياحته فقال لمن حوله يوم ١٦ مايو سنة ١٩٣٠ (سأموت الليلة فأرجوا أن تصلوا على فى ملوى وتدفنونى فى هور) ورقد فى تلك الليلة .

٢ – الاستاذ الارشيدياكون / حبيب جرجس

رائد التعليم المسيحى

ولد سنة ١٨٧٦ وتنيح سنة ١٩٥١

– كان اشهر واعظ فى جيله بعد القمص فيلوثيؤس ابراهيم وكان فى وعظه جهورى الصوت قويا واسع المعلومات يؤثر فى سامعيه .

– قام حبيب بانشاء جمعيات خيرية جديدة كما قام بتشجيع الجمعيات القائمة منها وانشأ جمعيات أخرى للوعظ .

– كان حبيب جرجس هو المعلم الاول فى الكنيسة ومر وقت كان هو فيه المعلم الوحيد حتى أخرج للكنيسة جيلا من المعلمين .

وكان عمله فى التعليم شمل الاكليريكية ومنابر الكنائس والجمعيات كما علم بقلمه فى كتبه الجديدة . وتعتبر مدارس الاحد من أهم ميادين حبيب جرجس فى التعليم

- يعتبر حبيب جرجس المؤسس الحقيقى للاكليريكية فى عصرها الحاضر فهو الذى إشترى لها الارض واسس لها المبانى فى مهمشة . وأعد القسم الداخلى لمبيت الطلبة وانشأ القسم الليلى الجامعى سنة ١٩٤٦ م الذى كان قداسة البابا شنودة أول خريجيه .

- أصدر حبيب جرجس مجلة الكرمة كما أصدر اكثر من ثلاثين كتابا فى شتى العلوم الدينية . وفى الروحيات وفى العقيدة والتاريخ بل أصدر كتبا ايضا فى التراتيل وفى الشعر .

- كان حبيب جرجس أول إستاذ للاهوت فى الكلية الاكليريكية وتولى تدريس زملائه وهو طالب كما اختير عضوا للمجلس الملى العام..

- وقد رشح مطرانا للجيزة سنة ١٩٤٨ م ولم يقبل البابا يوساب رسامته لانه لم يرسم راهبا .

٣ - القمص سرجيوس

- ولد بجرجا سنة ١٨٨٢ ورسم قسا على بلده ملوى باسم القس ملطى سرجيوس ثم عين وكيلا لمطرانية أسيوط فى ٣٠ اكتوبر سنة ١٩٠٧ . وقد تحدثت عنه جريدة " الوطن " بغيرته على دينه وألمه الشديد على مجد إمته الزائل . ومن اعماله كان رجلا ثائرا على كل مالا يرضيه ولكن ثورته إقتصرت فى بداية حياته فى تمسكه الشديد لعقيدته . وقد أصدر مجلة المنارة المرقسية فى سبتمبر سنة ١٩١٢ فى مدينة الخرطوم عندما كان وكيلا لمطرانيتها . وكان هدف المجلة دعوة الاقباط والمسلمين الى التضامن والتآخى وتقويم الاعوجاج الذى تأصل فى الاقباط ككنيسة واضرب على العادات التى أضلت الشعب وأفسدت ماورثناه من الاباء القديسين فغضبت عليه الانجليز وأمروا بعودته الى مصر فى أربع وعشرين ساعة (٢٤ ساعة) وكانت آخر كلماته للمدير الانجليزى هى " اننى سواء كنت فى السودان أو فى مصر - فى بلادى - ولن أكف عن النضال وإثارة الشعب ضدكم الى أن تتحرر بلادى من وجودكم " (١) .

- وقد برز القمص سرجيوس وسط الثائرين فى ثورة سنة ١٩١٩ فكان أشبه بعبد الله النديم ، فقد وهبه الله لسانا فصيحا يهز أوتار القلوب الى حد جعل سعد

---

(١) مجلة المصور فى ٧ / ٣ / ١٩٦٩ بمناسبة ذكرى مرور ٥٠ عاما على ثورة سنة ١٩١٩ .

زغلول يسميه أو أطلق عليه لقب خطيب مصر أو خطيب الثورة الاول . كما ظل يعيش فى الازهر لمدة ثلاثة شهور كاملة يخطب فى الليل والنهار مرتقيا المنبر معلنا أنه مصرى أولا ومصرى ثانيا ومصرى ثالثا وأن الوطن لا يعرف مسلما ولا قبطيا بل مجاهدين فقط دون تمييز بين عمامة بيضاء وعمامة سوداء وقدم الدليل للمستمعين اليه بوقفته أمامهم بعمامته السوداء (١) وقد إعتقله الانجليز من كثرة خطاباته ضد الانجليز وضد الاحتلال وإستمر معتقلا لمدة ٨٠ يوما ثم أفرج عنه . وبعدما خرج من الاعتقال ظل يخطب فى كل مكان فى المساجد والكنائس والاندية والمحافل وفى الشوارع والميادين ، وقد ذكر عنه أنه ذات مرة وقف فى ميدان الاوبرا يخطب فى الجماهير المتزاحمة ، وفى أثناء خطابه تقدم نحوه جندى إنجليزى شاهرا مسدسه فى وجهه ، فهتف الجميع " حاسب يا أبونا - حايموتك " وفى هدوء أجاب ابونا " ومتى كنا نحن المصريين نخاف الموت ؟ دعوه يريق دمائى لتروى أرض وطنى التى إرتوت بدماء آلاف الشهداء . دعوه يقتلنى ليشهد العالم كيف يعتدى الانجليز على رجال الدين ، وأمام ثباته وإ ستمراره فى الخطابة تراجع الجندى عن قتله (٢) ومن أعظم عباراته التى قالها من على منبر الازهر ما يعبر عن وطنية هذا الرجل وقوله " إذا كان الانجليز متمسكون ببقائهم فى مصر بحجة حماية القبط فأقول ليمت القبط وليحيا المسلمون أحرارا " . ويستمر فى أقواله المأثورة هذه فيقول " بأنه اذا كان إستقلال مصر يحتاج الى التضحية بمليون قبطى فلا بأس من هذه التضحية " . ومن أشهر عباراته المأثورة والمتداولة أيضا قوله هاتفا " فليحيا الهلال مع الصليب " .

وأخيرا تنيح القمص سرجيوس فى ٥ سبتمبر سنة ١٩٦٤ وأبت الجماهير الشعبية التى إشتركت فى تشييع جنازته إلا أن تحمل نعشه على الاعناق ثم أيدت الحكومة اعترافها بجهاده الوطنى بأن اطلقت إسمه على أحد شوارع مصر الجديدة .

<u>مصر كلها كانت كنيسة سرجيوس :</u>

وقد نشرت جريده الاهرام بعددها الصادر فى ٢٤ سبتمبر سنه ١٩٦٤ بعد وفاته بعدة ايام كلمه بعنوان " مصر كلها كانت كنيسة سرجيوس "

قال كاتبها : " ان تاريخ حياة سرجيوس جزء لا يتجزأ من تاريخ نضال الشعب المصرى بكل آلامه وآماله نحو غد افضل افليس هناك من معركة فى تاريخنا منذ ثورة ١٩١٩ ضد الاستعمار او الاستبداد او الاقطاع او التعصب الدينى او العنصرى . لم يكن لسرجيوس دور قيادى فيها فكان دائما فى جانب القوى

الشعبية واذا كانت ثورة عرابى نموذجا تقدميا من رجال الدين تجسد فى الامام الشيخ محمد عبده فان ثورة ١٩١٩ قد انجبت ايضا نموذجها التقدمى القمص سرجيوس وقد رفع كلاهما كتابه المقدس فى شجاعه الانبياء ووعى المناضلين فى وجه الطغاه والمستعمرين .. وبعد ان اشار محرر الاهرام الى كفاحه فى سبيل وحده الهلال والصليب قال ان الذين يؤخون ثورة ١٩١٩ يعتبرون مع كل خطوة باستمرار ووضوح على بصمات كفاح سرجيوس ابتداء من التعبئة الشعبية وقيادة المظاهرات حتى توزيع المنشورات الوطنيه وتحمل مشقة التعذيب والنفى الى رفح .

ثم يستطرد المحرر قائلا : واليوم يدخل سرجيوس دائرة التاريخ التى لا ينطفئ لها نور لينعم بتقدير وحب شعبنا ويعتلى مكانه فى تراثنا القومى جنبا الى جنب مع الطهطاوى والافغانى ومحمد عبده .

وينهى المحرر حديثه قائلا : لقد نعى سرجيوس فى الصحف فقيدا للكنيسة المسيحية وهذا صحيح ولكنه ليس كل الحق فهو ايضا وبنفس القدر والعمق فقيد الجامع الاسلامى فقيد الشعب المصرى كله .

وقد علق القمص صموئيل تاوضروس السريانى على نياحة القمص سرجيوس فى لغة المنصف المحقق المدقق قائلا :

ان القمص سرجيوس هو الاول من نوعه فى القرون الاخيرة الذى حمل المسيح على كتفه وطاف به احياء القاهرة وربوع الوادى يعلن عن مجده الاسنى وينادى بدينه القويم فان لم نجد له مكانا بين العاملين الذين اسعدهم الحظ فلاقوا تقديرا ، فيسرنا ان نضعه مع اوريجانوس ورفاقه فى ضريح الجندى المجهول

٤ – مكرم عبيد

– ولد مكرم عبيد فى سنة ١٨٨٩ م فى قنا – من أشهر العائلات القبطية وأثراها . كما درس القانون فى أكسفورد ثم حصل على ما يعادل الدكتوراه سنة ١٩١٢م ، ولما عاد الى مصر عين سكرتيرا للوقائع المصرية سنة ١٩١٣ م ، وقد أختير سكرتيرا خاصا لكل مستشار إنجليزى طوال مدة الحرب العالمية الاولى . كما كتب مكرم عبيد رسالة قيمة باللغة الانجليزية فى معارضة مشروع المستشار الانجليزى " برونيات " شرح فيها مطالب الامة المصرية وحقوقها إزاء الانجليز ،ورفعها المستر (موريس ايديموس) مقترحا لانهاء الثورة وعقد تحالف بين

---

(١) جريدة وادى النيل فى ٢٢ ابريل سنة ١٩٢٢ .

(٢) قصة الكنيسة القبطية " الجزء الخامس " د . ايريس حبيب المصرى " ص ١٠٥ .

إنجلترا ومصر يحل محل الحماية وقد اعجب سعد زغلول بهذه المذكرة وجعلها إحدى حجج الوفد فى مفاوضاته مع الانجليز بعد ذلك . وكان نتيجة كتابته الرسالة السابقة وتقديمها أن أستغنى عنه الانجليز كسكرتير للمستشار الانجليزى ، فعين إستاذا فى كلية الحقوق وظل بها عامين كاملين . وقد إنضم مكرم عبيد الى حزب الوفد سنة ١٩١٩ وعمل فى مجال الترجمة والدعاية فى الخارج ضد الحكم والاحتلال الانجليزى ، وإتصل بوسائل متعددة مثل الصحف الاجنبية ولجان من الطلبة المصريين بالخارج والالتقاء بالوفود .

زواجه : تزوج مكرم عبيد بعد عودته الى مصر من السيدة عايدة كريمة مرقس حنا والعجيب أنه شابه سعد زغلول فى أن الله لم يرزقه ولدا . ومما يجب تسجيله باعتزاز لسعد زغلول أنه حين تقدم مكرم عبيد ليخطب عايدة رفضته فى بادىء الامر لكونها أرثوذكسية متمسكة بعقيدة الاباء بينما مكرم عبيد بروتستانتى فلما سمع الزعيم الخالد سعد زغلول بهذا الموقف قال لمكرم " ما هذا يا إبنى ؟ لقد نشأنا طوال عمرنا لا تعرف كاهنا غير الذى يرتدى العمامة السوداء فهو إبن مصر الصميم فلماذا تركته وكانت هذه الكلمات كافية طبعا لان يعود مكرم الى إمة الكنيسة القبطية المصرية فيتزوج من السيدة الفضلى عايدة مرقس حنا .

وبعد نفى سعد زغلول ثار مكرم عبيد وقام بإلقاء الخطب والمقالات فندد بالاحتلال مما تسبب فى القبض عليه ونفيه عدة مرات ولذلك ازدان تاريخه بالنفى والسجن معا . وكان له دعاية نشطة فى انجلترا وفرنسا والمانيا ضد الحكم الانجليزى حتى أن الجريدة الناطقة بحزب الوفد أطلقت عليه لقب (المجاهد الكبير) كما لقب مكرم عبيد بعدة القاب أخرى منها " إبن سعد البكر " و" الخطيب المفوه " . وقد إستمر مكرم عبيد – سكرتير عام الوفد وأكثر زعماء الوفد شعبية بعد سعد زغلول والنحاس ووصف بأنه سيف الوفد الذى لا يدخل غمده ولسانه الذى لا يسكت وقلمه الذى لا يكف عن الضرب حتى أن الناس كانوا ينسون أنفسهم وهم يصفقون له إعجابا . ومما يؤثر عنه أنه بعد عودته من المنفى بأيام قلائل وقف يخطب فى شباب شبرا مهاجما السعى الانجليزى فى الوقيعة بين المسلمين والاقباط وإختتم خطابه كما يلى .. بقيت لى كلمة أخيرة عن تلك الدسيسة المنكرة التى يقوم بها المستعمرون للتفريق بين المسلمين والقبط ويقولون أقباط ومسلمون بل هم مصريون ومصريون وأباء وأمهات وبنون أو قولوا لهم إخوة لانهم بدين مصر يؤمنون أو أشقاء لان أمهم مصر وأباهم سعد زغلول ، أيقال هذه القول عن مصر التى علمت العالم معنى الاتحاد المقدس حتى ان الهنود فى محباسا كانوا يقولون أن مصر استاذة الهند ومثلها الاعلى فى إتحاد طوائفها .

- عين مكرم وزيرا للمواصلات فى وزارة النحاس سنة ١٩٢٨ م . كما كان ابرز أعضاء حزب الوفد والجبهة الوطنية شعبية وحظوة لدى الجماهير عام١٩٣٥
- وعين مكرم عبيد وزيرا للمالية بعد معاهدة سنة ١٩٣٦ م ومنح لقب الباشوية
- ومن اهم اعماله صدور الكتاب الاسود ١٩٤٢ م .

تقييم الكتاب الاسود :

يذكر جلال الدين الحمامصى فى وصفه فى قيمة الكتاب الاسود بأنه الوثيقة التى هزت أركان الفساد فى مصر ومهدت الطريق لحركة التطهير الشاملة التى أطاحت بالاحزاب السياسية ووضعت الاسس وأرست القواعد لبناء عهد جديد فى مصر . ومن آخر اعماله فقد شارك مكرم عبيد فى الوزارات الثلاثة التى تشكلت برئاسة كل من أحمد ماهر والنقراشى فى سنة ١٩٤٦ م . ويعتبر مكرم عبيد صاحب فكرة النقابات العمالية وتكوينها ، ووضع كادر للعمال لاول مرة فى تاريخ الحكم المصرى ، وتوفير التأمين الاجتماعى لهم ، كما وضع نظام التسليف العقارى الوطنى ، كما أنه صاحب نظام الاخذ بنظام الضريبة التصاعدية للدخل .

- وفى سنة ١٩٥٠ م أعلن مكرم عبيد بطلان معاهدة سنة ١٩٣٦ م وبطلان إتفاقية سنة ١٨٩٩ م شكلا وعدم تنفيذها فعلا ، وذلك تطبيقا لبيان هيئة الامم المتحدة الذى يقضى ببطلانهما ، وذلك قبل أن يعلن النحاس الغائها بالفعل فى ٨ اكتوبر سنة ١٩٥١ م وهذا يوضح قدرته وحكمته السياسية وذكاءه .

وأخيرا تولى مكرم عبيد مطلب الغاء الامتيازات الاجنبية وناضل فيها وقال إنه لا يلائم روح العصر ولا حالة مصر الحاضرة . يعوزنا الوقت الكثير للحديث عن هذا الرجل الوطنى العظيم ولكننا كتبنا نقط مضيئة فى وسط شمس حياته المنيرة التى غربت عن حياتنا سنة ١٩٦١ م .

مكرم عبيد فى التاريخ :

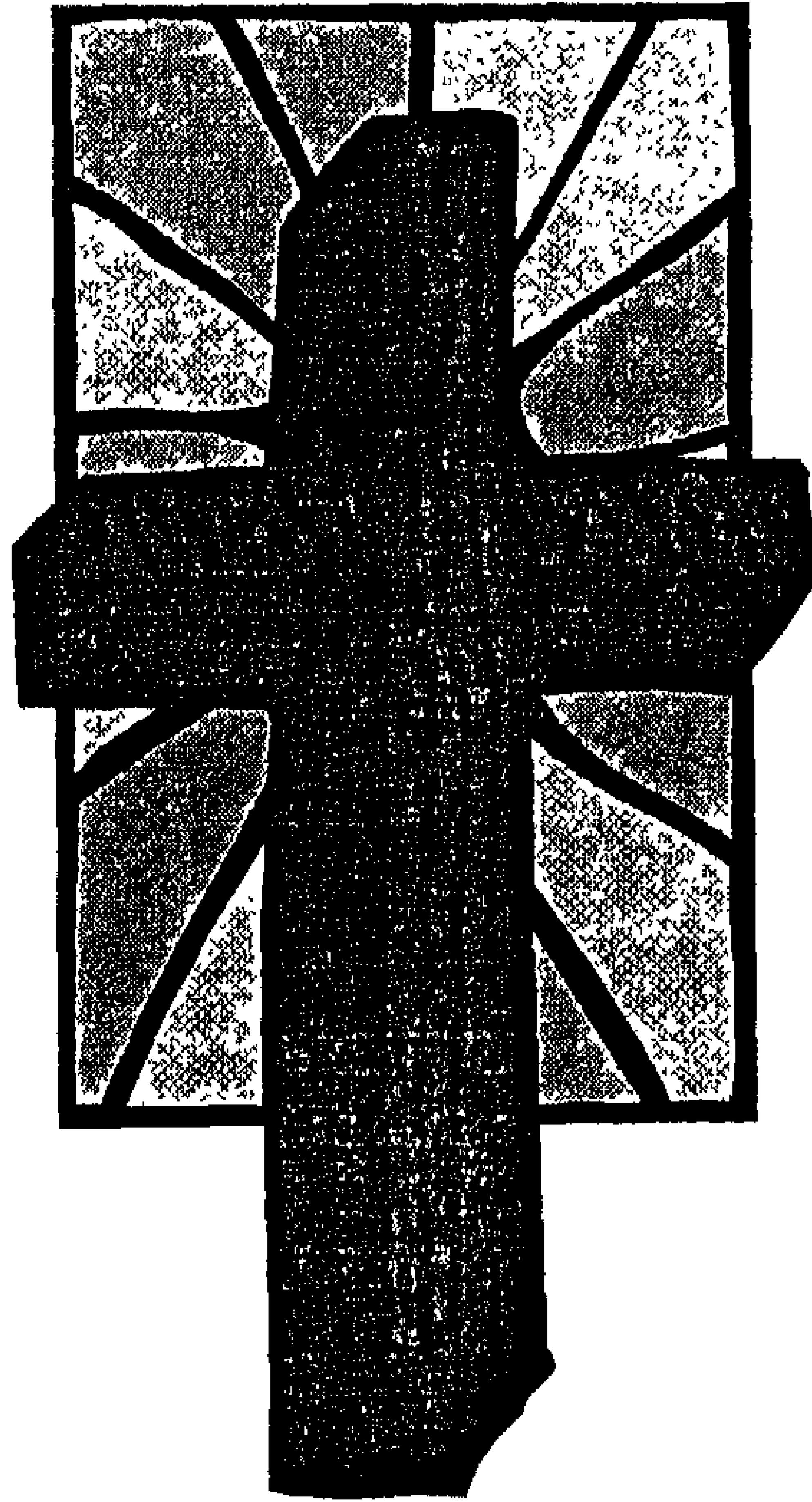
ذكر عنه الدكتور مصطفى الفقى فى كتابه قائلا :

" مكرم متحدث ممتاز مصدر قوة عظيمة على المسرح السياسى ليس فقط فى الدول المتخلفة بل فى الدول المتقدمه ايضا - مثل لويد جورج فى بريطانيا - ويعتبر مكرم عبيد أشهر خطيب فى التاريخ السياسى المصرى الحديث - ولسوء الحظ فان ايه ترجمة لخطبه واحاديثه تعجز عن ابراز قوتها الحقيقية لانه من غير الممكن الابقاء على الاسلوب الخاص لبلاغته فى الترجمة فكان مشهورا باستخدام السجع كى يدفع بوجه نظره الى هدفه المنشود .

وكان مكرم عبيد محاميا ناجحا بكل المقاييس ولازالت اصداء مرافعاته معروفـه فى تاريخ المحاماه فى مصر وكان يعتمد فى دفاعه على التحليل المنطقى لدوافـع الجريمه ويتصور نفسه فى موضع المتهم امام المحكمة .

وقد وصفه الدكتور محجوب ثابت احد الادباء الكبار بأنه " خطيب يؤثر بالعاطفة كالموسيقى صديق مخلص عدو جبار ، انه ملاك فـــى صداقتـــه شـــيطان فـــى خصومته " .

وليس من شك فى ان مكرم عبيد - كما يقول الفقى - هـــو الوحيـــد مـــن بيـــن السياسيين الاقباط الذى عبر حاجز الاقلية ليصبح شخصية عامة متمتعا بشـــعبية واسعة بين المسلمين قبل الاقباط كما كان أول قبطى يتولى مسئولية رئيسية فـــى حزب الاغلبية .



" الفصل الثالث "

اشهر قديسوا الكنيسة واراخنتها فى هذه الفترة
(١٩٢٣ - ١٩٥٢)

١ - البابا يؤانس التاسع عشر البطريرك الــ (١١٣) :

- ولد بقرية ديرناسا (تابعة لمركز البدارى) بمديرية أسيوط سنة ١٨٥٥ م . وترهب فى دير البراموس ثم رسمه البابا كيرلس الخامس سنة ١٨٧٨ م قمصا ورئيساً لدير البراموس وإستمر ما يقرب من عشرة سنوات يدير الدير بهمة ونشاط وفى سنة ١٨٨٧ م رسم مطرانا للبحيرة باسم الانبا يؤانس واضيفت اليه المنوفية بعد وفاة مطرانها . ثم عين وكيلا للكرازة المرقسية . واهتم بأن يكون لكل كنيسة جديدة أوقافا خاصة للصرف من ريعها عليها كما ضم أطيانا للبطريركية بالاسكندرية كما أهتم بالعلم والتعليم بالاسكندرية فاصبحت المدارس المرقسية الكبرى من اكبر المدارس بالثغر .

تنصيبه بطريركا :

بعد نياحة البابا كيرلس الخامس صار الانبا يؤانس قائم مقام بطريرك وبعد أن اصدر المجمع المقدس قرارا بجواز ترقية المطران الى رتبة البابوية تم تجليس البابا يؤانس التاسع عشر سنة ١٩٢٩ م .

وقد انشأ البابا يؤانس مدرسة للرهبان بحلوان وتشجيعا لطلبتها أرسل النابغين منهم الى مدرسة ريزا ريوس ببلاد اليونان فى بعثة تعليمية وكان من بينهم القمص أقلاديوس الانطونى الذى رسم مطرانا لجرجا وبطريركا فيما بعد بأسم البابا يوساب الثانى .

كما أهتم بأثيوبيا ورسم لها الانبا كيرلس مطرانا كما رسم لها خمسة أساقفة وقد زار البابا أثيوبيا سنة ١٩٣٠ م .

وقام البابا يؤانس أيضا بعمل الميرون المقدس وإهتم بزيارة الاديرة وخصوصا دير البراموس .

الرؤيا المخيفة :

بعد أن جلس البابا يؤانس على كرسى مارمرقس أخذ يساوره شيء من الندم والاسى لقبوله منصب البطريركية إذ كان يرى فى نفسه أنه ليس أهلا لها من جهة وأنه خالف القوانين التى تحرم الاسقف ان ينتقل من كرسى الى آخر من جهة أخرى ، ولكثرة هذه الافكار التى كانت تهاجمه بعنف وقوة نام ذات ليلة فرأى فى حلم جماعة بثياب البادية يهاجمونه بقيادة رجل حبشى فالتفت اليهم

مذعورا وهو يقول للحبشى هل تتحّد مع أعدائى محاولا قتلى وأنت من أولادى ؟ واذا بالحبشى يقول له وأنت لماذا تركت مكانك الاول وجئت لتجلس على كرسى مارمرقس الرسول وعندئذ إستيقظ البابا مضطربا وكاد يسقط من سريره ..

وفى عهده وقعت الحرب بين إيطاليا والحبشة فى سنة ١٩٣٥ م وإنتهت باستيلاء إيطاليا على البلاد وإنقطعت صلة الكرسى المرقسى بها ولكن الحرب العالمية الثانية التى نشبت فى ٣ سبتمبر سنة ١٩٣٩ م كان من نتائجها أن أعيد الى الحبشة إستقلالها وشاهد البطريرك بعينيه قبيل نياحته رجوع مطران الحبشة الى كرسيه وعودة كنيسة أثيوبيا الى أحضان إمها كنيسة الاسكندرية .

لى النقمة انا اجازى يقول الرب :

فى ايام البابا يؤنس التاسع عشر البطريرك الـ ١١٣ يذكر انه زار الملك فؤاد فقابله الملك بطريقه غير لائقة فغضب عليه البابا ولما كان الملك يشكو من ضعف جنسى تدخل الله مع طبيبه الالمانى الذى يعالجه فأستخدم ادوية مستخرجه من خصية القرد كانت لها اثار جانبية فكان الملك يتصرف كقرد حتى فى المقابلات الرسمية فمنع عنها واستخدم طبيبه ادوية مضادة للأولىا فأصيب جسمه بالقروح وانتن وكانت رائحته كريهة لا يطيقها احد حتى الملكة نفسها اعتكفت عنه والخدم هربوا من خدمته حتى مات . لكى يتم ما قيل بالكتاب المقدس " الرب يدافع عنكم وانتم تصمتون .

وتنيح البابا يؤانس فى سنة ١٩٤٢ م .

البابا مكاريوس الثالث البطريرك الـ (١١٤) (١٩٤٤ م - ١٩٤٥ م) :

ولد فى المحلة الكبرى سنة ١٨٧٣ م وترهب بدير الانبا بيشوى بوادى النطرون تحت إسم الراهب عبد المسيح سنة ١٨٨٩ ثم رسم مطرانا لاسيوط سنة ١٨٩٧ م باسم الانبا مكاريوس .

وفى سنة ١٩١١ م دعا الانبا مكاريوس الى عقد مؤتمر قبطى فى أسيوط للاصلاح الكنسى كما قدم للبابا كيرلس الخامس سنة ١٩٢٠ م رسالة عن المطالب الاصلاحية العلية .

وقد تم تنصيبه بطريركا سنة ١٩٤٤ م بعد نياحة البابا يؤانس التاسع عشر .

وفى أيامه حدث إختلاف بين البابا والمجلس الملى اضطر البابا فى هجر العاصمة والاعتكاف بحلوان ثم فى دير الانبا بولا . وقد تدخلت الحكومة وطالبت المجلس الملى بالعمل على عودة البابا فعاد واستمر النزاع حتى تنيح البابا فى اغسطس سنة ١٩٤٥ م .

ملحق رقم (١)
المسجد الاقصى وقبة الصخر
والحرم القدسى

__المسجد الاقصى ، فى عهد الرسول :__

كان هذا الاسم (المسجد الاقصى) يطلق فيما مضى على الحرم القدسي كله وقد اقتبسه المسلمون من حادث الاسراء يوم اسرى بالنبى العربى الكريم الى هذه الديار وفى ذلك نزلت الاية الكريمه (سورة الاسراء آيه ١) " سبحان الذى اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذى باركنا حوله " .

كان هذا فى اوائل عهد النبى وقبل ان يفتح بيت المقدس على يد المسلمين وكان النبى محمد (صلعم) فى السنه الاولى بعد الهجرة يولى وجهه وهو يصلى فى المدينه شطر القدس معتبرا اياها (بيت الله فى ارضه) ولما رأى من غدر اليهود ومكرهم غير قبلته واستبدلها بالكعبة وقد تم ذلك فى السنه الثانية للهجرة وفى ذلك نزلت الايات الكريمه التالية :

" ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله "... (سورة البقرة ايه ١٥)

" وماجعنا القبلة التى كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وان كانت لكبيرة الا على الذين هدى الله او ما كان الله ليضيع ايمانكم ان الله بالناس رؤوف رحيم . وقد نرى تقلب وجهك فى السماء فليوليك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره " (سورة البقرة الايتان ١٤٣ ، ١٤٤)

عبدالملك بن مروان والمسجد الاقصى وقبه الصخر

وفى زمن عبدالملك بن مروان بنى المسجدان الصخرة والاقصى ويقول المؤرخون ان عبدالملك اراد ان يصرف الناس عن التفكير بالسفر الى الحجاز (وكان ابن الزبير قد ثار ضده واعلن استقلاله) وان يشغلهم عن الكعبة ببناء هذا الاثر العظيم

وقد بنى مسجد قبة الصخر (سنه ٦٦ هـ - ٦٨٥ م) وفرغوا منه سنه (٧٢ هـ - ٦٩١ م)

اما المسجد الاقصى فقد شرع فى بناءه عبدالملك بن مروان سنه (٧٤ هـ - ٦٩٣ م)

وانه تم فى زمن ابنه الوليد (٨٦ هـ - ٧٠٥ م)

وقد قام الوليد بتغطيه قبة الاقصى بالنحاس وقد اخذه من كنيسة فى بعلبك ولم يبقى من بناء المسجد الذى بناه عبدالملك بن مروان وابنه الا القليل اذ تأثر المبنى بالعوامل الطبيعية فأعيد بناء اقسام منه فى العهود العباسية والفاطمية والايوبية والمملوكية والجزء الاكبر من البناء الحالى للمسجد يرجع الى الخليفة الفاطمى الظاهر لاعزاز دين الله وقد ضيق المسجد من الشرق ومن الغرب فحذف اربعه اروقه من كل جانب وصنع له الابواب السبعة التى تقابل الابواب اما الاقواس السبعة التى تواجه الابواب وتصنع الرواق الشمالى فقد اقامها الملك عيسى بن ايوب عام ٦١٤ هـ / ١٢١٧ ميلادية . (كتاب البابا شنودة والقدس للكاتب ممدوح الشيخ)

- الحائط الشرقى من المسجد الاقصى سقط فى عهد الوليد فبناه من جديد

ومن الذين قالوا ان الذى بناه عبدالملك بن مراون المقدسى سنه ٩٨٥ م فى كتابه (احسن التقاسيم فى معرفه الاقاليم) وقد ايد ذلك مجد الدين سنه ١٤٩٦ فى كتاب الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل

ومن القائلين ان الذى اكمله وقام ببناء السور الوليد المؤرخ الاسكندرى اوتيمنوس سنه ٩٣٩ ومنهم ايضا ابن الاثير وقد قال كرزويل ان المسجد الاقصى تم بناءه فى الموضع الذى بنى عمربن الخطاب عليه المسجد الخاص به

ومن اثار مسجد عمر بالمسجد الاقصى

أ - فى صدر الجامع الاقصى من جهة الشرق مجمع معقود بالحجر وبه محراب

ب - ومن جهة الغرب يظهر الجامع فى صحن المسجد مكان معقود يعرف بجامع المغاربة .

وقد ذكر المؤرخ البيزنطى تيؤفانوس (٧٥١ - ٨١٨) ان الخليفة عمر بن الخطاب بنى مسجدة فى منطقة الهيكل الخربة

(كتاب تاريخ قبة الصخرة والمسجد الاقصى عارف باشا العارف ص ١٥٢)

وقد ذكرت مجلة الاثار (٥-٦ ص ٢٤٧)

ان هناك بعثه انجلز قامت سنه ١٩٠٩ حفرت فى اسطبل داود ومهد عيسى على جانب الصخزة راشيع انهم اكتشفوا تابوت العهد واللوحين الحجرين المدونه فيهما الوصايا العشر .

الحرم القدسى :

هو عبارة عن المسجد الاقصى ومسجد قبة الصخر وما بينهما من منشآت وما حولها من الاسوار هى التى يعبر عنها فى يومنا هذا بالحرم القدسى ومساحته حوالى ٢٦٠,٦٥٠ م٢

وهو فوق سهل مرتفع كان فيما مضى يدعى (تل المريا) ذلك التل الــذى ورد ذكره فى سفر التكوين يوم اتى ابراهيم بولده اسحق الى هذا المكان ليضحى بــه وهو ايضا المكان الذى كان فيه (بيدر أرونه اليبوســـى) الــذى اشــتراه داود بخمسين شاقلا من الفضة ليقيم عليه الهيكل .

محتويات او مكونات الحرم القدسى

١ – المسجد الاقصى　　　٢ – مسجد قبة الصخرة

٣ – فناء الصخرة　　　٤ – القباب

قبة المسلة – قبة المعراج – قبة النبى – قبة يوسف – القبة النبوية – قبة الشــيخ الخليلى – قبة الحفز – قبة موسى – قبة سليمان

٥ – مساطب الحرم

مسطبة الكرمى – مسطبة علاء الدين البصيرى – مسطبة العشاق

٦ – مآذن الحرم

مئذنه باب المغاربة – مئذنه باب السلسلة – مئذنه باب القواتمه – مئذنــه بــاب الاسباط

٧ – اروقة الحرم

الرواق الممتد من باب القواتمة الى باب القاهر

الرواق الممتد من باب الناظر الى باب القطانين

الرواق الممتد من باب القطانين الى باب السلسلة

الرواق الممتد من باب السلسلة الى باب المغاربة

الرواق الممتد من باب الاسباط الى باب حطة

الرواق الممتد من باب حطة الى باب العتم

الرواق الممتد من باب العتم الى باب القوائمه

٨ – ابواب الحرم

الابواب المفتوحة

باب الاسباط – باب حطة – باب شرف الانبياء – باب القواتمة – باب النــاظر – باب الحديد – باب القطانين – باب المتوضأ – باب السلسلة – باب المغاربة

الابواب المغلقة

باب السكينه – باب الرحمة – باب التوبة – باب البراق

٩ – مياه الحرم

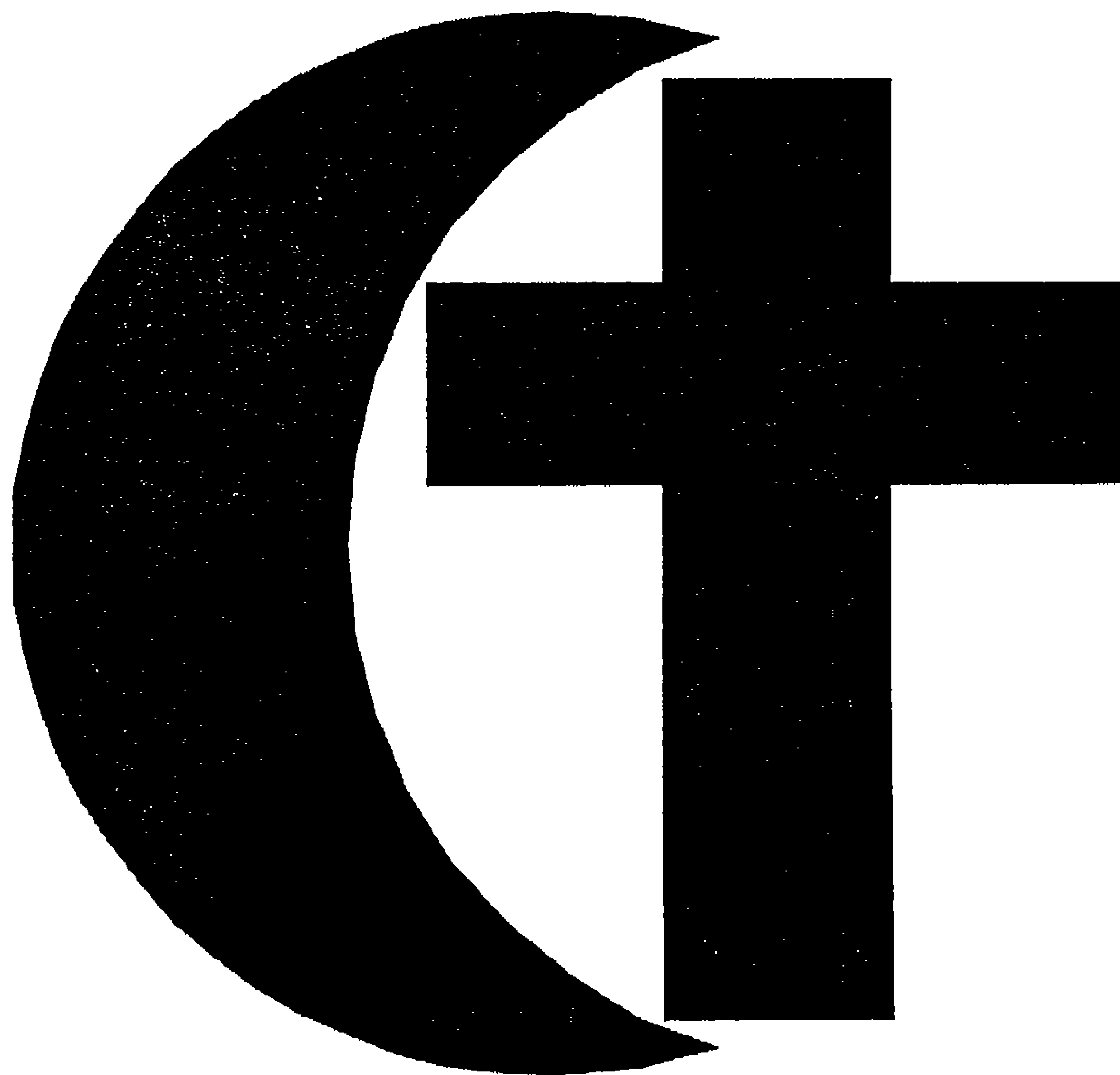
آبار الحرم : الابار التى عدها العمرى – الابار التى احصاها مجــير الديــن – الابار التى رأيتها فى عام ١٩٤٥

السبل والاحواض

الكاس - سبيل باب الحبس - سبيل قايتباى - سبيل البديوى - سـبيل شـعلان - سبيل قاسم باشا - سبيل السلطان سليمان

الينابيع

العروب - برك سليمان - قناة السبيل - رأس العين



ملحق رقم (٢)
حول جريمه السويس
" ابهتى ايتها السموات واقشعرى من هذا أيتها الارض
هدية العيـــد !

استمعنا فى الم بالغ الى حادث السويس ، هدية العيد (الكريمه) وقد قدمها لنـــا مواطنونا المسلمون الذين ينادون بوحدة عنصـــرى الامـــه !! وعنـــاق الـــهلال والصليب !! وتتلخص القصه - وقد رواها اخوة لنا من السويس - فـــى حـــرق بعض المسيحيين والطواف بهم محترقين فى الطراقات ثم القائهم فـــى الكنيســـة واشعال النار فيها

اين كانت الحكومة ؟؟

شئ يمكن ان يحدث فى بعض البلاد المتبربرة أو فى عصور الوثنيـــة والـــرق والوحشية اما ان يحدث فى القرن العشرين وفى السويس فى بلد فيـــها محـــافظ ونيابه وبوليس وادارة للامن العام فأمر يدعو للدهشة والعجب انها ليست قريـــة نائية بعيده عن اشراف رجال الادارة وانما هى محافظة فأين كان المحافظ حيـــن وقع ذلك الاعتداء الوحشى ؟ وما الدور الذى قام به رجالـــــه (الســـاهرون) على الامن وحماية الشعب ؟

اننا نطالب الحكومه - لو كانت جادة فعلا فى الامر لو كـــانت حريصـــه علـــى احترام شعور ما لايقل عن ٣ ملايين من رعاياها - نطالبها بمحاكمة المحـــافظ ومعرفه مدى قيامه بواجبه كشخص مسئول وان توقع عليه وعلى غـــيره مـــن رجال الادارة العقوبه التى يفرضها القانون .

خجلة وزير الداخلية

بالامس القريب حرقت كنيسة الزقازيق وحرقت الكتب المقدسة ايضا فـــأرتجت مصر للحادث وارتجت معها البلاد المتحضرة التى تقدر الحرية الدينية وكرامـــة الكنائس والكتب الالهية واليوم يضاف الى حرق الكنيسة اعتداء ابشع وهو حـــرق الآدميين .. وامام هذا التدرج نقف متسائلين : وماذا بعد ؟

منذ ايام طلعت علينا الجرائد وهى تقول ان وزير الداخليه توجه الى قداسه البابـــا البطريرك وسلمه كتابا نشر فى الخـــارج عـــن الاضطـــهادات التـــى يلاقيـــها المسيحيون فى مصر وتساءل الكثيرون : ترى ماذا سيكون رد الحكومه علـــى المستفهمين فى الخارج !! ولكن قبل ان يجهز وزير الداخليه الرد الذى ترســـله وزاره الخارجية المصريه وصل رد (الفدائيين) من السويس !! ترى هل وافق تصرفهم ماكان يجول بخيال الوزير من ردود ؟ اننا نسأل أو نتسأل

لعل العالم قد عرف الآن ان المسيحيين فى مصر لا يمنعون من بنـــاء الكنـــائس فحسب بل تحرق كنائسهم الموجودة ايضا ولايعرقل فقط نظام معيشتهم من حيث التعيينات والتنقلات والترقيات والبعثات وانما اكثر من ذلك يحرقون فى الشوارع احياء ..

عناق ! و ٥٠٠٠ جنيه

لقد ذهب رئيس الوزراء الى قداسه البطريرك وعانقه كما قرر مجلس الـــوزراء تعويضا قدره ٥٠٠٠ جنيه لترميم الكنيسة ولكن رفضها الشعب القبطى بأجمعـــه ونحن نقول ان مجاملات الحكومه لا تنسينا الحقيقة المرة وهى الاعتـــداء علـــى اقدس مقدساتنا ولكى نعطى فكرة واضحة عن الموضوع نفترض العكـس ولـــو حدث ان جماعة من المسيحيين - على فرض المســـتحيل - حرقـــوا مســـجدا وجماعة من المسلمين : هل كان الامر يمر بخير وهدوء ؟ وهل كان يحله عناق البطريرك لشيخ الجامع الازهر او اعتذار يصدر من المجلس الملى ومن جميـــع الهيئات القبطية ؟ لا اظن هذا .

انها ليست مسألة شخصية بين الوزاره والبابا البطريرك وانما هى هدر لمشـــاعر ملايين من الاقباط واساءة الى المسيحيين فى العالم اجمع ولا تحل هذه المشـــكلة بعناق او اعتذار او عبارات مجاملة او وعود وانما تحتاج الى عمـــــل ايجـــابى سريع يشعر به مسيحيو مصر انهم فى وطنهم حقا ويشـــعرون معـــه ان هنـــاك حكومه وان هناك مشاركة وجدانية لهم فى شعورهم .

اما الـــ ٥٠٠٠ جنيه فهى احقر من ان نتحدث عنها واحقر منـــها ان يســـتكثرها الوزير القبطى - على ما يقال طالبا تخفيضها الى ألفين .

اقوال كثيرة

لقد قرأنا ان رئيس الوزراء ووزراءه ورئيس الديوان الملكـــى وكبـــار رجالـــه وغالبية الزعماء السياسيين وشيخ الجامع الازهر ومفتى الديار المصريه وكثـــيرا من رجال الدين المسلمين كل هؤلاء وغيرهم ذهبوا الى قداسة البابا البطريـــرك مظهرين شعورا طيبا مستنكرين للحادث وهذا حسن وواجب وامر نشكرهم عليه وقرأنا ايضا فى الجرائد استنكار للحادث من بعض الهيئات المعروفه كالمحـــامين الشرعيين واللجنه التنفيذية لكليه الطب ونحن نشكر كل هؤلاء من صميم قلوبنـــا كما نشكر حضرات الكتاب المحترمين الذين شاركونا فى شعورنا كالاستاذ محمد التابعى مثلا .

كل هذا جميل ولكنها اقوال والامر يحتاج - كما قلنا - الى عمل ايجابى ســـريع لان اعصاب الشعب تحتاج الى تهدئة وتهدئة على اساس سليم لقد ذكرت جريـــده الاهرام ان عبدالفتاح حسن باشا وزير الشئون الاجتماعية ذهب الى السويس

ورأى قبل اداء فريضة الجمعه ان يزور الكنيسة القبطية وجمعيتها الخيرية ومدرستها واعرب لمن اجتمعوا بمعاليه عن سخطه على الحادث الذى وقع فى الايام الاخيرة واعاد التأكيد بأن الحكومه تأخذ بكل حزم وشدة اى عابث بالامن وكل من يحاول الاخلال بالنظام او يفكر فى تعويق البلاد عن متابعة كفاحها .
هذه الفاظ جميله ولكننا لم يعتد علينا بالالفاظ حتى نعالج بالالفاظ وانما نريد ان نرى عمليا الحزم والشدة اللذين اتخذتهما الحكومه لمعالجة الموقف على ان يكون ذلك بسرعة لان حجارة الكنيسة مازالت مهدمة ودماء شهدائنا الاعزاء مازالت تصرخ من الارض .

مهزلة الوزير القبطى

ونود بهذه المناسبة ان نقول للحكومة فى صراحة ان عبارة (الوزير القبطى) ماهى الا مجرد اسم وان هؤلاء الوزراء الاقباط لا يمثلون الشعب القبطى فى شئ بل ان منهم من يتجاهل او يضطهد الاقباط احيانا او يفرط فى حقوق كنيسته ليظهر للمسلمين انه غير متعصب وهكذا يحتفظ بكرسيه .
ما الذى فعله الوزير القبطى ؟ اى شعور نبيل أظهره نحو الكنيسة ؟ وما الذى فعله الدكتور نجيب باشا اسكندر عندما حرقت كنيسة الزقازيق ؟ لقد زارنا نجيب باشا وقتذاك فقال لنا الحساب من تعملون ؟ لقد اصطلح المدير مع المطران وانتهى الامر وانتم تهددون وحدة العنصرين ..!! ثم عاد وتلطف اخيرا بعد ان تبين سلامة اتجاهنا وصحة موقفنا .
وابراهيم فرج باشا جاهد كثيرا ليقنع غبطة البطريرك بمقابلة رئيس الوزراء قائلا انه من الواجب ان نفسد على الانجليز دسائسهم فى تقويض هذا الاتحاد المقدس بين عنصرى الامة
نفس عبارة الوزيرين تكاد تكون واحدة ولكنها ايضا تدل على سوء استغلال لعبارة وحدة العنصرين .

وحدة العنصرين

العجيب ان الاقباط وحدهم الذين يطلب منهم المحافظة على وحدة العنصرين !!! تحرق الكتب المقدسة ويحرق المسيحيون احياء ولا يسمى هذا اعتداء على وحدة العنصرين ولكن عندما يقف الاقباط محتجبين يقال لهم وحدة العنصرين وحدة العنصرين ..!! ولحساب من تعملون ؟ والجواب اننا نعمل لحساب اسماء المسيح والكنيسة والدين .
يجب ان نفهم وحدة العنصرين فهما سليما الامر ليس مجرد تمثيل وادعاء نتبادله مع مواطنينا المسلمين وانما يجب ان يكون وحدة قلبية خالصه ومحبة متبادلة وتعاونا صادقا مع مراعاة المساواة التامة فى كل شئ ومن ناحيتنا كمسيحيين

حافظنا على هذه المحبة محافظة اعترف بها التاريخ واعترف بها المواطنون جميعا وسجلتها محاضر مجلس الوزراء وبقى على العنصر الاخر ان يظهر محبته محافظة على وحدة العنصرين لاننا لا نستطيع ان نسكت اطلاقا عندما تحرق لنا كنيسة او كتاب مقدس ولا نستطيع ان نسكت عندما يحرق المسيحى حيا لا لذنب لانه مسيحى وأؤكد ان مواطنينا المسلمين يوافقوننا على احتجاجنا . بل لعلهم يصفون احتجاجنا بالوداعة والهدوء بينما لو سكتنا لو صفنا المسلمون انفسهم بأننا جبناء ضعاف الايمان ولم يكن المسيحيون جبناء او ضعاف الايمان فى ايه لحظة من لحظات تاريخهم الطويل منذ ان سكن المسلمون معهم فى مصر وقبل ان يسكنوا معهم بأجيال .

وأنت ايها الشعب القبطى

ليس الحرق بجديد عليك بل ان تاريخك فى الاضطهاد حافل بأمثال هذه الحوادث وبما هو ابشع واقسى والمسيحية فى مصر سارت فى الطريق الضيق منذ استشهاد كاروزها مار مرقس الرسول عبر الاجيال الطويلة قاست الحرق والصلب والرجم والجلد والعصر والالقاء الى الوحوش الضارية وشتى انواع التعذيب المختلفة .

فصبرا جميلا " وطوبى لكم اذا اضطهدوكم " لقد كان آباؤكم يفرحون عندما يستشهدون ولكن هذا لا يمنعكم اطلاقا من المطالبة بحقوقكم .

ان بولس الرسول ضرب وسجن وجلد ورجم حتى ظن انه مات واحتمل كل اضطهاد فى فرح ولكن ذلك لم يمنعه من ان يقول لقائد المئة فى استنكار " ايجوز لكم ان تجلدوا رجلا رومانيا غير مقضى عليه ؟ " وهكذا خاف قائد المئة وخاف الوالى وعرض امر الرسول على القيصر ولكن فى احتجاجكم كونوا عقلاء وكونوا مسيحيين طالبوا بحقوقكم بكل الطرق الشرعية التى يكفلها القانون وقبل كل شئ ارفعوا قلوبكم الى الله ونحن واثقون انه لا وزير ولا رئيس ولا اى حزب مهما عظم خطره يستطيع ان يحتمل صلاة ترفعونها بقلب نقى الى الله بل اننا نخشى على كل هؤلاء من صلواتكم .

نود ان نقول لرئيس الوزراء ان اقل ما يطلب من حكومه تقدر مسئوليتها هو القبض على الجانى بعد ارتكاب جريمته وتقديمه للمحاكمة السريعه حتى ينال العقوبه الرادعة وهذا بعض ما نطلبة الان اما الحكومة القوية فهى التى تحمى الشعب وتمنع الجريمه قبل وقوعها (نظير جيد - البابا شنودة الثالث حالياً العدد الأول و الثانى لمجلة - مدارس الأحد عام ١٩٥٢)

الفهـــــــــــــرس

الصفحة

فى هذا الكتاب

وطنية الكنيسة القبطية وتاريخها

يوضح أن تدعيم الوحدة الوطنية هو هـــدف كـل مصرى لا فى الوقت الحاضر فحسب بل طوال تاريخنا كله.

ومن الأقوال المأثورة فى هذا المجال

+ قال قداسة البابا المعظم الأنبا شنودة الثالث

« مصـر بالـنسبـة لنــا لـيست وطـنـاً نعيش فـيه إنمــا وطـنٌ يعيش فينا فى داخلنا »

+ قال الرئيس الراحل السادات فى إحدى خطاباته

« إن الأقباط من نسيج هذا البلد مصر »

+ قال الدكتور طه حسين

« الك... طية مجد مصرى قديم »

